كتاب

الساق على الساق

في ما هو الفارياق

Montmartre — Typographie de [illegible] et Comp

كتاب

الساق على الساق في ما هو الفارياق

او

ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تأليف العبد الفقير الى ربه الرزاق فارس بن يوسف الشدياق

الى زيد وعمرو في رسالة دا انتهى الى الناس من تاليف معرض
ددرس بورس ودستذا الى فرن اوى واسع بن ددرس حرس

طبع بنفقة العبد الفقير الى رحمة ربه الموفّق رافائيل كحلا الدمشقي
وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية

LA VIE ET LES AVENTURES

DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC

PARIS
BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT
DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS
ET DE CALCUTTA, ETC.
Rue du Cloître-Saint-Benoît n° 7



فهرست الكتاب

صفحة

الكتاب الاول

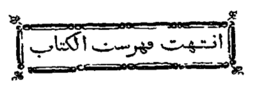
صفحة

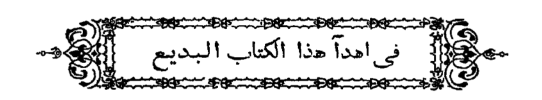
الكتاب الثاني

الكتاب الثالث

صفحة

الكتاب الرابع


انتهت فهرست الكتاب



فی اهدآ هذا الكتاب البديع

الحمد لله

لما جرت عادة المولفين من الافرنج ان يهدوا مولفاتهم الى من تميّز فی عصرهم بالفضائل والمحامد ورُويت عنه مآثر جليلة فی اكرام العلم واهله رايت هنا ان احذو حذوهم فی اهدآ هذا الكتاب البديع الى الجناب المكرم الخواجا بطرس يوسف حوّا المقيم بلندرة اذ كان قد اتصف فی عصرنا هذا بالمزايا الحميدة التی يتحلى بها مدح كل مطرئ وقول كل مولّى وهو الان كبير هذا البيت المشهور من قديم الزمان بالحسب والفخر ورفعة القدر وكثيرا ما اعان على تحصيل الفضايل وامدّ بنی جنسه وغيرهم بما افازهم بمنتهی الامال وادرك بهم منتأی الاوطار فاثنوا عنه حامدين وعلى آلائه شاكرين هذا وان يكن مقامه الكريم يجلّ عن بعض جُمَل فی الكتاب لكنه فی الجملة جدير بان يختص به فالمرجو منه قبوله واجازته وترويجه واجازته فان الحقير بالانتمآ اليه يعود جليلا والناقص يكتسب تكميلا *

من الداعی لجنابه
فارس الشدياق



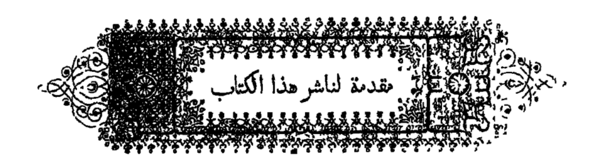
الحمد لله الموفّق الى السداد والملهم الى الرشاد   وبعد فان جميع ما
اودعته في هذا الكتاب فانما هو مبنيّ على امرين احدهما ابراز غرائب
اللغة ونوادرها فيندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس
وقد ضمّنت منهما هنا اشهر ما تلزم معرفته واهمّ ما تمسّ الحاجة اليه
على نمط بديع ولو ذكر على اسلوب كتب اللغة مقتضبا عن العلائق
لجآء مملّا وقد راعيت سرده مرة على ترتيب حروف المعجم ومرّة
نسقته بفقر مسجعة وعبارات مرصعة * ومن ذلك القلب والابدال كما في
التورور والثورور والتونور والترتور وتمطّي وتمتي وتمطط وتمدد * ومنه ايراد
الفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى من حرف واحد من حروف المعجم
نحو الغطش والغمش والبهر والبجز والنغز والحفر تنبيها على ان كل
حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من اسرار اللغة العربية
التي قلّ من تنبّه لها * وقد وضعت لهذا كتابا مخصوصا سميته منتهى
العجب في خصائص لغة العرب فمن خصائص حرف الحآء السعة

والانبساط نحو الابتحاح والبداح والبراح والابطح والابلنداح والبجح والرحرح
والمرتدح والرَوح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسمح فى قولهم ان فيه
لَمُتَسَمَّحًا اى متسعا والساحة والانسياح والسُدحة والشرح والصفيحة والصلدح
والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفشح والفطح والفلطحة الى آخر
الباب * ويلحق به الفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك الا بامعان النظر
نحو الاسجاح والتسريح والسماحة والسنح * ومن خصائص حرف الدال
اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والنيد والثأد والشعد والمثمعد
والمثمغد والثوهد والشهمد والخبنداة والخود والرادة والرَخودة والرهادة
والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والمأد والمرد والمغد
والمَلَد الى اخر الباب * ويلحق به من الامور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد
وغير ذلك * وربما عادلوا فى بعض الحروف اى راعوا فيها الاكثار من
النقيض فان حرف الدال يشتمل ايضا على الفاظ كثيرة تدل على الصلابة
والقوة والشدة * وذلك نحو التآدّ والتاكيد والتاييد والجلعد والجلمد
والجمد والحديد والسحدد والسخدود والسمهد والتشدد والصفد والصلد
والصلخد والصمغد والعجرد والتعجلد والعرد والعِرندّ والعرفدة والعصلد
والعطوّد والعطرّد والعلد الى آخره * ومن خصائص حرف الميم القطع
والاستئصال والكسر نحو أرَم وارم وثُرِم وثلم وجذم وجرم وجزم وجلم
وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم الى اخر

الباب * ويلحق به من الامور المعنوية حُمّ الامر اى قُضى وحرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها * ويكثر فى هذا الحرف ايضا معنى الظلام والسواد * ومن خصائص حرف الهآ الحمق والغفلة والرثء اى قلة الفطنة نحو أَلِه وأَمِه وبله والبُوهة ونفه والنُوه والدله والسَبَه وشُده لغة فى دُهش او مقلوب منه وعُته وعَله وعمه ونمه وورِه وقس على ذلك سائر الحروف * ومن هذا الغريب ايضا كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعانى نحو اجرهدّ واسمهرّ وكل ذلك مشار اليه فى هذا الكتاب فينبغى التفطّن له * وقد طالعت كتاب المزهر فى اللغة للامام السيوطى رحمه مما ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللغوىّ ابن فارس فلم اجده تعرّض لهذا النوع بل ربما اورد من الخصائص احيانا ما لا ينبغى ايراده كجعله مثلا اطلاق لفظة الحمار على البليد منها * ومن ذلك الغريب النوادر من الالفاظ وذلك نحو قولى اكهى فى صفة الرجل المتقرقف من البرد قال فى القاموس اكهى سخّن اطراف اصابعه بنَفَس * ونحو العنقاش للذى يطوف فى القرى يبيع الاشيآ * والضوطار وهو من يدخل السوق بلا راس مال فيحتال للكسب * والذُبانة اى بقية الدَين * وترمل يقال ترمل الطعام لم يحسن اكله فانتشر على لحيته وفمه * ويتكظكظ وهو ان ينتصب الانسان عند الاكل قاعدا كلّما امتلا بطنه * ونحو الجلهزة والتلحّز والوَدم والارغال وغير ذلك مما فسّر بعضه وترك الباقى فرارا من تكبير

جرم الكتاب * والامر الثانى ذكر محامد النسآء ومذامهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما اثرت عن الفارياقية * فانها بعد ان كانت لا تفرق بين الامرد والمحلوق اللحية وبين البحر الملح وبحر النيل تدرّجت فى المعارف بحيث صارت تجادل اهل النظر والخبرة وتنتقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والمعادية فى البلاد التى رأتها احسن انتقاد * فان قيل انه قد نقل عنها الفاظ غريبة غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن ان تكون قد نطقت بها * قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى * ومن تلك المحامد ايضا حركات النسآء الشائقة وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصوّر منها شى الّا وذكرته فى هذا الكتاب لا بل قد اودعته ايضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختصّ بهن *



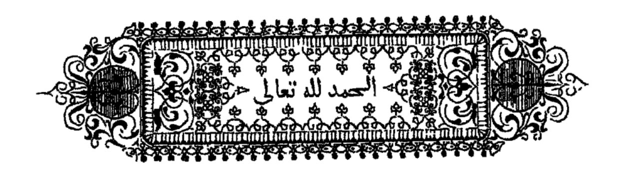


الحمد لله تعالى على ما اسبغ من نعمه علينا ووالى وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الحافظ الموقّي رافائيل كحلا الدمشقى انى لما طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق رايته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس باسلوب رائق معجب وتمهيد شائق مطرب وخصوصا لاشتماله على احص ما يلزم معرفته من الآلات والادوات واستيفائه لجميع اصناف الماكول والمشروب والمشموم والملبوس والمفروش والمركوب والحلى والجواهر مما لم يوجد فى كتاب غيره على هذا النمط وما أُغفل من تلك الاشيآء فى بابه وهو قليل فقد ذكره المولف فى الجدول المبيّن للالفاظ المترادفة وقد رأيت من محاسن هذا الكتاب ايضا انه اشتمل على نثر ونظم وخطب ومقامات وملاحظات حكمية وانتقادات فلسفية ومطارحات وكنايات وتوريبات وتوريات ومحاورات وعبارات مضحكة كيلا يملّ القارى من مطالعته المرة بعد المرة • فمن ملح تلك المحاورات ما ذكر فى الفصل

التاسع من الكتاب الاول وفى الفصل الثامن عشر والعشرين من الكتاب
الثالث وفى الفصل الثانى من الكتاب الرابع وفى الفصل السادس منه
وفى الفصل العاشر وفى غيره ومن الكنايات ما ذكر فى الفصل الثامن عشر
من الكتاب الاول وفى الفصل العشرين وفى خطبة الكتاب الثانى وفى
الفصل الخامس منه وفى مواضع اخرى كثيرة فاما التوريات فانها لا تكاد
تحصى كثرةً فالمرجو من مطالعه ان يتصفّحه برويّة واعمال نظر ليتبيّن
خفيّ ما اودع فى فصوله المفصلة من النكات والمحاسن * ومن محاسنه ايضا
انه اذا ذكر شيا استوفى كل ما امكن ان يقال فيه وراعى النظير له من جميع
طرقه وبالجملة فانى اتجاسر على ان اقول ان المولف قد فتح باب
هذا الاسلوب الغريب فى التاليف ثم ما لبث ان قفله فلا يمكن تحدّيه
من بعده لان الكتاب انطوى على اشهر ما يروم القارى معرفته من غرائب
اللغة * هذا ولما رايت ما فيه من جمّ الفوائد الادبية والنوادر اللغوية
وثبت لديّ انه يكون مقبولا لدى اهل العلم والذوق الصحيح استخرت
الله فى طبعه واشتهاره ليعمّ نفعه ويسهل تحصيله فاما ما يظهر منه فى
بادى الامر من الاساءة فى حق اشخاص صرّح المولف باسمائهم فقد
كنت اود لو ان هذه الاسماء لم تكن شيا مذكورا الا انه اشترط عليّ قبل
الشروع فى الطبع ان لا انقص منه شيا كما انه اشترط ذلك ايضًا على
جميع القارئين واليه اشار فى الفاتحة بقوله او ترتأى استعماله

محذوفا * فرايت ان قليل اللوم الذى ينشأ عن اثبات تلك الاسماء
بالنسبة الى كثرة الفوائد التى تحصل منه غير مانع من اشتهاره
وقبوله فدونكه ايها المطالع تحفة مبتكرة لم يسبق اليها وهدية نفيسة
يجب الحرص عليها فامعن عند تلاوتها النظر وادم عليها الفكر لتبرز لك
محجّبات معانيها وتنجلى عليك مُحجّبات مبانيها ولا تعاملها معاملة ما
سواها مما قد اشتهر فانها بِدْع عزّ عن ان ينظَر * ثم انّا نعتذر اليك عن
بعض غلطات وقعت فى الطبع غالبها مقصور على شكل الفاظ غير مشهورة
على انها قليلة جدّا ولا توجد فى جميع النسخ المطبوعة فانّا تداركنا بعضها
بالاصلاح وقلّ ان يوجد كتاب فى غريب اللغة خاليا من ذلك فالماٴمول
من كرمك ان تقابلها على جدول التصحيح وتصلحها بالقلم والمولف
معترف بالقصور والاعتراف يمحو الاقتراف وليس الكامل الّا الله وحده ومنه
نستمد المغفرة والمعونة *





فاتحة الكتاب

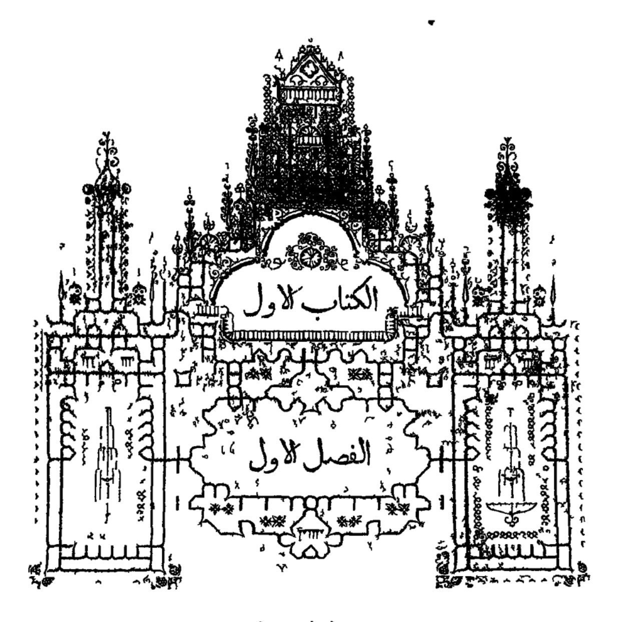
هذا كتابي للظريف ظريفا   طَلِقَ اللسانِ وللسخيف سخيفا
اودعتُه كَلِمًا والفاظا حلت   وحشوتُه نقطا زهت وحروفا
وبداهةً وفكاهة ونزاهة   وخلاعة وقناعة وعُزوفا
كالجسم فيه غيرُ عضوٍ نعشق المستور منه ونحمد المكشوفا
فصّلته لكن على عقلي فما   مِقياس عقلك كان لي معروفا
فقعّرته بمحافر الافكار كي   يسع الكلام وسُمته تجويفا
لفقته وخصفته بيدي فقل   نِعمَ الكتابُ ملفّقا مخصوفا
افرغت فيه كل حبرٍ راقه   وله بريت من اليراع الوفا
وكانما بيديّ قد نمّقته   حتى انى مستحكما مرصوفا
الّفته والليل اسود حالك   فلذاك جآء مسخّما مسجوفا
نبّلته لك دون طاهي القوم بالرّ   بُلات وهي تزيل منك خُلوفا
ونُصِحّ ما بك من طُلاطِلَة ومن   ضَرَسٍ فتلّقم بعد ذاك الفوفا
يُغنيك عن مَين الطبيب وسُحله   ما من جراه نخازم الحتروفا
قد انبتت قضرآء ارض سطوره   روضًا وجنّاتٍ تروق وريفا

فتشمّ منها عَرْفَ كل رَبَحْلة   دَهْساءَ يفتن حسنها الغطريفا
وترى الملعّظة الشِناط بجنبها   والفارض القِرطاس والسّرعوفا
ووراءها وامامها مُرمُورة   وغُرانقٌ ما ان تزال أُنوفا
واذا بدت لك من خلال حروفه   رُدُح ونائر فاخطبنّ رُشوفا
فاذا عجزتَ عن المؤنة واستقلْ   تَ وجدت في اعقابهن الهيفا
فاختر هداك الله ما تهوى ولا   تتراخ عن ان تُدْرك الحرنوفا
غيري من الوصّاف في ذا صنّفوا   لكنهم لم يحسنوا التصنيفا
اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم   يتقصّ منهم واصف موصوفا
لكن كتابي او انا بخلاف ذا   تكفي الحفيّ الحدّ والتعريفا
لا عيب فينا غير انك لا ترى   صنوا لنا في فنّنا وحريفا
فهو اليتيم المستحيل إخاوه   وهو الفريد فكن عليه عطوفا
الفضل لي ولصاحب القاموس اذ   من لُجّه قولي غدا مغروفا
حبلتْ به راسي خلافا للنسا   عاما وكل العام كان خريفا
لكن تولّد في ٣ اشهر   وحبا على عَجَل وشبّ لطيفا
لم ادرِ هل رَجَلْتُه او مخطته او   بصقته او القيته ثمّ كنيفا
عانيت فيه من الزحير اجارك الـمولى عناءً لا يُكال جزيفا
وقطعت سُرّته على اهل الحجى   وعلى اسمهم لا يبرحنّ موقوفا
ما كان من ظئر له عندي سوى   فكري ومع ذا حلته مسروفا
قِدّما عليه توجهت نفسي ولم   يكُ شوفها عن نحوه مصروفا
ورشحتُ لذّاتٍ قُبَيل نتاجه   حتى اذا باشرت عدت نَشوفا
اولدت لي ولدين لا لك ثم ذا   لك ثالثا لا لي فَعُلْهُ القوفا
عهدي الى ولديّ ان يتحدّيا   اسلوبه وبدقّتيه يُطيفا

ليؤمّناه من الحريق اذا احتمى　　احد عليه لكونه جرّيفا
انى برئ منهما ان يعدلا　　عنه ويتّخذا عليه حليفا
مَن كان يرغب فيه فهو موفّق　　اَوْ لا فقد ضلّ السبل وايفا
فى الليل بسمع منه غطغطة يطيب　　نعاسه بدوامها وجيفا
ولرُبَّ نور ساطع يغدو اذا　　قابلتَه يوما به مكسوفا
وكبير بطن ضاق عند وفاتك　　ذى شِرّةٍ عنه يخيم ضعيفا
كالزئبق الفرّار ينظره ولا　　يسطيع يُمسك من قفاه صوفا
يهوِى هوىّ الريح فى الوادى اذا　　ما هِيجَ ثمّ يُسنِم الشُنعوفا
هو خير داعٍ للذى لم يرضَ من　　لُعَب الزمان ولهوه خذروفا
ان تتلُه يطربْك حسن نغامه　　او تُلغه يُسْمِعْك منه عزيفا
فبه ترى فى البرد مشنى ثم إن　　نارت خُجُوجاة السّهام مُصِيفا
واذا نقلت من الطعام وغيره　　تلقى به من نُقْلة تخفيفا
واذا اتّخذت حديقة فاغرس بها　　منه كُلَيمات تردك قُطوفا
تغنيك عن نصب الحيال بها فلو　　اضحى شِظاظا لصّها لأُخيفا
انى ضمنتُ لك القُدور فما تُرى　　من بعده عَزِها ولا منجوفا
كَلّا ولا مستثقِلا نوما ولا　　أرِقًا ولا تشكو صَدًى وعُجوفا
لا تُقدمنّ على ركوب الصعب ان　　لم تتخذه صاحبا ورديفا
حتى اذا تُعتعت اصبح عاصما　　لك أن تزل فتخطى الخرو فا
انى لأعلم والسداد يدلّنى　　أن الجناب يرى الأبيل مخيفا
فأخِفْه انت بكل حرف باتر　　قد خُطّ فيه يكفّ عنك كفيفا
هو حصرم فى طَرْف مَن يغتابه　　ما زال ان ذُكِرَ اسمه مطروفا
وهو الحديد القاطع الماضى الذى　　يبرى العظام ويحسم الشرسوفا

ان شئت تلبسه على علّاته   فاهنأ به أَو لا فدعه نظيفا
ولقد اجزتك سقه او لَعْقَهُ   او ان تَخَفْ قَيْئاً فخذه مدوفا
لكن حذارِ من الزيادة فيه او   ان ترتأى استعماله محذوفا
اذ ليس فيه من محلّ قابل   للحذف او لزيادة تثقيفا
لو كان يُعشَق جامدٌ لجماله   لغدا الورى طُرّا به مشغوفا
ولئن نزحتُ عن الانام فانه   يمشي اليه حيث كان زحوفا
واذا تُخاصم كاذبان فلحية الاشقى يغادر شعرها منتوفا
حتى كأنّ الشَعر من لَحييهما   قطن الحنايا ناعما مندوفا
وحياة راسك ان راسي عارف   انى به لن استفيد رغيفا
كلّا ولا اقطا ولا حَشَفا ولا   خزّا على وتدى ولا كرسوفا
لكن بقرنى حكّة هاجت على   انى اعالج مرة تاليفا
من كان يُوجَر كى يؤلّف خطبة   فهو الخليق بان يُعدّ عسيفا
ما راجَ من قولى فخذه وما تجدْ   من زائف فاتركه لى ملفوفا
لابدّ أَن تجد الصيارف مرّة   بين الدراهم درهما مزيوفا
ولربّ دينار يجرّ اليك مَن   تهوى بلحيته وليس مشوفا
لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى   فيه من الصدأ القديم كثيفا
من كان فى بلد لطيفا طبعه   يجد الغليظ من المحبّ لطيفا
لا ترفسن ما سَرّ منه لاجل ما   قد ساء بل لا تُولِهِ تأفيفا
ان المصنف لا يكون مصنّفا   الا اذا جعل الكلام صنوفا
او ليس ان الضرب مثل الصنف فى المعنى وفرع عصا اليه أُضيفا
حاشاك ان تنقضى علىّ نهافتنا   من قبل ان نتحقق التوقيفا
فنقول قد كفر المولف فاحسدوا   يا قوم صاحبكم ابى تحديفا

فتهيجُ ارباب الكنائس هَيجة شُؤمى فيخترطوا عليه سيوفا
بيني وبينك من صِلات مودّة ما يقطع التفسيق والتسقيفا
لا تزبئرّ الى القتال ولا الى الشكوى ولا تك بيننا قِذّيفى ا
ان كنتُ إحسانًا اتيت فدونك التحبيذ لى او لا فلا تقذيفا
لا يُشتَمنّ ابى ولا امى ولا عرضى ولا تك لى بذاك اليفا
انمى على انفى يناط مدلدلا ما ان يُصيبُ من العباد انوفا
ولربَّ فِسّيق اللسان مُباذئٍ يغدو وقد فسق العفيف عفيفا
ونزبه نفس ان بزر ذا زوجة ويكون ان ضحكت له عِتريفا
كَلِبٌ الكواعب ليس يُعدى غيره ودواؤه كَعْبٌ يليه مُنوفا
ماذا على مُهدٍ الى اخوانه شيا الذّ من المدام طريفا
سهر الليالى مُحكما تفصيله وهمْ رقود يُحكمون خفيفا
ارايت ذا كرم يردّ هدية ويسوم مهدبها له تعنيفا
او ليس ان الدهر اصبح مازحا يُهذى رباتى المضحكات جنوفا
فاشتقّ من خَرّف الجنى خَرِفا ومن خَصَفٍ تَهِى الاظفار منه حصيفا
دع عنك تعبيس الاسود وكن اخًا لابى الحُصَين مراوغا يُهفوفا
من اضحك السلطان صوت رُدامه فهو الذى فى الناس عُدّ عريفا
نمت بهذا البيت فاتحتى وقد صيّرته لبنائها تسقيفا
لا تقرأنّ من بعده شيا ولو كُلِّفتَ حرفا واحدا تكليفا
فتكون قد أُرلقتَ ثم تجاوزتّ بك رجلك اليسرى له تاريفا
انى ارى كالريب فى اذنيك عر ف نصيحتى راحت سدى وطليفا



في اثارة رياح

مه صه اسكت اصمت انصت انس اعِر اسمع أذن اصخ اصغ اعلم انى
شرعت في تأليف كتابي هذا المشتمل على اربعة كتب في ليالي راهصة ضاغطة
احوجتني الى الحوار قائما وقاعدا حتى لم اجد لضمور افكاري ما يسدّه
عن ان ينفق على سراب العلم في وجوه هذه الصحائف * فلما رادت
الدنيا طواعا لاناملي والدواة مطواعا للقلم قلت في نفسي لا باس ان اتبع القوم
الذين سودوا وجوههم بتسويد الطروس فان كانوا قد احسنوا بابا اعتدّ بي
من المحسنين * وان كانوا قد اساءوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة
ويكون كتابي على كل حال متصفا بالكمال * لان اكمل عشرة كان عشرا
دان تكمل بنفسه * فمن ثم لم اتوق فيما قصدته ولم احاول ان اودع
من الالفاظ الساقطة الرابعة والمعاني العانية الآفية كل ما ينبغي ان

السمع * ولذّ للطبع * مع علمي انه لا يكاد مُولِّفٌ يعجب الناس جميعا * وكاني بمتعنّت يقول في نفسه او لغيره لو كان المولف اجهد قريحته في تاليف كتاب مفيد لاستحق ان يثنى عليه * لكني اراه قد اضاع وقته عبثا بذكر ما لا ينبغي ذكره حينا * وحينا بذكر ما لا يجدي نفعا * والجواب عن الاول * ومحترسٍ من مثله وهو حارسٌ * وعاد الحَيْسُ يُحاس * وخذ من جِذْعٍ ما اعطاك * وشحمتي في قُلْعي * واهتبِلْ هَبَلَك * وعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * وعن الثاني * اربَعْ على ظَلْعك * وارقَ على ظلعك * وارقاً على ظلعك * وقِ على ظلعك * وكاني بآخر يقول حديث خرافة يا ام عمرو * وجوابه وكم من عائب قولاً سليما * ثم كاني بجوقة عظيمةٍ من الجَلاذيّ والنهاميّين والأنهمة والوُفَفة والوُفَهة والوهفة والابيلين والزرازرة والقمامسة وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا العَسْطوس الاعظم وهم يضجون ويعجون ويجأرون وينعرون ويلحبون ويصخبون ويزاطون ويلعطون ويتقترون ويتوغرون ويتوعدون ويتهددون ويتذمرون ويتنكرون ويتنمرون ويتشذرون ويتشزرون ويتعذمرون ويتحمون وينهمون ويلغمون * فاقول لهم مهـــلا مهـــلا انكم قضيتم عمركم كله في حرفة التاويل فما يضركم لو اوّلتم ما تنكرونه في كتابي من اول وهله * وتمحّلتم كما هو دابكم لان تجعلوا منه حسنا ما يظهر قبيحا ومستطرفا ما يلوح من خِلال عبارته فاحشا * فان ابا نواس قد اوجب عليكم ذلك منذ مئين من السنين بقوله

لا تحظر العفو ان كنت امرأ ورعا   فانّ حظركه بالدّين ازراء

وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذو كرم   وما عليك اذا اذنبت من باس

الا اثنتين فلا تقربهما ابدًا   الشرك بالله والاضرار بالناس

فاما ان قلتم ان عبارته صريحة بحيث لا تقبل التاويل * فاقول لكم انكم بالامس كنتم تخطأون وتحصرمون وتهرأون وتلحنون وتلكنون وتغلطون وتوهمون وتعفكون وتلبكون وتلتكون وتلفتون وتعصدون وتخلطون وتخطلون وتهذون وتهذرون وتحصرون وتلخون وتلخاخون وتعجمون وتجعمون وتفدمون وتلقون وتبلتعون وتتلهيعون وتلغلغون وتلقلقون وتقلقلون وتثرثرون وتثرثرون وتحصرون وتفرفرون وتجمجمون وتمجمجون وتغمغمون وتمغمغون وتتعتعون وتتغتغون وتشعشعون وتثغثغون وتبعبعون وتبغبغون وتوتغون وتصغصغون وتعيون وتفههون فمتى جاكم العلم حتى فهمتموها * وان قلتم ان بعضها وهو السيئ مفهوم وبعضها غير مفهوم * قلت لعل ما لم تفهموه هو من الحسنات التى تذهب السيئات فلا ينبغى لكم على اية حالت كانت ان تحرقوه * ولعمرى لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه عند الادباء وعندكم انتم ايضا مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ كثيرة من المترادف لكفى * بل فيه من ذكر الجمال واهله ادام الله عزهن ما يوجب اعظامه وتقريظ مولفه حيا ثم تأبينه بعد مفارقته اياه ن برغم انفه * على انى اعرف كثيرا من الوفهة الكرام المشهود لهم بالفضل بين الانام لا يتحرجون من قولهم شى مجمج وشى متدملك وشى مفرم وشى ازيب وشى مهدف وشى فازح وبكبك * ومن ذكر الكعثب والكثعب والكثعم والجلهوم والعركرك والاكثم والاختم والخنيم والحزنبل والدعكنة والجدجد والنيزج والنوص والنامة والبلغص والتلذم والاكبس والضراطمى والعمارطى والحصر والهيذب والمحلوس والبوص والعضرط والعضارطى والجميش والجمشا والبداء والنسنوش واللطعا والمبلوسة والمرصوفة والمستودفة والجالفة والحارفة والحبوق والخقوق والغقوق

والرَبُوخ والمُخَرْبقة والسَلَقْلق والشّقآ والمُتلاحِمة والنِجام والنَجُوم والأثُوم
والشريم والهَوْجَل والمُتكآ والحَلِقيّة والمرفوعة والصُوص والمِنْفاص والمِيْراص
والعَضُوص والمِنْخار والشفيرة والزَخاخة والبَخّاخة والجُخُنّة والشَفَلّح
والعَنْبَلة والجَليع ومن العِلّوز والقُنب والنَوْف والخُنتُب والأيَّل والبَيْظ
والعُرُورين والجِتار والأشْعَر والطَبَق والاسكتين والحسكتين والعُتُل
والقُحْقُح والمأنة والجُعْب والطِرْث والعكبز والمعجرم والعُجارِم والوَبِيل
والفَنْجليس والفِلْطيس والحَطاط والكوتعة والجُوفان والمَتْك والحوقلة
والكوشلة والقُصْعة والدُلْعة ومن الإقماد والتوتيد والاستعناد والتفنشخ
والشَمْذ والفَهْر والإفهار والوجس والنشنشة والاستخلاط والتشيّط والهَكاع
والفَحّة والسَغْم والإكسال والدَعم والزَجْل والهُقَق والنَيْطل والعُتُر والطَرُوح
والعجيز والفِنْجِر والاختصار والترقّع والإصفآ والعَصْد والحَمَق والتعفيل
والتبازخ والعُرْوة والإسْواع والسِباع والإلْهاط والعَصْد والرَفْغ والعَفَل والقُرْنة
والكَيْن والطُوْطُوة ومن ذكر الإِرْزَبّ والبَزْباز والفاعوسة والخُرنوف والمشرح
والغُضارطيّ والمَصُوص والخاق باق والزردان والطُنْبَريز والفَلْهم والقبْقاب
واللُهْمُوم والجُمُوم والمُزَخّة والنُغنغ والخَشَنْقَل والمُعَرْنَبِط والمقرنفط والفُوق
والقوق والرَكُوْة والقحفليز والعَفَلّق وغيرذلك من ادوات النصب ومن
البَنّودة والجَعْبى والحَذّاقة والمِخْذَفة والمَخْذقة والخَوّارة والخَفّاقة والعَرّاقة
والمِجسّة والمحشّة والخُنُفثة والرَمّاعة والصُمارى والرَثِم والطِيِّخة والحَمآ
والعُوآ والعَزْلا والجَعْمآ والسَحْمآ والفُنْقصة والفُرْقعة والصَفّارة والنَبّور والنباعة
والنَبّاغة والوَبّاعة والجُوّانة والخَوّانة والصوانة والبُرّعث والبُعْثُط وغيرذلك
من ادوات الجزم ومن الأذاف والبَيْزار والجُمَيح والجُعْثوم والأذلعيّ
والحَوقل والمِطْوَل والزُلُنْقطة والحَذُرْنق والسُحادِل والضَيْز والعُلْعُل

والدَّوفل والقُسْطَيِّنة والفِنْطيس والشاقول والقَهْبَلِّيس والعَزْدَل والقَصْطَبير
والجُزاجِز والقِزْميلة والتمتَّر والدَّوْسر والسُمَّهد روغير ذلك من ادوات الجرّ
ومن ذحّ وذحا ودحّ ودَحْبَى ورصع ورطأ وشفتن وشكز وضهز وطعز
وطخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر وقحطر وقمطر ولطز ولج
ولمذ ومشق ومتر ومهج ومعج ونيرج وزخزخ ودعظ ٭
وكنت احملق في وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن ارى عليها حمرة
الخجل ولا صفرة الوجل ٭ بل كانت ناضرة مستبشرة مبتهجة مسفرة ٭
فان أبى المنكر الّا عنادًا وتقاضاني جدول اسمآئهم قلت له هاك اوله
يبتدي بالالف وآخره باليآء ٭ فاحسبوني اذًا وافهًا من هولآء . ثم ان
شرطي على القاري ان لا يُسَطِّر شيا من الالفاظ المترادفة في كتابي
هذا على كثرتها ٭ فقد يتفق ان يمر به في طريق واحدة سرب خمسين
لفظة بمعني واحد او بمعان متقاربة ٭ والّا فلا اجيز له مطالعته ولا انوّه به ٭
علي اني لا اذهب الى ان الالفاظ المترادفة هي بمعني واحد والّا لسموها
المتساوية وانما هي مترادفة بمعني ان بعضها قد يقوم مقام بعض . والدليل على
ذلك ان الجمال مثلًا والطول والبياض والنعومة والفصاحة تختلف
انواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف بها فخصّت العرب كل نوع
منها باسم ولبُعد عهدهم عنا تظنيناها بمعني واحد ٭ وقس علي ذلك
انواع الحلى والماكول والمشروب والملبوس والمفروش والمركوب ٭ لا بل عندي
ولا اخشى من ان يُقال اَولك عندً انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة
واحدة وكانا يدلان على معنى واحد كالخجوج والخجوجاة مثلًا للريح الشديدة
المَرّ فلا بد وان يكون الاسم الزائد في اللفظ زائدًا في المعني ايضا ٭ فان
شئت اذعنت اولا فعاند ٭ هذا واني قد الّفته وما عندي من الكتب العربية

شي اراجعه واعتمد عليه غير القاموس. فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها. غير ان موله رحمه لم يغادر وصفًا فى النسآء الّا وذكره. فكانه كان الهم ان سياتى بعده من يغوص فى قاموسه على جمع هذه اللآلئ فى مولف واحد منتسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر. ولولا اني خشيت غيظ الحسان عليّ لكنت ذكرت كثيرا من مكايدهن وحيَلهن ومحالهنّ لكنني انما قصدت بتاليفه التقرب اليهن وترضيهن به. واني آسف كل الاسف على انهنّ غير قادرات على فهمه لجهلهن القرآة لا لعوص العبارة. اذ لا شي يصعب على فهمهن مما يوول الى ذكر الوصال والحبّ والغرام. فهن يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور ولا تَرَج. وحسبى ان يبلغ مسامعهن قول القائل ان فلانا قد الّف فى النسآء كتاباً فضّلهن به على سائر المخلوقات. فقال انهن زخرف الكون. ونعيم الدنيا وزُهاها. وغبطة الحيوة ومناها. وسرور النفس ومشتهاها (1)وعلق القلب. وقرة العين. وانتعاش الفؤاد. ورَوح الروح. وجلآء الخاطر. وتعلل الفكر. ولهو البال. وجنّة الجنان. وانس الطبع. وصفآء الدم. ولذة الحواس. ونزهة الالباب. وزينة الزمان. وبهجة المكان والباءة. بل اقول غير متحرّج عُرف الالاهة. اذ لا يكاد الانسان يبصر جيلة الّا ويسبّح الخالق. بذكرهن يلهج اللسان. ولخدمتهن تسعي القدم. وتتحمل الاعبآء. وتتجشم المشاق ويهون الصعب. ويتجرع الصاب. ويقاسى الضرّ. ولرضائهن يذل العزيز. ويبذل النفيس. ويذال المصون. وان خَلاق الرجل من دونهن حرمان. وفوزه خيبة. وهنآه تنغيص. وانسه وحشة. وشبعه جوع. وارتوآه ظما. ورقاده ارق. وعافيته بلآء. وسعادته شقاوة. وطوبى له كالزقوم. والتسنيم كالغسلين. فاذا قدّر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سداتى هولآء الحمبلات

(1) حاشية قد غلط الفيروزابادي فى اشتقاقه الشربة من السّر للجماع بل اشتقاقها من السّر بمعنى السرور

وسرت بـه وفرحت . ورقصت ومرحت . رجوت منها وانا باسط يد الضراعة
ان تبلغه ايضا مسامع جارتها . واملت من هذه ايضا ان تطالع به صاحبتها
حتى لا يمضي اسبوع واحد الا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في المدينة كلها .
وكفاني ذلك جزاء على تعبي الذي تكلفته من اجلهنّ . أَلا وَلْيُعْلَمن اني
لو استطعت ان اكتب مديحهن بجميع اصابعي وانطق به بكل من
جوارحي لما وفّى ذلك بمحاسنهن . فكم لهن عليّ من الفضل حين
بَدَوْن في افخر الحلل . ومِسن باحسن الحليّ . ونظرن اليّ شافنات *
حتى ابت الى حفشي وانا اتعثر بافكاري وخواطري . فما كادت يدي
تصل الى القلم لا وقد تدفقت عليه المعاني وساحت على القرطاس .
فاورثنني بين الناس ذكرا وفخرا . ورفعن قدري على قدر ذوي البطالة
والفراغ . نعم ان من بينهن من نَفِست عليّ بطيفها في الكرى * ولكنها
معذورة في كونها لم تكن تعلم اني اتكلف النوم * بعد ان رات عيني
من جمالها ما يبهر العقل ويبلبل البال . فاما اذا تعنّت عليّ احد بكون
عبارتي غير بليغة . اي غير متبلة بتوابل التجنيس والترصيع والاستعارات
والكنايات . فاقول له اني لمّا تقيدت بخدمة جنابه في انشاء هذا
المؤلف لم يكن يخطر ببالي التفتازاني والسكاكي والامدي والواحدي
والزمخشري والبستي وابن المعتز وابن النبيه وابن نباتة . وانما كانت
خواطري كلها مشتغلة بوصف الجمال . ولساني مقيّدا بالاطراء على من
انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة . وبغبطه من خوّله عزّ وجلّ عزة
الحسن وبرثاء من حرمه منه . وفي ذلك شاغل عن غيره . على اني ارجو ان
في مجرد وصف الجمال من الطلاوة والرونق والزخرفة ما يغني عن تلك
المحسّنات استغناء الحسناء عن الحليّ ولذلك يقال لها غانية . وبعد واني

قد علمت بالتجربة أن هذه المحسنات البديعية التى يتهوّر فيها المولفون كثيرا ما تشغل القارى بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن المعنى . ولعمرى انه ليس في هذا الكتاب شي يُعاب سوي وجدانك الفارياق فيه تارة يحشر في سرب الغوانى . وتارة يدمق عليهن وهن آمنات في حجالهن او في حديقة او فى زاوية او على السرير. ولكن لم يكنْ لى بدّ من ذلك. اذ الكتاب موضوع على قص اخباره وعلم احواله * فقد بلغنى ان كثيرا من الناس انكروا وجود هذا المسمى فقالوا انه من قبيل الغول والعنقآء * وبعضهم قال انه كان قد ظهر مرة فى الزمان . ثم اختفى عن العيان . وذهب غير واحد الى انه مُسخ بعد ولادته بايام . ولم يُعلَم باى صورة تلبّس والى اى شكل استحال . وزعم قوم انه صار من جنس النسناس . واخرون من النَسانس . وقال غيرهم انه صار من نوع الجن . واثبت بعض انه استحال امراة . فانه لما راى ان المراة اسعد حالا من الرجل فى هذه الدنيا المسماة دنيا النسآ كان لا يبيت الا وهو جائر الى ربه بالدعآء لان يصيره انثى . فتقبّل الله ذلك منه وهو على كل شي قدير * فرايت والحالة هذه من بعض ما يجب عليّ ان اعرّف هولآء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه . ما عدا التغيير الذى عرض له عن جهد المعيشة وسو الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب والاحتكال . وعلى الخصوص من تلفيع الشيب والمجاوزة من حد الشباب الى سن الكهولة . فاذ قد علم ذلك فاقول

كان مولد الفارياق فى طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدي او التيس والسرطان ماشٍ على قرن الثور . وكان والداه من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح (مُرَّحَى مرحى) الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (بُرَّحَى برحى) وكان لطبل ذكرهما دويّ يُسمع من

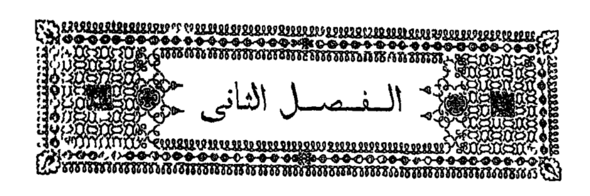
بعيد . ولزوابع شانهما عجاج ثناآء يثور في الجبال والبيد . ولتكرير العفاة عليهما واعتشاء الوفود لديهما . تعطّلت سبل دخلهما . ونزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الّا نزازات يلقى فيها المخفق المحروم سدادا من عوز * فكانا يجودان به ايضا من عوز السَداد (وِهِّ وه) فلذلك لم يعد في طاقتهما ان يبعثاه الى الكوفة او البصرة ليتعلم العربية . وانما جعلاه عند معلم كتاب القرية التي سكنا فيها (ويح ويح) وكان المعلم المذكور مثل سائر معلّمي الصبيان في تلك البلاد في كونه لم يطالع مدة حياته كلها سوى كتاب الزبور وهو الذي يتعلمه الاولاد هناك لاغير (افّ اف) وليس قولي انهم يتعلمونه موذنا بانه يفهمونه . معاذ الله . فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يُعد في طاقة بشر ان يفهمه (غُط غط) وقد زاده ابهاما وغموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعمّى (رُطّ رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدرّبوا فيه اولادهم على القراة من غير ان يفهموا معناه . بل فهم معانيه عندهم محظور (تُفّ تف) وكما انهم لايفهمون معنى حآ وميم وقاف مثلا . فكذلك لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قراوها (طِيخ طيخ) والظاهر ان سادتنا رؤسآء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهم المساكين ان يتفقّهوا اويتفتّحوا . بل يحاولون ما امكن ان يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباوة * (أُعّ اع) اذ لو شآوا غير ذلك لاجتهدوا في ان ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سوآء كانت عربية اومعرّبة (سُرّ سر) فكيف ترضون ياسادتنا الاعزّة لعبيدكم الاذلة ان تربى اولادهم في الجهل والعَمَه * (عزوى عزوى) وان يكون معلّموهم لايعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيأ غير ذلك مما لابدّ للمعلم من معرفته (تُعّزى تعزى) فكم لعمري من

ملكات براعة وحذق منّ الله تعالى بها على كثير من هولآء الاولاد * غير انه لفقد اسباب العلم وعدم ذرائع التاديب والتخريج طُفئت جُذوتها فيهم على صِغَر. بحيث لم يمكن ان يشقبها بهم نتف التحصيل على كِبَر (أُوَّه اوه) هذا وانكم بحمد الله من المتمولين المثرين * لا يعجزكم ان تنفقوا كذا وكذا كيسًا على انشآء مدارس وطبع كتب مفيدة (إيه ايه) فان لبطرك الطائفة المارونية دَخلًا له وقع عظيم * وقدر جسيم * بحيث يمكنه ان يحيي به قلوب طائفته هذه التارزة التي لا همّ لها في المنافسة والمباراة في شي بين من سبقوهم الى كل علم وفضل (هَيْس هيس) وانما هَمّهم ان يتعلموا بعض قواعد في نحو اللغتين العربية والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه اه) اذ لم يُعلَم الى الان ان احدا منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا ان البطرك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تِغّ تغ) ولو انه انفق نصف دخله في كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولائم والمآدب التي يهيّئها لزوّاره * او لو كان كلّ من الامرآء والمشايخ الكرام ينفل شيا معلوما في كل سنة لاجل هذه المصلحة الخيرية * او لو بعث من قِبَله الى البلاد الافرنجية وكلآء يجمعون من ذوي الخير والاحسان فيها مبلغا يخصّصه بما نحن بصدده * لاحمد كل من في الشرق والغرب فعله (جَخْ جخ) ولكن اذا تعنّى احد سادتنا هولآء لان يبعث الى اخوانه الافرنج حنا او متى او لوقا لجمع المال فانما يبعثه لبنآء كنيسة او صومعة (آحِ اح) مع ان الانسان مذ يولد الى ان يبلغ اثنتى عشرة سنة لا يمكنه ان يدرك شيا على حقيقته من جهة الكنيسة والصومعة . ويمكنه في خلال ذلك ان يتعلم ما يفيده في مدرسة او كتّاب (نُع نُع) فهل تُعِدونني ياسادة بانشآء مكاتب وطبع كتب حتى لا اطيل عليكم هذا الفصل * فان بقلبي منكم لحزازات حاكّة وبصدري

عليكم ملامات صاكّة (اَح اخ) لان خليصي الفارياق في دولتكم السعيدة لم يمكنه ان يتعلّم في قريته غير الزبور . وهو كتابٌ حشوه اللحن والخطا والركاكة (اخ اخ) لانّ معربه لم يكن يعرف العربيـة وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم وفي رومية العظمي (هُع هع) ومعلوم ان الغلط اذا تاصّل في عقل الصغير شبّ معه ونمي فلم يعد ممكنا بعدُ قلعه . فهل من سبب لهذا الشَين والعيب سوى اهمالكم وسوء تصرفكم في السياسة المدنية والكنائسية (اَقّوه افوه) اتحسبون ان الركاكة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه وعزائمه . وان البلاغة تـفضي بكم الى الكفر والالحاد . والبدعة والفساد (طِّغ مطغ) ام حسبتم ان تلك الابيـات العاطلة . قد افحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناصلة . (يَعّ يع) امابعروقكم دم يهيجكم الى حبّ الكلام الجَزْل الفَخْم . والى البلاغـة والبِلّة . ونسق العبارة على موجب القواعد المقرّرة . والافصاح عمّا يخطر ببالكم دون الحشو المخلّ . ولاعتراض المملّ . والتعقيد المعلّ . ولا خلا آلمسلّ . وقولكم في جوز الجملة النح . وجعلكم الفعل الثلاثي رباعيـا وبالعكس . واستعمالكم ما يتعدي منه بالـبـا متعديا بفي وبالعكس . واجرائكم المتعدّي لازما وبالعكس . والمهموز معتلّا وبالعكـس وعدم فرقكم بيـن اسمي الفاعل والمفعول . فتقولون هم محسودون مني اي حاسدون لي ومـا اشبـه ذلك (قَهْ قه) وليس كتابي هذا دُرّة الـشِبـسْ . في اوهـام القسبسيين حتى استوعب فيه ذكر اغلاطكم واوهامكم (اَيْحي ايحي) وانـمـا المقصود من ذلك ان ابيّـن لكم انّ ادمغتكم قد سُقّيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم الى الكتّاب وقراتكم فيه كـتـاب الـزبـور الى ان تصيروا كُهْلاً ثم شيوخا (دِحْ دح) وانه ما دمتم على هذه الحال فلا يرجي لكم من إبلال (وَيْب ويب) ثم ان الفارياق اقام عند معلمه ريثما ختم الكتاب

المذكور. وبعد ذلك اوجس منه المعلّم ان يربكه فى مسائل تصعب عليه فينفضح بها . فاشار على والده بان يخرجه من الكتّاب ويشغله بنسخ الكتب فى البيت (بَه به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما امكن لمثله ان يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الالفاظ (بُدّ بد) وكان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم ان مَن يكتب خطّا حسنا هو الذى افق بين اقرانه فى الفضل . ومع اشتهار ذلك لم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتّاب الّا من بذأت العين خطّه وعاف الذوق السليم كلامه (عِيطْ عيط) اشعارا بان الحظّ لا يتوقف على الخطّ . وان ادارة الاحكام . لا تفتقر الى تهذيب الكلام . (نُع نع) وان كثيرا قد نالوا المراتب السامية والمناصب السنية وهم لايحسنون توقيع اسمهم الشريف (صّ حس) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة . اذ كان يعتقد ان الرزق الذى ياتى من شق كشِقّ القلم لايكون الا ضيّقا (وَىّ وى) نعم ان كثيرا من الناس قد نالوا العيش الواسع الهنى . والخير المتتابع الوحى . من مورد هو بالنسبة الى شق القلم رحب لكنه بالنسبة الى شرههم وسرفهم ضيّق (واه واه) غير ان الفارياق وقتئذ كان غرّا لا تجربة له ولا خبرة . فكان يحكم على البعيد بالقريب . ولا شى اقرب الى عين الكاتب من لسان قلمه وعارض قرطاسه . او ادنى الى قلبه من الكلام الذى يكتبه واللبيب من قنع بالحرفة التى يتعاطاها ولم يشق عليه امت الشق ولم يشرئبّ الى ما ليس يحسنه (شُع شع) .

⁂



الفصل الثاني

في انتكاسة حاقية وعمامة واقية

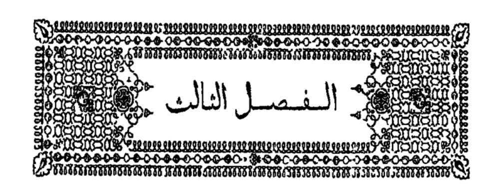
قد كان من طبع الفارياق كما هو داب جميع الاحداث ايضا ان يحاكي في الزي والاطوار والكلام من كان متميّزا في عصره بالفضل والدراية . وانه راى ذات يوم قِرْزامًا معتمًّا بعمامة كبيرة مدورة . وكان هذا القرزام يُحسَب وقتئذ من فحول الشعراء . فاحب الفارياق ان يكون له مثل هذه العمامة على صغر راسه . فكان اذا مشى يميل راسه منها يَمْنةً ويَسرةً كالقاضي الذي يخرج في الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلّم على الناس . واتفق ان اباه سار مرة الى دار الحاكم واستصحبه معه واركبه مهرة له . وكان هو راكبا حصانا . فمكثا هناك اياما . فعنّ للفارياق يوما من الايام ان يركض المهرة في الميدان وكان الحصان مربوطا في جانب . فاجرى المهرة نصف شوط حتى اذا قابلت مربط اليفها التفتت اليه كالمشيرة انّ فارسها غير جدير بركوبها بين جياد الامير . فما كان من الفارياق الا ان سقط على امّ راسه * واقبلت المهرة تجري الى الحصان وغادرته مجندلا على الجَدالة . ولو كان فارسًا مُجيدا لما تركته على تلك الحالة بل كانت تنتظره حتى يقوم * ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها هي التي وَقّت راسه عن احدى الشجات العسر وهي السابرة الحادرة .

الباضعة الدامية المُتلاحِمة السِمْحاق المُوْضِحَة الهاشمة المنَقّلة الآمّة الدامِغة
ولكنه قام محققوا ويومئذ عرف ان لكبر العمامة فضلا ومزيّة . وظن ان
اتخاذ العمائم الكبيرة عند اهل بلاده انما هي لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين
وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير
فضلا عن كونها توجع الراس وتمنع صعود الابخرة من مسامّه كما نصّ عليه
الساعور الاكبر . فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمائم الكبيرة انما هو
لوقاية الرؤس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلًا يتعممون .
فهل يخافون ان تتدحرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في
بيتهم . مع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشا هذه العادة هو
ان نسآ تلك البلاد يتخذن في رؤسهن هذه القرون التى يقال لها هناك
طناطير . وهى تكون من فضة اوذهب في طول الذراع وغلظ الرسغ .
فاذا بات الرجل مع امراته حاسر الراس او كان على راسه غطآء رقيق لم يأمن
ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدي الشجاج المذكورة . فان ابيت
الا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسّية . هل هى دليل على التذكير
بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته . اوعند تقتيره عليها . او
اجّفاره عنها . او هى من قبيل الزينة او من بطر النسآء وشرههن بحيث
اذا شممن رائحة الايسار من ازواجهن رأين ان كل مَجَسّ من اجسامهن
قمِنٌ بالحَلْى والزينة . اذ كنّ يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس
غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم .
وتحليل وتحريم . وان في التزيّن بحلى غير ظاهر للذّة عظيمة . فانّ مجرد
العلم باحراز شى ثمين يسرّ صاحبه . كما لو احرز انسان كنزا في حرز
محجوب فانه يفرح به من غير ان ينظر اليه . قلت اما التذكر

بالقرون المعنوية فغير مظنون في نسآء تلك البلاد لكونهن من ذوات العرض والتصاون . ولا سيما نسآء الجبل . وفضلًا عن ذلك فانّ هراوة الزوج ومقامع اهله واهل امراته وعيون الجيران ايضا تمنعها عن الاتصاف بالصفة الزوجيّة التامّة . اما في المدن فان هذه الصفة اقوى وافشى . وانما كان اتخاذ هذه القرون في الاصل مناطا للبراقع . وكانت في مبداها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلّما زاد ايسار الرجل وماله زاد قرن امراته طولا وضخامة . وهنا فائدة لا بدّ من ذكرها . وهي ان لفظة القرن من الالفاظ التي اشترك فيها جميع اللغات كالصابون والقطّ والمزج وغيرها . وقد شهرت عند جميع المولفين بانها كناية عن كذا وكذا من طرف الزوجة في حق زوجها . الّا عند المولفين من اليهود فان الصفة القرنيّة في كتبهم من الصفات الحميدة . ولذلك فكثيرا ما تسمع في كتاب الزبور ارتفع قرني وانت رافع قرني واني انطح بقرني وما اشبه ذلك * وفي كلا الاستعمالين غموض وابهام . امّا غموض استعمال القرن عند المولفين من غير اليهود كنايةً عن خيانة المراة زوجها فلانّ هيئة القرن لا تدل على عضو مخصوص من اعضآ الانسان . وحقيقته ايضا لا تدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والتيس والكركدن في ذلك سوآء . ولفظه كذلك غير مشتق من فعل يشير الى خيانة اوعَمْد . فما علّة هذا الاستعمال . وقد استفتيت في هذه المسئلة كثيرًا من المتزوّجين المجرّذين . فكلّهم كان يتخبّق الوانا عند سوالي له . ويجمجم في كلامه ويقوم من عندي وقد خجل ووجَم . فانْ فتح الله الان على احد ممن يطالع كتابي هذا في فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف عرفا واصطلاحًا . وفي بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فلتفضّل

بالجواب منةً واحسانا . فاما استعماله من مولفي اليهود كناية عن العزّة والقوّة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الاوّل من ان كثيرا من الحيوانات قد اشترك فيه . ومنها ما هو غير ذي قوة ولا باس . فانظر اختلاف الناس في لفظة واحدة ومعنى واحد. امّا العمامة فان اشتقاقها فيما ارى من عمّ بمعني شمِل لانها تعمّ الراس وهي على اشكال مختلفة . فمنها الحلزونيّ والكعكي والإطاري والمكوّري والمقوّري والقُمقُوريّ والقِرْطَلّي والقَعبَلي . وكلها على اصنافها احسن من هذه الاجران التي تلبسها روسآء المارونية في الدّين فلينظروا وجوههم في مرآة جليّة .





فى نوادر مختلفة

كان للفارياق ارتياح غريزى من صغره لقرآة الكلام الفصيح واعمال النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التى كان يجدها فى الكتب . فان اباه كان قد احرز كتبا عديدة فى فنون مختلفة . وكان اى الفارياق يتهافت منذ حداثته على النظم من قبل ان يتعلم شيا مما يلزم لهذه الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ . مع اعتقاده ان الشعرآء افضل الناس وان الشعر اجلّ ما يتعاطاه الانسان * فقرا يوما فى بعض الاخبار عن شاعر كان فى حداثته اباه مغفلا ثم صار امره الى ان نبغ فى نظم القصائد المطوّلة واجاد . فممّا حُكى عنه انه سكر يومًا فقعد فى نحو ناموس(1) وجعل يخطب منه خطبة ابي العِبَر طرد طبك طلندى بك نك يك من البلوعة * وانه اراد يوما ان يتسوّر حائطا ليتناول من بعض الثمر فوقع فى فخ كان قد نصبه صاحب البستان للحيوانات . وانه قال يوما لامّه ان عند فلانة خادمة نظفة غسلت اليوم باب دارها فجآء اسود يلمع . وانه راى يوما صبيّا قد قلع احد اضراسه فسار واقترض درهما وقال للحجّام اقلع ضرسى انا ايضا فانه غير قاطع فى الاكل . ولعلّ ينبت لى فى مكانه ضرس احدّ منه . وقيل له يوما قد دُوّنت عنك حكايات من حمقك

(1) حاشية قد وَهم المطران جرمانوس فرحات فى قوله فى كتابه باب الاعراب الناموس الوعآ والنفس والقلب وصومعة الراهب وقانون الرهبنة وعبارة اصله وصومعة الراهب وناموسُه فتوهم ان الناموس هنا بمعنى القانون او الشرع على ما اشتهر فى عرف النصارى ومراد صاحب القاموس المعنى الاصلى وهو القُترة والعامّة تقول ناووس وما اشتهر عندهم فهو امّا تجوّز عن صاحب السرا وهو يونانى معرب

كثيرة فقال بودّي لو ان احداً يقراها عليّ لاضحك . ومرض اخوه يوما فقال ابوه لزوجته قد اضره الطعام الذى اكله امس . فقال نعم قد اضره الاكل والخادمة معًا . فقال له ابوه ما مدخل الخادمة هاهنا . فقال لعلها اطعته ما لم يحبّ . ورات امه على ثيابه دمًا فقالت له ما هذا الدم . قال قد وقعت فجرى دمي وهو احسن . فقد يقال من وقع وجرى منه دم صحّ وتقوّى . وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لاتساوى شيًا . فقال له ابوه لوكانت كذلك لما جُرِحَت يدك . فإن كل انسان يجرح يده فى الدنيا سوآء كان بسكين اوغيرها . وقال مرّة قد رايت فى السوق جبنا ابيض كالزفت . وقيل له لمَ لا تغسل يدك قال اغسلها فتعود وسخة فى الحال . ولست اقدر على تنظيفها لكون دمى وسخا . وراى ذات يوم رجالا مصلوبين فقال لامّه ياامّ اذا عاشت هولآء الرجال ايضا افيقدر الذين صلبوهم على صلبهم مرة اخرى . وكان قوم يسالون عن منزل شخص فقال انا اعرف مقره . قيل كيف عرفته . قال قد رايت الرجل يمشى فى السوق على رجليه . وقال يوما من الثمانية الى التسعة يمضى الوقت اسرع من الستة الى السبعة . وقيل له اتحب اللحم اكثرام السمك قال اظن انى احبّ هذا اكثر . وقال له ابوه اذا كنت تغيب عنا افتحسن ان تكتب لنا كتابا . قال نعم اكتبه واجى به اوصله اليكم . وسمع اباه يثنى على خزّ اشتراه وكان به فرحا . فقال قد كانت ساعة سعيدة انكم لم تشتروه . وراى اباه يكتب كتابا فقال له هل تستطيع ياابت ان تقرا ما تكتبه . فقال له كيف لا وانا الذى كتبته . قال اما انا فلا استطيع . وراى اباه يتاسّف على طير فقده . فقال له بارك الله فى الساعة التى طار فيها . فقال له يا احمق انّا نتاسف على فقده . قال ولمَ لم تبنِ له دارا * قال أَوَ يُبنَى للطائر دار .

قال انما اعني عودين يجعلان من هنا ومن هناك . ووصف مرة حيوانات رآها فقال ورايت ايضا خنزيرا اكبرمني * وشكا وجعًا في رجله فقال ليت هذي الرّجل تبلَى . وكان ابوه يفسر له معنى انقذ بان قال له اذا وقع احد في النار مثلاً وذهبتَ واخرجته منها فذلك هو الانقاذ * قال ولكنه قد احترق فكيف انقذه . وعلى فرض اني وضعت هذا السفّود في النار ثم اخرجته منها افيكون ذلك ايضا انقاذا . وفسّر له يوما آخر معنى يلوم فقال اذا ابطا عليك شخص في شي وقلت له لمَ ابطأت لم تكاسلت فذلك يكون لومًا . فقال واقول له ايضا لم كبرت لم صغرت لم قَصُرت . ولامته امّه على نخره عند الكلام فقال لها الا لا تلوميني ولكن لومي روحي . واراد ابوه ان يخرج في يوم ماطر ثم عدل خوفا من المطر . فقال لامه ياماماه من عمّ الله انّا لم نخرج اليوم فان الهوآء كان طيبا . واشترت له امّه ثوبا فلما فصّلته قال لها أَويزول لون هذا الثوب . قالت لا ادرى . قال ارجو ان يزول فلعله يصير احسن . وقالت له اوان الشتآء وهو لابس قميصا فقط البس ثوبك فوق القميص . فقال لها لا لانني ابرد به اكثر . ولامه ابوه علي قرآئه بصوت صلق فقال له لمْ هذا الصلق في القرآة قال لا اقدر ان اصرخ اكثر . وخفي عليه يوما معنى الزيارة فقالت له امّه اذا سرتُ اليوم الى السيدة فلانة لانظرها فقد زرتها . قال قد فهمت انك تسيرين اليها كي تخدعيها . وقالت له امه ان فلانة التي كانت تحسن اليك قد ماتت فسكت ساعة ثم قال . قد حزنت عليها كما حزنت على موت امّي . الله يبعثها الى الجنة هي وزوجها حالاً . وقال يوما لوالده ان معلمنا اليوم قد اشترى قضيبا ليضرب به الاولاد ولكنهم يغضبونه عمدا حتى يضربهم به فبينكسر فاستريح انا ايضا . وقال لامه وقد مرضت اذا جئناك بالطبيب ولم يشأ الله

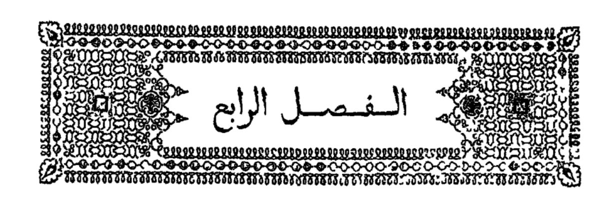
ان يشفيك فما الحاجة الى دوآء . وقال لها مرة اخرى استعملى
هذا الدوآ فلعلك تمرضين . واراد يوما ان يوقد النار فقال اردت ان
اطفئها فما انطفأت . وقالت له امه سِرْ الى فلانة وقل لها لاى شى
تخافين من امى انما هى بشر من بنى آدم مثلك . فقال اقول لها تقول
لكِ امى لاى شى تنفرين منها انما هى من بنى الحيوانات مثلك .
وقال مرة فى شى اعجبه تبارك الله من كل عين . وقيل له يوما ان فلانا يريد
ان ياخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعثه الله الى الجنة . قال
له ابوه اتريد ان تميته . قال فكيف اقول اذًا . قال قل اطال الله
عمره . قال طوّله الله . وقال لامه اتعطينني الليلة من تلك الحلوآء .
فقالت له ان عشنا الى الليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لانعيش الى
الليل — انتهى — فطالع بذلك احد الالبّا فى بلاده وقال له قد ظهر لى
ان هذا كلام ابله ماموه . او مدلّه نَبوه . او مسمّه مسبوه . او عَمِه
سندوه . او نَبِه معتوه . فكيف صار بعد ذلك شاعرا . فقال له يحتمل
ان كلامه هذا كان قد تعمده ليضحك به ابويه . او انه كان بليد
البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسوال فلا يكاد
يجيب الا خطا . واذا اعمل فكره فى خلوة احسن كل الاحسان .
او انه قصد بذلك ان يكون نَبَهها مشهورا بين الناس ولو بحماقة ورقاعة .
فان اكثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . فمنهم من يتعاطى
الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدرى شيا . ولكنه يفرح بان
يضع اسمه فى اول الكتاب . وبان يحشّيه بعبارات ركيكة واقوال سخيفة
من عنده . او بان يُروى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطا
وهذرا . ومنهم من يتربع فى صدر المجلس بين اخوانه واقرانه و يطفق

يحكى لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة العجم . فيقول لهم مثلا صان فاصون . وپاردون موسيو . ودنكوى . وقارى ول . اشارةً الى انه اطال السياحة فى بلاد فرنسا وايطاليا وانكلترة وتعلم لغاتهم وهو يجهل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهى بها بعض العلمآء . فان كبر العمامة يدل على كبر الراس . وكبر الراس يدل على جودة العقل وصواب الراى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة مّا ممن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشدّق ويَجْعَم ويستعمل الفاظا فى غير محلها . وبعدُ فلا ينبغى ان يكون الشاعر عاقلا او فيلسوفا . فان كثيرا من المجانين كانوا شعرآء . اوكثيرا من الشعرآء كانوا مجانين . وذلك كابى العِبَر وبهلول وعليان وطويس ومزبّد . وقد قالت الفلاسفة ان اول الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام . فان شعر العلمآء المتوقّرين لا يكون الّا مقرزَمًا . فلما سمع الفارياق ذلك زهد فى الشعر ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة . لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه الاول . وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجبى المال المضروب على سكانها الى خزنة الحاكم . فانزله اهلها منزلا كريما . وكان بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال . فجعل الفارياق على صغره ينظر اليها نظر المحبّ الرانى جريا على عادة الاغرار من العشاق . من انهم يبتدئون العشق في جاراتهم استخفافا للطلب واستشفاعًا بالجاريّة . كما ان عادة الجارات تهنيد جيرانهنّ وتغميرهم اشارة الى انه لا ينبغى البحث عن الطبيب البعيد اذا امكن التداوى عند القريب . غير ان المحنكين في الحب يبعدون فى الطلب ويرودون انزح منتجع . لانهم لما جعلوا دابهم ودبدنهم اشباع النفس من هواها كان عندهم السعى فى

ذلك فرضا واجبا . ووجدوا فى الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح فاه رجآء ان تتساقط الاثمار فيه لم يعدّ الّا مع العاجزين . والحاصل ان الفارياق هوى جارته لانه كان غِرّا . وانها هى استهوته واطمعته لكونها جارة . ولان منزلته من حيث كونه مع ابيه كانت تميل الناس اليه . غير ان مدة اقامته هناك لم تطل . واضطر الى الرجوع مع ابيه وقد بقى كلفا بالجارية . فلما حان الفراق بكى وتحسّر وتنفس الصُعَدآء . ونخزه الوجد لان ينظم قصيدة يعبّر بها عن غرامه . فقال من جملة ابيات

افارقها على رغمٍ وانى   اغادر عندها والله روحى

وهى اشبه بتنفس شعرآء عصره الذين يقسمون ايمانا مغلظة بانهم قد عافوا الطعام والشراب شوقا وغراما . وسهروا الليالى الطويلة وجدا وهياما . وانهم ناسمون وقد ماتوا وكفّنوا وحنّطوا ودفنوا . وهم عند ذلك يتلهّون باىّ لَهْوة كانت . ثم انه لما اطّلع ابوه على تلك الابيات الفراقية لامه عليها ونهاه عن النظم . فكانّما كان قد اغراه به . فان من طبع الاولاد فى الغالب الخلاف لما يريده منهم ابآوهم . ثم انه فصل من تلك القرية حزينا كئيبا متيّما مفتونا .



الفصل الرابع

في شرور وطنبور

قد كان ابو الفارياق اخذا في امور ضيّقة المصادر، غير مامونة العواقب والمصاير. لما فيها من القآء البغضة بين الروس، وشَغب اهل البلاد ما بين رئيس ومرؤوس. فقد كان ذا ضَلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم، غير انهم كانوا صِفرْ الايدي والاكياس والصندوق والصوان والهِمْيان والبيوت. ولايخفى ان الدنيا لمّا كان شكلها كُرويًّا كانت لاتميل الى احد الّا اذا استمالها بالمدوّر مثلها وهو الدينار. فلا يكاد يتمّ فيها امر بدونه. فالسيف والقلم قائمان في خدمته. والعلم والحُسن حاشدان الى طاعته. ومن كان ذا بَسْطة في الجسم وفضل في المناقب فلا يفيده طُوله وطَوله بغير الدينار شيا. وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيرا ثقيلا من الاوطار ولُبانات النفس. فالوجوه المدوّرة المدنّرة خاضعة له أيّانَ بَرَز. والقدود الطويلة منقادة اليه كيفما دار. والجباه العريضة الصليتة مكبّة عليه. والصدور الواسعة تضيق لفقده. فاما ما يقال من ان الدروز هم من ذوي الكسل والتواني وانهم لا ذمّة لهم ولا ذِمام فالحقّ خلاف ذلك. اما وسمهم بالكسل فأحرى ان يكون ذلك مدحًا لهم. فانه ناشئ عن القناعة والنزاهة والزهد. غير ان الصفات الحميدة التي تتناوس

فيها الناس متى جاوزت الحدّ قليلا التبست بنقيضها . فالافراط في الحلم مثلاً يلتبس بالضعف . وفي الكرم يلتبس بالتبذير . وفي الشجاعة بالتهور والمغامرة . لا بل الافراط في العبادة والتديّن يلتبس بالهوس والخبال . هذا ولما كانت الدروز مفرطين في القناعة اذ لا ترى من بينهم احدا يقتحم القفار ويخوض البحار في طلب الإزآء (١) وفي التأنق في الملبوس والمطعوم . ولا من يُسِفّ للامور الخسيسة ويدنّق فيها . او من يباشر الصنائع الشاقة . ظُنّ فيهم الكسل والتواني . ومعلوم انه كلما كثر شره الانسان ونَهَمه . كثر نصبه وكدّه وهمّه . فالتجار من الافرنج على ثروتهم وغناهم اشقى من فلّاحي بلادنا . فترى التاجر منهم يقوم على قدميه من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً . واما ان الدروز لا عهد لهم ولا ذمّة فانما هو محض افتراء وبهتان . اذ لم يُعرَف عنهم انهم عاهدوا بشي ثم نكثوا به من دون ان يحسّوا من المُعاهَد اليه غدرا . او ان اميرا منهم او شيخا راى امراة جاره النصراني تغتسل يوما فاعجبته بضاضتها و بُتَيلتها وبُوصها . فبعث اليها من تملّق لها او غصبها * وانت خبير بان كثيرا من النصارى عائشون في ظلهم . ومستأمنون في حماهم . وانهم لو خيّروا ان يتركوا مستأمنهم هذا ليكونوا تحت أمْن مشايخ النصارى لَأَبَوا . وعندي ان من كان يرعى حرمة الجار في حرمته كان خليقا بكل خير . ولم يكن ليخونه في غيرها . فاما ما جرى من التحزّب والتالّب بين طوائف الدروز وغيرهم فانما هي امور سياسية لا تعلّق لها بالدِين . فبعض الناس يريد هذا الامير حاكما عليهم وبعضهم يريد غيره . وكان ابو الفارياق ممن يحاول خلع الامير الذى كان وقتئذ واليًا سياسة الجبل . فانحاز الى اعدآئه وهم من ذوى قرابته فجرت بينهم مهاوش ومناوش غير مرة . وآل الامر بعدها الى فشل اعدآء

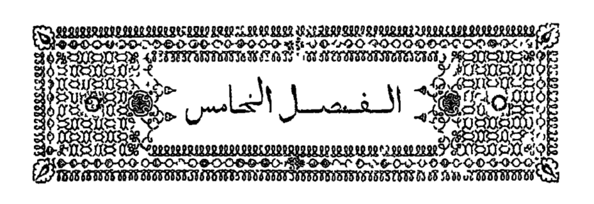
(١) الازآء هو سبب العيش او ما سبب من رغده *

الامير . ففرّوا الى دمشق يلتمسون النجدة من وزيرها فوعدهم ومنّاهم .
وفى تلك الليلة التى فرّوا فيها هجمت جنود الامير على وطن الفارياق . ففرّ
مع امّه الى دار حصينة بالقرب منها وهى لبعض الامرآء . فنهب الناهبون
ما وجدوا فى بيته من فضة وآنية ومن جملة ذلك طنبور كان يعزف
به اوقات الفراغ . فاما ان سكنت تلك الزعازع رجع الفارياق مع امه
الى البيت فوجداه قاعا صفصفا . ثم رُدّ الطنبور عليه بعد ايام . فان من
نهبه لم يجد فى حمله منفعة ولم يقدر ان يبيعه اذ العازفون بالات
الطرب فى تلك البلاد قليلون جدا . فاعطاه لقسيس تلك القرية كفّارة
عما نهب . فرده القسيس على الفارياق . وكانّى بمعترض هنا يقول ما فائدة
هذا الخبر البارد . قلت ان وجود الطنابير فى الجبل عزيز جدّا كما
ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف بالملاهى يَسِمُ صاحبهما بالشَين . لما
فى ذلك من التطريب والتصبّى والتشويق . والقوم هناك يَغْلُون فى
الدّين . ويحذرون من كل ما يلذ الحواسّ . ولذلك لا يشآؤن ان
يتعاطوا الغنآء والعزف باحدى الات الطرب . اويستعملوها فى معابدهم
وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج . خشية ان يُفضى بهم ذلك الى
الالحاد . فعندهم ان كل فن من الفنون اللطيفة كالشعر والايقاع مثلا
والتصوير مكروه . ولكن لو انهم سمعوا ما يتغنّى به فى كنائس مشايخهم
المذكورين من الموشحات . او ما يُعزَف به على الأرغن من اللحون
التى وَلِع الناس بها فى الملاعب والمراقص ومحالّ القهوة استجلابا للرجال
والنسآ . لما راوا فى الطنبور اثما . فان الطنبور بالنسبة الى الارغن كالغصن
من الشجرة او كالفخذ من الجسم . اذ لا يُسمَع منه الا طنطنة وفى الارغن
طنطنة ودندنة وخنخنة ودمدمة وصلصلة ودربلة وجلجلة وفاتلة وزفرقة

ووقوقة وبقبقة وفقفقة وطقطقة ودقدقة وقعقعة وفرفعة بشخشخة وخشخشة وجرجرة وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدبة وكهكهة وقهقهة وبعبع وبعبعة وزمزمة وهمهمة وحمحمة وغطمطمة وتأتأة ودأدأة وضاصاء ويايا وقاقاء وصهصلق وجلنبلق وغطيط وجخيف وفحيح وحفيف ونشيش ورنين ونقيق وطنين وعجيج وأرير ودوى وخرير وازيز وهرير وصريف وصرير وشخب وصئ ومؤا وغاق غاق وغق غق وطاق طاق وشيب شيب ومى مئ وطيخ طيخ وقيق قيق وخازباز وخاق باق . فاين هذا كله هداك الله من طن طن . فان قيل ان الرغبة عن العزف به انما هو لكونه يشبه الآلية . قيل فما بال النسآ يدخلن الكنائس وعلى رؤسهن هذه القرون الفضة وهى تشبه فنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره . وفنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره تشبه كذا وكذا . فقد تبين لك ان اعتراضك غير وارد . وان ذكر الطنبور كان فى محله . فان ابيت الا العناد وتصديت لان تخطئنى وتتعقبنى بزلة قلم وبغير زلة . ورمت ان تبدى للناس براعتك فى الانتقاد على فانى امسك عن اتمام هذا الكتاب . ولعمرى لو انك علمت سبب شروعى فيه وهو التنفيس عن كربك وتسلية خاطرك لما فتحت فاك علىّ بالملامة فى شى . فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان واصبر علىّ حتى افرغ من غزل قصتى . وبعد ذلك فان عنّ لخاطرك ان تلقى بكتابى فى النار او المآ فافعل . ولنعد الآن الى الفارياق فنقول انه اقام مع والده فى البيت يتعاطى النساخة . وانه لم يلبث ان ورد عليه نعى والده فى دمشق . فتفطر قلبه لهذا الفجع وودّ لو بقى الطنبور عند ناهبه * وكانت امّه تنفرد فى كل صباح وتندب زوجها وتتحسر عليه وتذرف المدامع لفقده . فانها كانت من الصالحات المتحببات لازواجهن

عن خلوص وداد وصدق وفآء . وكانت تظنّ ان ابنها لا يراها في انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها اياه يبكي لبكآئها . لكن الفارياق كان ينظرها في خلوتها ويبكي لوحشتها ووحدتها اشدّ البكآء . فاذا رجعت كفكف عبراته وتشاغل بالكتابة او بغيرها . ومذ ذلك الوقت عرف انه لا ملجا له بعد الله غير كدّه فعكف على النساخة . غير ان هذه الحرفة مذ خلق الله القلم لا تكفي المحترف بها ولاسيما في بلاد لوُقّع قوشها طنين ورنين . ولروّية دينارها تكبير وتعويذ الا ان ذلك جوّد من خطّه ورقّق من فهمه .





في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس

من قرا آخر الفصل المتقدم ثم اتاه خادمه يدعوه للعشآ فترك الكتاب وقام يستقبل
الكاس والطاس والقدح والكوب مما اختلفت اشكاله وتفاوتت مقاديره .
ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه فمنهم من قال له اني ضربت اليوم جاريتي
ونزلت بها الى السوق على عزم ان ابيعها ولو بنصف ثمنها . وذلك
لانها اجابت سيدتها جوابا سخيفا . ومنهم من قال له وانا ايضا ضربت
ابني اشد الضرب لاني رايته يلعب مع اولاد الجيران ثم حبسته في
الكنيف وهو باقٍ الى الان فيه . وبعضهم قال وانا ايضا حرّجت اليوم على
زوجتي بان تطلعني على جميع ما يخطر ببالها ويخالج صدرها من الافكار
والهواجس . وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التي تنشا عن امتلآ
الدماغ من بخار الطعام . او من دخان الغرام قبل النيام . وقلت لها ان لم
تخبريني باليقين اغريت بك ابانا القسيس فيكفّرك ويحظر عليك ثم
يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين . ويطّلع على كل ما تسترين وتخفين
وتصونين . وعلى ما تحذرين منه . وتحرصين عليه وترتاحين له وتميلين اليه
وتكلفين به . وقد خرجت من داري غضبان متنمرا وحزت بان لا اصالحها
الّا اذا كادت تنقضّ علىّ احلامها . وبعضهم قال ان حسني في بنتي

اعظم . وذلك انها بعد ان تمشّطت اليوم وتعصّبت وتعطّرت وتطيّبت وتطوّست وتبرقشت وتزيّنت وتبرّجت وتزيّغت وتضرّجت وتزخّفت وتزبرجت وتشوّفت وتسرجت وتنقشت وترقّشت وتزهنعت ويرّقت وتحفّلت وتزوّقت وتقيّنت وتزلّقت وتزبرقت وتالّقت جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتنى فرجعت الى موضعها . واوهمتنى انها تخيط هناك بعض ملبوس لها . فكانت كلّما غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقمت اليها مستشيطا غيظا وجبذتها بشعرها الذى مشطته وضفرته وعقصته فطلع بيدى منه خصلة وها هى معى . وهيهات ان تنتهى عن غيّها ولو نتفتُ شعرها كله . فانها كالمهرة الجامحة بغير عنان . لا يردّها لكم بالاكف ولاضرب بعيدان . نعم ان من ملأ أعصاله بالوان الطعام . واذنيه بمثل هذا الكلام . فلا بد وان يكون قد نسى ما جرى على الفارياق من الوقوع الحسّى والمعنوى . ومن فجعه بنعى ابيه . ومن اقباله على نسخ الكتب واكتسابه من ذلك جودة الخطّ فمن ثم اضطررت الى الاعادة . وازيد هنا ان اقول . انه لما شاعت براعته فى النسخ ارسل اليه من اسمه على وزان بعير بيعر يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث فى زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين . وانما كان امساكا للحوادث من ان تتفلّت من مدار الايام . او تنفلت من سلسلة الاحوال . فانّ كثيرا من الناس يرون ان احضار الماضى وجعله حالا منظورا من الامور العظيمة . ولذلك كانت الافرنج حراصا على تقييد كل ما يقع عندهم . فخروج عجوز من بيتها صباحا وعودها اليه فى الساعة العاشرة وهى تقود كلبًا لها . والريح عاصفة والمطر واكف لا يفوت اقلامهم . ولا يَعدو خواطرهم . ففى مقدّمة ديوان لامرتين اعظم شعراء الفرنساوية الموجودين

في عصرنا هذا وهو الديوان الذى سمّاه التأمّل الشعرىّ ما ترجمته . وكانت العرب يدخّنون التبغ في قصبات لهم طويلة وهم ساكنون وينظرون الى الدخان متصاعدا كاعمدة زرقآء لطيفة الى ان يضمحل في الهوآء اضمحلالا يشوق الرآى . والهوآء اذ ذاك شفّاف لطيف . الى ان قال . ثم ان صحبى من العرب جعلوا الشعير في مخالٍ من شعر المعزى ووضعوها في اعناق الخيل وهى حول خيمتى . وارجلها مربوطة في حلق من حديد وهى غير متحركة . ورؤسها مخفوضة الى الارض مظللة بنواصيها الشَعِثة . وشعرها اشهب برّاق يخرج منه دخان تحت اشعة الشمس الحامية . وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة من اعظم ما يكون . وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا واخذوا في الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ . وينشدون اشعار عنتر وهو من شعرآء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والرعاية (اى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت اشعاره منهم مبلغ التنباك في الاركيلة . وحين كان يرد عليهم من الابيات ما يوثر في حسّهم اكثر كانوا يرفعون ايديهم الى اذانهم ويطرقون برؤسهم ويصرخون تارة بعد تارة الله الله الله . الى ان قال في وصف امراة رآها تبكى عند قبر زوجها . وكان شعرها مسدلا من عند راسها ملتفّا عليها ومماسّا للارض . وكان صدرها مكشوفا كله على ما جرت به العادة عند نساء تلك البلاد من بلاد العرب . وحين كانت تتطاطأ للثم صورة العمامة على رِجام القبر او تصغى اذنها اليه كان ندياها البارزان يمسّان الارض ويرسمان في التراب شكلهما كالقالب . اه صفحه ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع انه سمّاها مقدور الشعر . اى ما قدّره الله تعالى على الشعر والشعرآء . وفى رحلة شاطوبريّان الى اميريكا وهو ايضا من اعظم شعرآء عصره ما صورته . وكان مرسل رئيس الدول

المشمدة عبارة عن دار صغيرة مبنية على اسلوب الانكليز في البناء . من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها . فاما قرعت الباب فتحت لي جارية صغيرة فسالتها هل الجنرال في البيت . فاجابت نعم . فقلت ان عندي رسالة اريد ان ابلّغه اياها . فسألتني عن اسمي وصعب عليها حفظه فقالت لي بصوت منخفض ادخل ياسيّدي . (واورد هذه العبارة باللغة الانكليزية وهي (*Walk in sir*) تنبيها على معرفته لها) ثم مشت امامي في ممشى طويل كالدهليز . ثم دخلت بي الى مقصورة واشارت اليّ ان اجلس فيها منتظرا الخ صفحه ٢٥ . وفي موضع اخر . انه راى بقرة عجفاً لامراة من هند اميريكا . فقال لها وهو راث لحالها . ما بال هذه البقرة عجفاء . فقالت له انها تاكل قليلا . واورد هذه العبارة ايضا باللغة الانكليزية وهي (*She eats very little.*) وفي موضع اخر ذكر انه كان يرى كِسَف السحاب بعضها في شكل حيوان وبعضها في شكل جبل اوشجرة وما اشبه ذلك . فاذ قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك عليّ في ايراد ما هو غير مفيد لك اكثر مفيد لي لا يكون الا تعنّتا . فان هذين الشاعرين كتبا ما كتباه ولم يخشيا اومة لائم ولم يعترض عليهما احد من جنسهما . وقد اشتهر قصائدهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطان ادام الله دولته اقطع لامرتين في ارض ازمير اقطاعات عظيمة . ولم يُسمع عن ملك من ملوك الافرنج انه اقطع شاعرا عربيا او فارسيا او تركيا مقدار جريب واحد في ارض عامرة . ولا غامرة واما كون وزان بعير بيعر قد حاكى الافرنج في تاريخه وهو عربي وابواه ايضا عربيان وعمّه وعمته كذلك عربيّان . فمما لم انتقده الى الان . ولعلي اعانيه بعد انجاز هذا الكتاب فاخبر به القاري ان شآ الله . وانما ارجو انه الي القاري لا يقطع قراته احتجاجا بسبب هذه المحاكاة وان تكن العام بديها .

ودونك مثالا مما كان يكتبه الفارياق فى اساطير بعير بيعر . فى هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر ادار سنة ١٨١٨ قصّ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه الاشهب بعد ان كان طويلا يكنس الارض . وفى ذلك اليوم بعينه ركبه فكَبَا به . فان قلت ما سبب النسبة الى الام دون الاب . قلت ان بعير بيعر كان من المتدينين المتورّعين المتّقين . فنسبة الولد الى امّه اصحّ واصدق من نسبته الى ابيه . فان الامّ لاتكون الا واحدة بخلاف الاب . ولكون الجنين لايمكنه الخروج الّا من مخرج واحد . ومن ذلك . اليوم نظرت سفينة فى البحر ماخرة فظُنّ انها بارجة قدمت من احد مراسى فرنسا لتحرير اهل البلاد . لكنه عند التحقيق ظهر انها انما كانت زورقا مشحونا ببراميل فارغة . وكان سبب قدومه للاستقاء من عين كذا . فان قيل ان هذا خلاف المعهود . فان من شأن الكبير ان يبدو للعين عن بُعد صغيرا لا عكسه . قيل ان الانسان اذا اعطى نفسه هواها راى الشئ بخلاف ما هو عليه . فمن احبّ مثلا امراة قصيرة لم يرَها قِصَرا . ومن خلا بمحبوبته فى قترة راها اوسع من صرح بلقيس . وبعدُ فانّا نرى النور الصغير عن بُعدٍ كبيرا . فلا غرو ان يبدو الزورق بارجة او شُونة . فان القوم هنالك ما زالوا يحلمون بان رؤسهم قد تبرطلت ببراطل الفرنساوية ولحموا عِرْضهم بعرضهم حتى يروا نساءهم كما قال الشاعر

تصيد طباؤنا الاُسد الضوارى بلحظ او بلفظ فى المسالك
وغزلان الفرنج تصيد ايضا بذَين معا وبالايدى كذلك

وكان بعير بيعر سُتْهَمًا جعظرا اَحرقَد . لكنه كان حلبا سحب السام والذَهب . وكان من التعقّل على جانب عظيم . فكان متوصلا بوروده العامّة الى رحال

لـئيم شرس الاخلاق عَيّدَرٍ به كِبر وعُنجُهيّة وعجرفـة وتـفجّس وغطرسة .
وكان تمضى عليه الساعة والساعتـان وهو لا يـبـدى ولا يعيد . فيظن
الغِرّ انه معمل فكـره فى تدبير الدُوَل . او تلخيص النِحَل . فـقد جرت
العادة بان الرجل اذا كان ذا مـنـزلة رفـيـعـة فان كان عييـا مفحما عُدّ
رزينا وقورا . وان يك مهذارا عدّ فصيحا . فـاما اموره المعاديّـة فانها
كانت تـعـلـو وتسفل وتضوى وتجزل وتُنفـتـَق وترتـق بتدبير قسيس
ذى دعابة وفكاهة وبشاشة وهشاشة . قصير سمين . ابيـض بدين . وكان
هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكّنا لا يبـاريـه فيه النسيم .
والتى عصاه عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم . ومنطق رخيم .
وكانت تزوّجت برجل قد جُنّ وتخبّل فخلّته وجنونه واعتصمت بعقوة
ابـيـهـا فكان القسيس آمرًا عليها مطاعـا . ناهـيا وزّاعـا . فكانـت كلما
دخل فـيـهـا شى اوخـرج منها شى تطالـعـه به لانها كانت ممن فَـفَـط
قُطرَى الدّين والدنيا معًا . وكانت تعترف له بجرائرها فى الخلوة .
وهو يسالها عن كل زلة وهفوة . فـيـقـول لها هـل تـتـذبـذب ألياك
ويـتـرجـرج ثدياك عـنـد صعودك الدرج او عند المشى . وهل يحدث
فيك هذا الارتجاج من لذة . فـقـد ورد فى بعض الاخبار ان بعض
الجلامطة كان يـرتـاح الى اى ارتجاج كان . حـتـى كان كـثـيرا ما
يتمنى ان تـتـزلزل الارض من تحته . وتمور الجبال من فوقه . وهل
يُمثّل لك فى الحلم ضجيع يكافحك . وخليع يصافحك اذ لا فرق
عند الله بيـن اليقـظـة والمنام . وان اعـظـم الحقائق انما بُـنـى على
الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتـهـيت ان تكـونى
خُنثَى . اى ذكرا وانثى . لا لا ذكر ولا انـثـى كما تـقـول العامة .

فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربّانيين الراتبين . وغير ذلك من المسائل التى يضيق عن تفصيلها هذا الفصل . وكان ابوها لايسيئ به الظن لما تقرر عنده من ان كل من لبس السواد فهو من الفاطمين اهوآهم عن اللذات . الخاصين انفسهم عن الشهوات . حتى انه نظر يوما في بعض الكتب هذا البيت وهو

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها   أفاويق حتى ما تدرّ لنا ثعل

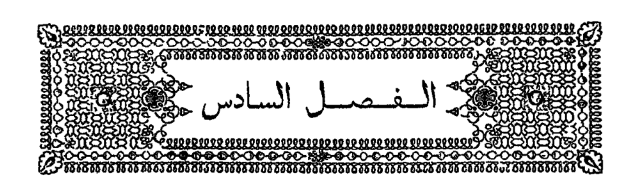
فظن انه تعريض بهم وتلميح اليهم . فامر باحراقه فأُحرق وذُرّى رماده . ورأى يوما آخر ببيتين في كتاب آخر وهما

ما بال عينى لا ترى من بين مَن   لبس السواد من العباد نحيفا

ما كان من لحم وشئ غسره   فيهم فاصلب ما يكون وقوفا

فامر ايضا باحراق الكتاب . وبعث جواسيس في البلاد يتجسّسون عن مولفه ونودى في الروابى والوهاد . ألا من دلّ على مولف كتاب كذا فانه يُجزى احسن الجزآء . ويرقى الى رتبة سنية . فلما سمع المولف بذلك اضطر الى الاختفآء مدة حتى نُسِى اسمه . فان قلت ان هذا الفعل خلاف ما وصفته به من الحلم . قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان الحلم يكون محمودا في كل شى الّا في امرين حرمة العِرض وحرمة الدين . فان الاخ لَيُبسِل اخاه الى الهلكة من اجلهما . ثم ان الفارياق اقام عند هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل . وكانت نفسه عزيزة عليه فلم يرد ان يسأله . فمن ثمّ جمع ذات ليلة حطبا وتبنا كثيرا واطلق فيهما النار فانبعث اللهيب نحو مقصورة بعير ببعير . فظن ان النار قد سرت في قصره . فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع النار . فرأوا عندها الفارياق يزيدها من الحطب الجزل . فسالوه عن

ذلك فقال ان هذه النار من بعض النيران التي تنوب عن اللسان . وان لم يكن لها صورة لسان . ومن فوائدها انها تنبّه الغافلين . وتنذر الباخلين . انّ وراءها لقولا شديدا . ولسانا حديدا . فقالوا ويحك انما هي من ودعك اويكلّم احد بالنار . لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره بسوق او بقرع عصا او باشارة اصبع او بغمز عين او برمز حاجب او برفع يد من عند الابط . فاما بالنار فبدعة وضلال . وكادوا ان يبدّعوه ويكفّروه وينسبوه الى التمجّس ويطرحوه النار . لولا انّ قال قائل منهم . ردّوا الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيا عن تهوّك . فاما اخبروه بما راوا وسمعوا . استرآه واستنطقه من ذاك الاحج . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلا وطولا . قد كان لي كبس لا ينفعني ولاانفعه . وللاكياس ولما جاء على وزنها ورويّها عادة مخالفة لسائر العادات . وهي انها اذا خفّت ثقُلت . واذا ثقلت خفّت . فلمّا خفّ كيسي في حوارك السعيد اى ثقُل احرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لاني كنت اتوهمه كرضوى في جيبي . حتى انه كثيرا ما منعني عن النهوض والخروج لحاجة مهمّة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفه الجامدة شيا يقابل ما كتبه له الفارياق في اسفاره في الخساسة . فاقبل بحنبش الى بيته وآلى ان لا يكتب شيا بعد ذلك الّا ما طاب موقعه . وحل نفعه . رجاء ان تكون الاجرة على قدر العمل . وهيهات فان اكثر الناس نفعا وشغلا . اقلهم اجرا وجعْلا . ومن لم يحسن الا التوفيع . احلّ المحل الرفيع . ولقمت يده وقدمه كما يلثم الثدي الرضيع .



الفصل السادس

في طعام والتهام

بينما كان الفارياق راسه ورجلاه في البيت كان فكره يصعد في الجبال ، ويرتقي التلال ، ويتسور الجدران ، ويتسنم القصور ويهبط الاودية والغيران ، ويرتطم في الاوحال ، ويخوض البحار ، ويجوب القفار ، اذ كان اقصى مراده ان يرى منزلا غير منزله ، وناسا غير اهله ، وهو اول منى الانسان في حياته ، فعنّ له ان يزور اخا له كان كاتبا عند بعض اعيان الدروز ، فسار وحقائبه الاماني ، فلما اجتمع به وراى ما كان عليه القوم من الخشونة والتقشف ومن الاحوال المغايرة لطباعه ، انكر بعضها ووطن نفسه على تحمل البعض الآخر . ولم يلبث وشك الرجوع من دون تقضي معرفتهم . ولو كان رشيدا لصرف نفسه عن هواها من اول يوم ، اذ ليس من المحتمل ان اهل مدينة او قرية يغيّرون اخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم ، ولا سيما اذا كانوا شياطمة ذوي بسطة وباس ، وكان هو قميئا ، ولكن الانسان كلما قلّ شغله كثر فضوله ، فلا يكتفي بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه . وكان الفارياق كلما زاد بهولاء القوم خبرة ونقدا ، زاد اعراضا عنهم وزهدا ، لانهم كانوا غلاظ الطباع ذوي جفا وانقطاع ، ويسمّى السادة والمامور ... الا بعوف واسوس ... واقذرهم كان طابخ الامير . فان

قميصه كان انتن من المِحاة . وقدميه اقلتا من الوسخ ما لا تكاد تكشطه عنه المسحاة . وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعت لهم زمزمة وهمهمة . وقعقعة وطعطعة . فخلتهم وحوشا على جيفه . يثرملون ويرهّطون وينهسون ويتعرقون ويتمشّشون ويتلمّظون وبتمطّقون ويلوسون وياطعون ويستنطّعون وكل ذلك في فرشطةٍ خفبقة . فكنت ترى في جبهة كلٍ منهم مضمون ما قيل من لَقْلَق . لم يتتصّف . فاذا قاموا رايت الرُزّ مزروعا في لحاهم . والوضَر متقاطرا من كساهم . فكان الفارياق اذا آكلهم قام جوعانا . ومعت عليه امعاؤه في الليل فبات سهرانا . فكان يقول لاخيه عجبًا لمن يعاشر هولآء الناس . من الاكياس . ما الفرق بينهم وبين البهائم . سوى باللحى والعمائم . لا جرم انهم عائشون في الدنيا لسدّ بصائرهم وافكارهم . ولفتح افواههم وادبارهم . لا يكاد احد منهم يظن ان الله تعالى خلق بشرًا الآ وكان دونه . وما يدرون ان الانسان ليس له بمجرد النطق فضل على العجماوات . ومزية على الجمادات . فان الكلام انما هو مادة لصورة المعاني . ولا تفي المادة وحدها اذا لم تحلّ فيها الصورة التي هي الوجود الثاني . وقد يقال ان الرقين . تغطّي اُفن الافين . وهولآء قد حُرموا من العقل والنعمة . ورضوا من الكون كله بالنَسمة . كيف تطيق ان تعاشر هولآء الهَمَج . وقد لك سبر الناس قد بلج . فقال له اخوه ان كثيرا ليحسدونني على مكانتي ... الامير . واني لكبد حسّادي اصبر على العسر . كما قيل

وكم اشيآ يحسبها اناس لقاعها نعيما وهي بوس
ولولا ان يكيد بها حسودا لانكر ذكرها وبه عبوس

فضلاً عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروة . ونشاشة ...

يدرونوا ستّي الادب على الطعام . فهم متادبون في الفعال والكلام . لا ينطقون بالخنى . ولا يُعرَف بينهم لواط ولا زنا . غير ان الفارياق كان يرى الأدب كله في المأدبة . فكانّه كان قد تخرّج على بعض الافرنج او كان له فيهم نسبة . فمن ثم استدعى بقريحته على هجوهم فلبّته . ونادى القوافي لوصفهم واجابته . فنظم فيهم قصيدة بيّن فيها سوء حالهم . وخشونة بالهم . من جملتها

في نغر كلّ منهم سكّينه وسلاحه الماضي فأين المُطْعِمُ

ثم عرضها على اخيه وكان مشهودا له بالادب . وعلم لغة العرب . فاستحسنها منه على صغر سنّه . واعجب ببراعة فنّه . ثم لم يلبث ان اشتهر امرها . وشاع ذكرها . وذلك لان اخاه من شدة اعجابه بها تلاها على كثير من معارفه فبلّغها بعض الحسّاد . الى امير البلاد . وكان هذا المبلّغ نصرانيا فان الحسد لا يكون الا عند النصارى . مع ان كثيرا ممن تليت عليهم من الدروز كانوا داخلين في عداد المهجوّين . فلما سمع الامير بذلك استاء جدّا وقال لاخيه . تالله لقد جآء اخوك امرا فريّا . كيف يهجونا وهو ضيفنا وقد انزلناه منزلا كريما . وسقنا اليه رزقا عميما . لعمر الله لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظنّه . وكان هذا الامير متصفا بصفات العرب في الفروسة والنجدة . وفي شرآء الحمد جهده . غير انه كان يَكِل الامور الى المقدور . ولا يهمه ترتيب حاله . والنظر في مآله . ثم خشي من ان يكون هذا الوعيد ادعى الى زيادة الهجو اذا فصل عنه الفارياق وهو مغيظ . فرأى ان الاغضآء . اجلب للارضآء . وان التماق . اوفق للتلفّق . فمن ثم سارّ صديقا له من علمآء ملته . وفضلا نحلته . ان يصنع مادبة ويدعوه اليها والفارياق واخاه

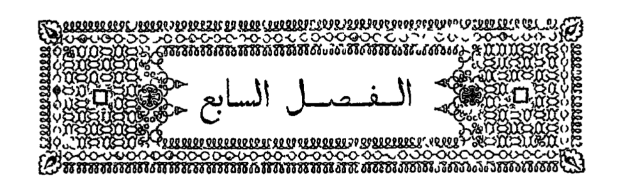
[illegible]

قائلا والله لا ادرى من هذا شيئا او ينظم ابو دلامة يعنى الفارياق ببيتين مدبج ارتجالا . فابتدر وقال بديها

ود كاد طمع ابى دلامة انه   يهجو لان الهجو وفق جنابه
لكنما هذا الخميص بهاه اذ   مزجت حلاوته بمرّ لسانه

فحنّ الحاضرون استحسانا لهما . حتى ان الامير لم يمالك ان عانق الفارياق وقبّله بين عينيه فانعقدت بذلك المودة ورجع كلّ راضيا . وقفل صاحبنا الى بيته . وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب احد من كبراء الناس . وان يسدّ اذنيه عن صوت صيتهم وان غلب على الاحراس .





الفصل السابع

في حمار بهّاق وسعر واحعاق

ثم لبث الشاربان بعاطي حرسه الاولى ونزل بها المل العاجل من الفراش ،
وكان له صديق صدوق يراقب احواله فاجتمع به مرة وخاضا في حديث
افضى الى ذكر المعاش ، والتظاهر بين الناس بحسن الرياش ، فقرّ راى
كلّ منهما على ان الانسان في عصرهما لا تعدّ اسبابا بفضله ومزيّته ، بل
ببزّته وزينته ، وان الناس المولودين من الخزّ والحرير والقطن والكتان
المعلقين في اوتاد حوانيت التجار اعظم قدرا من الناس الماشين العارين
عنها ، وان المرء اذا كان ضيّق الصدر والراس ، بحيث يكون واسع السراويلات
واللباس ، كان هو النبد الافق المشار اليه بالبنان ، المحمود بكل لسان ، فاجمعا
رايهما على ان يستبضعا بضاعة ويقصدا ترويجها في بعض البلاد استطلاعا لحال
اهلها وتفرّجا من كرب بالهما ، فاكتريا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع
حمل جثته من الهزال والضرى فضلا عن علاوته . ولم يكن قد بقي فيه شي
جديد سوى نهاقه وزفاقه ، فالاول للاستطلاق ، والثاني لمن يختصه وبذى
شامة الاكاف . ثم سارا وهما يتفالان ثوب النجاح على قاعدة الآمال . وبعد ان
ساءا المسير على قدم الاعتدال [illegible]

حارس رمقه . والفارياق ايضا زاهق الروح من تعبه وقلقه . نادم على تركه
الشام الضئيل . مع ما كان ينفث به من الرزق القليل . ويومئذ عرف عاقبة
الجشع . وتبعة الرتع . وظهر له سفاه رايه فى الشراهة الى ما يوجب نصب
الابدان . ووبال الجنان . غير ان اللبيب من استخرج من كل مضرة
منفعة . ومن كل مفسدة مصلحة . حتى ان فى فقد الصحة لنفعا لمن
رشد . وخيرا لمن قصد . اذ العليل وهو ممدود على وساده . تقصر نفسه عن
التمادى فى فساده . وفى شهواته المنكرة واهوائه الموبقة . فتتقوى بصيرته
بالمرض ناهكه . ويملك سداده والالم مالكه . ويرضى الله والناس بما هو
مالكه . وهكذا كانت حال الفارياق . بعد مقاساته تلك المشاق . فانه لما
احس بضنك السفر . وتلقى منه ما لقى من الضرر . تبين له ان شق القلم
اوسع من حقائب الباعة . وان سواد المداد ابهى من الوان البضاعة . وان فى
ترويج السلعة . لعزة دونها معرة الغدة والسلعة . فجزم بانه عند الاياب الى
وطنه . يرضى بلين العيش وخشنه . ولا يبالى ان لم يكن ذا شارة رائعة . او
حالة رافعة . او معيشة واسعة . بحيث لا يجوب امصارا . ولا يتار حمارا . اما
يعنى الحمار على اسلوبنا معاشر العرب فانه كان رديئا بليدا . حرونا عنيدا
نازرا قديدا . لا يكاد يخطو الا بالهراوة . واذا راى نقطة ماء فى الارض
ظنها بحرا ذا طغاوة . فاجفل منها اجفال النعام . ووحل كما يوحل من
الحمام . واما على الطريقة الافرنجية فانه كان حمارا ولد حمار وامه اتان
من جبل كلهم حمير . وكان لونه يضرب الى السواد . ومس شعره كمس القتاد
مصلم الاذنين ولا نشاط . اعسم الرجلين بادى الانحطاط . ادرم افوه . ادام
اقوه . يشركهم فى نسله . ويرفس [illegible] نخسه . ويكبو [illegible] بشنق [illegible] ادع

لا تحيك فيه العصا . ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى . ولا يتحرّك الّا اذا احسّ بالعَلَف وان يكن زُؤانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الّا اذا راى اتانا . فيريك في سُموهًا واستنسانا . ونشاطا وصَمَيانا . حتى كثيرا ما كان يقلب حمله . ويفسد عِدله . وفيه خَلّة اخرى وهي انه كان دائم الاحداث على قلة إعمال ضرسه ! مواصل الغُفق في النجوة والخفض زيادة على نحسه . فان منشأه كان في بلاد يكثر فيها الكرنب والفجل والسلجم . واللفت والقنبيط كبعض بلاد العجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من صغره . وزادت فيه بازدياد عمره . فكان لابدّ للماشي خلفه من سدّ انفه . والاكتنان من أفّه . وفي كلا الوصفين فان رفقة هذا البهيم . لم تكن اقلّ اذى من السفر الاليم . وانه بعد جولان عدة قرى . ليس فيها من ماوى ولا قِرى . وبعد مجادلات مع الشارين طويلة * ومحاولات ومساءلات وبيلة . قنع الفارياق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا باللّفآ والعود الى المآب . وعلما ان البئر الفارغة لا تمتلي من الندى . وان التعب في تجارتهما يذهب سُدى . فتسبّبا في بيع البضاعة بقيمتها . كيلا يشمت بهما من ينظرهما راجعين بماهيتها . وباتا تلك الليلة خاليي البال . من القيل والقال . فان من الناس من لا يعجبه شرآء شي الّا بعد تقليبه . وبعد تحميق بائعه وتكذيبه . فلا بدّ للبائع من ان يكون عن مثل هولا متصامّا متغافلا . متعاميا متساهلا . وتلك خلّة لم تكن في الفارياق ولا في صاحبه . فان كلّا منهما كان يحاول استمالة الكون الى جانبه . ثم انهما رجعا بثمن البضاعة وبالحمار وسلّما المال لصاحبه . فعرض عليهما سلعة اخرى فأبيا وتواعدا ان يجتمعا مرة اخرى للشركة

في مصلحة اهمّ. وآثرا ان تكون في البيع والشرآء . وقد جرت العادة بين الناس بانه اذا تعاطى احد عملا ولم ينجح به اوّل مرّة لجّ به الشَرَه الى معاطاته مرة اخرى . اذ ليس احد يرضى لنفسه نحس الطالع وشُوم الجَدّ . وانما ينسب خُرْقه فيما احترف به الى بعض عوارض وطوارئ حدثت له . فيقول في نفسه لعلّ هذه العوارض لا تقع هذه المرّة . وعلّة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسعيد والركون الى حدسه . وقد تهوّر في ذلك كثير من الخلق . واكثرهم جنى على نفسه في التهافت على الرزق .





في خان واخوان وخوان

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفارياق وصاحبه قرّ رايهما على ان يستأجرا خانا على طريق مدينة الكعيكات . حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاكات . فاستبضعا ما يلزم لهما من الميرة والادوات ولبثا فيه يبيعان ويشتريان بما تيسّر لهما من راس المال وذنبه . فلم تمضِ عليهما برهة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جميع المسافرين . فكان الناس يقصدونهما لاقتصادهما . وكثيرا ما انتاب خانهما اهل الفضل والبراعة . والوجاهة والاستطاعة . حتى كأنّه كان حديقة يتفرّج فيها المكروب . وعادة اهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجتمعون في محل الّا ويتنازعون كاس البحث والمناظرة . ويخوضون في امور الدنيا والاخرة . فان اثبت احد شيا نفاه الآخر . وان استحسنه استهجنه وزعم انه من المنكَر . فيتحزب القوم احزابا فِدَدا . ويمتلئ المكان صخبا وإِدًدا . وربما انتهى البحث الى التفاخر بالنسب . والتكاثر بالحسب . فيقول احدهم مثلاً لقرينه . اتردّ عليّ وأبي نديم الامير وسميره واكيله وشريبه وجليسه وانيسه وخصيصه ونجيّه . لا يقضي ليلة من الليالي الّا ويستدعي به لمسامرته . ولا يحكم بشيء الّا

د د مشاورته . وقد عرف اهلي من قديم الزمان بانهم سُفَرآء الملاد . ويواهبس

الامجاد . وما احد من الناس ماجدهم ولا شارفهم ولا كاثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم الا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا . وربما أُعيات بعد ذلك الهراوات . وقامت مقام البيّنات . فيتنمّر منهم من لم يكن يتنمّر . ويعربد من سكر ومن لم يسكر . فينتهي الامر الى امير الصُقع . فيبعث عليهم مصادرين ذوي صَقع . وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير وقت الجدال . فان عفوه حينئذ من المحال . فاما في الحوادث العظيمة فان المعدّى اذا فرّ من القِصاص أُخِذ بذنبه احد اهله او جيرانه . او ماشيته او ماعونه وقُطع شجره واحرق منزله . غير ان زمرتنا هذه لم تكن تتعدّى حدّ الجدال الى القتال . فان الفارياق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فَيْصَل . فمن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما . وكثيرا ما بات عندهما اصحاب العيال والراح عليهم دائرة . والاغاني متواترة . والوجوه ناضرة . والعمائم متطايرة . فكان ذلك داعيا الى خصام النسآء مع بعولتهن . ومن طبع النسآء عموما انهن اذا علمن أنّ احدًا يعوق ازواجهن عنهن اضمرن ان يتقربن الى ذلك العائق ببعض حياهن . فان كان ممن يُعْنَق صعفن له حالا على المقايضة والمبادلة أَخْذًا بثارهن . فيجعلن من كل عضو منه بعلا . ومن كل سعرة خِلّا . وان كان ممّن نبذاه العبن رَمَيْنَه بداهية وتحيّلن في خلاص بعولتهن منه ورَدّ بضاعتهن اليهن . غير ان نسآ تلك البلاد لا يخاصمن بعولتهن وهن مضمرات خيانتهم او مستحلات استبدالهم . فانهن رَبَبْن على محبة آبآئهن وعلى طاعة بعولتهنّ . وما خصامهنّ لهم الا عتاب . وكم في العتاب من لذّة . ولم يُسمَع عن واحدة منهن الى الان انها خاصمت زوجها لدى حاكم شرعيّ او امير او مطران . من ان كثيرا من دولآء الاصناف المائة بمنزلن ذلك ... الا ... انما

للافتخار باجرآء العدل والانصاف في رعيتهم او لعلّة اخرى . ومن طبع هولآء المحلوفات المباركات سلامة النيّة وصفآء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور . فترى المراة منهن متزوّجة كانت او ثيّبة تجلس الى جانب الرجل وتاخذ بيده . وتلقي يدها على كتفه وتسند راسها على صدره وتبسم له وتؤانسه في الحديث . وتتحفه ببعض ما تصل اليه يدها . كل ذلك عن صفآء نية وخلوص مودة . واحسن ما يرى فيهن البلاهة والغريّة فانهما في النسآء خير من النُكر والدّهاء . هذا اذا كان في غير ما يشين العرض وينتهك الحرمة . فاما في وقت الجِدّ فلا تصح البلاهة . هذا ولما كان من دابهن ان يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن اثدآهن من صغرهن بشي . كان اكثرهن ضُمْلًا اى ذوات اثدآء طويلة . واكثرهن يعتقد ان في طول رضاع الولد زيادة صحّة له . فمنهن من ترضع ولدها عامين تامّين . ومنهن من تزيد على ذلك . فامّا محبتهن لاولادهن ورفقهنّ بهم وشوقهن اليهم فيجلّ عن الوصف . واعرف كثيرا من البنات كنّ يبكين يوم زواجهن على فراق آبآئهن وامهاتهن واخوتهن كما يبكي غيرهنّ في المأتم او اشدّ . فاما ما يقال من ان البعولة ياكلون وحدهم دون نسآئهم فكلام لا اصل له . وانما يكون ذلك اذا كان عند الرجل ضيف غريب حتى لو اراد حينئذ ان تقعد امراته مع الضيف لتاكل معه لَأَبت ورات ان ذلك يكون استخفافا بها وانتهاكا لحرمتها . وفي الجملة فانهن لايُعَبْن بشي الا بالجهل وهنّ في ذلك معذورات . فاما الجاهلات من الافرنج فانهن يُضفن الى الجهل مُكْرا وخُبْثا . وناهيك بذلك من سُبّة . واني ليحزنني جدّا ان اسمع أنّ هولآ المحصنات [illegible] من هذه الصفات ومحاسن واخلاق اخرى .

فيجب على والحالة هذه ان اغيّر ما وصفتهن به من المحامد . او ان اذن للقارى فى ان يكتب على الحاشية كذب كذب كذب او هذين البيتين .

ان النسآء حيثما كنّ سوى يملن من حيث اتاهنّ الهَوَى
لا يغررنّ الغِرّ منهنّ تُقَى ولا هُدَى ولا نُهَى ولا حَيا

او هذين

سِرْ مُضْرِبَ لارض فى طول وفى عَرْض نَرَ النسآء يبعن العِرْض كالعَرْض
بالرجل يصفق عند البيع لا بِيَد وكلُّ قاض على تسجيله يُمضِى

او هذين

واذا رأيت من الخرائد عادةً تبدو وتخفى وارجرنّ [illegible]
واذا دعنك لحاجة عنّت لها لتكون فاءبها برج [illegible]......

او ما قاله دعبل

لا يُؤْيسنّك من مخدّرة قولٌ تغلّظه وانْ جَرحا
عُسر النسآء الى مُياسرةٍ والصَّعْبُ يمكن بعد ما جمحا

واعلم ان البلاد التى يُتّجر فيها بعرض النسآء بغير مانع الّا بمكس عليه قليل يدفع لبيت المال لبناء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من قال أطعمة الايتام الخ يقلّ فيها التغزل بهن . فانّ الرجل هناك ايّان خطر بباله ان يرى الوجه الصبيح تنفى همّه وتزيل بلباله . وتخفف اثقاله . وتنشّ [illegible] كربه وتجلو صدا قلبه وتصفى دمه . خرج فوجد ضالّته تنتظره [illegible] الا يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب وتواجُد . والى قوله ارق على ارق [illegible] ارق . وكفى بجسمى نحولا اننى رجل [illegible]

فاما البلاد التي يحظر فيها هذا الاتجار فتجد الكلام في النسآء متجاوزا به ورآء الحدّ . ولذلك كان في شعر الافرنج الاقدمين من المجون ما تجده في كتب العرب . وما ذلك الا لانّ هذه البياعة كانت وقتئذ ممنوعة . فلما كثرت قلّ عندهم المجون . اما في الجبل فانك لا تجد لهم بياعة ولا مجونا . وحكى عن الفارياق انه هوى واحدة من اولئك اللاى كن يترددن عليه ولم يكن يحظى منها الا باثم اخمصها فكان اذا اصبح يقول لصاحبه

ان المقبّل رجلها ليجلّ عن ... تقبيل راحة قسّه واميره
منّ العوانس للخلىّ مشعرٌ ... منهن خيرٌ من كنوز غروره



الفصل الناسع

ـــ محاورات حادة . و افلسفات حامدة

«٥»

لا باس في ان بذكرها مالا لما كان يبع بين تلك الزمرة من المحاورات فيقول احدهم ان زمرتنا هذه مرة والكاس دار عليهم . والا سرور بين من منهم . فقال افصحهم مقالا . والذهم حدالا . اي الناس دنيا دائم النعيم بالا . واحسن حالا . فقال من بيده الكاس هو من كان على مثل هذه الحالة . وفي راحة دي الآلة . فقال له ليس ذلك على الاطلاق . ولم يع عاقبة اسفاق . وان هذه الحالة لا يمكن كونها دائمة . ويكون ضطها غير تامة . وانما هي بعض من كل . وجزء من كل . ومن الطر في الا انى ولا حفا ان مداومة المدام . تورث السقام . وتنفي من اللعام . ولذلك سمتت النهوة . ولا يعادها انسان الا حلت به السطوة . فقال آخر ان انعم الناس بالا امير جالس على اريكته . ومعه جماعة من جنده رجب د بأمره رزقه رغدا . ويكون رازقه في المعيشة جهدا . فاذا اوى الى منزله بالا بازهر اسراره على اوطأ فراش . قصدوا منواهم . اسمعت الا آ رعان ر هذا وان اكان المرارة . وبداية الناعمة . وامر مطاع . وحكمه ما ل بالا ا ع . فقال بعضهم ليس الامر كذلك . وا الحق فيما هنالك وان الا ر لا بد ار
ا ا ٨ ا ا ... ا ا ... ا ا ا ... ١

بماله . مغشوشا من عماله . ياكل رهطه رزقه ويذمونه . ويأتمنهم فيخونونه . ويعطيهم فيبخّلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما يتعمّله . وانه ليودّ السفر ولا يتاح له . ويتمنّى رؤية غير بلاده ولا يدرك امله . فهو يحسد من يمشي في الارض سَبَهْللا . ويغبط من يعتسف الطريق ضَلَلا . فقام بعض النقاد . وقال سمعا يااهل الرشاد . ان اسعد خلق الله راهب لزم كتابه في صومعته . وتفرّغ عن الشغل بعقاره وضيعته . فهو ياكل من ارزاق الناس . ويعوضهم عنه دعآء يطفح من اصمار الكاس . ويغنيهم في الدياجي عن النبراس . ويركب ما لديهم من النجائب . فهو كما قيل آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب الكون او عمر . وان مات الخلق او نُشِر . فقال بعض ذوي الرشاد . ما هذا القول من السداد . فان الراهب وامثاله اذا راى الناس مقبلين على اعمالهم . مشتغلين باشغالهم . لم يرضَ الدنآءة لنفسه ان يعيش من كدّهم . ويستريح على تعبهم وجهدهم . ويتحيّن اوان رفدهم . بل يود لو كان شريكا لهم في اتعابهم . احرى من ان يكون شريكا في مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم الحس . صادق السعي . ضابط الوعي . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسائهم واولادهم لَغَصّات . وحَسَرات واَيّ حسرات . ولا سيما اذا خلا في الصومعة . وراى ان سِمَنه ذاهب سدًى من غير منفعة . وان غيره ممن اضواهم الكدّ والنصب . واجاعهم الجهد والتعب . اقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطلح عليه سائر خلق الله من عجم وعرب . فقال من استصوب مقاله . وارتاح لما قاله . هذا لعمري هو الحق المبين . فان الراهب ومن اشبهه حريّ بان يُعدّ مع الشقيين . وانما يظهر لي ان اسعد الناس عيشا هو التاجر يقعد في حانوته بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المُغلّظة في ساعة واحدة ما ينفقه

في شهره . يجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافقا . والمكروه شائقا . والدون فائقا . ثم هو ان أوى الى منزله ليلا . اصاب في خدمته دعد وليلى . فهو في نهاره كسّاب للمال . وفي ليلته منفقه على رَبّات الحجال . فقال من انتقد كلامه . وتبيّن ذامه . ان التاجر لا تمكن له هذه العيشة الراضيه . ولا تهنؤه هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازبا ذا معاملات في البلاد القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من رغده . وافر تجشمه وكدّه . ونغّص من لذّاته . تعدّدُ بُغْياته . وملأ خاطره اشجانا . ما حاوله ليرضي به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشي على سلعته في البحر . وكلما جَشَر صبحٌ اوجس من ورود قادم يخبره بشر . او مألكة تنبي عن تَلَف وخُسْر . وكَساد وحظر . فهو لا يزال في اعمال نظر . وتجرع اسف وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . اما انا فلا أودّ ان اكون ذا اتّجار . ولو ربحت في كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه الحرفة من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة والنُكر . فضلا عن اقتصاري في الحانوت ربع عمري . ولا علم لي بما يجري في وكري . فلعلّ رقيبًا يخالفني الى داري . وانا اذ ذاك اكذب على الشاري واماري . واجامل وادارى . فيشتد عليّ حبل الاثم بما افعل في متجري . وبكوني صرت وسيلة لارتكاب الحرام في منزلي . وانما اظن ان احق الناس بان يغبط على عيشته . ويبارك له في حرفته ومهنته . انما هو الحارث الذي يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحرثه . فيكسب به صحة بدنه ومؤنة عياله وذلك خير ما يبرّنه . وان زوجه تراوحه على عمله . وترفق به في عُسْره وعَطَله . ان مرض مرضته بنفسها وقامت بامره بعده . وان غاب رعت له ذمة وباتت تنتظر وشك مرجعه . هذا والتعب ...

ويستحلي نيامه . الا ترى ان اولاد ذوي السعي والكدّ . اصح ابدانا واذكى فهما من اولاد ذوي الترفّد والجِدّ . وما ذلك الا لانهم يرقدون عن نُعاس وياكلون عن جوع ويشربون عن ظما . فاجابه اقرب مَنْ وَلِيَهُ . انَّ فيما قلت لَنظرا . فانك لم ترَ الصورة الاّ من جهة واحدة وفاتتك الجهة الاخرى . فلعمري ان الحارث مع كدّ بدنه . اسير همه وشجنه . وضجيع قلقه وحزنه . اذ هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكابر . ان عصفت ريح خشي على ثمره ان يتساقط فيسقط قلبه معه . وان كثر المطر او قل وجل من ان يتلف ما زرعه . وان مات كبير في بلده . اشفق من كساد ما تحت يده . وان يكن ذا بصيرة وحجى . ساءه ما يرى اهله فيه من العُري والوَجى . والذلّ والاستكانة . والابتئاس والمَهانة . وتحسرهم على الطيّب من الماكول . والناعم من الملبوس . وعلى كونه لا يحسن تربية ولده كما يشا . ولا يمكنه رؤية بلد غير الذي فيه نشا . فهو مهده وقبره . وسجنه وجُحْره . ومع ذلك فهو غرض لاغراض امامه في الدين . وعصا يتوكأ عليها من هو فوقه من المثرين . والسائدين والمُسّيطرين . فما يكاد يتخلص من ورطة احدهما الا ويقع في شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا واستقبله شر اكبر . وهو مع اِصْرِه وجهله . لا يجد مُخْلَصًا له ولا لاهله . ولو انه رام ان ينهج لاهله منهجا ارتضاه لنفسه واستصوبه . ولم يك على وفق مرام امامه واميره او آخر ذي مرتبة . لم يامن غَرامة منهما او حسم عَرْتَبة . او قصم رقبة . ولم يلبث ان يرى اصحابه له اعدا . واخدانه ألدا . فهو على هذا رهين الخضوع . واسير القنوع . فقال قرين له . وقد صدق على ما فصّله . نعم ان هذا لهو الحق الواضح . وما بعد الرق ذل فاضح . واني ارى بعد امعان النظر والتروي . والتحقق والتحري . ان اسعد الناس حالا . رجل رزقه الله مالا . واصاب له [illegible] . فجعل دأبه [illegible] في البلاد [illegible] . والمساعدة للكائنات

العجيبة . فهو كل يوم في شان . وله في كل معان . اوطان واخوان . فقال قائل قد استوعب فحوى مقاله . واعتقد ما ذهب اليه انه من فنده وضلاله . لقد زغت قصدا . ولم تقل رشدا . اوليس المتعرض للسفر . بلوعناء وخطر . اذ كثيرا ما يمنيه بامراض شديدة . تغيير الهوآء عليه والاحوال غير المعهودة . واضطراره أن يطعم ما يعافه . ويشرب ما به ادنافه . فيكون آكلا لما ياكل بدنه . ويذهب وسنه . هذه الافرنج تاتي الى بلادنا فينغصهم عدم وجود الخنزير فيها . وخلوها عن السلاحف والارانب وما يضاهيها . اذ يزعمون انهم يخلطون شحم الخنزير ودمه في كل صمة وحسو وحلوآء . ويتخذون من لحم السلاحف مرقا بدشفاء من كل داء . ويعيبون علينا ان لبننا غير ضيح ولا ممذوق . وخبزنا مملوح وطعامنا غير مرعوق . وان ماءنا غير ممزوج بالجير . وخمرنا غير مصبوغة بالعقاقير . وانا نذبح الحيوانات ونجعل ونأكل لحمها غريضا . وهم يخنقونها خنقا وياكلونه دادا ايضا . وان جونا غير ذي دجن . ومطرنا غير دائم الهتن . وان سماءنا غير محلبسة . وارضنا غير مطاة وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشيا المتجسة . وبقولنا غير مسمدة . واثمارنا غير مايخة . وان شتانا لا يدوم ثلثي العام . وصيفنا لا يسمع فيه رعد ذو ارزام . فاذا جاء احدهم الى بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا عشر سنين . ثم رجع وهو فيها من اجهل الجاهلين . احال الذنب على الهوا زاعما انه مني منه بالحمى والجوى . او بالاسهال المفرط . والسعال المتنط . هذا وان من جهل لسان قوم وهو فيهم . لم يمكنه ان يعرف عاداتهم واخلاقهم واستوى عنده ظاهرهم وخافيهم . فيرى عندهم ما يرى دون عام ويسمع ما يسمع من غير فهم . فلم يكن لذي السياحة بد من اتخاذ ترجمان . يعتمد عليه في كل خطب وشان . ولا يلبث ان يسيء به الظن . ويتهمه ان . . .

المنّ . ولو انه حاول ان يستعنى عنه لفاتد معرفة الاحوال . وبات بين القوم ذا وحشة وبلبال . وربما حن الى رؤية اهله . والاجتماع بشمله . فاذنته لحنين . واضناه بَيْنُ الخدين . وانما يطيب السفر ما اذا اتفق نسان مع نِدٍّ له نوِىّ . وصديق نجىّ . وكانا عارفين بلغات كثيرة . وقلوبهما خالية من علاقة الحبّ بالقلب والبصيرة . وهيهات ان يتفق اثنان على ى واحد . وان تتمّ لذة من دون مانع جاهد . وهمّ عاصد . فقال اقل حاضرين رشدا وفضلا . واكثرهم هزلا . ياقوم . انى قائل قولا ولا لوم . ان عد الناس واحظاهم . واترفهم وارضاهم . البغىّ الجميلة التى تفتح بابها اصدها . وتبيع نفسها لمراودها . فانها تغتنم انس زائرها وماله . وتتبلّه بيها حتى يرى ذلّه فيها عِزّا له . ومتى تمكنت من نفر يبذلون لها العَين . كفونها مؤنة الاطيبين . فلا تحتاج بعدها الى البحث عن مراود فى المسالك . تعرّض للمكاره والمهالك . فاذا هى شاخت وجدت مما ادّخرته فى صبائها تنفق منه عن سعة . وما تكفّر به عن سيّئاتها السالفة فتعيش فى . ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصعة . والمعيشة الواسعة . والانسان . ع على النسيان . لا يبالى الّا بما هو كائن لا بما كان . ولا سيما اذا الحاضر يجدى نفعا جزيلا . ويُسْرا مأمولا . وكفى بائمّة الدين اذا منها العطايا الوافرة . والصلات المتواترة . ان ينشروا عليها احسن الثنا . تروها من كل فحش وخنى . فلها منهم على كلّ ماذ صلوات . وعلى دعوة دعوات . فمن مارانى فى ذلك فليسال فرينند . ويكظم ضغينته . اقيم له على ذلك البراهين . ممن غبر وبقى من العالمين . فلما سمعت اعة دعواه . ولحنت مغزاه ضحكوا من عذ بانه . وراوا ان الجواب

[illegible]

فاضربوا عنه صفحا . وقالوا له قبحا لرايك وشقحا . فلوكان اهل سفع على رايك لفسدت الارض . وبار العِرض ولم يبق من الصلاح اثر ولا بَرَض . وانما اللوم على الكاس التى ذهبت بلُبّك . وكشفت عن فساد مذهبك . وقبح اربك . ولعلك تهتدى الى الرشاد اذا افقت من خُمارك . وتبيّن لك فظاعة هترك واستهتارك . فراى ان السكوت له اسلم عاقبة من المحاورة والمجاوبة . والمناقرة والمغاضبة . وان الجمهور يغلب الفرد . وان كانوا على ضلال وكان هو على هُدًى وقصد . فاستحق تفنيدهم . وخشى وعيدهم . وتفرقوا ولم يجمعوا رايهم على اىّ الناس اسعد . واىّ عيش ارغد . اذ رأوا دون كل حرفة نَغصا . ومع كل حالة غُصصا . وفى كل اكلة مَغصا . وقد فاتهم من احوال الناس كثير مما ضاق وقتهم عن ذكره . كما صاق هذا الـ ... الى ما اوردوه وعن حصره . فنقف على هذا القدر الذى ... استشاف قصة مَن غادرته . وعليكم السلام .



الفصل العاشر

السجع المرائي كالرجل من حيث للماني وبعي لي ان لا ابوكا عليه
ان جميع الذين الـ ...سر للاشياء في مذاهبه . او يرى في ورطه لا
... رادت ان كلمه السجع اسوء من كلمه النظم . فانه لا
يسر ... الجديده من الارتباط والمناسبه ما يسر في الفقر
المسجوعه ... الساجع قد دارت ... القافيه عن طريقه الى سلك
... سلعه الى ما لم ... او كان عن ... والغرض هنا
ان يعرل نصا على وجه سايغ لاي قارى كان . ومن احب ان يسمع
... سجعا ... ومرصعا بالاستعارات ... اوان فعليه
... او ... الزمخشري . وقيل ان صاحبها القاريه بعد
... الى ... ذكرناها ... حتى ... من النزاع
... واضحا لطريق احرى من طرق
... ذات للبعد
... لكن لمن اراد
... المعنى

كانت ذابلة مع انها كانت [illegible] بل المقصود ان نقول انها كانت كانها [illegible] ولكن مادة حشف لا تعجبني . فان فيها معاني اليبوسة والخساسة والرداءة وشي اخر تجل الملاح عن ذكره . بل المراد انها كانت تكسر جفنيها عند النظر . ولا الكسر ايضا لائق بها . فلا ادري كيف الحن للقاري ما اردت . ولعل الاوفق ان يقال انها كانت ترمي بسهام عن عينيها . ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها . فان القلب يعلق بهوى الصغيرة الجدّاء . كما يعلق بهوى الكبيرة الوطباء . اذ ليس كل عشق مودّيا الى الدّعارة . فقد عشق الناس الرسوم والاطلال والاثار والاشكال والديار . ومنهم من عشق لرؤيته كفّا مخضّبا او عقيصة شعر او ثوبا او سراويلات او تكة ونحو ذلك . واعرف من احب هرة امراة فكان يلاعبها ويخيّل له الغرام انه ملاعب صاحبتها . وكثيرا ما كانت تنشب فيه اظفارها وتدميه . وهو يستعذب ذلك ويستحليه . اما لاستعذاب العذاب في هوى المحبوب . او لاعتقاده انّ مداعبة النسآء ايضا لا تخلو من خدش وادمآء . فيكون الجرح منهن اصالة او وكالة انما هو شي واحد . وقد سئل احد العشّاق عن [illegible] الوجد منه فقال كنت ارتاح للريح اذا مرّت على نتن مقبلة من صوب المحبوب . هذا وان عشق اهل تلك البلاد اكثره على هذا النمط . اي ان العاشق منهم يكلف باثر من محبوبه كمنديل او زهرة او رسالة وخصوصا بقصّة شعر [illegible] ويضمه ويقبله ويقلبه ويعانقه كما قيل

الشّعر مثل الشّعر داعية الهوى والشّعر مثل الشّعر [illegible]
من غاب عنك فلست تنظره سوى بالشّعر او بالشّعر [illegible]

فان قيل انهم انما عشقوا ذلك طمعا في وصال الحبيب [illegible]

بهذه النعم لا كلفا بها من حب هي هي . فاث ما المانع من ان تعشق الصغرة طمعا في ان نصير كبيرة . ما اضيق العيش لولا فسحة الامل . ورب امل احلى من فيور . وقد علم اهل الدراية أنّ من حرمه الله من الجمال لغاية لا يعلمها الا هو عوّضه عنه زيادة فصاص له بحدّة الفكر والبصيرة وشدة التصوّر والتخيّل ودقة الحَدْس فيكون اسرع الى العشق واكثر حرصا على اهل الجمال . اذ الانسان كلّما بعد عن الشيء المقصود كان بروا به اشد اكبر وبولعه به اشدّ . والمراد من ذلك ... ان ... ان القاري كان يعلم من صغره انه سيعزل عن الجمال . ... كان يعلم ... على عرشهن وان العشق معذور ... الماشي كما ... السائر .

لحما دونه السُمر الرقاق	... الرجا ...
فكيف نعوّضني هذا الطباق	... ... انا لا اذا ...

... او اقول انا عشتهم . وقد تكون عشق الصغر كبيرا كما تكون عشق الكبير ... . فان الصغر لما كان عسر ذي رشد ... عن الاسترسال ... السعادتي ... كان هذا الا ... يقال ... المحرج دون حد . الا ترى ان الصغر اذا اولع ... من ... ... فانه ... فيه ود ... انه ... يكون ... اذا ... الى ... اقوى من كل ما ... الطبع ... ان الكبير ... من معشوقه ... الصغر ... ان تكون حريصا ... اولع ... ان عزه ... ... من ان ... ... الا ... احلا ... ... احرث

والصغير متى ما استرسل استسهل . وبعد فقد نذرت على نفسي ان اكتب كتابا . وان أودعه كل ما راق لخاطري من القول سديدا كان او غير سديد . فاني اعتقدت ان غير السديد عندي قد يكون عند غيري سديدا كما تحقق لدي عكسه . فان شئت فأذعن او لا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف . والحاصل ان الفارياق لبث يعلم سيّدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتردد اليها باغضاء النظر على اصلاح غلطها . بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردها فتاخرت هي في العلم وتقدم هو في الهوس . فمما قال فيها .

بروحي مَن اعلّمه وقلبي   اسير هواه لي يسطو [illegible]
اغار عليه وجدا من حروف   يفوه بها فتلثم [illegible]

والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الهاء الفارقة [illegible] ولا لزادت غيرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا في [illegible] والجنون يخرجان من مخرج واحد كما افاده [illegible] الزواج . وهنا دقيقة وهي ان بعض العذال جمع عذول [illegible] عنده للنساء يستثقل المونث في الغزل والنسيب فيجعله مذكرا [illegible] يضمره . وعليه قول الفارياق اعلّمه . [illegible] شخص . فياليت هذا العرب كان [illegible] والطليانية حتى لا يجد المناسب [illegible] بلادنا القراءة والكتابة فعندي انه [illegible] مطالعة الكتب التي تهذب الاخلاق [illegible] اشتغلت بالعلم كان [illegible]

كما سياتي ذكر ذلك * ولا باس للمتزوّجات بقرآة كتابى هذا وامثاله * لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى الوان الكلام * والظاهر ان اللغة العربية شَرَك للهوى اذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصبّية ما لا يوجد فى غيرها * فمن قرأت مثلا فى شرح المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية ادناها الاستحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم يقوى بالتفكّر فيصير مودّة وهى الميل للمحبوب (اى المحبوبة) * ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الارواح * ثم يقوى فيصير خُلّة وهى تمكّن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر * ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلوّن ولا يداخله تغيّر * ثم يقوى فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (اى المعشوقة) * وانه يقوى فيصير تتيّما وفى هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (اى معشوقته) * ثم يقوى فيصير ولهًا وهو الخروج عن الحدّ حتى لا يدرى ما يقول ولا اين يذهب وحينئذ تعجز الاطباآء عن مداواته * قلت وان من انواعه ايضا الصبابة وهى رقّة الهوى والشوق * والغَرام وهو الحب المستأسِر * والهُيام وهو الجنون من العشق * والجُوَى وهو الهوى الباطن * والشوق وهو نزاع النفس * والتَوَقان وهو بمعناه * والوجد وهو ما يجده المحبّ من هوى المحبوب (اى المحبوبة) * والكَلَف وهو الولوع * والشَغَف وهو اصابة الحبّ الشَغاف اى غلاف القلب او حجابه او حبّته او سُوَيدآءه * والشَعَف وهو ان يغشى الحبّ شَعَفة القلب وهو راسه عند معلّق النياط منه * والشَعَف وهو بمعناه * والتدليه وهو ذهاب الفؤاد عشقا * لم تتمالك ان تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال * بخلاف لغات العجم فانها لا يوجد فيها الّا لفظة

واحدة بمعنى المحبّة يطلقونها على الخالق والمخلوق * وقد يظهر لى ان كثيرا من الصفات المحمودة فى الرجال تكون مذمومة فى النسآء كالكرم مثلا فان كرم الرجل يغطّى جميع عيوبه وهو مذموم فى المراة * وقس على ذلك النُكر والدهآ والاطرا والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمّة الى المراتب السامية والامور الشاقة والاسفار البعيدة والنيّات النائية والمطامع المتعذرة وغير ذلك * والعلّة فى ذلك كون المراة تميل بالطبع الى الشطط ومجاوزة الحدّ * ودليله فى من تميل الى العبادة والنسك فانها لا تقف فى ذلك على أَمَد بل تتمادى فيه حتى تتهوّس وتتخبّل فتدّعى المعجزات والكرامات وتعمد الى الرُؤى والاحلام ويُخيَّل لها انّ ملكا يناجيها * وهاتفا يناغيها * وانها تقيم بدعائها الاموات * وتحيى الرُفات * وربما قتلت اولادها على صِغَر ابتغآء دخولهم الجنة بغير حساب * او ولدت توأمين فادّعت انهما من غير اب * وفى من مالت الى الهوى فانها تترك اباها وامها اللذين ولداها وربّياها وتقبل تجرى فى اثر رجل لا تعرف من صفاته شيا سوى كونه ذكرًا * فكل ما كلفت به المراة كانت فيه اكثر تماديا من الرجل * فكلفهنّ بالقرآة لا ادرى اين يكون مصيره * والحامل لها على هذا الغلو والشطط انما هو معرفتها من نفسها انها اقوى على اللذّات من الرجل * فزيادة اطاقتها لذلك زادت فى تماديها فيه * ومنه سرى فى غيره من الاطوار والشؤون والاحوال الطارئة وفى بعض الغريزية ايضا * وذلك كالكلام والضحك والسَبْى والحركة * وما قلّ منه فيها فى بعض الاحوال فانك تراه زائدا فى البعض الاخر زيادة فوق القياس * ولعل كلامى هذا يسو النسآء اذا سمعن به وهنّ بين الرجال * لكنى اعلم عين اليقين انهن يضحكن له فى اكمامهنّ استحسانا

وتعجبا * حتى كانى بهن يحسبن انى عشت برهة من الدهر امراة حتى امكن لى معرفة سرائرهن ثم مسخنى الله تبارك وتعالى رجلا * او انى علمت ذلبك من هند وسعاد وزينب ومية حين كنت اشبّب بهنّ وانا فتى واكذب عليهنّ بقولى لهن انى حُرمت الكرى * واجريت على نواهنّ عبرا * وانى قد فُتن لبى * وفارقنى قلبى * لا جرم انه لم يفارقنى قط * ولو فارقنى مرة لما رجع الىّ ابدا * لانى طالما ادخلت عليه هموما واحزانا لم تكن لتُهمّ احدا من الناس فى بلادى * اذ كنت احزن لتعصّى معنى من المعانى علىّ واحاول اختراع شى من البديع لم يكن احد سبقنى اليه * ظانّا انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التى يُزهَى بها الكون عصرنا هذا فلم يتهيّا لى فكنت ابيت الليل فى ياس وكرب * معاذ الله لم تكلّمنى وما كلّمت هند وانما عرفت ما عرفت من الاحلام الصادقة اذ كنت ابيت وانا مخلص لله الانابة والقنوت * فان لم يصدّقننى فليبتن لله او ليلبن تائبات قانتات مثلى وانا ضامن لهن انه يهبط عليهن من الاحلام الصادقة ما يوقفهن على امور الرجال *





الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض

فلنرجع الآن الى الفارياق فانه هو ايضا رجع الى حرفته وهى النساخة وان كان ذلك على غير مراده * واتفق اذ ذاك ان فتييّن من امراء ذلك الصقع ارادا ان يقرأا النحو على بعض النحاة وكان الفارياق يحضر الدرس وهو مكبّ على النسخ * وكان احد التلميذين بطيئا عن الفهم سريعا الى الجواب * يتثاءب ويتمطّى * ويَتَغرّض ويَتَحطا * ويتناعس ويتقاعس * ويتفاسأ ويتبعاطس * واذا خُيّل له انه فَهِمَ مسئلة حكّ تحت ابطه * وشمّ رائحتها وكرف ثم تمطّق كما يتمطّق من اقطه * ثم عربد من افتتانه * وسلق مَن وَلِيَه بلسانه * وقال الا قُبحًا لذوى الخواطر البليدة * والفطن البعيدة * كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو * وهو اسهل من حكّ ما تحت الحُقْو * اما والله لو كانت العلوم كلها مثله * لما غادرت منها كبيرا ولا صغيرا الا واستوعبته كله * لكنى سمعت ان النحو انما هو مفتاح للعلوم ولا بدّ منها فلا بدّ وان يكون غيره اصعب منه * فقال له معلمه لا تقل هكذا بل النحو اساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البناء الى الاساس * الا ترى انّ اهل بلادنا لا يتعلّمون سواه ولا يعرّجون على غيره * وعندهم ان من تمكّن منه فقد تمكّن من معرفة خصائص الموجودات كلها * واذلك

لا يولفون الا فيه * وانما يحصل الخلاف بينهم فى تقديم بعض الابواب على بعض * وفى توضيح ما كان مبهما منه بادلّة وشواهد * واختلفوا ايضا فى الشواهد فمن قائل انها مفتعلة ومن قائل انها ضرورة او شاذّة بيد ان المآل واحد * وهو ان العالم لا يسمّى عالما الا اذا كان متمكّنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه * ولا يكاد يستتبّ امر الا به * ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضَرْبُه حقّا ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار * فان حقيقة فعل الضرب متوقفة على علم كون زيد مرفوعا * وجميع اللغات التى ليس فيها علامات الرفع فهى خالية عن الافادة التامة * وانما يفهم بعض الناس بعضا من دون هذه العلامات عن دربة او اتّفاق * فلا معوّل على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلّت * وانى وان كنت قد لقيت منه عَرَق القربة وكثيرا ما بت وبالى مشغول بعُقْلة من عُقَله وبداهية من عراقيله * فكنت آرق ليلى كله ولا اهتدى الى وجه الصواب فيما عوص علىّ من ذلك * الّا انى استفدت منه فائدة عظيمة جعلتنى ممنونا لبنت ابى الاسود الدُؤَلى اَبَد الدهر فانها هى التى كانت سببا فى استنباطه * (قلت وكذا سائر البدائع كان اصل استنباطها مسبَّبًا عن النسآ) فقال له التلميذ ما هذه الفائدة يا استاذى * قال قد طالما كان يخامرنى الريب فى قضية خلود النفس * فكنت اميل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتدآء فهو متناه * فلما رايت النحو له ابتدآء وليس له انتهآء قست النفس عليه فزال عنى والحمد لله ذلك الابهام * ومثله او اكثر منه فى الصعوبة فنّ المعانى والبيان * فقال له التلميذ لم اسمع بذكر ذلك قطّ * قال اما انا فقد سمعت

به واعرف ما يشتمل عليه * وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع * وبيان ذلك مفصّلا * يستفرغ آجالا * وربما قضى الانسان عمره كله فى علم الاستعارات وحدها ثم يموت وهو جاهلها * او يكون قد نسى فى آخر الكتاب او الكتب ما عرفه فى اوله * وذلك انّ من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطانا حتى يمكنه اجبار الناس جميعا على متابعته ومشايعته * بل كان فقيرا فأولع بهذا الشى وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شى الّا وخطر بباله طريقة من طرقه * فاذا نظر الشمس مثلًا طالعةً قال كيف ينبغى ان يفهم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقىّ او مجازىّ وهل المجاز هنا عُرفى او لُغوىّ * وكذا لو راى البقل نابتًا فى زمن الربيع قال كيف تأويل قول القائل انبت الربيع البقل * فهل يصح اسناد ذلك الى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الارض حول الشمس فهو ولا شك مسبّب عنها * ولا ريب ان مدبر الارض انما هو الله عزّ وجلّ * فيكون قوله انبت الربيع البقل مجازا بدرجتين * لانّ الربيع مسبب عن دوران الارض ودوران الارض مسبب عن تقدير البارى تعالى * وكذا قولهم جرت السفينة او البحر * ومن المجاز ما له ايضا ثلث درجات ومنه ما له اربع * ومنه ما تفوق درجاته درج المأذنة * ومن هذا الدرج ما شكله فِرفِىّ ومنه حَلَزونىّ ومنه لولبىّ * ومنه غير ذلك ثم ما زال المستنبط يفكّر فى هذه البدائع حتى ادركه الاجل فمات وبقى عليه اشياء كثيرة لم يحكمها * فقام من بعده مَن أُولع مثله بهذا الفنّ فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة * وطال بمباحثه ويعارضه الى ان قضى نحبه وقد ترك مجالا لغيره * فجاء من

بعده مَن اصلح بينهما فى عدّة مواطن وعاب على كلّ منهما ايضا امورًا * ثم مات ولم يَنهِ ما قصده * فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره * وهكذا بقيت ابواب النقد مفتوحة الى عصرنا هذا * فمن قائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية * ومن قائل انها من الترشيحية * قال بعض العلمآ الاستعارة تنقسم الى مصرّح بها ومكنىّ عنها * والمصرح بها تنقسم الى قطعية واحتمالية * والقطعية تنقسم الى تخييلية وتحقيقية * وتنقسم ثانيا الى اصلية وتبعية * وثالثا الى مجردة ومرشحة * وقال بعضهم وهذه تنقسم ايضا الى عِقيونِيّة ومُكانية ونَبيْصيّة وطَعْطَعية وغُميْسيّة ولَعْلَعيّة وَيلمعية * وعَشْعاسية * والعقيونيّة تنقسم ايضا الى فرقعية وقرقعية ومقامقية * والفرفعية الى جَلَنْجعية وشُنْطُفيّة وعُطْروسيّة ودمْحالية وشينقورية وكِربرية * والقرقعية الى خعخعية وغُهْعخية وعهخغية وكُنْعثجية وكشعطجية * والمُكانية الى مُعويّة وعنترية وصُفرية وعَصلية وبُلكبة وصَفارية وضَغيلية وطَرطبيّة وانفاصية * الى غير ذلك من التنقسم * ويشترط فى خطبة الكتاب ان تكون جامعة لجميع هذه الانواع * وان يراعى فيها وفى الكتاب كله نوع الطباق * مثال ذلك اذا قال القائل فى فقرة طلع * فلا بدّ وان يقول فيها او فى الثانية نزل * واذا قال اكل يقول بعده من غير تراخ تقيأً او — وفى الجملة فينبغى ان تكون الخطبة عويصة ما امكن * وايّة خطبة لم تكن كذلك كانت عنوانا على ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديرا بالمطالعة * فقال له التلميذ وقد امتُقع لونه وهل النحاة ايضا ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم * وهل قرآتى له عليك تغنى عن اعادته عند غيرك هنا * وهل يجب على الطالب فى كل بلد سافر اليه ان يتعلم نحو اهله ام هو علم مرّة واحدة * فقال له الشيخ اما

من المسالة الاولى فاجيب انه ما جرى على السيانيّين فقد جرى ايضا على النحاة * فقد قال الفرآء اموت وفي قلبي شي من حتى * وقد مات سيبويه وبقي في قلبه من فتح همزة ان وكسرها اشيآ * ومات الكسائي وفي صدره من الفآ العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات * ومات اليزيديّ وفي راسه من الواو العاطفة والاستئنافية والقسمية والزائدة والانكارية صداع واي صداع * ومات الزمخشري وفي كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك قروح واي قروح * ومات الاصمعي وفي عنقه من رسم كتابة الهمزة غُدّة * وفي الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمد الطالب استقصاها وجب عليه ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه واجيب عنه * وما قيل من الامثال اعطِ العلمَ كلّك يُعطك جزأه لا لاجل ذلك * واما قولك هل يلزم ان نفسر النحو ايضا على غيرى هنا اى في بلادنا فذلك غير لازم * فان اهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذى نطالعه انت * بل قلّ من يطالعه ويفهمه او يعمل ببعض قواعده * واما عن سوالك الثالث فاقول انه لا ينبغي اعادة هذا العلم في كل بلد ولكنك حيثما سرت واين توجهت وجدت اناسا ينتقدون عليك كلامك * فان عثرت بالواو مثلا قالوا الافصح هنا الفآء * او بالفآء قالوا الاولى ام * وفي بعض البلاد اذا علم انك تسقط بآء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس * فقد قرات في بعض كتب الادب ان بعض العلماء عاد صديقا له في حال مرضه فراى عنده كرّاسة قد

كتب فيها لفظة قائل بنقطتين تحت اليآء فرجع في الحال على عقبه وقال لمن سار معه لقد اضعنا خطواتنا في زيارته * وهذا هو سبب قلّة التاليف في عصرنا * فان المولّف والحالة هذه يعرّض نفسه للطعن والقدح والبلآء * ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحِكَم * الّا اذا كان مشتملا على جميع المحسّنات البديعية والدقائق اللغوية * ومَثَلُ ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل شماطيط * فالناس لا تنظر الى ادبه الباطني بل الى بزّته وزيّه * والحمد لله على قلة المولفين اليوم في بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقدهم وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والمشاحنه بينهم * وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فِقَر مسجّعة في رسائل ونحوها كقولك السلام والاكرام * والسنّية والبهية * فاخفّه ما كان ساكنا * فاما الشعر في عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم والشجاعة او وصف امراة بكون خصرها نحيلا * وردفها ثقيلا * وطرفها كحيلا * ومن تعمّد قصيدة جعل جلّ ابياتها غزلًا ونسيبا وعتابا وشكوى وترك الباقي للمدح * ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرا على شيخه الاديب في النحو حتى وصل الى باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا * وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل اذا كان مرفوعا كان الذي عمل فيه الرفع آخر * والحال انه هو العامل * وبيانه انّا نرى الفاعل في البنآء يرفع الحجر ونحوه على كتفه فالحجر هو المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل الـ......... فانه هو الذي يرفع الساق * فقال له المعلم مه مه

لقد احسنت فكان ينبغى لك التأدب فى مجلس العلم فانه غير مجلس الامارة * ثم ختم التلميذان قراءة الكتاب ولم يستفيدا شيا وكانّ الشرح كله كان موجّها الى الفارياق * ومذ ذلك الوقت اخذ فى تجويد عبارته بمقتضى القواعد النحوية *

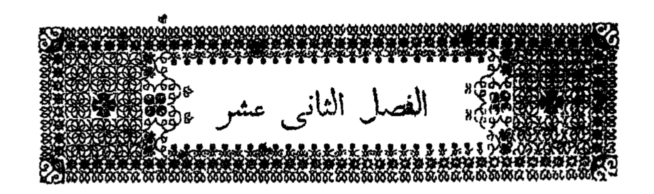
فصار يهوّل بها على رعاع الناس

كما يظهر فى

الفصل

الآتى *





الفصل الثاني عشر

في اكلة وأُكال *

لا بدّ لي من ان اطيل الكلام في هذا الفصل امتحانا لصبر القارى * فان اتى على اخره دفعة واحدة من غير ان تحترق اسنانه غيظا * او تصطك رجلاه غيرة وحميّة * او ينزوى ما بين عينيه أُنفةً وحشمة * او تنتفخ اوداجه وُغْرا ووَجا * افردتُ له فصلاً على حدته مدحا فيه وعددته من القرّاء الصابرين * ولكون الفارياق في هذا الوقت قد طال لسانه وان يكن فكره قد بقي قصيرا ورأسه صغيرا ناقصا من عند قُمَحْدُوته * وقد نذرت على نفسي ان امشي وراءه خطوة خطوة واحاكيه في سيرته * فان رايت منه حمقة جئت بمثلها * او غواية غويت مثله * او رشدا قابلته بنظيره * والا فاني اكون خصمه لا كاتب سيرته او ناقل كلامه * وينبغي ان يعلّق هذا الحكم في اعناق جميع المولفين * ولكن هيهات فاني ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجّة * اذ المولف منهم بينا هو يذكر مصيبة احد من العباد في عقله او امرأته او ماله اذا به تكلّف لايراد الفِقر المسجّعة والعبارات المرصعة وحشّى فصّته بجميع ضروب الاستعارات والكنايات * وتشاغل عن همّ صاحبه بما يدل على انه غير مكترث به * فترى المُصابَ يسحب ويدلول ويسكو وينطلم * والمولف يسجّع ويجنّس ويرصّع

ويورّى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعانى البعيدة * فيمدّ يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم * ويحاول انزالها من اوج سمائها الى سافل قوله * ومرة يقتحم البحار * واخرى يقتطف الازهار * ويطفر فى الحدائق والغياض من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة * ما ذلك دابى فانى اذا اوردت كلاما عن احمق انقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة * واذا نقلت عن امير تادبت معه فى النقل ما امكن فكانى جالس بمجلسه * او عن قسّيس مثلا او مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختلّ * لئلّا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تاليف هذا الكتاب * فاعلم اذا ان الفارياق بعد ان فار دماغه بحرارة النحو زيادة على ما كان له من الرغبة فى النظم سار ذات يوم لقضآء مصلحة له * فمرّ فى طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مسآء * فراى ان يبيت ليلته تلك فى الدير فعرج عليه وطرق الباب فبرز له رويهب * فقال له الفارياق هل من مبيت عندكم لضيف * فقال له الرويهب * اهلًا به ان لم يكن ذا سيف * ففرح الفارياق بهذا الجواب وعجب من انه يوجد فى الدير من يحسن المساجلة * وانما قال له الرويهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من اتباع الامير ليبيتوا فيه من كلّ سِرْطِمٍ قَهْقَمّ لَهِم بَهِم وَجِم وَخِم هَفِم يُسمَع له هَيْقَم * فكان احدهم اذا بات ثمّ ليلة يكلّف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه * لان هؤلآء الحلق يعيشون عيشة المتقشفين المقترين المتبلّغين بادنى القوت * اذ هم ينظرون الى الدنيا والى لذاتها نظر العدو * فهى عندهم ضرّة الآخرة * كلما تباعد عنها الانسان المحلوف فيها تقرّب الى الجنة * حتى ان الخبز الذى كثيرا ما ياكلونه بغير إدام ليس كخبز الناس * فانهم بعد ان يخبزوه رغفانا يشمّسونه ايّاما متوالية حتى يجفّ وييبس * بحيث يمكن للانسان اذا

اخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب احدهما بالآخر ان يخيف بقرقعتهما جميع جرذان الدير * او ان يتخذهما متخذ الناقوس الذى يُضرب به لاوقات الصلوة * ولا يقدرون على اكله الا منقوعا بالماء حتى يعود عجينا * فاما تقلّد تابع الامير بالسيف فانما هو تهويل وانذار بنكال المتهاون به * كتهويل الفارياق على الرويهب بسواله * ومن لم يكن له سيف استعار سيف صاحبه او اتخذ له خشبة رقيقة فى غمد سيف * وليس فى استعارة الماعون وغيره عند اهل الجبل من عار بل كثيرا ما يستعيرون حليّا ومِعْرصا للعروس يزفونها به وللرجل ثيابا وعمامة يزينونه بها * ثم انه لما حان وقت العشاء جاء ذلك الرويهب بصحفة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلثة أُصَنْج من ذلك الخبز وجعلها بين يدى الفارياق * فجلس للعشآ وتناول رغيفا ودقّه بالاخر حتى انكسر * فلما التقم اول لقمة نشبت شَظِيّة من الخبز فى سنّه وكادت ان تذهب بها * فجعل يسندها ويسدّ مواضع الخلل منها بالعدس * ولم يكد يتم العشآ حتى اشتدت حرارة العدس فى بدنه فجعل يحكّ باظفاره وببعض قصد الرغيف حتى تهشّم جلده * فساءه ذلك جدا وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنّى فلاقلعنّ سنّا من اسنان هذا الدير * ثم انه اعمل فكره فى نظم بيتين فى العدس تشفّيا مما ناله منه جريا على عادة الشعراء من انهم يتشفّون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر والشقاوة والضرّ * فالتبست عليه لفظة فقام فى طلب القاموس * فطرق باب جاره وكان من المتحمّسين فى الدين * فقال له هل عندك ياسيدى القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران فما حاجتك به الان * فطرق باب آخر وكان اشدّ منه حمسه * فقال له هل لك فى ان تعيرنى القاموس ساعة قال اصبر علىّ الى نصف الليل فان الكابوس لا ياتينى الا

فى هذا الوقت * فمضى الى غيره واعاد عليه السؤال * فقال له اى شى هو هذا القاموص ياماغوص * فرجع الى صومعته وقال * لا بدّ من نظم البيتين وساترك محلًّا فارغا للّفظة فقال *

اكلتُ العدس فى دير مساءً   فبتُّ وبى أُكال لا يطاقُ
فلولا اننى اعملتُ ظفرى   لقال الناس — الفارياقُ

فلما كان نصف الليل والفارياق نائم اذا باحد الرهبان يقرع عليه الباب * فظن انه اتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجدان ضالته * فقال له الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتبعنى * فتذكر عند ذلك ما قاله له جاره من ان الكابوس لا ياتيه الا فى نصف الليل * فقال فى نفسه لقد صدق الرجل فان هذا الداعى اشدّ على النائم من الكابوس * قبحًا لها من ليلة شؤمى لقد كاد الخبز يقلع سنّى والعدس منانى بالحكّة * وما كدت الان اغفى حتى اتانى هذا القارع الاقرع النحس يدعونى الى الصلوة * اكان ابى راهبا وامّى راهبة ام وجب علىّ الشكر والصلوة من اجل اكلة عدس * ولكن ساصبر الى الصباح * فلما كان الغد جاءه ذلك الرويهب ليساله عن حاله اذ كان قد دخل الدير مذ عهد غير بعيد فكان فيه بقيّة رقة ولطف * فقال له الفارياق سألتك بالله ان تجلس عندى قليلا * فلما جلس قال له قل لى فديتك افى كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويهب وظنّ به سوءًا ثم قال اىّ فعل تعنى * قال اكلكم العدس مساءً وقيامكم فى نصف الليل للصلوة * قال نعم ذلك دأبنا فى كلّ يوم * قال ما الذى اوجبه عليكم * قال التعبّد لله والتقرب اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهمه ان كان الانسان ياكل عدسا او لحما * ولم يامر بذلك فى كتبه * اذ ليس ...

مصلحة لنفس الآكل او للماكول * قال هذا دأب النسّاك العُبّاد اذ التقشف في المعيشة ونهك الجسم بالرديّ من الطعام وبقلة النوم ينفي الشهوات * قال لا بل هو مناف لما شآءه الله * اذ لو شآء ان ينهك بدنك ويخليه من الشهوات لخلقك ضاويا دَنِفا * ما قولك في من خلقه الله جميلا * ايجوز له ان يشوّه وجهه بان يبخق عينه او يخرم انفه او يشرم شفته او يقلع اسنانه كما اردتم قلع اسناني البارحة بخبزكم هذا اليابس * او ان يسخّم سحنته * قال في ظني انه لا يجوز * قال اليس البدن كلّه على قياس الوجه * لعمري ما خلق الله الساعد الفعم الا وهو يريد بقآءه فعما * ولا الساق المجدولة الّا وشآء لها ان تكون كذلك دائما * ولا حلّل الطيّبات من المآكل للناس الا وهو يريد ان ياكلوها هنيًا مريئًا * نعم قد حرّم هذه الطيّبات بعض الاديان المشططة * غير ان دين النصارى يحللها * وانما جآء التحريم من بعض شهارب طعنوا في السنّ فلم يكن بهم قَطَم الى اللحم ولا الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لا ادري وانما سمعت علمآنا يقولون ذلك فقلّدتهم * واني اقول لك الحقّ اني مللت من هذه العيشة * فاني ارى جسمي كل يوم في ذبول ونفسي في انقباض * ولو كنت عرفت من قبل ما اصير اليه لما سلكت هذه الطريقة * غير ان ابي وامي فقيران وخشيا ان اكون من ذوي البطالة والتعطّل * اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان ان يتعلّمها ويعيش منها فزيّنا لي الرهبانية * وقالا لي اذا واظبت على الطريقة في الدير بضع سنين فربما ترتقي الى رتبة عالية فتنفع نفسك وايانا * وما زالا بي حتى اجبتهما ولو لم اجبهما طوعا لاكرهاني على ذلك * فقال له الفارياق نعم ان الرهبانية هي ملجا من البطالة فكل من كان عطلا عن علم او صنعة يقصدها * الا انك ما زلت مثلي حدثا فيمكن

لك ان تقصد احدا من اهل الخير والشفقة فيدلّك على ما ينفعك * والله تعالى خلق الاشداق * وتكفّل لها بالارزاق * وقد جعل فى الحركة بركة * هذا وانت تعلم ان الرهبانية مشتقة من الرهبة وهى خوف الله تعالى * فاذا تعاطيت حرفةً وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت الله فانت ح راهب * ليست الرهبانية باكل العدس والخبز اليابس * اليس ان رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحقد ما لا يوجد عند غيرهم * فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخضاعهم له * وهم لا يزالون مدمدمين عليه شاكين منه * وبينه وبين روساء الاديار الاخرى من الحسد والمنافسة ما بين وزراء الدول * واكثرهم ينال الرئاسة بالتملق للامير الحاكم او للبطرك * فاذا احس بوشك انقضاء مدته وخشى العزل رايته يجود بالهدايا والتحف لذوى الامر والنهى بما لا يجود به اكرم اهل بلادنا * وذلك حتى يقرّوه على رئاسته * وهولاء الرهبان المُكرَهون على التبلّغ بالعدس وعلى التنحس اذا دعاهم احد لمادبة سمعت لاستراطهم دويّا * فيلفلفون ويلعمظون ويلتمظون ويتكظكظون ويشتفّون حتى تجحظ عيونهم * واضرّ ما يكون علىّ منهم انك لا تكاد تسلّم على احد منهم الا ويمدّ لك يده لتبوسها * وربما كانت نجسة قذرة * فكيف الثم يد من هو اجهل منى ولا غناء عنده فى شى * انظر كم عندنا فى بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان * ولم أرَ احدا منهم نبغ فى علم ولا من أُثِرت عنه مكرمة * بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان فى عقله وعرضه * قدكنت فى خدمة بعيربعر مدة فرايت احد حولاء الكارزين قد تمكن من ابنته تمكن الزوج من امراته * فكان يقول لها فيما يسالها عنه هل تجمجم اَلبناك ويترجرج ندياك * فما للراهب يلترّد

كلايا النسوان ورجرجة الدلاّنهن * وآخر كان رئيسا فى دير فعلق بنتا فى قرية بالقرب من الدير فلم تلبث ان علقت منه * غير انه لمّا كان اخوه وجيها عند الحاكم خاف ابو البنت من ان يخاصمه ويفضحه * بل قد تقرر فى عقول الجهلآء من اهل بلادنا ان افشآء امرٍ مثل هذا مما يفتضح به عرض احد هولآء النسّاك حرام * ايم الله ان الستر عليه حرام فان فضيحته تردع غيره * واعرف آخر جآء الى قريتنا متماوتا وقد طوّل كمّيه واسبل قلنسوته حتى لم يكد يظهر من تحتها الّا فمه ولحيته تظاهرًا بالصلاح والتقوى * ثم انزل نفسه منزلة خطيب فى القوم * فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت جهير * وكان يبكى عند ذلك اشد البكآ ويذرف المدامع اذ كان جعل فى منديله الذى يمسح به وجهه شيا ذا حُرْتة لا ادرى ما هو * ثم آل امره الى انه كان يقضى ايّاما وليالى مع ارملة حسنآ شابّة من نسآء الامرآ فى خلوة استذراعًا بانها تعترف له اعترافا عامّا * اى من يوم انتفخ ثدياها ونبت شعرها الى ذلك اليوم * واعرف آخر كان قد ذهب الى رومية وكان مغفّلا فكان ينام فى فراشه بثيابه الرهبانية على طريقته فى الدير ويوسخ المُلآة * فكان صاحب المنزل ينهاه عن ذلك * ثم لما راى ان جميع قسيسى رومية واعيان ائمتها من البابا الى الكردينال الى الراهب ينامون عريانين لا شى بستر سَوْأتهم غير مُلآء الكتّان الرفيع كفر بهم وصار يستحلّ الحلال والحرام معا * وانظر الى هولآ العُبّاد من العاد فانك لا ترى فيهم الا خسيسا منافقا * او جاهلا ماثقا * وندر وجود الصالح بينهم * اما العلم فهو محرّم عليهم كلّهم * لا باس فى الرّهبانية تطوّعا لا باس انما هى طريقة محمودة * ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة * وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف * يشتغلون بالعلم ويتهذب املآء اخوانهم

ومعارفهم * ويحضّون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة * ويؤلفون الكتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المؤدّية الى الخير والفلاح والفوز والنجاح * لا مثل هولآء الجهال الذين لا يعرفون شيئا من الدنيا سوى التقشّف والرّنانة * وناهيك دليلا على جهلهم انى سالت اشدهم تحمّسا ان يعيرنى القاموس فظنّه الجاموس * واخر ظنه الكابوس * واخر القاموص * فبادر ياصاح وتخلّص منهم هداك الله والّا فتكون لا من اهل الدنيا ولا من اهل الآخرة * فان دين الجاهل عند الله ليس بشي * واذا بلغت الستين سنة فها هى الرهبانية بين يديك * فقال له كيف التخلّص * قال أَلَك فى الدير متاع فاساعدك على حمله * قال ما لى سوى ما تراه علىّ * قال فامضِ بنا اذًا فان الرهبان الان عاكفون على الصلوة * فخرجا من باب الدير ولم يعلم بهما احد * فلما بعدا قليلا هنأ الفارياق صاحبه بخروجه من ربقة الجهل وقال له * لعمرى لو كنت كلّما اكلت اكلة عدس خلّصت راهبا او رُوَيهبا او بالحرى راهبة اورُوَيهبة لوددت ان لا آكل الدهر غيره وان اَكل بدنى * فجزى الله الدير خيرا *





الفصل الثالث عشر

في مقامة

او مقامة في الفصل الثالث عشر

قد مضت عليّ برهة من الدهر من غير ان اتكلف السجع والتجنيس واحسبني نسيت ذلك * فلا بدّ من ان اختبر قريحتي في هذا الفصل فانه اولى به من غيره * اذ هو اكثر من الثاني عشر واقل من الرابع عشر * وهكذا افعل في كل فصل يُوسَم بهذا العدد حتى افرغ من كتبي الاربعة * فتكون جملة المقامات فيما اظن اربعا * فاقول

حدّث الهارس بن هشام قال ارقت في ليلة خافية الكوكب * بادية الهَيْدَب * طويلة الذنب * مَلْأَى من الكُرَب * الى الكرَب * فجعلت انام على ظهري مرة وعلى جنبي اخرى * واتصوّر شخصا ناعسا امامي يتثآب وآخر ينخر نخرا * وآخر يتهوّم سكرا * فان التصوّر فيما قالوا يبعث على فعل ما ترغب النفس فيه * وينشط الى ما تصبو اليه وتشتهيه * ومع ذلك فما اكتحلت غُمضا * ولا فتح فمي تثاؤب طولا ولا عرضا * وكان يُخيَّل لي ان اهل الارض كلهم رقود وانا وحدي من بينهم أرِق * وان جميع جيراني في سكون وانا دونهم قَلِق * فقمت الى الشراب فحسوته منه حسوة * فلم تك الا غفوة * كانّما كانت هفوة * فافقت في اسوأ حال * وشرّ بلبال * والهموم قد انثالت عليّ من كل حادب * والافكار متطايرة على كل مَقارب ومجانب * فكان يخطر ببالي

بكل [illegible] ومحال * ويعاودني ما كنت فكرت فيه من الاحوال * مرة منذ [illegible] علمت ان النوم قد ندّ عني وان [illegible] * وانه لا بد من ترقب الفجر ان اذعنت وان قاومت * مددت يدي الى كتاب [illegible] فيه * وقلت ان لم يُنمني فينبّهني ببعض معانيه * فتناولت اقرب ما وصلت اليه يدي * وانا غير موثر احد الكتب على غيره في خَلَدي * واذا به كتاب موازنة الحالتين * ومرازنة الآلتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل الكامل * ابي رُشْد نُهْبة بن حزم * المشهور بالبلاغة في النثر والنظم * وهو كتاب لم يسبقه اليه احد من المولفين * ولم يجاره فيه كاتب من المجلّين * فقد وازن فيه بين حالتي بؤس المرء ونعيمه * ورُوحه وهمومه * ومنافعه ومضارّه * واحزانه ومسارّه * منذ كونه طفلا * الى ان يصير كهلا * ثم شيخا فحلا * وقد جعل ذلك في جدولين متقابلين * واسلوبين متفاصلين * الا انه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع في اعلى [illegible] مقامه وقدره * على ما يظهر لي ذا عيشة راضية * وسعادة وافية * وهمة ماضية * رجّح طرف اللذات على غيرها * واستقلّ شرّ الحيوة بالنسبة الى خيرها * حتى انه زعم ان اللذة تكون عن الفعل والتصوّر معا * بخلاف الالم فان الفكر لا يقع منه موقعا * وانه كان اذا استثقل خَوْدا يداعبها وتداعبه * هزّته نشوة طرب مال بها سريره ومركبه * وكلكله ومنكبه * بيد اني ارتبت في كلامه في هذا المحلّ * وقلت سبحان الله لا بدّ لكل مولّف من هفوة وان جلّ * وذلك اني لما تصورت الشخص المنهوم * والناعس والمتثائب وانا سائم * لم يُغْنني التصوّر عن الفعل نقيرا * ولا وجدت فيه لذة لا قليلا ولا كثيرا * على اني اذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين * من ان لذة النوم لا تكون قبله ولا معه ولا بعده للنائم * وهي عنده للطائفين *

لا يمكنهم حلّها بلسانهم وافكارهم * ولا باسنانهم واظفارهم * غير ان عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير * وتربك في تحرّي احد القولين كل نحرير * فلما اطلقت النظر فيهما وعاد اليّ كليلا * واعملت حدّ النقد ورجع مفلولا * عزمت على ان استجلي هذا الاشكال * من بعض ذوي الدراية والجدال * فقلت في نفسي كما ان يدي نالت ادنى الاسفار * كذلك يكون مراوحي عليه ادنى الجار * وكان يسكن بالقرب مني مطران يطريْ قومه على حِلْيته * ويُعْظِمون فضله وادبه على طول لحيته * فقصدته صحوة النهار * باديَ الاستبشار * فرايته ذا بِكّلة تروق * وبِزّة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتني في هذه القضية * ولك الاجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرّك راسه * وجعل يرمش ثم يشكو نُعاسه * وقال لي ما ترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الى السجع همّته * ما لحنت مغزاهما * ولا دريت فحواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة * كان ذلك عليّ اسهل من الجلوس على هذه الاريكة * فقلت قد اخّره في العلم والثُّقْف * تقدمه في الصف * ونقص من عقله وفهمه ما زاد في لحيته وكمه * فلاستعلمنّ بعده اكثر الناس حمقا وهَوَجا * وما ذلك الا معلم الصبيان الهجا * وكان في البلد مَنِ اتّصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك ذو كبر وعجرفة * فقصدت محلّه * والقيت عليه المسئله * فاذا به قام يصفّق بيديه * ويرارئ بعينيه * ويقول لقد سقطت على الخبير * واهتديت براي بصير * ان شئت ان تعرف ايّ القولين ارجح * واصدق واصح * فَزِنِ الجدولين دون جلد الكتاب في ميزان * فما رجح منهما فهو الراجح ما اختلف في ذا اثنان * فقمت من عنده غضبان نادما * ولعنت الارق الذي كان السبب في ان اكون لمعلمي الصبيان مكالما * بعد ان

قرات في غير كتاب * وسمعت من ذوى الالباب * انهم اسخف خلق الله عقلا * واكثرهم جهلا * وابعدهم عن الفهم * واسفههم الى الوهم * فسرت فى ذلك اليوم * الى فقيه من جلّة القوم * قد كبّر عمامته وكوّرها * ووسّع جبّته وزوّرها * فقلت افتنى ايها الفاصل الاحذق * اى القولين عندك احقّ واصدق * فقال امّا اذ جئتنى مستفتيا * ورمت ان تكون برأيى مستهديا * وبطريقتى مقتديا * فانى اقول لك بعد التروّى * في هذا المذهب المنحوّى * انّا معاشرَ الفقهآ من اهل الكلام * القائمين باحكام الاَحكام * وتبيين المتشابه بين الانام * وانّ من دأبنا اظهارًا للحق ان نسهب في التعليل * ونكثر من قال وقيل * اذ لا بدّ من انتشآء عرف الصواب * من الاسهاب * ومن الاهتدآء الى بعض المذاهب * بفرض المستحيل وجعل المعدوم كالموجود الواجب * فعندى انه لا بدّ من عدّ الفاظ القولين * واحصآء حروف الجدولين * فما كان منهما اكثر حروفا * فهو ارجح واحسن تاليفا * والله اعلم * فقصلت من عند الفقيه * كما فصلت من عند صاحبه السفيه * وقلت انما اللوم على مستفتيه * ثم قصدت شاعرا كنت اعهده يتلهوق ويتسندق * ويتفصّح ويتمدّح * ويتبجّح ويترنّح * وقلت له هاك ما تحرز عليه اجرا * وتكسبك بين الناس فخرا * فأين لي اىّ الاهلوبين أبدع * وبالحق أصدع * قال اما انا فما لي من حلاوة في الدنيا ولا نصيب * غير المدح والنسيب * ففى الاول عيشى * وفى الثانى لذّتى * فاصبر علىّ ريثما اطالع ديوانى كله * وانصفحه جملة * فان وجدت المديح فيه اكثر من الغزل * كان الحمد في الدنيا اول * والحمد لصاحبه الفقيه والمعلّم * وقلت كم من متكلم مُتكلِّم * ثم سرت الى كاتب الامير * وكان مشهودا له بالتحرّى والتحرير * فابنت عليه ذاك السوال طردا *

وقلت لم يكن هيرك في ذا مجزئا * فقال انّ سعادتني في الكون هي ان ارضي عن اميري ويرضي عنيْ * وشقاوتي هي ان اغضب منه ويغضب مني * وقد نسيت كل ما جرى عليّ من الغضب والرضي * لكثرة المشاده والمقتضي * فان صبرت عليّ في المستانف شهرا * لاقيّد في دفتري ما القاه منه حلوا ومرّا * ونفعا وضُرّا * افدتك الجواب فاقبل عذرا * فصيّرته رابع الثلثة * وقلت لاستشيرن ذا حداثه * فان اهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بالبابهم * فلم يبقَ فيهم خير لقارع بابهم * فجئت الفارياق وهو مكبّ على النسخ * وفي طلعته مبادئ المسخ * فقد رايت عينيه غائرتين * ويديه ذاويتين * وعظم خديه ناتئا * وجلده كالظل زائنا * حتى رثيت لحالته * وكدت امسك عن الكلام اشفاقا من بطالته * لكنه لما رآني قام اليّ * ثم اقبل عليّ * وقال هل من خدمة اقتضت سَعْيي * اونجوي اوجبت وعيي * فقلت قد اقدمني كذا وكذا * فاكفني ذل السؤال كُفيتَ الاذى * فاخذ رقعة من تحت اسمال * وكتب فيها في الحال *

انيئني مستفتيا في امرِ	يعلمه كل امرئ ذي حِجْرِ
الخيرَ ان قابلته بالشرّ	في العمر كان قطرةً من بحر
الا ترى الاَجْرب كيف تُسْري	عَدْواه في جميع اهل المصر
وليس من ذي صحّة ويُسْر	عدوى لمن داناه طول العمر
والطفل اذ يُثغر كم من ضُرّ	يَلْقَى ويُلْقَى عنده في قبر
وعند اِشعار ونبت ظُفرِ	ليس له من لذّة وسُرّ
وكلّ عضو لقبول الكسر	اقرب منه لقبول الجبر

وما فساده سريعا يُزرى | كالعين لن تصالحه في دهر
ونعى طفل لابيه يفرى | فؤاده وكلّ مسلم يبرى
وليس في مولده من بشر | نهدٍ لحزن موته كالاصرّ
وما تكون لذة من فكر | اذا تحققتَ ولا عن ذِكر
وانما ذا هَوَس قد يجرى | في خاطر المغفّل المغترّ
فهل تصوّر الشفآء يبرى | ذا مرض أمرض منذ شهر
وهل لمس يبرود وقت القُرّ | دِفْءٌ بتذكارَ اوان الحرّ
فليس دُنيانا لاهل الخِبْر | سوى بلآء دائم وخُسْر
يُولَد فيها العبد غيرَ حُرّ | وهكذا يموت رغما فادرِ

قال فلما اخذت الرقعة وتاملت فيها * وتحققت معانيها * علمت ان قوله هو الاسدّ * وان قول غيره هذيان وفَنَد * فقلت له بورك في زمن جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشدك وفضلك * وقبحا لاهل النَرا * اذ لم يُجلّوك ارفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعيا * ولما فاله واعيا *





الفصل الرابع عشر

فى سرّ

***

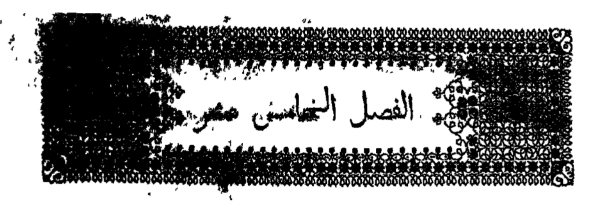
هجع هجع الحمد لله * الحمد لله * قد تخلصت من اسآء هذه المقامة ومن زمنها ايضا فانها كانت باهظة * ولم يبق لى همّ منها سوى حث القارئ على مطالعتها * وهى وان تكن حسنة غير مهلهلة كسجع الحريرى الا انها تُلبس على علاّتها * وتحمد لافاداتها * وفى ظنى ان الثانية تكون احسن منها * والثالثة احسن من الثانية * والرابعة احسن من الثالثة * والخمس احسن من التاسعة والاربعين * لا تخف من هذا التهويل والتوهيل لا تخف * انما هى اربع لا غير كما وعدتك * والآن ينبغى ان اعصر يافوخى لاستقطر منه افكارا ومعانى حسنة والفاظا رائقة مع تجنب الثرثرة * فان العلمآء يسمون ذلك فيما اظنّ احلاً * ولكن قف هنا حتى اسألهم * ماذا يسمّون الكلام الذى يدفق بالمعانى ويبلّ قارئه حتى آسكم به * فان لم يسمّوه لى حالا فلا يلوموني على تسمية * فانى انا من الموجود ودأبى ان ابحث عنه لا عن المعدوم * ولما كان اسم الاحلاً موجودا ونقيضه معدوما ناسب ان اعدل النية عن شرّه * الى ان يتواطئوا على اسم ولكن لا بالحماق والسفاوس * والسعار والهاوس * وبالحلاد والجدال * وبالماسك بالجوب والادبال * بل بالرزانة والوقار * والاوَن والاستصار * فان الرزين

اذا وضع اسمًا لشي جآء ذلك الاسم رزينا مثله * فلا يمكن بعدُ انتقاله الى آخر * بل ربّما وقّرُ بالاسم المسمّى وان يكن مما اتصف بالخفّة والطيش * الا ترى ان كلام الشاعر الرفيق ياتى رفيقا * وكلام الصبيم ياتى صميما * كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام * وشعر المرأة ياتى خالبا للعقول لاعبا بالالباب مثلها * ويستثنى من هذه القاعدة وضع الولد من قبل ابيه اى مادة توزيغ الولد * لا ان الاب يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون قبيحا وياتى ولده صبيحا * وسببه ان الايلاد لما كان من الافعال التى لاتتمّ الا بمشاركة اثنين اعنى رجلا وامراة اذ التغليب هنا لا يخلو ايضا من الابهام * لم يكن للوالد مطلق التصرف فى تهيئته ولده كما شآء * فقد يكون هو عند ذلك مقدّرا له شكلا ارتضاه وتكون امّه حرسها الله مقدّرة له شكلا آخر بحسبما استحسنته وخلج صدرها اذ ذاك * فياتى الولد خنفشاريّا * لا يقال ان الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة لذهوله بشاغل المادة * فان ذلك لا يصدق على من أَلِفَ شيا واحدا بخصوصه * فان طول الفة الانسان لشى تعدّل هواه فيه * فيباسره برشد وروبّة * فمَثَله كمَثَل الطبّاخ الشبعان يطبخ خصص الطعام باتقان واحكام بخلاف الجائع فانه يلهوج عمله ويلهوفه * واعلم اذا بعد هذا الاستطراد البديع * والعطال المُجمع * ان الفارياق ذهب ذات يوم الى بعض القسيسين ليعترف له بما فعل وفكر * وقال من المنكر * فقال له القسيس فيما ساله به * قد سمعت عنك انك كلف بالطم وبالالحان وهما من اعظم اسباب الفساد والغرام * فهل سوّل لك الخناس ان تتغزل فى الشعر بامراة قاعدة النهد * موردة الخدّ * ... الكحل * مرتجة الكفل * نحيلة الخصر * مفلّجة الثغر * عبلة الساق * ...

الساعدين * سوداء الشعر والحلمتين * نجلاء العينين * مخضبة الكفين * رقيقة الشفتين * مزججة الحاجبين * مدورة السرة * ذات عكن مفترة * حلوة الابتسام * مهفهفة القوام * لها رضاب عذب * ونكهة كسكر الصت * قال قد فعلت ذلك لكنى إن اراك الا حريفى فى هذه الصنعة * فقد رايتك تحسن وصف الحسان اى احسان * قال ليست حرفتى تلفيق الكلام * وانما هو شئ عرفته بالقياس والالهام * فان كل من تعاطى النظم يملأ دماغه بهذا الوصف المحرم * وكيف كان فلا بد من ان تحرق غزلك كله * بالتفصيل والجملة * فانه يبعث الاغرار على المعاصى * فتجزى به يوم يؤخذ بالنواصى * وتعز التفاصى * قال كيف احرق فى ساعة واحدة ما سهرت فيه ليالى متعددة حرمت فيها من الكرى * وكابدت بها جهدا ولا جهد السُرَى * او السُرَى * فكنت اذا نظمت البيت من القصيدة يخيل الى انى قطعت مرحلة الى محل المتغزل بها * وعند تمام القصيدة اتصور انى وصلت اليها ولم يبق بينى وبينها سوى فتح الباب * فكان الختام عندى افتتاحا خلافا لجميع الشعراء * ولذلك لم اكن اقصد القصائد الطويلة خشية أن تطول على المسافة بطولها * فهل من الراى السديد ان يحبط عملى كله من اجل الاغرار * وبعد فانى لا اريد انهم يقراون كلامى * لانهم ان لم يفهموه سألوا عنه اهل العلم فيذمه هولاء ويخطئوننى ويفندوننى * اذ لا يرون فى كلام الصغير الوضيع حسنا * وان استحسنوه لم يكن جزآى منهم الا قولهم اخزاه الله و قاتله الله وثكلته امه ولا اب له ولا ام له * قال ان ابيت الا الاصرار على العناد * والزيغ عن جادة الرشاد * امسكت عنك مغفرة ذنوبك * وسددت فى الكنيسة نعسونك * قال لا تعجل فان العجلة من الشيطان * ارايك لو مدحتك

بقصيدة طويلة تجعلها كفّارة من الذنب * وان شئت ان امدح فيها ايضا جميع الرهبان والراهبات والعابدين والعابدات والزاهدين والزاهدات والناسكين والناسكات والقانتين والقانتات والمفرّدين والمفرّدات والمعبّرين والمعبّرات والمذكّرين والمذكرات والذاكرين والذاكرات والمتقين والمتقيات والمتبتلين والمتبتلات والمتهجدين والمتهجدات والساجدين والساجدات والمُخْبتين والمخبتات والمسبّحين والمسبّحات فعلتُ * ففكّر ساعة وكانّه رأى ان ليس فى التغزل كبير اثم * فان وصف المرأة مثلا بضِخَم الكفل وفعومة الذراع وتدملك الثدى اذا كانت فى الواقع كذلك انما هو من قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه او السحاب مقشع عند انقشاعه * وانما يكون افترآء واثما ما اذا وُصِفت بذلك وكانت مسحاة مردآ * او كانت تتخذ الحشايا لتُحسَب عجزاء فصدّقها ناظرها فى ذلك وقال فيها ما قال مجازفة * فلما تدبّر الامر وزاره بعقله قال * لا ينبغى ان تتخذ مدحى كفارة فانى اخشى ان تمسك بى ولا تعود تطلقنى * اذ ارى من فواهك فى الفاعلين والفاعلات انك مُسكه عُلَفه تُشَبة لُزمة * وانما تمدح اولياء الله والربّانيين الصالحين الذين زهدوا فى الدنيا رغبة فى الاخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ولزموا السهر فى طاعة الله وداوموا على التقشف حبا بالله * فمنهم من لم ياكل مدّة حياته كلها الا العدس والخبز جافا صلبا * فقال الفارياق واعبه ايضا كسرس وحكه * فق فق * قد سبقت ان اذكر لك شيا احطره الان ببالى العدس * وذلك انى نسّست مره فى احراج رر... من ... ونوكه الطريق * وانما الذى اعرانى بذلك ما قاسه قد قسعدت ... فعلت سقما * فقال ذلك فى السقى ... من الاسقام اكثر من ...

في اخراج الرويهب * فان اكثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم في الدير لا لهم ولا لغيرهم * وما عدا ذلك فقد يحتمل ان هذا الرويهب يتزوّج ويجعل من ولده رهبانا كثيرين * ولكن اذا مدحت الراهبات فاحذر من ان تذكر لهن ابدآ. واعجازا اذ لا شي لهنّ من ذلك * فان طول الاعتكاف والاحتجاب قد صيّرهنّ مخالفات لسائر النسآء * ونحن معاشر العبّاد اعلم بهن * فقال له الفارياق سألتك بالله معبود اهل السماوات والارض هل جميع القسيسين مثلك في الظرافة والدعابة * قال لا ادرى وانما ادرى انى انا وحدى شقيت بما عرفت * وانى لو بقيت جاهلا مثلهم لكان خيرًا لى * انّ من الجهل لراحة * فقال له وكيف ذلك * قال اعندك للسرّ مكان حريز * قال ان سرّى من دمى فلا ابوح به * (قلت بل باح به الآن) قال اتريد ان اقصّ عليك قصتى * قال اكرم بها قال اِصغ سمعا *



الفصل الخامس عشر

في قصة القسيس

ثم طفق يقول * اعلم انى كنت فى مبدأ امرى حائكا * ولما شآء الله تعالى من الازل ان يخلقنى قبيحا وقصيرا * حتى ان امى عند نظرها الىّ كانت تحمد الله على انه لم يخلقنى بنتا لم اكن اصلح للحياكة * لانّ قصرى الفاحش منافٍ [illegible] الطول بالبُهر والخُناق * اذ كان جسمى كله يغيب فيها [illegible] مع انّ منخرىّ بحمد الله يسعان من الهوآء ما يكفى خمسين رئة وخمسين كرشا * وكثيرا ما كان يُغشى علىّ فيها واوخذ منها على آخر رمق * فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعنآء رايت ان التسبّب ببعض ما يرغب فيه النسآء اصلح * فاكتريت لى حانوتا صغيرا وقعدت فيه * فكانت النسآء يمررن علىّ وينظرن الىّ ثم يتضاحكن * وسمعت مرة منهنّ مَن تقول * لو كان الظاهر شوادا صادقا على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له فى جشته ويروّج سلعته * فاعتمدت على كلامها وقلت لعلّ من التقبيح سعادة * فقد قيل فى الامثال انّ من الحسن لشقوة * ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل * فان انفى وقف بينى وبين رزقى * وبلغ كمدى من النحس بحيث انه لم يدع لغير الاباء والاعراض عنى موضعا * فقعدت يوما افكر

فى خلق الله تعالى هذا الكون * واقول يالحكمة الله كيف تخلق فى الدنيا انسانا لم تخلق فيه شيا يمنع عنه رزقه وقوام معيشته * ما الفائدة من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشى الا لان تضمّن فيه اعجاز قفا نبك * ولِمَ لم يقوّر منه شي ويكوّر فى جثتى * ومالى ارى بعض الناس جميلا كالمَلَك وبعضهم قبيحا كالشيطان * السنا جميعا خلق الله * اليس سبحانه يعمّهم كلّهم بعنايته على حد سوى * اليس الصانع الارضى اذا اراد ان يصنع شيا فانه يتانّق فيه ويتفنّه عند استطاعته ويابى به من احسن ما يكون * هل يصوّر المصوّر صورة قبيحة الا لكى يضحك الناس من المصوّر عنه * العلّ فى ضِخَم الانف حُسْنا او جبرًا او نفعا ونحن معاشر المخلوقين لا نعلمه * ثم اقوم الى المرآة واتامّل وجهى فيها فانكره ولا اجد فيه موضعا للاستحسان * فاعود الى مذهبى الاول واقول * ان كنت انا لم استحسن وجهى فهل يستحسنه آخر غيرى * على ان الانسان يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة * اترى فى الناس مَن يروق لعينه القبح * فقد يقال ان السود لا يرون فى الابيض منا حسنا * غير ان لون السواد عندهم عامّ فلذلك يستحسنونه * وما ارى غيرى مَن اولّ انفا كانفى حتى اطمع فى انه يكون مستحسنا * اما اللون فانى لست من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنّين * الا ليت اهل بلدتى كانوا كلهم مثلى فُاقبّح فانسلّى واتاسّى بهم * من ابن ورثت هذا الجلمود وانف ابى كان كانوف الناس * ليت شعرى اين كان عقل ابى حين تفكر فى راسه فكر انشاى فى هذا الكون وفى اىّ طور او طربال او منارة كانت امّى تتفكّر ليلة زواجهما على هذا العمل * الاَ ليتما غُشى عليهما تلك الليلة فما افاقا * او قُدِرا فما اطاقا * او سُحرا فما ذاقا * او سُكرا فما فاقا * وجعلت احمل هذه الافكار

في راسي واصوغها في قوالب مختلفة وافانين متنوعة * واذا بامراة
متنقبة اقبلت عليّ وقد نتأ من تحت نقابها شي شبيه بالقُلّة *
فظننت انها جعلت حنجور عطر عند انفها لتشمه عند مرورها على الجيف
في اسواق المدينة * فسالتني عن شي تريد شراه فسعّرته لها فكانها
استغلته فقالت لي اقصدْ فان تسعيرك هذا تسعير * فقلت لها وانّ شِراءك
لَشَري * فضحكت وقالت لقد احسنت في الجواب ولكنك اسأت في
الطلب * فراعِ حقوق الشركة والجنسية فاني شريكتك ورفيقتك * فكان
ينبغي لك ان تحابيني * قلت ايّ شركة بيننا اصلحك الله وهذه
اول خطرة شرفتني فيها بالزيارة * فرفعت النقاب واذا بانفها الناتئ
يضيق عنه وجهها * وكانه واجهَ انفي ليحيّيه * فخطر ببالي ح ما قيل
عن ذلك الغراب الذي كان يجمع والِفَ غرابا مهيض الجناح * وان احد
الشعراء لما ابصرهما قال ما كنت ادري ما اراده بعضهم بقوله ان الطيور
على آلافها تقع حتى رايت هذين الغرابين * ثم ابى بعضها احسرا ما
ارادت ان تشتريه * وحاولتُ ان اقبّلها قُبلة واحدة تعويضا عما خسرته
معها فما امكن لي * لان انفينا حالا ما بيننا * ثم دمتُ ومكثت
انا على تلك الحال مدة * فلما تحققت اني لا اصلح للتجارة لان
الناس لا يشترون الا ممّن كان فرهدا غسانيا تركا جمال طلعته في ابهى
بمعنى بما اشترى من عنده * وتذكّرا لذلك النهار السعيد الذي عرفت
فيه * واني مذ صحبت الدكان لم ابع الا لتلك الكريمة وكان ذلك تجارة *
عزمت على الرهبانة فذهبت الى دير ما وقلت للرئيس * قد ادركني الزهد
في الدنيا والرغبة في الآخرة * فان الدنيا لا تغني عن الآخرة شيا *
وان اللبيب من اتخذ دنياه هذه تجارا الى تلك * اذ لو كانت هذه

وطننا الذي شاءه لنا خالقنا لكنّا نعمّر فيها طويلا * على انّا نرى ان من الناس مَن يولد فيها ويعيش يوما واحدا فهذا دليل على انّا لم نخلق لها * واشباه ذلك من الكلام الذي جرى على السنة العبّاد * فقبلني الرئيس واعتقد فيّ الفضل * واتّفق في اليوم القابل انه حاول التسوّر على حائط لينفذ منه الى بعض بيوت الشركآء * فدخلت في احدى عينيه قِصدة من غصن شجرة فذهبت بها * فرجع غضبان وقد تشأّم بقدومي الى الدير * اذ كان قد أَلِف التسوّر قبل مجيئي بمدّة طويلة ولم يعرض له شي قط * فمن ثمّ طردني من الدير فدخلت ديرا آخر واعدت الكلام الاول * فقبلني رئيسه فاقمت ثمّ اياما اقاسي فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضي الله ولا احدا من العالمين * هذا ما عدا ما كنت ارى من عناد الرهبان وتفرق ارائهم * وطعن بعضهم في بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من امور باطلة * وتكبّر هذا عليهم وأَثَرته باشيآء استخصّها لنفسه من دونهم * وتنافسهم فيما يهدي اليهم النسآء من نحو منديل وكيس وتكّة * وزد على ذلك كله جهل الجميع اذ لم يكن في الدير كله مَن يحسن كُتْب رسالة في معنى من المعاني * حتى ان الرئيس نفسه ادام الله عزّه لم يكن يعرف ان يكتب سطرا واحدا بالعربية * وانما كان يخط هذه الحروف السريانية المعروفة عندهم باسم كرشوني * وكان هذا الجاهل يتبجّح بمعرفته لها ويحمل كل من دخل صومعته على اعظامها * حتى انه كان يدعو ايّا ما كان لربارته * فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد ان ذلك من حسن اخلاقه وكرم طباعه * وكان قد كتب بها على بابه سطرا وعلى الحائط سطرا آخر * فكنت حين انظر ذلك اضحك * وهو من غفلته يظن اني اضحك اعجابا بها * ومن كان حقّا متخابلا من الرهبان على جهله (فان كثيرا من الناس قد

جمعوا بين الجهل والبخل) كان يتقرب اليه استعبادا بان يقول له وهو مطاطىء الراس تواضعا وخشوعا اكرم على ياسيدى بسحنة من حلقك اصلح عليها خطى * فكان ذلك من احسن ما يُدلّ به عليه * فلما اشتدّ على الخطب من عشرتهم وخصوصا من رداءة الطعام طفقت ادمدم واتضجر * فسمعنى يوما طباخ الدير اشكو من قلّة السمن فى الارز الذى كان يطبخه فى بعض الاعياد العظيمة * وكان عُتُلًّا زنيما * فاستشاط منى غيظا وحملنى على كتفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا شفقة * ثم ذهب بى الى مَمار الدير وغطّسنى فى خابية السمن وهو يقول * هذا السمن الذى اطبخ به الارز الذى لم يعجبك ياصاحب الخرطوم * ياسليل البوم * يانصيب المحروم * ياابن اللوم * ياابا الكبائر والجروم * يارائحة الثوم * ياريح السّموم * ياعُلْجوم * يامَنهوم * ياالهوم * ياوخوم * وصبّ علىّ قوافى كثيرة غير هذه * فبلغ منى تغطيسه عرضى فى السبّ اكثر من تغطيسه راسى فى السمن * فتملّصت منه بعد جهد ودخلت صومعتى حتى اغتسل واذا به يطرق الباب ويعجّ ويقول * لا بدّ من ان اعصر انفك فقد دخل فيه من السمن ما يكفى الرهبان اياما * ثم اهوى بيديه على منخرىّ كانهما كلبتا حدّاد وجعل يعصرهما اشد العصر * حتى ظننت ان قد زهقت نفسى منهما * فان الانف وحده دون سائر ثقوب الجسد محل دخول النفس وخروجها خلافا لقوم * ولذلك يقال تنفّس الانسان * فلما شق علىّ ما قاسيته ولم اجد فى الدير من اشكو اليه * اذ الرهبان كلهم يتملّقونه ويتوددون اليه حتى يشبعهم ولو من الثُرتُم * (وهو ما فضل من الطعام او الادام فى الاناء) خرجت من الدير مبتئسا حزينا قانطا وقد ضاقت الدنيا علىّ برُحْبها * وقلت اين اذهب بانفى هذا الذى سد علىّ مذاهب الرزق *

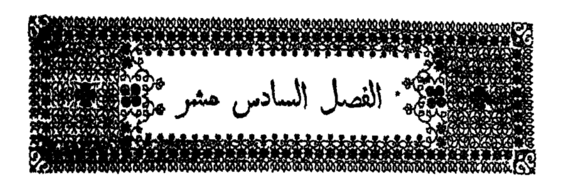
ام اين يلتصق بى هو * فخطر ببالى ان اقصد ديرا بعيدا كنت اسمع من وصافه انهم صُلّاح * وان بعضهم يحسن الخط العربىّ ويحبّ الغريب ويكرم الضيف * فتوجّهت اليه فلما سلّمت على رئيسه وطالعته بما عزمت عليه احمد رأيى وهشّ بى * لكنه لم يتمالك ان نظر الىّ نظر المتعجب منى المستعيذ من شوْم نبعة تلحقه من انفى *

فمكثت فى ديره ما

شآء الله ان

امكث *





الفصل السادس عشر

في تمام قصة القسيس

وجعلت من همّي مدة مكثي هناك بادي بدءٍ مداراة الطباخ ومسامحته
والثناء عليه * فكان لا يحوجني الى شيء مما يمكن نيله في الدير * حتى
اني جعلت جُلّ مقامي في المطبخ * وكنت احسن ايضا طبخ الوان من
الطعام لا يعرفها هو فعلّمته اياها فكلف بي * فكان رئيس الدير اذا
استضافه احد عزيز عليه او اشتهى لونا من الطعام بخصوصه كلّفني به *
فكنت اتأنّق له في عمله ما امكن حتى حظيت عنده * اعني اني كنت
اسامره واجلس بين يديه * ثم اني تلبّست بالصلاح والتقوى بين
الرهبان * فكنت اسدل قلنسوتي حتى تبلغ قصد انفي * وبالغت العادة
حتى بان نُسّر كلانوب بها كلّه * وكنت اذا مشيت اخفض راسي الى
الارض ولا انظر يمينا ولا شمالا الّا لمحا * واذا اكلت او شربت او رقدت
او مشيت او غسلت وجهي اخبرت عن ذلك كله حامدا الله ومثنيا عليه *
فاقول مثلا * قد خرجت اليوم من صومعتي ولله الحمد [illegible] والله الحمد
وهي احبّ الى الرهبان * او تناولت في هذا الصباح شهيًّا [illegible]
بقبّل وما اشبه ذلك مما عرف عند المتظاهرين بالتقوى * حتى [illegible]
الرهبان في جمعنا الصلاح والعبادة * وكنت [illegible]

ركيكة للرئيس فاعجب بخطّي ومدحني على ذلك * ووعدني بان يرقيني
الى درجة تليق بي * اذ رآني متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأي *
واخصّ ذلك بكوني غيدارًا (الغيدار هو السيّئ الظن يظن فيصيب) ثم قدّر الله
رب الموت والحيوة أنْ مات في بعض البلدان البعيدة بعض القسيسين
الذين يباشرون خدمة الرعية * اي الذين ياكلون ويشربون في بيوت
الناس لا في الدير * والذين يختلطون برعيتهم خلافا لعادة الرهبان *
فان هولآء لا يخالطون الناس الا عند الضرورة * فسبّب رئيس الدير
في ان بعثني الى ذلك البلد في مكان القسيس المتوفّى اي بدلًا منه لا
انى دفنت معه * فلما وصلت تلقاني اهل كنيستي بالاكرام والترحيب *
فابديت فيهم الورع والعفة فشاع فضلي بينهم * حتى ان بعض التجار
ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعاني الى منزله لاقيم عنده رجآء ان
يفتح الله رحم امراته بسببي كما تقول التوراة فتلد له البنين * وكانت جميلة
رشيقة القد * ناعدة النهد * تحب الخلاعة واللهو * والقصف والزهو *
(سبحان الله ما احد يذكر النسآء الا ويهيج خاطره للسجع) فاقمت عنده مدة *
في انعم عيش وجِدة * ثم عنّ لي ان اغازل زوجته واناغيها * واعاشرها
واراضيها * فاجابت الى مُراودتي * ولم تبالِ بارزبتي * فان من طبع النساء
الميل الى الولي * والاستغناء عنه بالقصي * وما ادراك ما اعتذرت به احدى
النسآء بقولها قرب الوساد * وطول السِواد * فبرزت الدنيا لعيني في
احسن صورة * ونسيت ما لاقيت في الدير من المشاقّ الكثيرة * وقلت
لاعوصنّ عليّ ما دامت فرصة الحظ لي ممكنة * وشوارده مذعنة * كل ما
فاتني منه ايام كنت حانكا * وطاحا وناسكا * ثم فرضت على نفسي ان
تتسم ابتداني معها على كل يوم عمرته * كذاب المروح بحرّة * وعلى

المحاصر * وهو كان ايضا فى حيّز الغابر * بحسب البواعث والبوادر * فبدأت بالعدد * حتى بلغت الامد * وكان الرجل ذا نية سليمة * وشيمة مستقيمة * فلم يكن يسئ بى الظن * ولا يعوقه عن شغله امر عنّ * فترك لنا قُطوف اللذّات دانيه * وكؤس المسرّات صافيه * ومن العجب * الذى ينبغى ان يدوّن فى الكتب * انها كانت تخاصم الخادمة فى حضرته وغيابه * وتشتمها بين يديه افحش الشتم منعا لارتيابه * ولم تخشَ منها تَبِعة * ولا كانت من طردها جُرعة * وقد طردت كثيرا من الخوادم لسبب ولغير سبب * بعد سبّهن كل السبّ * وحملهن على الحقد والغضب * وذلك من معجزات النسآء ويدّعهن الغريب الذى يعمى الرجال عن كُنه سرّه العجيب * والحاصل انى كنت أُعجب بحسنها * كما كنت أُعجب من فنّها * وانى اقمت معها على هذه الحالة فى غاية السُرّ * مُفقا رائعا ولا حطر (١) ومتزوّجا ولا مَهر * ثم استانفت عددًا آخر * اطول من ذاك واكثر * فلما ابطرتنى النعمة * وامنت من الدهر كل نقمة * نقر فى راسى ان اجمع بين الكافين * فان بكثرة العين قُرّة العين * وقلّما رايت من انهمك فى الاول * الا وتعاطى الثانى وما اشبهه من العُقل * وذلك كالقمار والجُبَع والفَشْغ والحَدْج والمَجر والاِمجار والنَدب والخَطَر والرَشق والفَرع والنَجْش والضَس والضَغو والغذمرة والمحارضة والمناحبة والمراهنة والمجازفة والمحافلة والمرانـنه والاجبآء والمُداحلة والمعارضة والمنـابـذة والمبادّة والماخسة والمعابـنه والموالسة والتدليس والتَطويش والمفاطرة والمعاومة والمراوصد والمواصعد * فطهل وطهفل * ومحل وتطهمل * ودجّل وزعفل * وابطل وتحمّل * وعرقل ونبهلص * وتبلهص ويَهْصَل (٢) فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة * وقد تفرّغ لها بجدّ وبذل فيها وُسعه * واوسع فيها دداده * وغفل بها عناه * وفى الجملة والتفصيل * من دون فائدة وتحع طويل * تعاطيها معه

(١) اوفق الرجل تنعّم بعد البوس

(٢) نبهلص الرجل وتبلهص خرج من ثيابه ويهصل خلع ثيابه فقامر بها *

(انتهى سجع القسيس) قال فجعلت انفق فيها ما اجمعه من العجائز والاحرار
بوسم النفوس والارواح * وانا مع ذلك مواظب على الصنعة الاولى * بل كان ذلك
داعيا لزيادة هيام كلٍّ مني ومن بزيعتي * فانها طمعت في الهدايا
والصلات كما هو دأب النسآء في كل امر يحدث لازواجهنّ وعشاقهن * فبلغ
خبر صنعتي هذه الحديثة للجاثليق * فارسل يطلب مني المال الذي
جمعته * فتعلّلت له بعلل اباها ولم يرضها * فتسبّب في احضاري اليه
وضبط ما كان عندي من متاع وغيره * ولم يشقّ عليّ فُقْد ذلك كله قدر
ما شقّ عليّ انقطاع العدد الذي كنت شرعت فيه في بيت التاجر الصالح *
ثم اني تـفلّت من عِكال الجاثليق بعد مدّة كادت ان تنسيني لذات
الايام الغابرة * وخرجت في طلب آخر نكاية لذاك فصرت الى جاثليق
من اشدّ الناس عداوة لجاثليقي القديم * اذ العداوة توجد بين الجثالقة *
كما توجد بين الزبادفة * فاقمت عنده مدة ثم خشي عليّ ان يرهقني
من ذاك سوء فسفّرني الى بلاد بعيدة في سفينة حرب * فما سرنا بعض
ساعات حتى تعطّل بعض ادوات السفينة وخشي رُبّانها ان تُغرق بهم *
فرجع وقد تشآم بي وقال لبعض الركّاب انه انما جرى عليه ما جرى من
شَمْخَتْرِيتي * فتعجّبت اذ بلغني كلامه جدّا * لان اولئك القوم لا يرتسمون
ولا يتسآمون * ولا ينطيّرون ولا يتفآلون * ولا يتختّمون ولا يتيمّنون * ولا يتسعّدون
ولا يتمسّحون * ولا يُتقلّدون بعُود الشارق ولا يستعملون نُبّت العطَف * وما
عندهم خَنْعة ولا نُجام * ولا عاطُوس ولا عاطس * ولا كابح ولا كادس * ولا قعيد
ولا داكس * ولا دارح ولا سانح * ولا زَجْر ولا تحرّي * ولا عَبْنرة ولا عبافة *
ولا طرْق ولا عراف * ولا خَبيْئ ولا كهانة * ولا ابنا عيان ولا تنجّي * ولا لمّة
ولا خُنوف * ولا أُوطد ولا انحآ * ولا تسوّد ولا تعدّ * ولا طلاسم ولا تنهّق *

ولا عزائم * ولا رُقى ولا تمائم * ولا اليَنْجَلَب ولا تُوَلَة * ولا حَوْط ولا غَز * ولا تدسيم النونة ولا شدّ الحِقاب * ولا رَسْع ولا صَخْبة * ولا قُلَيب ولا كَبْدة * ولا وَجيه ولا سُلْوانة * ولا سُلْوان ولا عُقْرة * ولا مِجْوَل ولا مُهْرَة * ولا أُخْذة ولا عُوذة * ولا هُبْرة ولا رأْمة * ولا كَحْلة ولا هِنّمة * ولا جُلْبة ولا صَرّة * ولا قَبْلة ولا نُشْرَة * ولا قُبْلة ولا نَفْرة * ولا صُدْحة ولا هُمْرة * ولا زَرْقة ولا عَطْفة * ولا فَطْسة ولا صَرْفة * ولا غُصار ولا كَرار * ولا بَريم ولا جِرْز * ولا خُصْمة ولا رَتيمة * ولا أَسْحَم ولا صِهْميم * ولا تذعّب ولا صوت اللُوف * ولا هامة ولا صفر * ولا أُخْذة النار ولا تنجيس * ولا نُحج ولا إنكيس * ولا أُسّ ولا شَجْيا * ولا طبّ ولا تُوَل * ولا سحر ولا ماقط * ولا عاضه ولا مستنشة * ولا نفّاثات في العُقد ولا صدى * ولا شعبذة ولا نِيْرَنج * ولا شعوذة ولا حابل ولا حاوٍ * ويومئذ ايقنت ان القنافيّ مكروه عند جميع الامم * وان اوقية لحم زائدة في وجه الرجل تشقيه وتحرمه * ورطلين في بتيلة المرأة يسعدانها ويفيزانها * فزاد تعجبي من هذه الدنيا المبنيّة على رطلين واوقية من اللحم * ومع ذلك فلم يمكن لي الزهد فيها * ثم اني سافرت بعد ذلك الى تلك البلاد وامنت فيها من مكر اعدآي * واستاجرت بيسا واتخذت لي امرأة تخدمني * وقد جرت العادة في تلك البلاد وفي بلاد الافرنج ايضا بان يتخذ القسيسون نسآء للخدمة * فاتى المراة احدهم صباحا وهو في فراشه الوثير وتقضي له ما يروم منها * فلما ذقت طيب العيش وسوس اليّ الوسواس ان اتزوج سننا مستورة لكنها كانت جميلة * غير اني لم اكن على يقين من نهود ثديها مع ذلك فقد كلفت بها * فطلبت من الجاثليق ان يزيد يطيقني بابي * فالححت عليه وهو مصرّ على المنع وانا مصرّ على الاستزادة * ثم داهنته وراغمته فراى ان يردّني من حيث جئت * فسرت الى جاثليق محب

للجاثليق الاول فسرّ برؤيتى وانزلنى عنده * فرجعتُ الى ما كنت عليه سابقا * وها انا مترقّب فرصة اخرى تمكّننى من المقايضة على هذا النحس الآخر ايضا فانه جاهل جدّا * وعندى ان مبادلة الجثالقة فى هذا الزمان العَسُوف * انفع من حجر الفيلسوف * انتهت قصة القسيس وهذا تفسير ما اشار اليه آنفًا من الالفاظ الغريبة *

ابناعيان — طائران او خطّان يخطهما العائف فى الارض ثم يقول ابناعيان اُسْرعا البيان الخ *

أُخْذة النار — بُعَيد صلاة المغرب يزعمون انها شرّ ساعة يُقتَدح فيها *

الأُخْذة — رُقية كالسحر او خرزة يؤخّذ بها *

الارتسام — التكبير والتعوّذ والتختّم التفاؤُل *

الأسحم — الدم تغمس فيه ايدى المتحالفين *

أسْ — كلمة تقال للحيّة فتخضع *

الانكيس — فى اشكال الرمل كالمنكوس *

البارح — من الصيد ما مرّ من ميامنك الى مياسرك *

البريم — خيطان مختلفان احمر وابيض تشده المراة على وسطها وعضدها..... والعوذة *

التحزّى — حزا حزوا وتحزى زجر وتكهّن وحزّى الطير ساقها وزجرها *

تدسيم النونة — تدسيم نونة الصبىّ تسويدها كيلا تصيبها العين *

التذعّب — تذعّبته الجنّ افزعته *

التشهّق — شهقت عين الناظر عليه اصابته بعين *

التشوّه — يقال لا تشوّه علىّ اى لا تصبنى بعين *

التعيّد — تعيّدَ العاين على المعيون تشهّق عليه وتشدد ليبالغ فى

اصابته بعينه * ذكره الفيروزابادى فى ع و د *

التنجيس	اسم شى من القذر او عظام الموتى او خرقة الحائض كان يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به *
تنجى	تنجى لفلان تشوّه له ليصيبه بالعين كنجا له ونجأه بالهمز اصابه بالعين *
التُوَل	تال يتول عالج السحر *
التُوَلة	السحر او شبهه وخرز تحبّب معها المراة الى زوجها كالتِوَلة *
الجُلْبة	العوذة تخرز عليها جلدة *
الحابل	الساحر *
الحِرْز	العُوذة *
الحُفُوف	شدة الاصابة بالعين *
الحَوْط	خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلا تصيبها العين *
الخَصْمة	من حروز الرجال تلبس عند المنازعة او الدخول على السلطان *
الرأمة	خرزة المحبة *
الرَتْبمة	كان من اراد سفرا يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها فان رجع وكانا على حالهما قال ان اهله لم تخنه والا فقد خانته وذلك الرَتَم والرتيمة *
الرسع	رسع الصبىّ شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *
الزجر	العيافة والتكهّن *
الزَرْقة	خرزة للتاخذ *
السانح	ضد البارح *

السُلوان ما يُشرَب ليسلّى او هو ان يوخذ تراب قبر ميت فيجعل فى مآ فيسقى العاشق فيموت حبّه الخ *

السُلوانة خرزة للتاخيذ وخرزة تدفن فى الرمل فتسودّ فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسلّيه *

سد الحِقاب الحقاب خيط يشدّ فى حِقو الصبى لدفع العين *

السَعّبذة الشعوذة *

الشَعْوَذة أُخذ كالسحر يُرِى الشى بغير ما عليه اصله فى رأى العين *

شحبثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح *

الصَخّبة خرزة تستعمل فى الحبّ والبغض *

الصُدّحة وبالضم والتحريك خرزة للتاخيذ *

الصَرّة خرزة للتاخيذ *

الصَرْفة خرزة للتاخيذ *

الصِهْيَبْم حُلوان الكاهن *

صوت اللوف نبات له بصلة تسمّى الصرّاخة لان له فى يوم المهرجان صوتا يزعمون ان من سمعه يموت فى يومه *

الصَفَر حيّة فى البطن تلزق بالضلوع فتعضها او الخ *

الطِبّ مثلثة الرفق والسحر *

الطَرْق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكهّن *

العاضه الساحر والعِضة الكذب والبهتان والسحر *

العاطوس ما يُعطس منه ودابّة يتشاءم بها والعاطس ما استقبلك من امامك من الظبآ *

العِرافة العرّاف الكاهن والطبيب وصنعته العرافة وقد عرف ككتب *

العَطْف نبت يوخذ بعض عروقه ويُلوى ويطرح على الفارك فتحبّ زوجها *

العُطْفة خرزة للتاخيذ *

العُقَرة خرزة تحملها المراة لـئلّا تلد *

عود الشُبارق الشبارق شجر عال ويقلّد الخيل وغيره بعوده للعين *

العيافة عفتُ الطير اعيفها عِيافة زجرتها وهو ان تعتبر باسمآئها وساقطها وانوآئها فتتسعّد او تتشآم *

العَيْثَرة عيثر الطيرَ رآها جارية فزجرها *

الغزّ غزّ الابلَ والصبيّ علّق عليهما العهون من العين *

غَضار وكَرار الغضار خَزَف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتاخيذ تقول الساحرة ياكَرار كُرّيه وياهمرة اهمريه ان اقبل فسرّيه وان ادبر فضرّيه *

الفُطْسة خرزة لهم للتاخيذ يقلن اخذته بالفُطْسة بالثُوبآ والعُطَس *

القَبْلة ضرب من الخرز يوخّذ بها *

القَبَلة ما تتخذه الساحرة لتُقبل به وجه الانسان على صاحبه *

القُلَيب خرزة للتاخيذ *

الكابح ما استقبلك مما يتطيّر منه *

الكادِس ما يتطيّر به من الفال والعطاس وغيرهما والقعيد من الظبآء وهو الذى يجى من خلفك ويتشآم به ونحوه الداكس *

الكَبْدة خرزة للحبّ *

الكَحْلة خرزة للتاخيذ او للعين *

اللُجام ما يتطيّر منه *

اللَّحج لحجه بعينه اصابه بها *

اللُعطة اسم من لعطه بسهم او بعين اصابه *

اللَمّة يقال اصابته من الجنّ لمّة اى مسّ اوقليل والعين اللامّة المصيبة بالسوء *

المافِط　　الحازى المتكهن الطارق بالحصى *

المِجْول　　العُودة *

المُسْتنشنة　　الكاهنة *

المُهْرة　　خرزة كان النسآء يتحبّبن بها *

النُشْرة　　رقية يعالج بها المجنون او المريض *

النفّاثات في العقد　　السواحر *

النُفْرة　　شي يعلّق على الصبى لخوف النظرة *

النِيْرنْج　　أُخَذ كالسحر وليس به *

الهامة　　الصَدَى وهو طائر يخرج من راس المقتول بزعم الجاهلية *

الهُبْرة　　خرزة يوخذ بها الرجال *

الهجيج　　الخطّ يُخط في الارض للكهانة *

الهقعة　　دائرة في الفرس يتشآم بها *

الهِمْرة　　خرزة للتاخيذ *

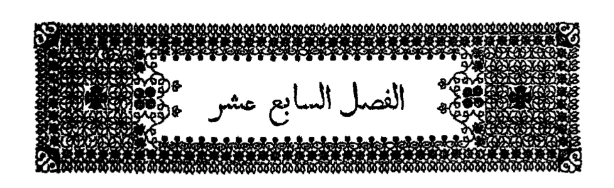
الهِنّمة　　حرزة للتاخيذ *

الوجيه　　حرزة م كالوجيهة * قلت الظاهر انها للوجاهة *

الينجلب　　خرزة للتاخيذ او للرجوع بعد الفرار *

الحاوى　　رجل حَوّآء وحاوٍ يجمع الحيات * قلت هذا غاية ما ذكره صاحب القاموس في ح ى ى والظاهر انه واوىّ ولكن ضعّفه في الواو بقوله قيل ومنه الحية لتحوّيها الخ وقوله يجمع الحيّات كانه لحظ فيه معنى حوى لا يناسب ما قاله في تفسير الحِنْفش وعبارته * او حية عظيمة ضخمة الراس رقشآء كدرآء اذا حويتها انتفخ وريدها * فهو صريح هنا في الرقية وقد ذكرت ذلك وما اشبهه في كتاب مفرد *

———



الفصل السابع عشر

في الثلج

لا غرو ان يجد بعض القارئين كلامي في هذا الفصل باردا لاني كتبته في يوم عبوس قمطرير * ذي زمهرير * والثلج اذ ذاك ساقط على السطوح * وقد سدّ الطرق ودخل في البيوت والصروح * وكاد يطفي النار * ويذهب بالاصطبار * ويمني بالقَمر والقِمار * غير انه لا ينكر احد ان شارب الثلج او آكله او اللاعب به يحس منه بحرارة * وكذلك قارئ كلامي فانه وان وجده باردا فلا بدّ وان يحتمي عليّ من هذه البرودة * فيكون قد حصل الغرض وهو تسخين دماغه * ولا سيما اذا كان قد بقيت فيه بقية غيظ وحدّة من الفصل المتقدم * ولكني لم اقصد فيما حكيته الا الصدق * ولو خطر ببالي ان آتي افكا وعضيهة لاوشيت ذلك في قصيدة وختمتها بدعا ومدح لاحد البخلا * ومن ماراني في ذلك فليسال القسيس نفسه * الا ان الثلج يخالف كلامي من جهة انه يسقط على الاسود فيبيّضه وكلامي قد سقط على القرطاس فسوّده * وكلاهما في ظني يروق العين وكلاهما يجتمعان في هذه الجهة * وهي ان الثلج لا تطلع عليه الشمس اياما الا ويذوب * وكذا كلامي فانه لا يكاد يبقى منه شي في راس التاري بعد تقمّره او عند ظهور نُبْح عليه * وهناك جهة اخرى تضمهما * وهو ان الثلج بعد سقوطه ينشا عنه الصحو وانجلآ الجو * وكذلك كلامي فانه بعد تساقطه من راسي ينشا عنه انجلآ جو فكري وصحو بالي واستعداده الى

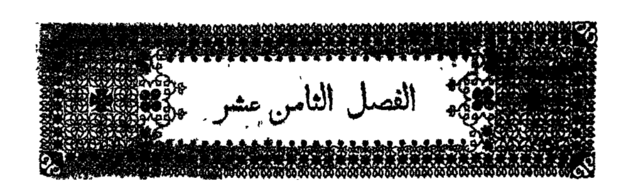
ما يروق ويروع * فعلى كل حال تجد المشابهة هنا فى موقعها وعذرى فى محله * وبعدُ فانى ارى الاغنياء المثرين يتخذون فى ديارهم الفسيحة مساكن للصيف واخرى للشتاء وكنًّا للمبيت واخر للاستحمام * ومن لم يكن له من غيرهم الّا بيت واحد فغير جدير بان يزار فيه الّا حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة * او يكون وقت الزيارة موافقا لبيته * فبناء على ذلك ينبغى للعلماء اقتداء باكابرهم الاغنيا ان يتخذوا لهم فى رؤسهم الفيحا مواطن متعددة مختلفة لما ياتى عليهم من الكلام البارد والفاتر والحميم * ففى وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقراون البارد تقليلا مما حركهم من بواعث الحرارة * وفى وقت السكون يتلون الحميم * او بالعكس على مذهب من يداوى الشئ بجنسه لا بضده * لا يقال ان القارى يضيع وقته فى تمييز البارد والحميم من هذه الفصول * اذ لا يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها * بخلاف سائر الكتب فانه لا يتعمّد فيها الكلام البارد فهى على منهاج واحد * فانى اقول ان كل فصل من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على النار * فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله * مثال ذلك اذا مرّ بك فى احد الفصول ترجمة البالوعة او البلّوعة او البلّاعة او البُرْبُخ او الأرْدُبة فلا بدّ لك من ان تفطن الى ان حمارا من حُمُر الدير قد غطس فيها للتعريب او الترجمة * الا انه لا ينبغى للقارى اذا درى مغزى الفصل من العنوان ان يضرب عن قراته * ثم يقول متبجحا بين اقرانه واخوانه قد قرات كتاب الساق على الساق وفهمت معانيه كلها * فان ذلك يكون كمثل مُعنس (١) قد رايت البوم الامير اعزه الله وكلمته مع انه لم يكن راى منه الا قذاله عن بعد * ولم يتح له تقبيل يده الشريفة * او كان ذلك الامير قد ساله عن شئ فلعثم فى الجواب او تروّى فيه فسبّ اباه واجداده ولعنه

(١) اعنس الرجل ادّعى الى نسر سريف (اى اصل) وهو خسيس

ونهدّده بالسلب او بسَمْل عينيه * اوكقول هبنّقع (المزهوّ الاحمق المعجب
لمجادلة النسآء) قد رايت اليوم فلانة * ولما ان واجهتني وقفتْ وتنفّست
الصعدآ * مع انها تكون قد وقفت لتبصق او انها تنفّست الصعدآ
بُهْرا * بل الاولى ان ينوى القارى عند افتتاحه هذا الكتاب ان يتصفحه
كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد صفحاته * ويعتقد ان لكل
مولف اسلوبا * وانه لا يمكن لاحد ان يعجب الناس كلهم * اذ الاهوآ
متفاوتة والآرآ مختلفة * ومن الاسرار التى بقيت مكتومة عنى انك تجد
بعض المولفين فاتر الحركة غير ذى نشاط ولا مرح * قليل الارتياح الى ما
يبعث على التهاوش والتناوش * متقاعس الهمة عن السَّعْي والحركة *
ناظرا الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها * وهو مع ذلك اذا اخذ القلم
انبض كل عرق فى القارى وحرك كل ساكن * ومنهم من تراه نَزِقا حركا
ذا تنزّع وتسرع وحفد وصَمَيان واقبال وادبار وسعى وتهافت * ومعاجلة
ومبادرة ومزاحمة ومزاهمة ومسابقة ومحاشرة * ثم هو ان قال شيا سقط
من راسه على ذهن القارى سقوط الثلج حتى يكاد ان يخمد من ذكاه *
فلما تاملت فى ذلك وتحققته ارتبت فى كون سقوط الثلج ناشئا
عن فرط برودة متكونة فى الهوآ وقلت بل لعل سببه فرط حرارة
حرّت فى صدر الجو على سكان هذه الارض * ووافر وغر تكوّن فى حشاه
فلفظه عليهم ملحا انتقاما منهم عما ياتونه فى الليالى الباردة من المنكرات *
وذلك ان بعضهم يحاول عكس الطبيعة فيسخّن فراشه باداة فيها نار *
وبعضهم باداة فيها مآ حميم * وبعضهم باداة فيها شراب * وآخرون باخرى
فيها لحم * وربما كان من ذلك اللحم لحم خنزير اجلّك الله * فمن
اجل ذلك اسقط الجوّ عليهم الثلج المتراكم منعا لهم من الخروج من
ديارهم لاستعمال هذه الادوات لكى يستريح من فسادهم ولو يومين *

الا انه قد فاته ان كثيرا من هولاء الناس يتخذون اداة للاداة او اداة لاداة الادوات * مثال الاول ما اذا تربّع الغنى فى دسته وتدثّر بفرونه وقال لغلامه سِرْ ياغلام الى محل كذا واُستنى منه باداة لتسخين فراشى هذه الليلة * فيذهب الغلام يطأ الوحول والثلوج ورجل سيده نظيفة * ومثال الثانى ما اذا كان السيد جوادًا سخيّا فيبعث غلامه فى مركب له او فى آخر مما يستاجر من الطرق * او اذا كان ذا سيادة وامارة ويريد ان يكتم سره عن غلامه * لان لذة الخادم انما هى الثلب فى عرض مخدومه وجعل نفسه اولى بالمخدومية منه * فيستعمل ذلك السيد آخر او اخرين او اُخَر فى مكان غلامه * ويكون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية على يد خادمه اظهارا لمكارمه * او انه اعطاهم اياها من يده * فيكون سقوط الثلج على اى حال كان سببا فى التسخين والحرارة * لانه اذا اعتُبِر فى حق المخدوم كان سببا فى اتخاذه الاداة * وان اعتُبر فى حق الخادم عبره ممن سدّ مسدّه كان موجبا للحسد * وهو من اعظم الموثرات تسخينا واحماء * ومع كونه اى الثلج يرى ساقطا على كل موضع فى المدينة دون تمييز دار عن دار فان لفظه فى الحقيقة لا يصيب الا روس بعض الناس* كان الاولى ان يطرد حكمه فيعمّ لا مثل احكام اللفظ الارضى فانها تجرى لى قوم دون قوم * والفرق بين اللفظين هو ان الثلج لما كان سقوطه لفظه من علو الى سفل كان المظنون به انه يتصوب على جميع الروس شدة * فيشمل الكبير منها والصغير والمسقّط منها والمسمَرط * فاما الاحكام القوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفل الى علو اى من روس س مسودين الى روس ناس سائدين * لم يكن من المحتمل ان يكون بعضها فرديا حتى يبلغ ذوى الرفعة والعلآ الذين تمرّ السحاب من

تحت قُذُلهم * ثم ان الثلج معما يتبعه في الواقع من الضنك والمشقة لمن الفه فقد يروق لعين من لم يكن رآه * فقد بلغنا ان بعض الصعاليك كان مرة ضيفا عند اناس لم يكرموه ولم يحتفلوا به اذ كان دونهم في المعارف والنباهة * وكان بلدهم لا يسقط فيه الثلج البتة * فلما فصل من عندهم الى بلاد اخرى راى فيها الرزق وعاين بها الثلج كبّر لرؤيته وهلّل واعجب به غاية الاعجاب * حتى زعم انه منة من الله خصّ بها ذلك الصقع تمزية له على غيره * كما انه تعالى حرم منها بلد مضيفه الاول * وكذلك كلامي ههنا فانه معما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ المضغوطة بين المعاني ومن المغازي المعقودة بالتلميح والتلويح * والتحويل والتمليح * فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الف هذا التخليط بل ربما يحمله الاعجاب به على تحديه ومحاكاته * ولكن هيهات فان الباب قد اغلق في وجوه المتحدين * على اني لست ازعم اني اول كاتب في الدنيا نهج هذه الطريقة واسطها المتناعسين * الا اني رايت جميع المولفين في سُهْوة كتبي قد قيدوا انفسهم بسلسلة نُفَس من التاليف واحدة * لكني لا اعلم الان هل غيّروا اسلوبهم او لا * اذ قد مضي عليّ بعد فراقهم اكثر من خمس سنين * فكانّ العارف بحلقة واحده من تلك السلسلة قد عرف سائر الحَلَق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يسمى حلقيًا * بناء على انه مشى ورا القوم وحذا حذوهم * فاذ قد تقرر ذلك فاعلم اني قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقي ولا نستبهيّ ولا اكون امام القوم فان الثانية انحس من الاولى * وانما انا مستقبل لما استحسنت * آخذ بناصية ما استظرفت * رافض مكلف العادة *



الفصل الثامن عشر

في النحس

لقد ارحت سن القلم من كدم اسم الفارياق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الربيط * وتلهيت بالكلام على الثلج لما داخلني من فرط الحدة عليهما معًا * اما على القسيس فلكونه خان صديقه الذى اواه الى منزله في حرمته * وكان ينبغي له ان يذهب الى مواجرة او يفعل كسائر القسيسين من اهل حرفته * اذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيّته اى فتح له رحم امراته كما تقول التوراة لكان اربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقى وهو اسمه من التاجر * فيكون قد اقام نفسه مقام مَن يربّ النغول * مع ان اول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم * ولهذا كان حق الوراثة عند الانكليز للبكر اى لفاتح الرحم * فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على راس مخلوق واحد * إنّ ذلك لا محال * واما على الفارياق فلانه هو الذى كان السبب فى افشآ هذا السرّ بما ابداه من العناد والتصلّب فى حفظ ابياته التى لا اشك في انه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع * وهو مع ذلك يحسب انه يحسن صنعا * فاما مشابهة الولد اباه في الخلق هل هي دلالة قطعية على كونه ابنه فغير متفق عليها * فذهب بعض

الى انها ليست علامة كافية * لان الام قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة ان تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فياتى توزيع الجنيس بحسب هذا التصوّر * وذهب بعض الى ان الام وحدها لا فاعلية لها في التوزيع فقد ياتى بعض الاولاد مشابها لعمّه او خاله او لآخر ممن لم تكن امّه قد راته قطّ * والان ينبغى لى ان استمر فى القصة * وان اعرضها على مسامع القارى من دون اجراض احدنا بغصّة * فاقول قد تقدم فى اول هذا الكتاب ان الفارياق وُلد والطالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى التيس * والسرطان واقف على قرن الثور * فاعلم هنا ان النحس على قسمين نحس ملازم ونحس مفارق * فالنحس الملازم ما لزم الانسان في يقظته ومنامه واكله وشربه وغدوه ورواحه وفى كل ما ياتيه * والنحس المفارق ما خالف ذلك اعنى ما لزم الانسان في حال دون حال * واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال الخطيرة الشان كالزواج والسفر وتاليف كتاب ونحو ذلك * ثم ان ماهيات النحس الملازم مختلفة ايضا * فمنه ما تكون كالعقدة المحكاة * ومنه كالربقة ومنه كالمسمار * ومنه كالوتد ومنه كالمسك * ومنه كالقفل بلا مفتاح ومنه كالعِرآ ومنه كالعِجار * ومنه كالسِّجاد ومنه كالشِراس * ومنه كالدسو والطِبق اوكالاُرومه او الشُرْط واللراق * ومنه كالجلد ومنه كالدم السارى فى جميع اوصال الجسد ومفاصله * وحاجنه وسلائله * وسناسنه وسلاسله * وترائبه وتراقيه * وسراسيفه وبوابيه * وغضاربه وحوالبه * وزَللانه ومذاخره * وعَضَلاته وبواشره * وعصبه وبوادره * واعصاله ومرادعه * وسافسه وباعوره * ووريده ووتينه * واسهرّنه واخدعه * ومريئه وقلبعه * وحلقومه وبجاعه * وبائطه وبحاعه * واوداجه ودراه * وبِهنته وسطاه * ورواهشه وسرابسه * وسسّنبه واسلاده * وعموده واسوانه *

فنحس الفارياق كان من هذا النوع * غير انه لا ينبغي ان يفهم هنا انه كان دمويا اي كثير الدم او محبًّا لسفكه او ولّاجًا فيه * فانه كان منزها عن هذه الصفات كلها * وانما كان نحسه كالدم من جهة انه كان ملازما له في جميع احواله * فقد حكى وان يكن كاذبا فعليه كذبه انه بات ليلة وقد راى في المنام انه شرب مثلوجا ثم شرب عقبه سخينا فاصبح يشكو من وجع في اضراسه شديد ومن بحح في حلقه * وكان يحلم انه يتهوّر من قنة جبل او يسقط عن ظهر جمل فيغدو وظهره مستقوّس * وكان اذا حلم انه اكل الكامخ معسه في ليلته * او شرب أُجاجا او زعاقا قآ * او اشتمّ روائح كريهة غثت نفسه * وكان اذا حدثه احد بانه راى في حديقته رِبَحْلة راى هو في المنام ليلته تلك انه في

ويل	واد في جهنم او بئر او باب لها *
او في المَوْبِق	واد فيها *
او في الفَلَق	جهنم او جبّ فيها *
او في بُولَس	سجن فيها *
او في سِجّين	واد فيها *
او في أَثام	واد فيها *
او في الحُطَمة	باب لها *
او في غَيّ	واد فيها او نهر *
او في الصَعُود	جبل فيها * وحوله
أُبَيْنَى	اسم بنت ابليس *
او زَلَنْبور	احد اولاد ابليس الخمسة *
او مِسْوَط	ولد لابليس يغري على الغضب *

او السُرحوب شيطان اعمى يسكن البحر *

او خُنزَب شيطان *

او السُرفح اسم شيطان *

او الجِنّ الشيطان او الشياطين *

او نُهم شيطان *

او هُياه من اسمآ الشياطين *

او الحُباب اسم شيطان *

او الازَبّ اسم شيطان *

او أزَبّ العقبة اسم شيطان *

او الهرآ اسم شيطان موكّل بقبيح الاحلام *

او الوَلْهان شيطان يغرى بكثرة صبّ المآ فى الوضو *

او الخُبث والخبائث ذكور الشياطين واناثها *

او السَفِيف ابليس ويسمّى ايضا المبطل وكنيته ابو مُرّة وابو قِتْرة *

او عمرو اسم شيطان الفرزدق *

او الفِلّوط من اولاد الجن والشياطين *

او الشَيصبان والَلأز والقاز والخابل والخنّاس والوسواس والثتّان والاجدع *

وكان اذا تصرص كوة سه بكمكامة مكماكة خيّل له فى المنام انه سبع

ارض خافية بها جنّ *

او فى البراص منازل الجن *

اوفى البلّوفة موضع بناحية البحرين فوق كاظمة بزعمون انه من مساكن الجن *

او فى البافر موضع برمل عالج كثير الجن *

او العارف ع سمّى لانه تعرف به الجن *

او فى الحُوش بلاد الجن *

او فى وُبار وبار كقطام وقد يصرف ارض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن إرَم لما اهلك الله تعالى عادا ورّث محلتهم الجن فلا ينزلها احد منا *

او فى عَبْقر ع كثير الجن *

او فى جَيْهم ع كثير الجن * ولديه

الشّيْصَبان قبيلة من الجن *

او بنو هنّام قبيلة من الجن *

او بنو غَزْوان حىّ من الجن *

او دُهْرُش اسم ابى قبيلة من الجن *

او اَخْقَب اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *

او زَمزمة قطعة من الجن *

او الشِقّ جنس من الجن *

او شِنقْناق رئيس للجن *

او العِسْل قبيلة من الجن *

او العِسْر قبيلة من الجن وهو ايضا اسم ارض للجن *

او السِعْلاة والعَيْشجور والشّهام ساحرة الجن *

او السّعْسلِق امّ السّعالى *

او العُضْرفوط من دوابّ الجن *

او النُظّرة الطائف من الجن *

او الزوْبعة رئيس للجن *

او الخافى والخافية والخافيا الجن وكذا الخبَل *

او التابع والتابعة   الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب *

او العَكَنْكَع والكعنكع   الغول الذكر *

او الخَيدع   الغول الخداعة *

او السِلَتم والصَيدانة والخَيعَل والخَيلَع والخولع والخيتعور والسُمَرمرة والسَمع والعَولَق والعلوق والهَيَّرعة والهيعرة والمَلَد والعَفَرناة (كلها من اسمآ الغول) *

او العِتريس   الغول الذكر *

أو التِمَنسح   المارد الخبيث *

او الدِرقِم   اسم الدجال وهو ايضا البِتَيح كسكّين *

او الطُغموس   المارد من الشيطان والخبيث من الغيلان *

او الزِبانية   جمع زِبنية وهو متمرد الانس والجن ومثله العِكَب *

او الخيزبون   وكان صاحبنا وَهِمَ فى هذه فانى لم اجدها فى القاموس فكيف يمكن رؤيتها فى المنام * واسمها غير موجود فى قاموس الكلام * مع ان المص رحمه وزن عليها الخيزبور والخيتعور والقيدحور والعيجلوف والعبطول والهجبوس والحمهوق والزبرقون والجيثلوط والعيضفوط * ثم انه كان اذا سمع جَنبة تكلم رجلا بمنطق رخيم سمع فى الليل عَزيفا وحُساحس وتهويدا ورِنبَرما وهَذهَذا ورَهرَحا وزِى زِى * (كلها من اصوات الجن) واذا راى جارية تَرَدَّى نصف النهار (١) جاءه فى نصف الليل الكابوس والجاثوم والدُوفان والنَبدَل والبارُوك والدِيثان والدَيثانى * وراى ليلة ما ان قد زفت اليه عروس فاتاه تيس وجعل ينطحه بقرنه فاستيقظ فاذا بقرن راسه مرضوض * وراى ليلة اخرى ان قد وجد على شاطى نهر دنانير ودراهم فمدّ يده واخذ منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما شعر النشط الثانى راى شيئا بيده نرة يديرها * فكان كلما ادارها اخذ القارياق فى ظهره وجع شديد كوجع

(١) رَدَت الجارية رفعت رِجْلا ومشت على اخرى تلعب *

الدآ المعروف في بلاد الشام بالوثاب * فلما رمى بالدراهم من يده من شدة ما اصابه سكن عنه الوجع * ورای ليلة اخرى ان رجلا مغربيا اتحفه بشي فتلقفه في الحال مشرقي وذهب به * قال والى الان لم يرجع به مع انتظاري له كل ليلة * وقس على ذلك سائر احلامه * ومما قاله في الحلم نظما *

كانّ همومي وهي تحت مخدّتي   اذا بتّ تُغري بي الهرآ لتُذرّه
تقول عليّ اليوم كان نواله   وانّ عليك الليلَ ذا ان تجرّه

وقال

أُسرّ اذا انقضى يومي لانني   ارجّي فيه احلاما تسرّ
فاحلم انني اسعى واشقى   فليلي مثل يومي او اشرّ

وقال ايضا

فيارب حتى في المنام تروعني   باضغاث احلام تسوء وتزعج
فياليتني اشقى نهاري وفي الكرى   أُسرّ سرورا من احبّ وابهَج

وعنّ له يوما ان يمدح بعض ذوي السيادة والسعادة * فلما حظي بلثم اعتابه الشريفة وانشده القصيدة رجع القهقرى على عادة اهل بلاده من ان الصغير لا يُرِي الكبير قفاه * اشارة الى انه لا قذال الا قذال الكبير * ثم جاءه الحاجب يقول ان الامير ادام الله دولته * وخلد صولته * وجعل الشمس والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من امسه * وجعل ظله ممدودا على الارض ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب نعاله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه * والعيوق شراكا لنعليه * وجعل الوجود باسمه مبتهجا * وبابه لكل لائذ رتجا مرتجى * وجعل ـــ فلم يتمالك الفارياق ان بادره وقال دعني من جَعَل ماجعل * ماذا تقول الامير * قال يقول الامير المعظم * الخطير المكرم * ذو

لالآ الغامرة * والنعم الوافرة * من اذا قال فعل * واذا سئل اعطى فاجزل *
واذا تنحنح القى الرعب فى قلوب اعاديه * واذا سعل خفقت فرقا افئدة
شانئيه * واذا مخط ارتجّ المكان لهيبته * واذا حبق تزلزل المجلس لحبقته *
فقال الفارياق افّ لهذه الرائحة الخبيثة ياخبيث قل ما يقوله الامير *
وارحنى من هذا التقعير * لقد برّزت على الشعرآ * بهذا العلو والاطرآ * قال
انه يقول لك انك قد احسنت فى ابيات القصيدة وابدعت ما شئت *
لانك شبّهته بالقمر والبحر والاسد والسيف الماضى والطود الراسخ والسيل
المنهمر مما هو خليق بالاتصاف به * الّا فى بيت واحد جعلته فيه قوادا *
قال كيف ذلك جلّ الامير عن القيادة * قال نعم انك قلت انه يجود بالمال
والنفائس ويولى الابكار * وقلت فى بيت آخر انه محمّد الذكر محمود
المناقب وهو غير محمد ولا محمود * وبسبب هذا الخطا الفاحش حرمك
من رؤيته * قال هذه عادة الشعرآ انهم لا يزالون يتلمّظون بذكر الخرائد
والمحامد * وليس المقصود بذلك نسبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية
ما عندى فلا تطمع بعد فى المثول بحضرة اميرنا المبجل * فمن ثم رجع
الفارياق محروما من هذا المغنم الهنّى * وبلغ منه الغيظ ان اضله عن
الطريق المستقيم * فسار فى طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد اللتيا
والتى * واخذ يفكر فى نحس طالعه وشؤم قلمه * فظهر لبوسه ان القلم
انحس شى يتخذه الانسان سببا لمصالحه * وان اسفى الاسكاف انفع
منه * وان تقديم النون عليه فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ان هو
الا اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم فى طالعه صحيح * وانه اول
المراة التى زفّت اليه فى المنام بالعقرب * والجدى بالتيس الذى كان
بنطحه * والسرطان بنفسه اذ رجع القهقرى من عند الامير فكاد ان يعثر

بحصير مجلسه السامي لولا ان تمسك ببعض اوتاده الشريفة * واوّل الثور بالامير الممدوح * الا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس غير محصورة فى حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث كما سيرد بيانه * وذلك ان الفارياق لما سمع من نجيّه الذى قايضه على الاعتراف ان المساومة فى قيل وقال هى من البياعات الرابحة * والاسباب الناجحة * خلج فى صدره ان يجرب تنفيق ما عنده من البضاعة المزجاة * الا انه لم يعرضها من اوّل وهلة على احد المشترين من الجثالقة كما فعل صاحبه * بل اخذ فى تقليبها وتفليتها وتمشيطها وتنسيلها من جهة واستشفافها من اخرى * فظهر له انها قديمة قد ركّت بحيث لا يكاد احد ان يرغب فيها * واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يفدّد على شرآء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها * وادعى انه يقدر ان يعيدها الى لونها الاول * وانه لا يعجزه شى من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها * وانه اى العنقاش لما بلغه فى بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرفأ كل خرق ويعيد كل لون ناقص * فسار اليه الفارياق عجلا الى المقايضة واطاه على ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة راقت لعينه * فقد يقال لكل جديد بهجة * ثم قفل الى منزله مسرورا بصفقته * فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا * لعمر ربّ الجنود ما جرت العادة فى بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها * ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضواطرة الكبار * فكانما كان كبكبا سقط على حلقومه * او حردلا دخل فى حرطومه * فهاج وارتد *

وابرق وارعد * وماج واضطرب * وضج وصخب * والّب وحزّب * وبربر وثرثر * واقبل وادبر * وزجر ونهر * ووثب وطفر * وفتل لحيته من الغيظ حتى صارت كالمقرمه * واغرى كل حنتوف مثله بان يهيج معه * ونادى ياخيل الله على الكفار * انهم صالوا النار * كيف تجرّا هذا الشقى المنحوس * المعتوه المهلوس * على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له جاثليقه * وسلكه فيه بطريقه * وكيف اقدم بوقاحته * وصفاقة وجهه وقباحته * على معاملة ذلك العنفاش اللئيم * ومبايعته ما ورثه من ابائه من الزمن القديم * اليس في بلادنا صُلُب * وادهاق ويلب * هلموا به مُهانا * اجلدوه عريانا * اطرحوه نيرانا * القموه حينانا * اطعموه دمانا * اقطعوا منه لسانا * اسقوه الزنانى * علىّ به الآن الان * فابتدر بعض الحاضرين وقال انا آتيك بهذا الجُعشوش باسرع من رد طرفك اليك * ثم ولّى حفدا الى الفارياق فوجده مكبّا على قراة الدفتر الذى فيه اثمان السلعة * فتناوله بالسيف فاصاب فروته * ثم سيق الفارياق الى الجزّار المشار اليه * فلما بصر به انتفخت اوداجه واتسع منخراه وتعقدت اسرّة جبينه واصفرت شفتاه * ورقص شارباه واحمرت حدقتاه * واحنرفت اسنانه ودارت بينهما هذه المحاورة *

قال الضوطار ويلك يامغبون * ما دعاك الى المساومة فى سلعتك *

الفارياق اذا كانت هى سلعتى كما اقررتَ فما الذى يمنعنى من ذلك *

الضوطار ضللت * هى سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك لا من حيث ان لك حق التصرف فيها *

الفارياق هذا خلاف العادة والحق فان ما يرثه الانسان يحق له التصرف فيه *

الضوطار كذبتَ * انك انما ورثتها لتحفظها لا لتضيعها ولا لتبادل بها *

الفارياق هى ميراثى افعل به ما اشآء *

الضوطار قُبحتَ * انى انا القيّم عليه الصائن له من الشوائب *

الفارياق ما بلغنا عن احد انه تولّى ميراث غيره الا اذا كان الوارث غير راشد *

الضوطار غويت * انك انت غير رشيد وانا وليّك ووصيّك وكفيلك ووكيلك وحسيبك *

الفارياق ما الدليل على انى لست من الراشدين ومن ذا الذى جعلك وصيّا ووليّا *

الضوطار زغتَ * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو انك تبدّلت به متاعا غيره * واما كونى وصيّا فان جميع امثالى يشهدون لى به كما انى انا ايضا اشهد لهم بانهم اوليآ غيرك *

الفارياق ليس تبديل شى بآخر دليلا على الضلال والزيغ اذا كان المبدل والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما انى رايت لون القديم يوشك ان ينصل وقد ركّت رقعته فتبدلته بما هو ارهى واقوى *

الضوطار كفرتَ * انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق بين الالوان *

الفارياق كيف ذلك ولى عينان ناظرتان ويدان لامستان *

الضوطار عميتَ * فان الحواس قد تغش ولا سيما حاسة البصر *

الفارياق اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك من الغش وانت بشر مثلى *

الضوطار جننتَ * انى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من طرف شيخ السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من الاسرار العجيبة ان لا يطرا علىّ غبن ولا غش الّا وتبيّنته لانه هو منزه عن الغش *

فقال الفارياق وكان به فأفاة * واين شيخ الفسوق هذا ثم استدرك كلامه وقال انما اردت شيخ السوق * ولا تكن زيادة هذه الثمانس موجبة لحدّ الثمانين *

الصوطار . لُعنتَ * هو بعيد عنا بيننا وبينه ابحار وجبال * غير ان انفاسه القدسية تسرى فينا *

الفارياق كيف به اذا مرض او جنّ او مسّه طائف من الجن او اصابه برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تمييز المتاع الردى من الجيد *

الصوطار هلكتَ * ما هو بمُبْلو للعوارض لانه بوّاب رتاج عظيم وبيده مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قُبُل ومن دُبُر *

الفارياق ليس هذا بدليل فان كل انسان فى العالم يمكنه ان يصير بوّابا ذا مزلاجين *

الصوطار فسقت وفجرت * انه هو وحده مستبدّ بهذه الخطّة اذ قد فوضت اليه من المالك الآمر *

الفارياق متى كان ذلك *

الصوطار صُلبتَ * مذ الفى سنة تقريبا *

الفارياق أَوَ عاش هذا الشيخ الفى سنة *

الصوطار الحدتّ * انما انتقلت اليه بالوراثة *

الفارياق ممّن ورثها أَمن ابيه وجده *

الصوطار ثكلت * من انسان لا يُعدّ فى اهله *

الفارياق هذا امر عجيب كيف يرث الانسان شيأ من رجل غريب وان العرب اذا مات عن غير وارث انتقل ماله الى بيت المال فهو اولى به من رجل على حدته *

الصوطار عُذّبت * هذا سرّ ليس لك ان تبحث فيه *

الفارياق ما الدليل على كونه سرّا *

الصوطار افحمشت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلا واتى بكتاب واخذ يقلب فيه من اوله الى اخره حتى يجد فيه مطلوبه اذ لم يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد عبارة مضمونها ان المالك كان احبّ مرة رجلا فوهبه هبات شتى من جملتها كاس وطست وعصا في راسها صورة ثعبان وجبّة وتبّان ونعلان وباب له مزلاجان * وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهنأ بها *

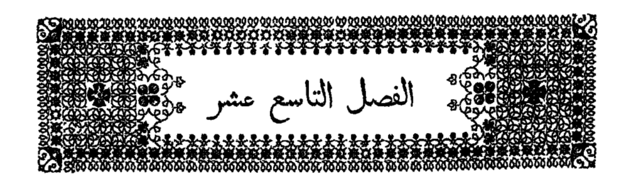
الفارياق لعمرى ليس في هذه الهبة ما يدل على سرّ * هذا وقد مات كلّ من الواهب والموهوب له وفُقد الموهوب كله * فكيف لم يبقَ الا المزلاجان فقط وقد ضاع الباب وهما لا ينفعان من دونه شيأ *

الصوطار فنّدت * لم يبقَ لنا في غير المزلاجين من حاجة *

الفارياق بحق هذين المزلاجين عليك يا سيدى الّا ما اريتني الكاس مرة في العمر وحسبُ * ولك عليّ بعد ذلك الإمرة التامة * فلما ان ضغط الصوطار بين هذا السلب والايجاب استنباط وَغْرا وهمّ ان يلحق الفارياق بالباب والكاس لولا ان دعاه داعٍ الى اللوس * فقام ناشطا ووكل به بعض الاوغاد وكان وقتئذ يتصوّر جوعا فراى ان رؤية قعر القدر في المطبخ اشهى اليه من النظر الى وجه الفارياق * فتغافل عنه فتملص الفارياق من هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجي وقال له * لقد خسرت تجارتي معك فان البضاعة كادت تمنيني بمضع * فابتغى مثك الاقالة * أَوْ لا فان يكن عندك في الخرج راس يلائم جثتي حين تعدم هذا فارني اياه ليسكن روعي * اذ لا يمكن لي ان اعيش بلا راس * فاما ان لم يكن في الخرج غير اللسان فما لي به حاجة هذا متاعك فضمّه اليك * فقال له الخرجي ما هكذا حق العامل * ينبغي ان تصبر على ما يلحقك من تبعة الصنعة كما هو دأب

جميع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة * ولكن لا تخف فان من خواصها ايضا ان تقى الواقى لها وتحفظ المحافظ عليها * فيكون له بها غنًى من الراس اذا نقف * وعن العينين اذا سُملتا * وعن اللسان اذا اسلّ * وعن الساقين اذا غمزتا بالدَهق * وعن اليدين اذا غلّتا بالكبل * وعن العنق اذا وُقصت * والكبد اذا فُرصت * قال ما ارى ما ترى فان كالاسف لا يحيى مائتا * والندم لا يردّ فائتا * فان يكن عندك مخزن آمن فيه من العدوّ على السلعة فآونى اليه * والّا فهذا فراق بينى وبينك * فاطرق الخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة واغلق الباب * واخذ يمتحن الفارياق كما سيرد بيانه فى الفصل الآتى *





الفصل التاسع عشر

في الحس والحركة

قدجرت عادة الناس جميعًا بان يقولوا اذا احبوا شيا او اشتاقوا الى شي ان قلبي يحب هذا الشي * او يحس بمحبة هذا الشي * او يشتهي ذلك الشي * ولست ادري علة هذا الاستعمال * فان القلب انما هو عضو في الجسم من جملة الاعضآء فلا يمكن ان تكون حاسّتها كلها مجموعة فيه * وبيانه انّ مَن احبّ مثلاً لونًا من الطعام بخصوصه فلينظر في ادوات الاكل الباعثة على اشتهائه * ومن احبّ امراة فلينظر في الاداة الباعثة على اشتهآئها * وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب الرئاسة والسعادة والدّين ينبغي ان يحمل على الراس * اذ هي امور معنويّة لا علاقة لها بتلك البضعة اي القلب * وكما ان الطحال الذي هو وزير الميمنة لا تعلق له بهذه الامور * فكذلك كان وزير الميسرة اي القلب * الا انه لما كانت حركة القلب اسرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التي هي حرز التنفّس * ظنّ الناس ان القلب اصل في جميع اهوآء الانسان واشواقه * ومن عادتهم احتنانًا للبحث عن كثرة الاسباب والعلل والتنقير للحقائق ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعدّدة * وينسبوا اليه كل ما تسبّب عن غيره * كما تنسب الشعرآء مثلا دواعي النحس الى الدهر ودواعي السـ

والفراق الى الغراب * وبناء على هذا الاعتقاد اى نسبة الاهوآء كلها الى القلب اراد الخرجي ان يمتحن قلب الفارياق ليعلم هل نبض فيه حبّ السلعة الجديدة نبضا قويا اوّلا * فجعل يقول له هل تحسّ فى قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى * وهل يضطرب فرحًا وسرورًا عندما تسمع بذكرها * وهل ينبسط ويتسع وينشرح عند خطورهذه ببالك * وينقبض ويضيق ويتضامّ عند ذكر تلك * وهل عند قرآتك دفتر الايمان يُخيَّل لك أن قد طُبع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر * حتى لو اعوزك وجوده سدّت تلك الحروف مسدّه * وهل يضطرم ويتوقد مرة ويذوب ويضمحل اخرى * ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسمندل المعروف * وهل تحسّ ايضا بان ناخسا ينخسه * وواخزا يخزه * وعاصرا يعصره * وراهصا يرهصه * وممزقا يمزقه * وضاغطا يضغطه * فقال له الفارياق اما الاضطراب والخفقان فانه دائما على مثل هذه الحالة * وهو عُرْضة لذلك فى حالتى الفرح والترح فان ادنى شي يوثر فيه * واما التوقّد والذَوَبان فلا ادرى * فقال المراد بالتوقد هنا وبالنخز والعصر الحميّة والتحمّس والتهوّس وتخيّل ما هو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا * ومثل ذلك مثل من يسافر فى فلاة لا ماء فيها فيبلغ منه الظمأ ان يتصوّر السراب ماءً وشعاع الشمس نَقِبزًا * ولا يزال يُمنّى نفسه بوجدان الماء حتى يقطع المفازة * فان شدة التخيّل والتهوّس تعين الانسان على تحمل المكاره والمشاق * فيكون رازحًا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك * فيستوى بذلك عنده المجاز والحقيقة والمحسوس وغير المحسوس * حتى يحسب الصَفَر خِوانا والنعش عرشا والخازوق او الصليب منبرا * وربما كان ذا زوجة وعيال فيتخذهم متخذ الماعون من الحزف فيغادرهم ويجرى فى البلدان القاصية لترويج السلعة * ويستغنى عن اهله واخوانه ورهطه

بما لديه فى الخرج * فيحمله على كتفه مستبشرا مسرورا ويضرب فى مناكب الارض طولا وعرضا * فكل مَن مرّ به من عباد الله عرض عليه الشركة والمضاربة * ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضى نحبه وطوبى له ان مات على هذه الحالة * الخرجَ الخرجَ * ما لنا سواه من حرفة ولا شغل * السلعةَ السلعةَ * ليس لنا غيرها من جُعل * ثم طفق يبكى وينتحب * فلما افاق بعد حين ساله الفارياق هل عندكم معاشر الخرجيّين سوق وشيخ للسوق * قال لا * قال ومن يقوّم لكم المتاع قال كلّ منا يقوّم متاعه بنفسه ولا نحتاج الى آخر * فتعجّب الفارياق وقال فى نفسه انّ فى هذا لعجبا * فانّ قوما من هولآء الصعافيق لهم شيخ سوقٍ وما لهم خرج * وقوما لهم خرج وليس لهم شيخ * ولكن لعل صاحبى هذا على الحق * اذ لو لم يكن كذلك لما تكلّف حمل الخرج من اقصى البلاد وتجشّم اخطار السفر وغيره * ثم نخزه الخنّاس ان الخرجى ربّما لم يجد محترفا فى بلاده فجآء بما عنده لينفقه فى بلادٍ اخرى * فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزّا او كرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبّا باهله * فقد جرت العادة بان المتسبّبين يطوفون فى كل الاقطار * ثم فكّر فى أنّ أناةَ الخرجى وما هو عليه من الرزانة والصبر لا بدّ وان يكون قرينها الرشد والحزم * بخلاف النزق والطيش فانه لا يكون الا قرين الغواية والضلال * فمن ثم حكم بان الخرجى كان على هُدًى وذلك لاناته وحلمه * وان المطران كان من الضالين لحِدّته وتسرّعه * ثم قال للخرجى قد وعيت ياسيدى كل ما اوعيتَه اذنى * وما ارى الحق الّا معك * وانى مشايعك ومتابعك وحامل للخرج معك * ولكن اجرنى من هولآء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تاخذهم فى خلق الله رافة ولا شفقة * وعندهم أنّ اهلاك

نفس غيرةً على الدين يكسبهم عند الله زُلْفَى * وقد تمسكوا بظاهر اقوال
من الانجيل فيما رأوه موافقا لغرضهم وزائدا في جاههم وسلطانهم * فيقولون
ان المسيح بقوله ما جئت لالقى على الارض سِلْما لكن سيفا انما رخّص لهم
في اعمال هذه الاداة في رقاب الناس ردًّا لهم الى طريقة الحق * وقد
نبذوا وراء ظهورهم خلاصة الدين وجوهره ونتيجته * وهي الالفة بين جميع
الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى * وما صعبٌ على من
زاغ وعمى عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وَحْيًا كان او غير وَحْي ما
يوافق غرضه وفساد عقيدته * فان باب التاويل واسع * ايجوزُ الان لامير
الجبل اذا شاخ ولم يُعْد التدثّر بالثياب يدفّئه ان يتكوّى ببنت عذراء
جميلة اي يتدفّأ بها ويصطلى بحر جسدها كما فعل الملك داود * ام
يجوز له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المتزوجات
واطفالهم ويستحيي ابكارهم لتفجر بهن فحول جنده * كما فعل موسى باهل
مدين على ما ذكر في الفصل الحادي والثلثين من سفر العدد * ام يجوز
له ان يتزوج بالف امراة ما بين ملكة وسرّية كما فعل سليمن * ام
يجوز لاحد من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النغول كما فعل النبي
هوشع * ام يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل امراة
وكل طفل رضيع * كما فعل شاول بالعمالقة عن امر ربّ الجنود * حتى ان
الرب غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولابقائه على اجاج ملك العمالقة
وندم على انه ملّكه على بني اسرائيل فقام صموئيل وقطّع المالك قطعا امام
الرب في جلجال * هذا واني قد قرأت في فهرست التوراة المطبوعة في رومه
في حرف الهاء ما نصه * ينبغي لنا (اي لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة *
اي المبتدعين او المماحكين * واستشهدوا على ذلك بما كان يجري بين

اليهود واعدائهم من القتال والفتك والاغتيال على ما سبق ذكره * فان يكن
دين النصارى يحلّل قتل الرجال والنسآء والاطفال والفجور بالابكار من النسآ
ويبيح التوثب على عقار الغير من دون دعوة الى الدّين بل مجرد عتوّ وظلم
كما كان يحلّله دين اليهود * فلايّ سبب نَسَخَه اذًا وابطل احكامه * لكن
دين النصارى مبنيّ على مكارم الاخلاق * وغايته من اوله الى آخره ابقآء السلْم
بين الناس * وحثّهم على الصلاح والخير * والّا فلنرجعْ يهودًا * فلما سمع
الخرجيّ ذلك رأى ان ورآ هذا الكلام لباقعةً * فحرص على انقاذ الفارياق
من ايدى العتاة * وارتاى ان يبعثه الى جزيرة تسمى جزيرة الملوط
استئمانًا فيها * فركب الفارياق فى سفينة صغيرة سائرة الى الاسكندرية *
فلما ان سارت به غير بعيد هاج البحر واضطرب بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه
من الدوار * وطفق يشكو من الم البحر وينوح قائلا *

نواح الفارياق وشكواه

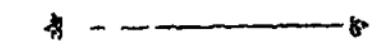
ويلى من السَفَر ومما اشتق منه ما كان اغنانى عن مقاساة هذا الضر الاليم *
ما كان اغنانى عن هذه المساومة التى سامتنى هذا الكرب العظيم * ماذا
وسوس الىّ حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لى من هذا الفصول
الذميم * لقد ولدت فى الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالى ما اختلف
فيه عَبام وبعيم * فلاى شى دخلت فى هذه المضايق وتورّطت فى هذا
السرّ العقيم * هل كان يعنينى ما تهاتر عليه اهل المشرقين من فساد رابهم

وخلقهم اللئيم * لهفي على القلم وان يكن في شِقه شَقّ وحول مُحاجه الوَنيم * لهفي على الحمار الذى كان يزقع ويرفس من لى بذلك البهيم * لعله الآن احسن حالا مني ولعله في نعيم مقيم * وانا اليوم بما فرّطت مُليم * مَن لى بالخان والاخوان فيهم كل بزبع نديم * زمانٌ لا شغل الا معاقرة المدام والتطريب والترنيم * ليتني قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم * (استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل وقت وقت جدال ومناقشة خصيم * لقد نصحني المطران بقوله ان الحواسّ قد تغش في الضئيل والجسيم * والغبي والحكيم * والجاهل والعليم * انه يعرف الحق ويقول غيره خوف كل عتلّ زنيم * اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التضليل والتهييم * الم يقل لى انك لا تقدر على تجديد القديم * وعلى تقويم ما لا يستقيم * نعم ان الحواس تغش وسيّان في ذلك السفيه والحليم * والكريم واللئيم * ثم وقف قليلا حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول * ان القبيحة الشوهآء اذا نظرت وجهها في مرآة تقول ان كنت شوهآ عند بعض فاني حسنآ عند آخرين * ولذلك قال صاحب القاموس الشوهآ العابسة والجميلة ضدّ * وان القُرنى اذا نظر جلمود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به أمتا ولا عوجا * وان سادتنا القباح من الملوك والملكات وذوي السعادة والجَدّ لا يصورهم المصوّرون الا حسانا * وهم لا ينظرون انفسهم في العِناس الا كما صوّرهم المصورون * وانّا لنرى الشمس طالعة ولمّا تكن قد طلعت كما يقول الرياضيون * ونرى العصا في المآ معوجّة وهي غير ذات عوج * وان السراب يرى الشخص انسين * وان بعض الالوان يبدو بلونين * وان السحرة يخيّلون للناظرين انهم يمشون على المآ ويدخلون في النار ولا يحترقون * ومن ذلك في ...

ما يقابله فى الارض متحركا ماشيا وهو ساكن نابت * ومن يقعد فى
شباك مناوح لشباك آخر مساوٍ له فى الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه *
ولعل صاحبى الخرجى كان بكآوه لداعٍ غير داعى السلعة * فانه يبلغنى من
اللاعبين واللاعبات فى الملاهى انهم يبكون ويضحكون ايان شاوا فلعل
البكآ عندهم من الصنائع التى يتعلمونها على صِغر * ماذا يفيدنى الخرج
الان * ادعوه ويتركنى * احبه ويبغضنى * احمله وينبذنى * فلما ابتدا
هذه السفاهة التى تعدّ عند الخرجيّين كفرا * وعند السوقيين تسبيحا *
وعند المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع * اذ الناس لم يتفقوا
الى الان الا على الخلاف * مادت به السفينة ميدة شديدة يحسبها
الخرجيون انتقاما من الرب * والسوقيون عارضا من العوارض * فجعل
يصرخ ويقول الا ياشيخ السوق عفوًا بحق لحيتك التى عند الحلاقين
الا ما اجرتنى * ياخرج * ياسلعة * يادفتر * ياصواطرة * ياصعافقة *
يانسّاجى السلعة * ياصبّاغيها * ياسدّيها ياملّحميها يامنيّريها يامطرزيها
ياموشيها يارفّاميها يارفّائيها ياقصّاريها ياخياطيها ياكفافيها ياشرّاجيها
يانشّاريها ياطوآئيها ياقسّاميها (١) يالفافيها ياملفقيها * تداركونى
بحقكم قد هلكت * فما كاد يتم هذا الدعآ الا ومالت به السفينة ميلة
تدحرج بها راسه الصغير كالبطيخة * فجعل يصرخ ويستغيث ويقول لقد
عدّدت من التعديد * هذا امره ظهر من اول الطريق فكيف يكون فى
آخره * ثم غشى عليه وصار يهذى ويقول الخُرّ الخُرّ * فسمعه احد الركّاب
يكرر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخبثين فى فراشه * فلما لم يجد شيا
قال هو يهذى من الالم وتركه * ثم قدّر الله ان سكن البحر وصفا الجو وظهرت
بعد ساعات ارض الاسكندرية * فجآ ذلك الرجل وبشّر الفارياق برؤية

(١) القسامى من يطوى الثياب اول طيها حتى تنكسر على طيه *

الارض * فقام منجلدا وغسل وجهه وبدل ثيابه * فلما خرجوا من السفينة سبقهم الفارياق وما كاد يطا الارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال هذه أمي * واليها أُمّي * فيها ولدت وفيها اموت * ثم انه توجه الى خرجي كان في المدينة وادّى اليه كتاب توصية من الخرجي الآخر * ولبث عنده ينتظر سفينة تسافر الى تلك الجزيرة * فلنهنّئه بوصوله سالما آمنا * ولنقدم عرض حال للسدّة الاميرية * والحضرة الملكية * حضرة بطرك الطائفة المارونية كائنا ما كان * ثم نعرج قليلا على السوقيين والخرجيين ونذكر الفرق بينهم *



عرض كاتب الحروف

قد تفلّت الفارياق من ناديكم * وانملص من بين اياديكم * وعبر في وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا * وبقي الآن ان اذكركم ما اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخي المرحوم اسعد * اذ اودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين * وبعد ان اذقتموه جميع ضروب الذلّ والهوان والبوس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق الهوآ اللذين يمنّ بهما الخالق على الابرار والفجّار من عباده قضى نحبه وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم في اشيآ لا تقتضي عذابا ولا عتابا * وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مَدَنيّ * اما الدّين فان المسيح ورسله

لم يامروا بسجن من كان يخالف كلامهم وانما كانوا يعتزلونهم فقط * ولو كان دين النصارى نشا على هذه القساوة الوحشية التي اتصفتم بها لان انتم رعاة التائهين وهداة الضالين لما آمن به احد * اذ لا احد من الناس يَصْبُو الا اذا كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه * وكل انسان في الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوعّد والتأويق والتشنيع ليس من الخير في شي * وناهيك ان المسيح ورسله اقرّوا ذوى السيادة على سيادتهم وإمْرتهم * ولم يكن دابهم الا الحض على مكارم الاخلاق والامر بالبِرّ والدعة والسِلم والاناة والحلم * فانها هى المراد من كل دين عُرِف بين الناس * واما المدنى فلان اخى اسعد لم ياتِ منكرا ولا ارتكب خيانة في حق جاره او اميره او في حقّ الدولة * ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعيّ * فاساآة البطرك اليه انما هى اساآة الى ذات مولانا السلطان * لانّا جميعا عبيد له مستامنون في امانه وحكمه * وكلنا في الحقوق سوآء * اذ البطرك ليس له حق في ان يخطف من بيتي درهما واحدا لو شآء فانّى له ان يخطف الارواح * وهَبْ ان اخى جادل في الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تميتوه بسبب هذا * وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا ادلّته وتدحضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تخشون تبعه * والا فكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك * بل اصررتم على عتوكم في تنكيله وزعمتم ان فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة في جنايته وجريرته فردتم تجبرا عليه وطاما * وكانّى بكم معاشر السفهآ تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة محمدة يُندَب اليها * ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد والاجبار على شى لا

يزيد المضطهد وشيعته الا كلفًا بما اضطهد عليه * ولاسيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال * او انه تحلّى بالعلم والفضائل وقرينه عُطُل عنها * فقد فاتكم على هذا العلم الديني والسياسيّ * وعرّضتم عرضكم للقذف والتسويد * وذكركم للمقت والتفنيد * ما دامت السماء سماً والارض ارضا * وان اخي رحمه الله وان يكن قد مات وذكره لن يموت * وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سوء فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم * وقد لعمري احرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحّمة على سفك الدم اكثر مما لو بني حيّا * وحسبك بالخواجا ميخائيل مشاقه الاكرم وبغيره من ذوي الفضل والدراية مثالا * الم تاخذكم باغلاظ الاعناق رافة في شبابه وجماله * الم تسائر هايئكم البارزة لصفرة وجهه حين حجبتموه عن النور والهواء * وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته * وحين لم يبق من ترارته غير الجلد والعظم وتعلم عليه ايضا ان تطلقوه بهما * الم تشفقوا عليه اذ رايتم انامله قد صنعت لعوز ما كان يتمتع به خُمُر ديركم * ولقد طالما والله اخذت القلم فخطت ما يعجب به الملوك * ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فكم ارخى الا والعَرَق يتصبّب من جبينه ذاك الصلت * وليت ما ابكى [illegible] تذكيرا وتزهيدا * وطالما الّف وعرّب لكم كتبا ركيكة وعلّم جهلى [illegible] واخرجهم من ظلمات الجهل * الم يخز وجوهكم الصفيقة ما كان [illegible] في وجهه من ماء الحياء فكان اشد خفرا من مخدّرة * وانه كان عزيزا في اهله * مكرما عند الامراء محبّبا الى الخاصة والعامة * نبيه الذكر * كريم الخلق * فصيح اللهجة * انيس المحضر * أَفبعد ان [illegible] وذل وينكل ويموت والله يعلم باي شي مات * ما بال الكنائس الفرنساوية

والنمساوية والانكليزية والمسكوبية والرومية الارثودكسية والرومية الملكية القبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتوالية والانصارية واليهودية لا تفعل هذه الفظاعة والشناعة التي تفعلها الكنيسة المارونية * ام هي وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل * الستم تزعمون ان ملك فرنسا هو مجير الدين وناصره * والناس من اهل مملكته الكاثوليكيين ما زالوا يطبعون كتبا يندددون فيها بعيوب رؤساء كنيستهم وقبائحهم وسفاهتهم وفحشهم وشراهتهم والحادهم * بل ان كثيرا منهم قد الفوا تواريخ خاصة بما كان عليه البابوات من الفسق والفجور وسوء التصرف * وبكفرهم بخلود النفس والوحي وبالهية المسيح * فمنهم من قال ان البابا ارماديوس الثامن ويعرف بدوق صفوى رقي الى درجة بابا وهو عامي * ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لخلع البابا يوجين وانهم حكموا عليه بالعصيان والارتداد والسقاق والبدع ونكث اليمين * ومنهم من قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كونتيار مطران كولون لمخالفته له في المجمع الذي عقد في متز سنة ٨٦٤ * فكتب المطران المذكور رسائل الى جميع كنائسه يقول فيها * ان المولى نيقولاوس الذي اتخذ له لقب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرمنا فقد علونا على سفاهته * ومنهم من قال ان امبروسيوس حاكم ميلان حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نوابا من طرفه الى القسطنطينية * فعقدوا ثم مجمعا اجتمع فيه اربعمائة اسقف وكلهم حكموا ببراءة فوتيوس وانه جدير برتبة مطران * ومنهم من قال ان البابا اسطفانوس السادس امر بان تنبش جثة فورموسيوس اسقف بورطو من القبر لانه كان قد اثار

شغبا على سلفه البابا يوحنا الثامن * ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع راسه وثلث من اصابعه والقيت جثته فى طيبر * وان البابا سرجيوس كان قد استوزر ثاودورة ام ماروزيا التى تزوّجت بمركيز طوسكانى * وانه اى البابا اولد ماروزيا هذه ولدا ربّاه عنده داخل قصره من دون محاشاة احد من اهل رومية * ثم تزوجت ماروزيا بعد ذلك بهوك ملك ارلس وعملت على قتل البابا يوحنا العاشر لانه كان يهوى اختها * فخنقته بين فراشين واستبدّت بالامر * ثم احتالت ان ولّت ليو هذه الرتبة ثم قتلته فى السجن بعد اشهر * ثم ولّت من بعده رجلا خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عزلته ونصبت يوحنا الحادى عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد اتى عليه اربع وعشرون سنة لا غير * وشرطت عليه ان لا يباشر من الاحكام الا ما كان مختصا برتبته البابا وية * وانها سمّت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردى وفوضت اليه الحكم * فقام احد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها اهل رومية وحبسها وابنها البابا فى صانت انجلو * وانه وَلِي بعده اسطفانوس الثامن * غير انه لما كان بغيضا عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوّهوا وجهه فلم يقدر بعدها على الظهور بين الناس * ثم انتُخب ابن ولد ماروزيا المسمّى اكطافيانوس وله من العمر ثمانى عشرة سنة وسمّى من بعد ذلك يوحنا الثانى عشر * وكان خليعا ماجنا فحّاشا مستهترا منهمكا فى اللذات وهوى النفس مولعا بركوب الخيل والفروسية * وانما لم يخل ذلك بامور الكنيسة لان اكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال * وان اوتو الامبراطور لما علم ان هذا البابا قد اضمر العصيان وكان اهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختلّ من احوالهم توجّه من بافيا الى رومية * وبعد ان استتب له الامر فى المدينة عقد مجمعا

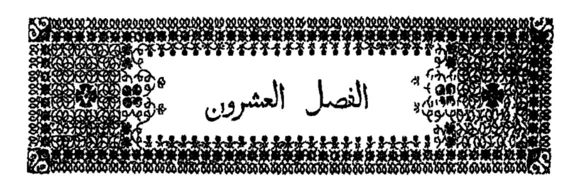
حضر فيه البابا بنفسه وكثير من امرآ جرمانية ورومية واربعون اسقفا وسبعة عشر كردينالا وذلك في كنيسة مار بطرس * وشُكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدّة نسآء وخصوصا ايتَنّت التى ماتت وهى نُفَسآء * وانّه قلّد مطرنيّة طودى لغلام كان سنّه عشر سنين لا غير * وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية بيعا وسمل عينى اشبينه فى المعمودية سملا * وجَبّ اى خصى احد الكرادلة او الكردينالات جبّا * ثم قتله * وانه لم يكن يؤمن بالمسيح وغير ذلك مما اوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن فى مكانه * الا انه لم يكد الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة * وعقد مجمعا خلع فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكردينال الذى كتب الشكوى عليه * وقطع ايضا لسان الكاتب الذى كان يقيّد الحوادث وأنفه واثنتين من اصابعه * ثم قُتل البابا يوحنا الثانى عشر وهو معانق لامراة وكان القاتل له على ما قيل زوجها * ثم ان القنصل كريسنتيوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيّش اهل رومية على اوتو الثانى وسجن بندكتوس وكان من حزب الامبراطور فمات فى السجن * فلما بلغ ذلك مسامع اوتو ولّى يوحنا الرابع عشر * فقام عليه بونيفاس السابع الذى كان ولى الرئاسة من قِبَل القنصل وقتله * وبقى القنصل مستقلا بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غريغوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوتو الثالث * ثم احتال عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تعلق جثته من القدمين * وسُملت عينا البابا يوحنا الخامس عشر الذى كان انتخبه الرومانيون وقُطع انفه ثم رُمى به من ذروة قلعة صانت انجلو * ثم عُرضت الرئاسة البابارية على البيع فاشتراها كلٌّ من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحدا بعد واحد * وكانا اخوى مركيز

طوسكانى * ثم اشتُريت لولد ستة عشر سنين وهو بندكتوس التاسع * ثم انتخب باباوان اخران وكان احدهما يكفّر الاخر ويحرمه * ثم اصطلحا على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سرّيته * ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض ملوك فرنسا بان يطلّق امرأته ويباشر دواعى التوبة سبع سنين * وانه لما شهر المنشور فى المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنّبه الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمَين * ومنهم من قال ان البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعا فى رومية على آنرى الرابع سلطان جرمانية وقال فيه * قد خلعت آنرى عن ولاية النمسا وايطاليا واعفيت جميع النصارى من الطاعة له ونقضت عهدهم له * ولست آذن لاحد فى ان يخدمه باعتبار انه ملك ذو سلطان * وان آنرى لما ضاق بذا الحال ذرعا اضطر الى الذهاب الى رومية * فلما قدم على البابا وجده حالّا بالكنتس ماتيلدة فى كانوزا(1) فوقف السلطان يستاذن فى الدخول على البابا ولم يكن معه احد يخفره * فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا فنزعوا عنه حلّته الملكية والبسوه ثوبا من الشعر * [illegible] صحن القصر حافيا وكان ذلك فى فصل الشتاء * ثم الزم ان يصوم [illegible] ايام قبل تقبيل قدم البابا * فلما انقضت الايام [illegible] البابا فوعده بالعفو بشرط ان يحضر ما يحكم [illegible] الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه [illegible] الثانى * وكان مثل سلفه فى العتوّ والتجبر [illegible] آنرى على قتال ابيهما * وهذه [illegible] فقاما عليه واودعاه السجن ثم [illegible]

(1) الكنتس مونث الكُنت من القاب الشرف عند الافرنج *

من قال ان آنري السادس ولد فريدريك الثاني سار الى رومية ليتوّجه البابا سيلستانوس * ولما كان الامبراطور متطاطئا لتقبيل قدمه وعلى راسه تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها التاج عن راسه فوقع على الارض وكان سنّ البابا وقتئذ ستا وثمانين سنة * ومنهم من قال ان بعض الباباوات واظنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه * غير ان مطارين فرنسا نسخوا حكمه وامروا بالغائه * وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الامبراطور فريدريك الثاني وذلك في سنة ١٢٤٥ وحكم عليه فيه بكفره وبانه كان يتسرّى بجواري مسلمات * فناضل عن الامبراطور خطباوه وحزبه وردّوا على البابا انه افتضّ بنتا وارتشى غير مرة * ومنهم من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدسّ له السمّ في طعامه * وان البابا لويوس الثاني وَلِيَ مرة حصار رومية بنفسه وجاءت من رمية حجر على راسه * وان البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجول في فيتّي وليون لجمع المال ومعه عشيقته * وان راهبا من الدومينيقيين سمّ الامبراطور آنري عن امر البابا وذلك في القربان * وانه في سنة ١٢٠٠ تزاحم باباوان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للقتال وعلى رايته كلّ صورة المفاتيح * وان احدهما تصرف في آنية كنيسة مار بطرس وانفقها في اهبة الحرب * وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالفه من الكرادلة او الكردينالات * وفي ذلك الوقت انكرت دولة فرنسا رئاسة البابا واستبدّت اساقفتها بامور رعيتهم * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثالث والعشرين شكي بانه سمّ سلفه وباع الوظائف الكنائسية وقتل عدة ابرياء * وانه كان كافرا ولوطيا معا * فمن ثم خُلع بحضرة الامبراطور * الى غير ذلك مما يضيق عنه هذا الكتاب فاني لم اصعد في الدين وانما

اوردت ما مرّ بك على سبيل الاستطراد * فان كان ما قاله هولآء المولفون من الفرنساويين حقّا كان اخي ابرّ من هولآء الائمّة واتقى * اذ لم يُشَكّ قطّ بانه لاط او زنى او سمّ احدا او هاج الابنآء على ابائهم ليقتلوهم * او انه احتلس انية الكنائس او طغا وتجبّر على سلطانه او ارتشى * وانما هي مماحكات جرت بينه وبين بطركه على اشيآء غير مقيسة ولا معدودة ولا موزونة ولا مكيلة * فانت تقول مثلاً ان دركات قنوبيين المودّية الى سجين ثلث * وهو قال ثلثمائة * وانا اقول ثلثة الاف * فما مدخل السجن هنا والعذاب * وان كان ما قالوه كذبا وافترآء كان ذلك ادعى الى تنكيلهم والاقتصاص منهم * لافترائهم على احبار الله وخلفائه فواحش لن يستطيع عبّاد الفتيش ان ياتوا بافظع منها * مع انّا لم نَر احدا منهم عُذّب او نُفي او استفزّ من داره او اُنفي من محضره * بل قد طُبعت كتبهم المرة بعد المرة * وسعرها في الاسواق كسعر كتب العلم * ولعل قائلا يقول ان عَرضك هذا موجّه الى البطرك المتولّي الان وهو من اهل الفضل والمكارم وليس هو الذي سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه * قلت عندي علم ذلك * غير انه ما دام هو يعتقد بان ما فعله سلفه كان صوابا فهو شريك له ولا يلبث ان يعامل من يقتدي باخي معاملة سلفه * وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة والاساقفة والقسيسين والرهبان ان كانوا يصوّبون ما فعله البطرك المتوفي * وكنت اودّ لو اختم هذا العرض بعتاب اوجهه الى حضرة المطران بولس مسعد ابن خالي وخال اخي وكاتب اسرار البطرك * ولكنني حسبت الان من الاطالة * وفيما قلت ما يغني اللبيب *



الفصل العشرون

في الفرق بين السوقيين والخرجيين

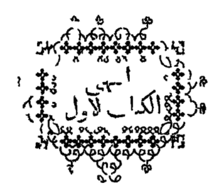
اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة في جميع الاقطار * وذلك انهم احتكروا السلعة منذ القديم في مخازن لهم * وقالوا كل من لم يشترِ من مخازننا انزلنا به القصاص * ثم انهم اخفوا دفتر اسعار البياعات عن المشترين وغالوا بثمن الاصناف واشطوا * فكانوا يتقاضون من المشتري اضعاف القيمة * ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن في جميع الامصار وجعلوها مظلمة خالية عن الكُوى ومنافذ النور * فكانوا يبيعون منها من غير ان يُبدوا حقيقة لون السلعة ورفعتها * وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفا مظروفا فياخذه الشاري وينطلق به ولا يرى منه شيا * وكان عندهم من النسّاجين والخياطين والرفّائين والصبّاغين ما يفوق العدد * فكان هولآء يصنعون لهم كل ما يامرونهم به * واتفق في بعض السنين ان وقع مُوات ذريع في الماشية وامحلت البلاد فقلّ الصوف والحرير عندهم وكادت الانوال والمعامل تتعطل * فارتاى رجل منهم من اهل الحصافة والحذق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحرير وغيره * وجآء عمله هذا متقنا محكما حتى استنه على اكثر الناس * ثم ان نفرًا من المعسرين الذين حملهم الضنك في المعيشة على توسع دائرة الفكر والنظر في الامور والتبصر لها * (وان جل العامآ والمستنبطين من الصعاليك

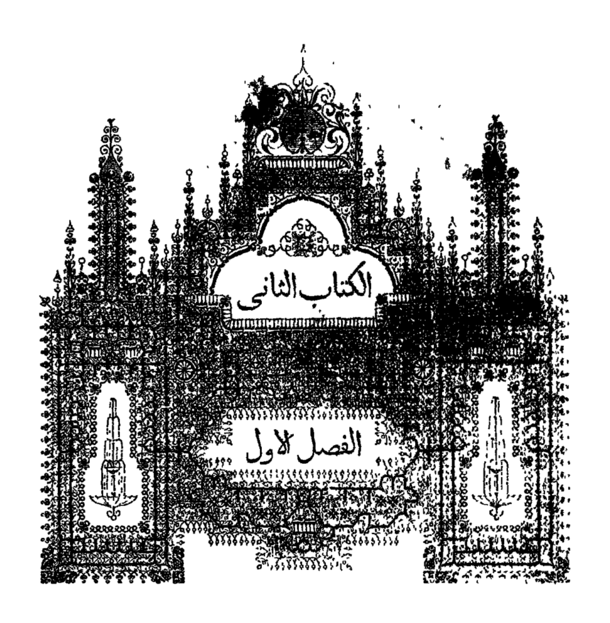
ذهبوا يوما الى بعض المخازن لشرآ ما لزم لهم وجآوا بما اشتروه الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة * وكان احدهم يهوى امراة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلا * فلما اهداها اياه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شان سائر النسآ * اخذت المنديل وقبل ان تشكره على معروفه ادنته من نور السراج اذ كانت زيارتها له في الليل * فرات فيه خللا كبيرا مع ان النور كان طفيفا يوشك ان ينطفي * واذا بها صرخت تقول * بئس من باعك هذا انه قد غبنك * ان فيه خللا مثل الذي قد فتنك * فلما سمعوا ذلك تنبهوا فاخذ بعضهم ينسّل حاجته * وصار الاخر يقيس ثوبه على قامته وهلمّ جرّا * فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم * لان من ذهب ليشتري حاجة بلون احمر وجدها سودآ * ومن اراد ثوبا طويلا وجده قصيرا * ومن اراد حريرا وجده كرباسا * فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا ما لم نرده * واوردوا لهم عللا واسبابا للاقالة * فقال صاحب المنديل لقد كدتم تسوّدون وجهي عند محبوبتي البيضآ * وكادت تغاضبني لما اتحفتها من سقط المتاع لولا انها طمعت فيما يكون خيرا منه * فقالت لهم الباعة انما بعناكم ماطلبتم ولكن على ابصاركم غشاوة فلستم تبصرون اللون ولا الرقعة ولا تعرفون المقاد يرولا المقاييس * فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يجهل الانسان قامته ويعرفها آخر غيره * وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها ان ثوبك اسود ورفيقاي هذان يشهدان لي بما هو واضح لكل ذي عينين * فقال له البائع انت اعمى لا تميز الالوان ثم ذهب ليانسه بلماك ليكحله به فابى ذلك وقال لا بل انت عمه اعمى * وقال من اشترى الكرباس بدل الحرير هب ان البصر يغش افتخفى اللمس على الاعمى * فلجّ بينهم الجدال والعناد وملاوا المكان صخبا وضجيجا * وفيما هم

على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلهث بُهْرا وقد اندلع لسانه ووضع
يديه على كشحيه * فما كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا
وغدا يئن ويقول اه امراتي اه امراتي * ثم غشي عليه ساعة * فلما افاق ادار نظره
يمنة ويسرة فراى غريمه * فلم يتمالك ان وثب من مجثمه وقال * يا اهل
الفساد * ومروّجي الكساد * ومسبّبي الفتن بين المرء وزوجته * ومفرقي
الاب عن ابنه وابنته * وغابني الاغرار من الشارين * ومبرقعي وجوه
المبصرين * كيف حلّ لكم من الله ان تغشوني وتبيعوني ما لا حاجة لي
به * اني اتيتكم بالامس اطلب منكم ان تبيعوني لحمًا لاتخذ منه مرقا
لزوجتي لانها عليلة مذ ايام * فبعتموني كِسَر خبز وقلتم لي انه لحم غريض *
فلما اوقدت النار لاطبخه اذا به خبز * فباتت امراتي من غير ان تذوق
شيا وقد اصبحت لا حراك بها الّا بلسانها * فهي لا تزال تلعن تلك الساعة
التي راتني فيها قبل الزواج * وتسب القسيس الذي كان السبب فيه *
وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لَتامرنّ النسآ جميعا بان يكنّ مع
ازواجهن ضُجّعا مفسّلات مناشيص (١) وكانه لما قال ذلك فار دَمُه في
دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش بالبائع * لولا ان تداركه بعض
الصنّاع في الحانوت * فلما تملّص البائع من يديه صعد منبرا وقال * اسمعوا
ايها الخصمآ * ولا تعجلوا الى اللّوم فانه من داب اللؤما * ان عيونكم قد
عشي عليها فهي تبصر الاحمر اسود * وذوقكم قد فسد فعندكم ان اللحم
خبز مُفْتأد * وعقلكم قد رثّ وحرص فانتم تحسبون الحرير قطنا * والجوهر
عهنا * فما ينصفنا الّا قيّم السوق * فبلّموا اليه والّا فانتم من اهل الكفر
والفسوق * فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته لهم عند شيخ السوق
تلط لكونه اضعف منهم بصرا وبصيرة لهرمه * التهبوا غيظا فجعلوا يركسون
الامتعة ويسوسونها ويعثرونها ويمرقون كل ما قدروا عليه * ويطأون ما امكن لهم

(١) الضجع جمع ضَجوع وهي المراة المخالفة لزوجها * قلت وهو غريب فان اشتقاقه من ضجع فكان يقتضي ان يكون معناه الطاعة * والمفسّلة المراة التي اذا اريد غشيانها قالت انا حائض لتردّه * والمناشيص جمع منشاص للتي تمنع زوجها في فراشها *

وطؤه * ويكسرون كلّ ما اصابوا من معدّ وصندوق وكوش واكواب ويهرقوا وهم سامدون * ثم تواطاوا على ان يعقدوا مجلسا تلك الليلة ليتدبروا في امورهم * فلما كان المسآ اجتمعوا وقالوا قد اتضح لنا ان هولآء الباعة ظالمون غاشون * وان جواسنا لم تزل الشيء الا على ما هو عليه * فشكرا لله ولصاحبه المدبل التي هدتنا الى هذا * فتعالوا نستقلّ بامورنا ونعمل لنا مجارن ومعامل كما عملوا هم * ثم اتخذوا لهم سعة واتخذانا * واصحابا واعوانا * واسقطوا عنهم من السعر ما امال اليهم كثيرا من الناس * وقالوا لهم ان عهدنا اليكم ان نسقكم البضاعة بمراى اعينكم ولمس ايديكم ودون السنتكم * ومن لم يرض بما اشتراه فانّا نبدّله له بما هو خير منه * ثم بحثوا عن الدهر وسروه في جميع البلاد واسعماوا ا لك وبادل مجاعته * وقالوا للناس هاوكم الدهر الابور * والدور الاكبر * فلا تشتروا بعد حاجة الا على مقتضى تسعيره * ولا تذهبوا الى سح السوق فانه هالك في غروره * فرضي الناس بما اشترطه هولآء على انفسهم * وانفصلوا عن السح المذكور وعن جريده * وغدا كلّ من الحريس تكذب جريده وتسيء عليه وتخطئه وتسفهه وتحمره وتفنده وتحرفه وتلعنه وتكفره وتونبه وتفسقه * وسحان من يداول الايام * بين الانام *





في دحرجة جلمود

قد القيت عني والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخي من حمله * وما كدت اصدق ان اصل الى الثاني فاني لقيت منه الدُوار * ولا سيما حين خضت البحر مشيّعا للفارياق تفضّلا وتكرما * اذ لم يكن مفروضا عليّ ان ارافقه في كل مكان * وقد مضى عليّ حينٌ بعد وصوله الى الاسكندرية والسقامه الحصاة من الارض ولسان قلمي يتمطّق * وثغر دواتي مطبق * حتى عاد اليّ نشاطي فاستانفتُ الانشآ ورايت ان ابتدي هذا الكتاب الثاني بشي ثقيل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا * واطول ادكارا * وكما اني ابتدات الكتاب الاول بما يدل على السامي بشي من العلويات

ان كنت لبّا تنص ما مرّ بك [illegible] كان اى آخذ فئ شى من السفليات لاجل المطابقة * هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنيعة المفيدة راق لى ان ادحرج منه هنا جلمودا من اعلى قنة الكارى الى اسفل حضيض المسامع * فان وقفت تنظر الى تصوّبه من دون ان تتعرض له وتحاول توقيفه مرّ بك كما تمرّ السعادة علىّ * اى من غير ان يصيبك منه شى * وآلا اى ان استسهلت حبسه عن منحدره كرّ عليك ودفعك تحته * والعياذ بالله مما ورآ هذا الدفع * فانظر اليه ها هو متحرك للسقوط * ها هو متصوب * فالحذر الحذر * قف بعيدا واسمع من دويّه ما يقول * ان من نظر بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها وائتلف من الاحوال والاطوار * والجواهر والاعراض * والاوطار والاغراض * والعادات والمذاهب * والمراتب والمناصب * وجد ان كل شى يمرّ عليه منها يفوق كنه ادراكه ويفوت تأمله * وان حواسنا وان تكن قد ألفت اشيآء لم تغادر الالفة عليها محلا للتعجب منها * الا ان تلكم الاشيآء لا تنفك فى نفس الامر عن كونها معجبة محيّرة * ومن تبصّر فى ادنى ما يكون منها حق التبصّر راى نفسه كمن قد اهمل ادآ فرض تعيّن عليه * انظر مثلا الى اختلاف ضروب النبات فى الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصنعة العجيبة الكيْنة * من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية * والى اختلاف انواع الحيوان من ذبابات وهوامّ وحشرات وغيرها * فان منها ما هو حسن الشكل ولا فائدة منه ومنها ما هو قبيحه والحاجة اليه ماسّة * وانظر فى السما الى هذه النجوم دراريها كوكب دُرّى؛ ويضمّ متوقد متلالى *
وخنّسها الخنّس الكواكب كلها او السيارة او النجوم الخمسة الخ *
وثوابتها الكواكب الثابتات التى لا تزول الشمس بها ولا القمر

وتوائمها توائم النجوم واللولو ما تشابك منها *

وبروجها معروف *

وتنينها التنين بياض خفى فى السمآ يكون جسده فى ستة بروج ودنبه فى البرج السابع الخ *

ومجرّتها باب السمآ او شرجها *

ورُجُمها النجوم التى يرمى بها *

وأغلاطها أغلاط الكواكب الدرارى التى لا اسماء لها *

وانانها الانان صغار النجوم *

وخُنّسانها النجوم لا تغرب كالجدى والقطب وبنات نعش والفرقدين *

وأنوائها النوء النجم مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق *

التى يرجع البصر عنها وهو كليل * والى اختلاف سحن الناس وروسهم * فانك لا تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره * ولا تجد بين روسهم اى عقولهم راسا يشبه غيره * فمن عباد الله هولآء من اختار المخالطة والمقارفة * والمعاشرة والمراحمة * والمضاغطة والمصادمة * والمباراة والمعاجمة * والملاهسة والمداحمة * والمحاسة والمداغمة * والمزاعمة والمداهمة * والمساومة والمزاهمة * على اختلاف فيها * وذلك كالتجار والسآ * ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد * ومنهم من جعل دابه التهافت على المس والافترآ * والعلو والاطرآ * كالشعرآ والمساخرين لمدح الملوك فيما يطمعون من هذه الوقائع الاحاربه * ومنهم من قابلهم بضده فآثر الصدق والتحرّى * والتحقق والتروى * والقول الفصل والمطابقة بين الماضى والحاضر والاتى * وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة * ومنهم من

يعمل النهار كله ويكدّ بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة * وذلك كاصحاب الصنائع الشاقة * ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه ولا راسه وانما ينطق في بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضي سائر الايام مستريحا متنعما * مترفها متترفا * وذلك كالخطبآ والوعّاظ والمرشدين الى الدين * ومنهم من يفتك ويبطش ويجرح ويقتل كالجند * ومنهم من يعالج ويداوي ويشفي ويحيي كالأُساة واوليآء الله تعالى اهل الكرامات والمعجزات * ومنهم من يُستاجَر للتطليق * ومنهم للتحليل * ومنهم للايلاد * ومنهم للالحاد * ومنهم للتفريق * ومنهم للتاليف بين الآحاد * ومنهم من يتكوّى في بيته فلا يكاد يخرج منه الّا لضرورة * ومنهم من يصعد الجبال والادقال * والمنابر والاشجار * ومنهم من يهبط الاودية والبواليع والمراحيض * ومنهم من يسهر الليالي في تاليف كتاب * ومنهم من لايذوق النوم حتى يحرقه * ومنهم من يسود ومن يُساد * ومنهم من يقود ومن يقاد * ومع هذا التنافي والتباين فمآل مساعيهم وحركاتها كلها الى شي واحد * وهو ادخال الانسان حنابتيه غداة كل يوم في رائحة كريهة قبل ان يستنشق روائح الازهار * ويتمتّع بمتنوع النهار * واعجب من جميع ما مرّ بك من هذه الاحوال حالتا اصحابنا السوقيين والخرجيين * فان حرفتهم لما كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط * اي المخيّلة والقسم دون افتقار الى آلة اخرى * وكان مورد اقوالهم * ومصدر جدالهم * ومبنى انتحالهم * وجلّ راس مالهم * قولهم يحتمل ان يكون هذا الشي من باب المجاز الاسنادي او اللغوي * او من مجاز المجاز او الكناية * او من حمل النظير على النظير * او النقيض على النقيض * او من باب ذكر اللازم وارادة الملزوم او بالعكس * او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس *

او من نوع اسلوب الحكيم * او من باب التهكم * اومن طاقة التلميح * او من كوّة الالتفات * او من خرق الحشو * او من خرت الادماج * او من خصاص الاكتفاء * او من شقّ الاحتباك * او من سَمّ عكس التشبيه * او من خلل سوق المعلوم مساق غيره * او من فتحات التجريد * او من فرجة الاستطراد * او من ثقوب التورية * لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا هذه الأَدَوات وتلك اللَّوّات بشي

من العَرّادات	العَرّادة شي اصغر من المنجنيق *
والدَبّابات	الدَبّابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبون وهم في جوفها *
والدَرّاجات	الدبّابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال *
والمنجنيقات	المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمنجليق المنجنيق *
والنَفّاطات	النفّاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط *
والخَطّار	المنجنيق والذى يطعن بالرمح *
والسُبطانات	السُبطانة قناة جوفآ يرمى بها الطير *
والضَبر	جلد يغشى خشبا فيها رجال تقرّب الى الحصون للقتال *
والقفع	جُنّة من خشب يدخل تحته الرجال يمشون به في الحرب الى الحصون *
والجلاهق	الذى يرمى به ونحوه البراقيل والبنادق *
والحَسك	اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر تعمل على مثال الحسك المعروف *

والقُرْدُمانيّ قباء محشو يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكاسرة تدّخرها في خزائنهم والدروع الغليظة *

والتِّجفاف آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان *

واليَلَب التِرسة او الدروع من الجلود *

والسَّرْد اسم جامع للدروع *

والدَرَق التروس من جلود بلا خشب ولا عَقَب ونحوه الحَجَف *

والخَرْشَف الرجّالة وما يزيّن به السلاح *

والعَتَلات العَتَلة العصا الضخمة من حديد لها راس مفلطح يهدم بها الحائط *

والمِنْسَفات المِنسفة آلة يقلع بها البناء *

والفَلَق مقطرة السجّان وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق *

والخَنازِر الخَنْزرة فاس عظيمة يكسّر بها الحجارة *

والعَذْراء شي من حديد يعذّب به الانسان لاقرار بامر ونحوه *

والمقاطِر المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سعة ارجل المحبوسين *

والمراديس المِرْداس آلة يدكّ بها الحائط والارض *

والدَهَق خشبتان يغمز بهما الساق *

والصاقور الفاس العظيمة *

والمَلاطِس المِلْطَس المِعْول الغليظ *

والمَقارِيص المقراص السكين المعقرب الراس *

والملاوظ المِلْوَظ عصا يضرب بها *

والمقامع المِقمعة خشبة يضرب بها الانسان على راسه *

والمقافع المقفعة خشبة يضرب بها الاصابع *

والهَدَأة		الفاس ذات الراسين *
والمِنقار		حديدة كالفاس *
والمَهامز		المِهْمزة المقرعة او العصا *
والعُرافيص		العِرْفاص السوط يعاقب به السلطان
والمخافق		المخفقة الدِرّة او سوط من خشب *

ولا بالرماح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصاردات والنصال المدميات والمقادع المولمات والمقارع المضنيات والصُلُب المهلكات والخوازيق النافذات والاغلال المصلصلات والنيران المتاججات والغارات والغزوات والنكايات والكبسات والاستلابات والافتضاضات والانكالات والعداوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكات * فكم لعمرى من دم سفكوا * وجند اهلكوا * وعرض هتكوا * وحرمة انتهكوا * وذى اهل ربكوا * وعزب همكوا * ونساء ايموا * واولاد يتموا * وبيوت خرّبوا * واموال نهبوا * ومصون اذالوا * وحرز نالوا * ومستور فضحوا * وحرام اباحوا * فهل فعل ذلك من قبلهم سَدنة

الانْصاب		الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله تعالى *
والكعبات		الكعبات او ذو الكعبات بيت كان لربيعة كانوا يطوفون فيه *
والربّة		كعْبة لمذْحِج *
وبسّ		بيت لغطفان بناها ظالم بن اسعد لما راى قريشا يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة

واجتزأ به عن الحجّ فاغار زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه *

وعَبْدَة مُرْحَب صنم كان بحضرموت *

والعَبْعَب صنم *

والغَبْغَب صنم *

ويَغُوث صنم كان لمَذْحِج *

والبَجّة والسَّجّة صنمان *

وسَعْد صنم كان لبنى مِلْكان *

ووَدّ صنم ويضم *

وآزر صنم *

وباجِر صنم عبدته الأزد ويكسر *

وجِهار صنم كان لهَوازِن *

والدَوّار صنم ويضم *

والدار صنم سمّى به عبد الدار ابو بطن *

وسُعَير صنم *

والأُقَيصِر صنم *

وكُثْرَى صنم لجديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس ولحق بالنبى صلّعم فاسلم *

والضِمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه *

ونَسْر صنم كان لذى الكِلاع بارض حمير *

والشمس صنم قديم *

وعُمْيانِس صنم لِخَولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم *

والفِلْس صنم لطَيّئ *
وجُرَيْش صنم كان فى الجاهليه *
والخَلَصة صنم كان فى بيت يدعى الكعبة اليمانية لخثعم *
وعَوْض صنم لبكر بن وائل *
وإساف صنم وضعه عمر بن لُحَيّ على الصفا *
ونائلة صنم آخر وضعه على المروة وكان يذبح عليهما (فى قول) *
والمُحَرِّق صنم لبكر بن وائل *
والشارِق صنم فى الجاهلية *
والبَعْل صنم كان لقوم الياس عمّ *
وسُواع صنم عُبد فى زمن نوح عمّ فدفنه الطوفان فاستثاره ابليس فعُبد وصار لهذيل وحُجّ اليه *
والكُسْعة صنم *
والعَوْف صنم *
وذى الكَفَّين صنم كان لدَوْس *
ومَناف صنم *
ويَعُوق صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثّله لكم فى محرابكم حتى تروه كلّما صلّيتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتّخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها *
والاَشْهَل صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحىّ من العرب *
وهُبَل صنم كان فى الكعبة *

و يالبّل — صنم *

والبُعبم — صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصبغ *

والأسّحم — صنم *

ونُهْم — صنم لمُزينة وبه سموا عبد نهم *

وعائم — صنم *

والضَيْزَن — صنم *

والمَدان — صنم *

والجَبْهة — صنم *

واللات — صنم لثقيف سمّى بالذى كان يلتّ عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو فى حديث عروة الرّبة *

ودى الشَرى — صنم لدَوْس *

والعُزّى — صنم او سَمُرَة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عِرقٍ الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بُسّا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلّعم خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة *

ومناه — صنم *

والإلاهة — الحية والاصنام والهلال والشمس ويثلث كالالهة *

والطاغوت — اللات والعزّى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عُبد من دون الله *

والاُرّون — الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وترين *

والجبت الصنم والكاهن والساحر والسحر والذى لا خير فيه وكل ما عُبد من دون الله تعالى *

او عَبَدة الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وفُرّدود والفرقد والذِيْخ والكَتَد والعَوَاذ والحضار والاحور والزُبْرة والاظْفار والعُذْر والمَعرّة والاعيار والنَشْرة والجَوْزآ والبِرْجيس والتياسُيْن والمَيْسان والسُنَيْق والشَرطَين والفارِطَين والانافى والعَيّوق والعَوهَقين والصَرْفة والطَرْفة والابيض والضِباع والهَقْعة والهَنْعة والرِدْف والمُعَلّق والنافة والنُسَقَين والسِماكين وسُهَيْل والنَوْلة والعَوكلين والمِرْزَمَين والسُلّم والبُطَيْن والقدْر والحَبّة والتحابى والخَراتَيْن والخِبآ وسُهَى والشاة والعُوآء وكُوَى *

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رايهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان حرفتنا لا تحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين والرياضيين * فانهم ايّان طلب المناقش منهم دليلا بادروا حالا الى البرهان بالمقادير والمساحة والحساب * فانصبوا انفسهم وانفس سائليهم * كان حقا علينا ان ننهج منهاجا مريحا يقرّبنا ومُعاملينا الى الغرض المقصود * وهو ان نبسّر اسباب تعلّم هذه الحرفة لكل مضطر اليها منهم * فمن شآ بعد ذلك ان يلبس قبآ او جبّة مع سراويلات من تحتها او تُبّان فليصنعها هو باى لون اعجبه وباى شكل راق له * اذ ليس من الرشد ان يعترض الانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى ذوقه ومنامه * لان ابن ادم من يوم يستهل بالبكآء الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه * اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه ويصلح له * الا ترى ان الطفل اذا خُلّى وطبعه لم يلبس الكتّان الرفيع فى

الشتآ وان كان مطرّزا * ولا الفرو في القيظ وان كان مزركشا * وانه متى جاع طلب الاكل * ومتى نعس نام * وان طرّبته بجميع آلات الطرب والانغام * ومتى ظمى شرب * ومتى تعب استراح فهو في غنًى عنا من اصل الفطرة * حتى انه يمكنه بحول الله تعالى ان يعيش مائة وعشرين عاما وشهرا من دون روّية وجه احد منا او مشاهدة تاجه وحلّته الفاخرة وخاتمه النفيس وعصاه المفضّضة * فلندَعِ الناس اذًا في دعتهم وسلامتهم وشغلهم * ولا نتطفل عليهم ولا نكلّفهم ما لا طاقة لهم به * اذ لو شاء الله ان يحوج الطفل الينا لاوحى اليه ان يسال ابويه من وقت ترعرعه عن اسمائنا ومقامنا * وعما نحن عليه من المماحكة والجدال * والقيل والقال * والتشاحن والتشاجر * والتناقر والتنافر * والتلاعن والتهاتر * والتدابر والتهاجر * واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا عُنينا بتاديبه وتربيته وتهذيبه وتعليمه صنعة تنفعه في تحصيل معيشته ومعيشة والديه * كالقراة والخط والحساب والادب والطب والتصوير * وما اذا نصحنا له ان يسعى في حبر نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان نقطع النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد * لان اللبيب الرشيد لا ينظر الى الانسان الا لكونه متصفا بالانسانية فقط * ومن اعتبر الامور الطارئة عليه كالالوان والطعام والزيّ فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيرا * وانما يتم حسن صنيعنا هذا كله ما اذا صنعناه حسبة لوجه الله تعالى * غير طالبي الجزآ والهدايا * ولا النذور والعطايا * لان كثيرا من الاطبآ يداوون المعسرين مجّانا * فترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب الى مريض محموم او به جُدَرى او طاعون احتسابا عند الله * اذ الناس كلهم عيال على الله * واحبّهم الى الله انفعهم لعباده * هذا ما كان ينبغي

ان يقولوه * وهذا ما اقوله انا * تامل فى خرجى اقبل بطوف البحار والامصار * ويجول فى الجبال والقفار * ويعرّض نفسه ونفس من ينحاز اليه للسبّ والقذف والعداوة والمشاحنة * وما ذلك الا ليقول للناس الله اعرف منهم باحوالهم * واذا سُئل عن دوآ لعين رمدت * او ساق قرحت * او أُدرة انتفخت * او اصبع دميت * او اذا قيل له ما ترى فى من كثرت عياله * وقلّ ماله * وعضّه زمانه * وجار عليه سلطانه * فمُنى بالجوع * وحُرم الهجوع * واصبح يمشى والناس ينظرون جُهْوته * ويتجنبون خلطته * ولا يستعملونه ولا يستخدمونه * لما تقرر فى عقولهم من ان الفقير لا يحسن عملا * وقد اصبحت اولاده يبكون ويتضورون * وامراته تشكو وتسترحم ولا راحم لها لكون شبابها قد ذهب فى تربية اولادها * او قيل له هل عندك من ماوى لضيف عرير * ما له من نصير * قال ما جئتكم لهذا وانما قدمت اليكم لانظر فى انوالكم التى تنسجون عليها بضاعتكم وفى الوانها التى لا تشاكل ما عندى فى الخرج من اللون الناصع * وما ان يهمّنى النظر فيما فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تعبكم * ولو تعطّلت جميع معاملكم لاقتصاركم على لونى الذى ابرزه لكم راموزا وعنوانا واستوجبتم بذلك لوم التجار والحرّاث والحكام لم يكن علىّ فى ذلك من شى * وهذا سوقى يضع احدى عينيه على فم جاره والاخرى على عينيه * ثم يغلّ يديه ورجليه * ويقول له اليوم يجب عليك ان تتنحّس * (١) لان شيخ السوق اصبح متخما يشكو وجعا فى معدته وامعائه واضراسه وهو نحس * فينبغى ان نجانسه ونمسك معه * لا يحل لك اليوم ان تنظر * لان الشيخ المشار اليه اضرّ به طول السهر البارحة مع ندمائه ونديماته فغدا وباحدى عينيه الكريمتين رمد او عمش * لا يحل لك اليوم ان تعمل بيديك *

(١) التنحّس ترك اكل اللحم *

ولا ان تحرك رجليك * ولا ان تسمع باذنيك * او تستنشق بمنخريك
لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق * ثم هو اذا قيل له افلا
تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جآت من حانوتك
العالى وتماسكا بالشعور * وحلفت المراة لتمنينّه بجيزبون او لتشكونه الى
احد اصحابك الضواطرة الكبار * او ان عمرا التاجر قد حُبس مذ يومين
لكونه دان بعض الامرآء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى منه حقه * ففلّسه
القاضى واركبه حمارا فى الاسواق ووجهه الى دبر الحمار * او ان فلانا قد مرض
ولزم فراشه لانه ناقش بعض خدّام الامير فنكل به الامير ضربا بالعصىّ على رجليه
وصفعًا بالنعال على القذال * فغدا لا حراك به وقد ورمت رجلاه وانتفخ
قفاه * لم يكن منه الا قوله ما دام السوق وشيخه سالمين فالدنيا كلها
سالمة * والمصالح مستتبّة والسوق مرفوعة وقائمة * والبطون ملأى
والافواه لاقمه * والاضراس خاضمه * والمِعَد هاضمه * والايدى غانمه *
والافراح دائمه * والخيرات متراكمه * والرؤسآ حازمه * والعناية عاصمه *
والقادمات بالنذور متزاحمه * والوقوف شاملة عامه * وثغور الامانى باسمه *
والسلامة خاتمه * الى السوق * الى السوق * فهو حرز العلوق * وذخر الحقوق *
فى الصندوق * فى الصندوق * فهو اولى من الصَبوح والغَبوق * وقد
طالما والله امتلأ هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على تهاتر
وترّهات ومباحث فارغة وامور سخيفة * فقد بلغنا ان بعض ضواطرة
السوق انفق فى مدة ستّ سنين قضاها بالبحث والجدال على شكل
قُبّعة كذا وكذا بدرة من المال * وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم
فى المرآة وكان قد تعلّم مبادى الهندسة والهيئة * فراى راسه مدوّرا
كالبطيخة * فراق له ان يتخذ قبّعة مدورة على هيئة راسه * لان المدوّر

يلائم المدوّر كما تقرر في الاصول * فرآه بعض مراملية من سوقٍ آخر وكان اعظم منه قدرا ووجاهة واوفر علما * فسخر منه وقال له مَن وسوس اليك يا ابن قُبَعة * حتى لبست هذه القُبَّعة (١)* مع ان شكل راسك مخروط * فقال له قد ضللت بل هو اكثر استدارة من راسك كما يشهد لي بذلك شيخ السوق * قال كذبت بل هو مخروط وان كنتَ كثير العَنَس اليه واني اهدى من شيخك واقوم طريقا * قال كفرت وعميت عن معرفة نفسك فانّى لك ان تعرف غيرك * قال تبدّعت بل انت عُمِه كُمِه وقد حمقت وسفهت في عدم قبولك النصح * فاليوم ترى الناس المدوّر من المخروط * والسارط من المسروط * ثم لجّ بينهما العناد وتقابضا بالازياق والجيوب والاقلاع * ثم بالجمم ثم بالاعراض * فمزق كل منهما عرض صاحبه اي عدوّه * ثم صاحا واستغاثا وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاترا * فلما ثبت للحاكم ان فعلهما فعل الشبازقة (٢) راى ان مداواتهما بغرامة رابية * اولى من حصرهما في الزاوية * فانصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة * ثم ان الصوطار الاول اتخذ له بعد ذلك قبّعة بين بين * اي نصفها مدوّر ونصفها مخروط بحيث لا يقدر على تمييزها الا الجهبذ النحرير * والناقد الخبير * وآب الى حانوته كمن قفل من غزوة * او اسر الدِحْية * (رئيس الجند) او كذلك الديك الغالب * واول ما اطلّ على السوق امر جميع التبعيين ان يخرجوا لملاقاته بالتقليس لا بالتلقيس (٣)* فخرجوا على تلك الحالة وهم يضجون ويقولون * اليوم عيد القبعه * اليوم يوم الفرقعه * يااتعه يااتعه * فبصر بهم اعوان الحاكم في ذلك الصقع فظنوا انهم خلعوا ربقة الطاعه * وشقّوا عصا الجماعه * فبادروهم بآلات الأزّ والبحز والبخر والبزّ والعر والبهر والجرر والجلر والحرّ والحفر والخر والدغر والرزّ والرهز

(١) ابن قُبَعة وقابعاً وصف بالحمق *

(٢) الشَبْزَق مَن يتخبطه الشيطان من المسّ *

(٣) التقليس استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو وان يضع الرجل يديه على صدره ويخضع * والتلقيس مبالغة لقسه اي عابه ولقبه *

والززّ والشخز والشبرز والشفز والشكز والضخز والضفز والطعز والعرز والقحز والقلز واللبز واللتز واللزّ واللكز واللقز واللمز واللهز والمحز والمرز والمهز والنحز والنخز والنغز والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهبز والهرز والهمز والرهز * حتى جعلوهم عبرة للمعتبر * وفرّ الضوطار بقبعته وقد اوقع قومه فى الخزى والعار مما اصاب الرجال من الرزء ولحق النسآ من الزيادة * ومع ذلك كله فلم يُجْدِه شيخ السوق المستعَزّ به شيا * بل ظل مكبّا على تعاطى الافيون لطول ارقه وتبييته * وقد سدّ اذنيه ببعض اوراق دفاتر السوق لئلا يسمع صراخ المستجيرين به او يوقظه احد من سباته * فهو راقد الى هذا اليوم اى يوم تدوين هذه الواقعة * فان افاق فللقارى ان يقيد ذلك فى اخر هذا الفصل فقد تركت له محلا *

انتهت دحرجة الجلمود والحمد لواجب الوجود *





الفصل الثانى

في سلام وكلام *

عمتَ صباحا يافارياق * كيف انت * وكيف رايت الاسكندرية * هل
تبيّنت نسآها من رجالها فان النسآ فى بلدكم لا يتبرقعن * وكيف وجدت
مآكلها ومشاربها وملابسها وهوآها ومآها ومنازهها واكرام اهلها للغربآء * الم
يزل براسك الدُوار * وعلى لسانك هجو الاسفار * قال اما موقع المدينة
فانيق لكونه على البحر * وقد زادت بهجة بكثرة الغربآ فيها فترى روس
ناس مغطاة بطراطير * واخرى بطرابيش * واخرى بكمام وغيرها بمقاعط *
واخرى ببرانس وغيرها بعمائم * واخرى باُصناع وغيرها بعصائب * واخرى
بعَمارات وغيرها بمداميج * واخرى بنِصاف وغيرها بقبّعات * واخرى بقلانس
وغيرها ببراطل * واخرى بسُبوب وغيرها باراصيص (١) * واخرى باراسيس
وغيرها بخنابع * واخرى بقنابع وغيرها بدُنّيات واخرى بصواقع * وغيرها
بصُمُد واخرى بصوامع * وغيرها بمشامذ واخرى بمشاوذ * وغيرها ببرانيط
على شكل الشقيط والشبابيط والصفاريط والضماريط والقلاليط والعضاريط
والعذافيط والعماريط والقماعيط * ومنهم من له سراويلات طويلة مفرسخة
تكنس ما خلفه وما قدّامه * ومنهم من لا سراويلات له فبُعثُطه بادٍ والناس
يتمسّحون بها امامه * ومنهم من له تبّان * ومنهم من له اِتْب * ومنهم

(١) الأرصوصة قلنسوة كالبطيخة *

بوئر ومنهم بهميان ٭ ومنهم برجل (السراويل الطاق) ومنهم بأندرورد ٭ ومنهم بدقرارة او دقرور ٭ ومنهم من يركب الحمير والبغال ٭ وغيرهم على الخيل والجمال ٭ والابل في ازدحام ٭ والناس في التطام ٭ فينبغي للسائر بينهم ان لا يفتر من الدعآ بقوله اللهم أجر ٭ اللهم احفظ ٭ اللهم الطف ٭ توكلت على الله ٭ استعنت بالله ٭ اعوذ بالله ٭ فاما براقع النسآء فهي وان كانت تخفي جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن ٭ غير ان تستر القبيحات اكثر ٭ لان المليحة لا يهون عليها اذا خرجت من قفصها ان تطير في الاسواق من دون ان تمكن الناظرين من رؤية ملامحها ٭ لينظروا حسنها وجمالها ويكبروا لافترارها ٭ فيقولوا ما شا الله ٭ تبارك الله ٭ جل الله ٭ الله الله ٭ حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان جميع اهل البلد قد شغفوا بها حبا ٭ فباتت تنتظر منهم الهدايا والصلات ٭ والاشعار والمواليات ٭ فكلما غنّى مغنّ انصتت الى غنائه وسمعت اسمها يتشبّب به ٭ فاذا بكرت في اليوم القابل الى الاسواق ورات الناس مكبّين على اشغالهم تعجبت من بقآئهم اصحآ قادرين على السعي والحركة ٭ فزادت لهم في كشف مسافرها ٭ وقسامتها ومحاجرها ٭ وفتنتهم باشاراتها وايمائها ٭ ورأراتها وايبائها ٭ ورمرها ولمزها ٭ وهجلها وغمزها ٭ وغنجها ودلالها ٭ وتيهها وعجبها ٭ وزهوها وشكلها ٭ وتدعّبها وتصعيرها ٭ ودعلجتها ودغنجتها ٭ وتبغنجها ودهمجتها ٭ وشزرها وخزرها ٭ وشنفها وحدقلتها ٭ وشفونها وازلاقها ٭ واستكفافها واستشفافها ٭ واستيضاحها واستشرافها ٭ وحلاعتها وحيلائها ٭ وتمايلها وتهاديها ٭ وتعدّنها وتعاطفها ٭ وتثنّيها وتاوّدها ٭ وتدكّلها وتخوّدها ٭ وتذيّلها وتغيّلها ٭ وتفتّلها وتقتّلها ٭ وتذبلها وترفلها ٭ وتبخترها وتخطلها ٭ وتفحتها وتدهكرها ٭ وتهكنها وتهذخرها ٭ وتخلعها

وتفككها * ومئيحها وحككها * وتدأديها وتغطرفها * وتوذفها وتغصفها *
ودألها ووهازتها * والّها وهوادتها * وخيزلاها وخيزراها * وزأنباها وأوزاها *
ومطيطآتها وكردحاتها * وهبّيخاها وعجيساها * وهربذاها وحيداها * وهبصاها
وجيصاها * وفنجلاها وهبلاها * وخبقاها ودفقاها * وعرقلاها وهمقاها * وعميثليتها
وقمطراها * وسبطراها * وتبدحها وترنحها * وخندفتها وخزرفتها * وخظرفتها
وبادلتها * وبحدلتها وبهدلتها * وذحذحتها وحرقلتها * وحركلتها وهركلتها *
ورابلتها ورهبلتها * وقهبلتها وكسملتها * وقندلتها وحنكلتها * وعردلتها
وهيقلتها * وخذعلتها ودربلتها * وزيحلتها ووكوكتها * وكوكوتها ووذوذتها *
وذوذوتها وزوزكتها * ورهوكتها وفرتكتها * ومكمكتها ورهدنتها * وكتكتتها
وبرقطتها * وقرمطتها وحرقصتها * وزهزمتها وحذلمتها * ودعرمتها وزهلقتها *
وترهيئها وتعمّجها * وتبهرسها وتهبرسها * وتغطرسها وتهطرسها * وتكدسها
وترهوكها * وتهالكها وتهكيلها * وتفركها وتوتّزها * وتهيّمها وأنفها * ورسمها
وزوفها * وزيفها وهوجلها * وحتكانها وعتكانها * وزيكانها وزوكانها * ورفلانها
وملدانها * وزيفانها وذالانها * وريسانها وكتفانها * وميسانها وتزابيها *
وهمذانيها وتشرطلها * وتعذلقها وتخزلجها * وحقطها ولبطها * وبفزّها وقفزها
ونقزها مقبلة مدبرة * وزاد طمعها ايضا فى الهدايا * قال وقد نظمت فى
البرقع بيتين ما اظن احدا سبقنى اليهما وهما *

لا يحسب العِرُّ البراقع للنسا منعا لهن عن التمادى فى الهوى
ان السفينة انما تجرى اذا وُضع الشراع لها على حكم الهوا

فاما رحالها فان للترك سطوة على العرب وتجبرا * حتى ان العربى لا يحلّ
له ان ينظر الى وجه تركى كما لا يحل له ان ينظر الى حُرَم غيره * وإذا

اتفق في نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماشيا اخذ العربي بالسُنّة المفروضة * وهي ان يمشي عن يسار التركي محتشما خاشعا ناكسا متحاقرا متصاغرا متضائلا قافّا متقبضا متقبصا متقفصا متشمصا متحمصا متحرفصا مكتزّا متكاولا متازّحا متقرفعا متقرعفا مقرعفّا متقفعّا متكنبثا مقعنصرا متقوصرا مستزمرا معرنفطا مقرنفطا متجعثما متجعثنا مرزئمّا مرمئزّا مقمسّنّا مكبسّنّا متحنبلا متقاعسا مراعزا مكردحا متضامّا متصعصعا متزازئا مقرنبعا مدنقسا مطمرسا مطرمسا متكرفسا منقفشا معقنفشا متحويا معرزنما متخشّلا آزما لازبا كاتعا كانعا متشاجبا مُصَعْنبا مُجْرَنبرا مجرمزّا متدخدخا * فاذا عطس التركي قال له العربي رحمك الله * واذا تنحنح قال حرسك الله * واذا مخط قال وقاك الله * واذا عثر عثر الآخر معه اجلالا له وقال نعشك الله لا نعشنا * وقد سمعت ان الترك هنا عقدوا مجلس شورى استقر رايهم فيه لدى المذاكرة على ان يتخذوا لهم مركبا وطيئا من ظهور العرب فانهم جرّبوا سروج الخيل وبراذع الجمال واكفها واقتاب الابل وبواصرها وخُصُرها وسائر انواع المحامل من

كفّل	مركب للرجال *
وسِجار	مركب يتخذ للشيخ الكبير ومن منعته العلّة من الحركة *
وجِذح	مركب للنسآ كالمحفة *
وأَجْلح	هودج ما له راس مرتفع *
وحوْف	شي كالهودج وليس به *
وقُرّ	مركب للرجال والهودج *
ومِحفّة	مركب للنسا *
وفرفار	مركب من مراكب النسا *

وحِمْل	هودج *
وجِلال	مركب للنسآ *
وكَدْن	مركب لهن *
وقَعْش	مركب كالهودج *
ومُحارة	شبه الهودج *
وقَعَدة	مركب لهن *
وكُتْر	الهودج الصغير *
ومَشْرة	ج موائر مراكب تتخذ من الحرير والديباج *
وإجازة	مركب اصغر من الهودج *
وعَرِيش	كالهودج *
وعَبِيْط	مركب *
وجِزْق	مركب شبيه بالباصَر *
وبُلْبُلة	هودج للحرائر *
وجِقْل	هودج *
وتُوْأَمة	من مراكب النسآ ج تُوْأَمات *
وفَوْدج	الهودج ومركب العروس *

ومن رَحْل وعجلة وعرش وشُرْجُع ومِزفّة ومِنصّة وسرير ونعش فوجدوها كلها لا تصلح لهم * ورايت مرة تركيا يقود جوقة من العرب بخيط من الكاغذ وهم كلهم يقودون له * استغفر الله مرادى ان اقول ينقادون له * ولم ادرِ ما سبب تكبر هولآ الترك هنا على العرب * مع ان النبى صلّعم كان عربيا * والقرآن انزل باللسان العربى * والائمة والخلفا الراشدين والعلمآ كانوا كلهم عربا *

غير انى اظن ان اكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون ان النبى صلعم كان يقول شويله بويله * او بقالم قبالم * او

غطالق فاپ خى دلها طغالق پاق پخ بُلْها
صفالق باه خشت وكرد فصالق هاپ دركلها
دخا راوشت قلدى نك خدا شاوزت قردلها
اشكلرهم كبى والله قلاقلها بلابلها

لا والله * ما هذا كان لسان النبى ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة الراشدين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين * فاما ماوها فما احسن راسه وانجعه * الا انه قذر الذنب تنجسه حيوانات الارض باجمعها * وطيور السماء بجملتها * حتى ان سمك البحر اذا اصابته هيضة طفر الى راس هذا الذنب فالقى فيه ما اثقله * فاما اكلها فالفول والعدس والحمص والزِنّ والدُوسر والقُرَيْناَ والحُرْفى والجُلْبان والباقِلّى والحُنْبُل والدَجْر والخُلَّر والبُلْس والبِيْقة والترمس والخُرّم والسُبْرم والاوباَ وكل ما يحبنطى به البطن * وذلك ان اهلها لا يرون فى الحمائص حساء * حتى ان النساء فيما بلغنى يتخذن معجونا من الجُعَل وياكلنه فى كل غداء لكى يسمنّ ويكون لهن عُكَن مطويات * واضرّ ما لاقيت فيها قُيّعر فيعار * قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من النصارى فيها * فصار يدخل ديارهم ويسامرهم * فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام نفسه بينهم مقام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمفعول وحساب الجُمّل * واتخذ له كتبا بعضها من عهد الفناء وبعضها بغير ختام وبعضها مخروم الى

معجم * فكان اذا خاطبه احد في شي عمد الى بعض هذه الكتب ففتحه ونظر فيه ثم يقول * نعم ان هذا الشي هو من الاشيآ التي اختلف فيها العلمآ * فان بعض مشايخنا في الديار الحميرية يتهجاه كذا * وبعضهم في الديار الشامية كذا * ولمّا يستقرّ رايهم عليه فاذا استقرّ فلا بدّ من ان يخبروني به * قال الفارياق وقد سمعت مرة مَن استفزّه باعث من الشغل يساله عن الوقت * فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد اشتق منها الساعي وعيسى * اما الساعي فلكون السعي كله يتوقف على الساعات * اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملاً خلوًا من الوقت * فان جميع الافعال والحركات محصورة في الزمان كانحصار ــــ ثم ادار نظره ليشبّهه بشي فراى كوزا لبعض الصبيان * فقال كانحصار المآ في هذا الكُزّ * ثم راى زنبيلا لصبيّ اخر فقال او كانحصار غدآ هذا الولد في هذا الزنّبيل * واما عيسى فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة على الدقائق * ثم ان قولي خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او ثلثة قبلها اثنان ولك ان تعكس * وانما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا خمسة طلبا للتخفيف والعجلة في الكلام * فان بطول الالفاظ يضيع الوقت * وقولي دقائق هو جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق للطحين * اذ بينهما شبه ومناسبة بجامع النعومة * ثم ان هناك الفاظا كثيرة تدل على الوقت وهي المسآ والليل والصبح والضحى والظهر والعصر والدهر والابد والحين والاوان والزمن * اما الستّ الاولى ففيها فرق واما الاخيرة فلا * فاعترضه رجل من اولئك الكبرآ وقال قد رابني بالاسناد ما قلت * فان كلّا من جاريتي وستّها لها فرق * فضحك السيخ من جاهه وقال اذ ان كلامي هنا فيما حواه الزمان لا فيما

حواه المكان * فساله آخر قائلا اين جامع النعومة هذا الذى ذكرت ان فيه الدقيق * فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظة جامع تسمّى عندنا معاشر العلمآ اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شى ايّا كان * لكننى طالما عزمت على ان اناقشهم فى هذه التسمية * لان من يموت او ينام مثلًا لا يصح ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم * فقولى جامع على القاعدة المعلومة عندنا هو اسم لمن جمع شيا * حتى ان الكنيسة يصح ان يطلق عليها لفظ الجامع لانها تجمع الناس * فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين * قال فسمعت بعضهم يجمجم قائلا * ما اظن الشيخ صحيح الاعتقاد بدين النصارى * فقد اصابت اساقفتنا فى حظرهم الناس ان يتبحّروا فى العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا * فقد قيل من تمنطق تزندق * ثم انصرف عنه الجميع مدمدمين * وساله مرة قسيس من اشتقاق الصلوة * فقال هى مشتقة من الاصلآ لان المصلى يحرق الشيطان بدعائه * فقال له القسيس اذا كان ماوى الشيطان سقر مذ الوف سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلّى * فتناول بعض الكتب ليقتبس منه جواب ذلك فاذا به يقول * قال احد علمآء الرهبان الاحتراق على نوعين * احتراق حسّى كمن يحترق بالنار * ومعنوىّ كمن يحترق بحبّ العذرة * ثم وقف وتناوه قائلا * قد اخطأ سيدنا الراهب * لان العذرآ يجب مدّها * فقال القسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدّها اذا لم تنشأ * قال ويلى عليك انت الآخر لا تعرف المدّ والقصر فى الكلام واطفال الحارة فى بلادنا يعرفون ذلك * قال بلى ان اقتصار الكلام مع من يحطّى الرهبان مزية * ثم تولى من عنده مدمدما * قال الفارياق وقال

لى مرة قد يظهر لى ان حق استعمال دعا اذا اريد به معنى الصلوة ان يتعدّى بعلى * فيقال دعوت عليه كما يقال صليت عليه * قال فقلت له لا يلزم من كون فعل يوافق فعلا آخر فى معناه ان يوافقه فى التعدية * فغصّ بذلك ولم يفهمه * وشكا اليه مرة رجل من معارفه اسهالا آلمه * فقال له يغالطه او يسلّيه * احمد الله على ذلك ليتنى مثلك * قال كيف هو ان طال قتل واسال الجسم كله * فقال له انه منّة من الله * الم تسمع كل ملهوف يقول يارب سهل * فقال التاجر انا ما عنيت التسهيل بل الاسهال * فقال هما بمعنى واحد لان افعل وفعّل كلاهما ياتيان للتعدية * كما تقول انزلته ونزّلته * ولان كلّا من التسهيل والاسهال فيه معنى السهولة * وكتب مرة الى بعض المطارين العظام * المعروض ياسيدنا بعد تقبيل اردافكم الشريفة * وحمل نعالكم المنيفة اللطيفة * الظريفة النظيفة الرهيفة العفيفة الموصوفة المعروفة المخصوفة * قال فقلت له ما اردت بالارداف هنا * فقال هى فى عرف المطران بمعنى الراحة * ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرا فيه على علمه وفضائله جدا فمما كتب اليه * قد قدم علىّ مكتوبكم لابنىّ وانا خارج من الكنيسة فما قرانه حتى دخلت الصومعة واولجت فيها * فلما اتيت على اخراه علمت انك صاحب الفضول * مولف الفصول * جامع بين الفروع والاصول * طويل اللسان * قصير البدان * (عن المحرمات) واسع الجبين * عميق الدين * عريض الصدر * مجوف الشكر * وكتب فى آخره * اطال الله بقاك * وبقاك * وهنّاك ومنّاك * والسلام ختام * والختام سلام * والبركة الرسولية تشملكم اولا وثانيا الى تاسرا * فجعل يبدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصا لمن كانوا خرجوا من

عده مغضبين لتقريره على لفظة الجامع * فلما وجدوها فى كلام المطران
زال عنهم كل الاشكال والريب فى صحة استعمالها * وزاد الرجل عندهم
وجاهة وجلالاً * فاما سوالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم
على غايه من السماحة والجود * الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا
اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل واللئامة والرقع * بل
برّزوا على مشايخهم * وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث
عن البيع والشرآ * فيقول احدهم قد جآنى اليوم جنديّ من الترك فى
الصباح ليشترى شيا فتطيرت من صباحه واستفتاحه * اذ لا يخفى عنكم
ان الجندى يستدين ولا يقضى دينه * واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطى
التاجر الا نصفه * فقلت له ما عندى مطلوبك ياافندى * وانما اردت
تفخيمه بهذا اللقب ليتادب معى * فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر
البضاعة كلها واخذ ما اراد منها وما لم يرد * ثم ولّى وهو يسبنى * فيقول
آخر وانا ايضا جرى لى مع سيدة من نسآء الترك واقعة * وذلك انها بكرت
علىّ اليوم وهى تنوء بحليها * واقبلت باسمة الىّ وقالت هل عندك ياسيدى
حرير مزركش * قلت وقد استبشرت عندى * فقالت ارنى المتاع
فاريتها اياه * فتداركتنى بالتحق وقالت امثلى يرى هذا * ارنى غير
ذلك * فاريتها ما اعجبها فاخذته وقالت ابعث معى من يقبض الثمن *
فبعثت غلامى فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وامرت حاجبها بضرب الغلام
وادلامه * الا ان الحاجب لما كان من الترك وراى الغلام امرد لم يطاوعه
قلبه على ضربه لكن انعطف امرسيدته بما اوصل اليه من الاذى والالم *
وهكذا ينقضى نهارهم بالمكروه وليلهم بذكره * واظن ان التاجر يطرب
بمجرد ذكر البيع والشرآ وان لم يكن قد ربح * فاما ما جرى لى

بعد وصولي فاني نزلت عند خرجي من اصحاب صاحبي الاول * فتبوأت حجرة بالقرب من حجرته * فكنت اسمعه كل ليلة يضرب امراته بآلة فتبدي الانين والحنين * والرنين والخنين * فكان يهيجني فعله الى البطش به * وكثيرا ما فكرت في ان اقوم من فراشي لكنني خشيت ان يصيبني ما اصاب ذاك الاعجمي المتطبب الذي جاور قوما من القبط * وانه سمع ذات ليلة صراخ امراة من جاراته فظن ان لدغتها عقرب وذلك لكثرة وجود العقارب في بيوت مصر * فقام الى قنينة دوآ تابطها واقبل يجري * فلما فتح الباب وجد رجلا على امراة يعالجها باصبعه كما هي عادة القوم * فلما راى الطبيب ذلك دهش فوقعت القنينة من يده وانكسرت * وكان هذا الخرجي ابيض اللون ازرق العينين مع صغر واستدارة فيهما * دقيق ارنبة الانف مع عوج في قصبته * غليظ الشفتين * وانما تكلفت لوصفه لك ليبقى نموذجا عندك تقيس عليه جميع من تراه من الخرجيين وغيرهم * وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قناني الخمر الفارغة * فكان سطحه اعلى سطوح الجيران * قال ثم عنّ له يوما ان يكلفني انشآ خطبة في مدح الخرج لكي اتلوها في مخطب صغير كان قد استاجره * فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر فيعار * فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه الاحجيّة الخرجية * قال يتلوها منشئها على الناس فما رايك فيها * قال هي حسنة الا ان عيبها هو ان لا يفهمها احد الا انا وهو * ونحن قد قراناها فلا موجب لاعادتها * فعدل عن ذلك * قال واتفق لي وانا مقيم عنده اني خرجت في عشية من عشايا الصيف البهجة امشي وحدي وبيدي نسخة الدفتر * ولما كان راسي قد حفل بالافكار وما انا عليه من فرقة الاهل والاحباب وذكر الوطن * والتغرّب عنه

لغير سبب من اسباب الهلاك سوى لخصام سوفي وخرجي على قال وقيل *
اوغلت في المشي فانتهيت الى ظاهر المدينة وكان يتبعني رجل قد راى
نسخة الدفتر فعرفها فاضمر ليمينني بداهية * فاقبل الي يكلمني ثم عطف
بي يمنة ويسرة وهو يعللني بالكلام حتى انتهينا الى مكان خال * فتركني
هناك وقال لي ان علي ان افضي هنا مصلحة * فحاولت الرجوع الى مقري
واذا بسرب عظيم من الكلاب جرت وهي تنبحني ودنت مني * فهولت
عليها بالكتاب فهجمت علي هجمة السوفي على الخرجي * ثم تحاصوا
جسمي وثيابي والكتاب فبعضهم عض * وبعضهم أدمى * وبعضهم جر *
وبعضهم تهدد في المرة الثانية * فما كدت اتملص من بين ايديهم الا
وثوبي وجلدي ممزق على ممزق * وقد مزق الدفتر ايضا اوراقه وجلده *
فلما رجعت الى منزلي وراني الخرجي على هذه الحالة لم يكترث بشاني
او انه لم يرني من فرط اشتغاله بالحرج * وانما علم اني رجعت خلوا
من الدفتر فاعتقد اني اعطيته لاحد * ففرح بذلك جدا ورغب في ان
يجعلني عنده في مصلحة خرجيه * لكن راى من الواجب ان يساور
صاحبه فمن ثم كتب اليه في شاني * فابى ذلك وقال لا بد من تسفيري
الى الجزيرة * لان النية استقرت على هذا من قبل * وما حسن تغيير
النيات * فعزم مضيفي على اجراء ذلك وها انا منتظر السفينة *



الفصل الثالث

في انقلاع الفارياق من الاسكندرية

من نحس صاحبنا انه عند سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاصّية البُخار قد عُرفت عند الافرنج * فكان سفر البحر موكولا الى الريح ان شاءت هبّت وان شاءت لم تهب * كما قال الصاحب ابن عباد

وانما هي ريح لست تضبطها   اذ لست انت سليمن بن داود

فمن ثم ركب الفارياق في سفينة ريحية من هذا النوع وكان في مدة السفر يتعلم بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالتحية والسلام * من جملة ذلك دعآء يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت صحتك * الا ان لفظ الصحة عندهم يقرب من لفظ جهنم فكان يقول طابت جهنمك * فكانوا يضحكون منه وكان هو يستهم بقلبه ويقول * قاتل الله هولآء العلوج انهم يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق بلغتنا * فيلفظون السين اذا سبقها حركة زايا وحروف الحلق وغيرها محالة ونحن لا نضحك منهم * وقد سمعت ان بعض قسيسيهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال * « ايها الكوم « كد قات الوكت الان ولكني اهب فكم نهار الاهد الكابل ان سا الله »*

ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتمس منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه او يتلوها تلاوة * وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال * « بسم الله الرحمن » * ثم كانّه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته * فاستدرك كلامه وقال * « لا لا ما بدّيش اكول مسلما بيكول « للاسلام بسم الله الرهمن الرهيم بل كما تكول النساري بسم للاب « وللابن والروه الكدس * يااولادى المباركين الهادرين هنا لسماء هنبتى * « وكبول نسيهتى وموهزتى * ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزّات للآلم * « اهبرونى هتى اكسر من هابكم فلا يتدجّر اهد من تُوله ولا يتالّم * ولا « فهزى فرسة سنهت لى اليوم * ازكّرفيها النسآ والرجال تزكير من لا يكشى « اللوم * وانزرهم يوم الهشر والهساب * يوم لا ينفا مال ولا أسهاب * « ولا سُهال ولا جواب * ايلموا رهمكم الله ان الدنيا زايله * ومتامهها « باتله * وهالاتها هايله * ومهاليها سافله * فكونوا منها على هزَر * ولا « يُدلّكم ما آجب منها وما سرّ * اسرفوا انّها نُزركم * ولا تالكوا بها وتُتركم * « اههسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا روسكم الَى المهدّة * ووازبوا الى « السلوات فى الديك والشدة * كدموا للكنايس نزوركم ولو كليله * واستهبنوا « بالكدّيسين هال الفتيله * لتنكزوا من المِهَن والمسايب * وتتفسّوا من الكرنب « والنوايب (١) اهترموا كتّيسيكم واساكفكم ووكّروهم واكتدوا بهم * واركبوهم ولاهزُوهم « ترشدوا بسايهم وركسهم ودابهم * ياايها النّسارى ان ديننا هو الهكّ * ووادهو « للاسدك * وكَيره هو للاكدك * وسُوكه هو للانفك * لا تكالتوا هولآ « الكرجيّين * الّزين اندسّوا فيكم مزهين * ينزبسون فى ادلالكم عن « الزرات المستكيم * بما برهرون لكم من الورا والكُلك الهلم * الا انهم

(١) الكرنب مصحّفة عن الكرب *

« هم الرياب الكاتفة المتردية بلباس الهملان * الجايلون فى كل كُتّر
« وسُك ينسبون الينا الزيك والبهتان * وهم ازيك من سلك تريكا *
« واكزب من كشّ سديكا * وكان رفيكا * الى ان قال ايها الكاركون فى
« بهار الهتايا * تجنبوا ما يفدى بكم اليها فان آكبتها أُليكم بلايا ورزايا *
« الا فاسرموا ازبابها سرما * وكاوموا اركابها أزما * واستاسلوا جزرها رهزا *
« واكلاوا مُكوّياتها تنالوا ركزًا * لازباب لازباب * فاكتاوا الازباب * حتى
« تهلسوا فى يوم الهساب * من الكساس والازاب * » (اى اقطعوا الاسباب
حتى تخلصوا فى يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم
يصفعه احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا النمط * الا
ان امراة لبيبة كانت قد تزوجت مذ عهد قريب لما سمعت الفقرة الاخيرة
غضبت وقالت * الا لا بارك الله فى يوم راينا فيه وجوه هولآ العجم فقد
احتكروا خيراتنا وارزاقنا * وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل
ازائهم من ارضنا * وعلّموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة *
وما لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الّا لجشعهم وشحهم * فقد سمعنا
ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع اولاده ياكل اللحم ويرمى
بالعظام اليهم ليتمششوها * ولكونهم حراميّين غبّانين فى البيع غشاشين *
وقد بلغنى ان اخوانهم فى بلادهم انجس منهم وافسق * وهذا النحس
الان يغرى بعولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلو له الساحة فيفعل ما يشآ *
فانى اعلم عين اليقين ان هولآ المنابرتين انما يقولون بافواههم ما ليس
فى قلوبهم * وانهم ليعلّمون الناس الزهد فى الدنيا والجَبّ وهم احرص
الثقلين عليها واقرم الخلق الى البعال * فما جزآوه الان الا قطع لسانه
حتى يعرف الم القطع * لعمرى ان الانسان لا يهون عليه احيانا ان يقلّم

اظفاره لكونها منه * ولذلك كانت اخواتنا نسآء الافرنج يربّين اظفارهن ويفتخرن بها مع انها لا تلبث ان تنبت * فكيف يجوز قطع ما يعتّز به الكون * (طيّب الله انفاسك ياحديثة عهد بالزواج * وعتيقة نقد للاعلاج * ليت النسآ كلهن مثلك وليتنى الثم شفتيك) ثم لما خرج القسيس من الكنيسة اذا بالناس جميعا اهرعوا لتقبيل يده وذيله * وشكروه على ما افادهم من المعانى البديعة بقطع النظر عن غيرها * لما تقرر فى عقولهم من ان من خواص دين النصارى ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن * لان قوة الدين تقتضيه لتحصل المطابقة كما افاده المطران اثناسيوس التتونجى الحلبى البُشكانى الشلّاقى الشَوْلقى الإنقافى النشّافى المقسقسىّ اللُطّاعى النَطّاعى المَصنوى الحُتفلى الأَرْشمىّ الثُرْتمىّ القَديحى التخمّمى الامّعى فى بعض مولفاته المسمّى بالحكاكه فى الركاكه * قال الفارياق واذ قد ابتلانى الله بعشرة هولآ اللئام فلا بد لى من مجاملتهم ومخالقتهم الى ان يمنّ على بالنجاة منهم * قلت وحيث قد مرّ ما قاله الفارياق فى سفرته الاولى فلا موجب الان لاعادة ذكر شكواه هنا من الم البحر * وانما نقول انه فى خلال معاناته ومقاساته حلف لا يركبنّ بعدها فى شى من مراكب البحر * من

الخَفآ	السفينة الخالية ذكره صاحب القاموس فى المهمور *
والمرّزاب	السفينة العظيمة او الطويلة *
والزُبْزَب	ضرب من السفن *
والبارجة	السفينة الكبيرة للقتال *
والخليج	سفينة صغيرة دون العَدَوْلىّ *
والطرّاد	السفينة الصغيرة السريعة *

والمُعبَّدة السفينة المقيَّرة *

والغامِد السفينة المشحونة كالآمِد *

والدَّسْرآ السفينة تدسر الماآ بصدرها ج دُسُر *

والزَّرْزُور المركب الضيّق *

والزَّنْبَرِيّ الضخم من السفن *

والقُرْقُور السفينة الطويلة او العظيمة *

والكار سفن منحدرة فيها طعام *

والهُرْهور ضرب من السفن *

والقادس السفينة العظيمة *

والبُوصِيّ ضرب من السفن *

والصَّلْغة السفينة الكبيرة *

والنُّهْبُوغ السفينة الطويلة السريعة الجرى البحرية ويقال لها الدونيج معرّب *

وذات الرَّفِيف سفن كان يعبر عليها وهى ان تنضّد سفينتان او ثلث للملك *

والشُّقْدُف مركب م بالحجاز *

والحَرّاقة ج حَرّاقات سفن فيها مرامى نيران *

والزَّوْرَق السفينة الصغيرة *

والبُراكيَّة ضرب من السفن *

والعَدَوْليَّة سفن منسوبة الى عدَوْلَى ة بالبحرين او —

والسَّمَيْريَّة زورق سمى *

والجِنّ السفينة الفارغة *

والشوينة المركب المعدّ للجهاد فى البحر *

والنَلَوّى	ضرب من السفن صغير	ذكره فى ث ل و *

والجُفاية	السفينة الخالية	ذكره فى ج ف ى *

والخَليّة	السفينة العظيمة او التى تسير من غير ان يسيّرها ملّاح او التى يتبعها زورق صغير *

والشَذا	ضرب من السفن *

الى الرِكْوة	الزورق الصغير *

والقارب	السفينة الصغيرة *

والرَمَث	خشب يضم بعضه الى بعض ويركب فى البحر *

والطَوْف	قِرَب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها *

والعامة	عيدان مشدودة تركب فى البحر ويعبر عليها فى النهر ويقال لها ايضا العامّة *

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعدّ له فيه مكان حسن لتطهير انفاسه بد مده اربعبن يوما * اذ فد جرت العادة عندهم بان من قدم اليهم من البلاد المنرفيه وفد استنشق هواها فلا بد وان ينتره فى المرسى قبل دحوله البلد * فافام فيها ياكل وبشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن ركبوا فى السفينة * وطاب له العبش معهما لانهما كانا قد ساحا فى بلدان كثيرة من المشرق واخذا عن اهلها الكرم * ثم بعد انقضا المدة جآ الحرجى واخذه الى منزله بالمدينة * وكان المذكور فد فقد زوجته من يوم نُوى تسفير الفارياق اليه * فلزم الحداد والتقشف * ولزمته الكابة والناسف * وأن لا ياكل غير لحم الخنزير اعلى الله شانك عن ذكره * وانما امر طباخه بان يعدّ له * فيوما كان يطبخ له راسه * ويوما رجله *

ويوما كبده * ويوما طحاله * حتى ياتى على جميع آرابه ثم يستانف من الراس * وانت خبير بان نصارى الشام يحاكون المسلمين فى كل شى ما خلا الامور الدينية * فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا * فلما جلس الفارياق على المائدة وجآ الطباخ بإرب من هذا الحيوان الكريه ظن ان الخرجىّ يمازحه باراءته اياه شيا لم يعرفه * فامتنع ان ياكل منه طمعا فى ان ينال من غيره * واذا بالخرجى قضى فرض الغدآء وشرع حالاً فى الصلوة والشكر للبارى تعالى على ما رزقه * فقال الفارياق فى نفسه قد اخطا والله صاحبى * فانه وضع الشكر فى غير موضعه اذ الثنآ على الخالق سبحانه لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز * وفى اليوم الثانى جاء الطباخ بعضو آخر * فالتقمه وشكر عليه ايضا * فقال الفارياق للطباخ لمَ يشكر الله صاحبنا على اكل الخنزير * قال ولمَ لا وقد اوجب على نفسه ان يشكر له على كل حال وعلى كل شى كما ورد فى بعض كتب الدين * حتى انه كان يقضى هذا الفرض بعد ان يبيت مع زوجته * قال وهل شكر له على موتها * قال نعم فانه يعتقد انها الان فى حضن ابراهيم * قال اما انا فلو كان لى امراة لما اردت ان تكون فى حضن احد * ثم ان دولة الخنزير اعتزت وعظمت * وصارين الفارياق ضويت وذوت * فكان يقضى النهار كله على الخبز والجبن * ثم بلغه ان خبز المدينة يعجَن بالارجل ولكن بارجل الرجال لا النسآ فجعل يقلّل منه ما امكن * حتى اضرّ به الهزال * وصدئت اضراسه من قلة الاستعمال * فوقع منها اثنان من كل جانب واحدٌ * وهذا اول انصاف فعله الجوع على وجه الارض * اذ لو كانا وقعا من جانب واحد لثقل احد الجانبين وخفّ الاخر فلم تحصل الموازنة فى حركات الجسم * اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق

يستحسنها ويستعظمها * والقادم اليها من بلاد الافرنج يحتقرها ويستصغرها *
واعظم ما احمل الفارياق فيها على العجب صنفان صنف القسيسين وصنف
النسآء * اما القسيسون فلكثرتهم فانك ترى الاسواق والمنازه غاصّة بهم *
ولهم على روسهم قبعات مثلثة الزوايا لا تشبه قبعات السوقيين في الشام *
وسراويلهم اشبه بالتبابين فانها الى ركبهم فقط * وسيقانهم مغطاة بجوارب
سود * والظاهر انها عظيمة لان جميع القسيسين في هذه الجزيرة معلّفون
سمان * وقد جرت العادة عندهم ايضا بان القسيسين واهل الفضل والكمال
من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم * وانما يجب على القسيسين خاصة
ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزنّقة حتى يمكن للناظر ان يتبيّن ما ورآءها *
فاما النسآ فلاختلاف زيّهن عن سائر نسآ البلاد المشرقية والافرنجية *
ولان كثيرا منهنّ لهن شوارب ولحًى صغيرة ولا يحلقنها ولا ينتفنها * وقد
سمعت ان كثيرا من الافرنج يحبّون النسآ المتذكّرات * فلعل هذا الخبر
الغريب بلغ ايضا مسامعهنّ * كيف لا واهوآء الرجال لا تخفى عن النسآ *
والحسن فيهن قليل جدا * وانقيادهن الى القسيسين غريب * فان المراة
منهن توثر قسيسها على زوجها واولادها واهلها جميعا * ولا يمكن ان تتخذ
طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورته حتى اذا اكل منه اكلت هي *
وقد بلغني ان امراة سوقية متزوجة اى من حزب شيخ السوق رات رجلا
جميلا من الحرجيين فاستحسرته فيهم * وقالت لو دخل هذا الرجل كنايسنا
لزادت به بهجة ورونقا * فارسلت اليه عجوزا تدعوه اليها فلبّى الفتى
دعوتها * لان عداوة السوقيين والحرجيين انما هي منحصورة على
الضواطرة والنحشيّين والمحترفيّين لا تبلغ لها عند الرجال والنسآ *
ففاضت معه في الحديث الى ان قالت له ان كنت تتبع طريقتنا فاني

امكّنك من نفسي ولا امنع عنك شيا * فقال لها الشاب اما الذهاب الى الكنيسة فاهون ما يكون عليّ لكونها قريبة من منزلي * واما الاعتقاد فكليني الى نيّتي * فاني آنف من هذا الاعتراف الذى يكلفكم به القسيسون من اهل كنيستكم * وليس من طبعي الكذب والتدليس حتى اعترف للقسيس بالصغائر واكتم عنه الكبائر * كما يفعله كثير من السوقيين * أو أذكر له ما لم افعله واخفي عنه ما فعلته * فتاوّهت المراة عند ذلك واطرقت وهي تفكّر وتحرك راسها * ثم قالت لا باس انّا ليكفينا منك الظاهر كما افادنيه قسيسي * ثم تعانقا وتعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معا * حتى ان الزواني في هذه الجزيرة متهوّسات في الدين * فانك تجد في بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من القديسين والقديسات * فاذا دخل الى احداهن فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوهها الى الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فتشهد عليها بالفجور في يوم النشور * قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة انهم يبغضون الغريب ويحبون ماله وهو غريب * فان مال الانسان عبارة عن حياته ودمه وذاته * حتى ان الانكليز اذا سالوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الرجل * فيقال قيمته مثلاً الف ذهب * فكيف يتاتّى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته * وانهم يتجاذبون كل غريب قدم اليهم * فياخذه واحد منهم بيده اليمنى ليريه النسآ * ويمسكه الآخر بالاخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب * ومن خصائصهم ايضا انهم يتكلمون بلغة قذرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يُشم منه رائحة البخر اول ما يفوه * والرجال والنسآ في ذلك سوآ * واذا استنكهت امراة جميلة وهي ساكتة نشمت منها عرفا ذكيا * فاذا استنطقتها استحالت الى

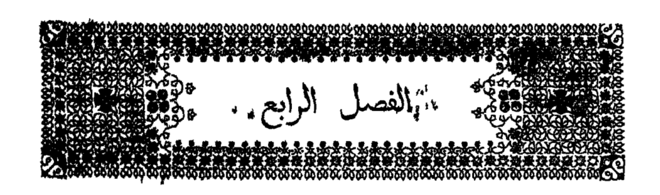
بحر * ومنها انه اذا اصيبت احدى النسآء بداء في احد اعضائها ذهبت الى الصائغ وامرته بان يصوغ لها مثل ذلك العضو من فضة او ذهب لتهديه للكنيسة * ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه * ومن ذلك ان حلق اللحى والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرّم * حتى ان القسيسين يلحّون على النسآء في السؤال كثيرا حتى يعترفن لهم عن قصّ الشعر والحلق ويحذرونهن من ارتكاب ذلك * ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا في ايام معلومة بما في كنائسهم من الدمى والتماثيل على ثقلها وضخمها * يحملونها على اكتاف المتحمسين في الدين فيدورون بها في الشوارع وهم صائحون * واغرب من ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يودّ كل انسان ان ياوي الى كهف في بطن الارض من شدة توهج الشمس * وغير ذلك كثير مما حمل الفارياق على العجب * لان اهل بلاده مع كونهم نصارى ولهم حرص زائد على عداوة الانكليز لا يفعلون ذلك * ومع ذلك يشهدون ان الانكليز هم على الهدى الّا في اكل الخنزير * وان اليهود على ضلال ماعدا استحسان نسائهم لعشاقّي الانكليز * الا انه ليس من طريقة في الدنيا الا وفيها ما يحمد وما يذم * وان الانسان قد يرى في بعض الامور اولا رشدا وفي غيرها ضلالا غويّا * فسبحان المنفرد بصفات الكمال * وانما ينبغي للناقد المنصف ان ينظر الى المحاسن لا الى المساوي والعيوب * فان راى نفعه اكثر من ضرره حكم له بالفضل * لا ان يبغي مسددا بان يجد شيئا من الاسآء كاملا كما قال الشاعر

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبه الدرر المسجعة بسرعة *

كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من راسه اعتبار السوقيين وبني عمّهم من كلا جانبي الدين والرشاد * فظهر له ان افعالهم احرى ان تكون افعال المجانين * فلهذا ضاق صدره في بلادهم وعيل صبره * مع احتياجه الى الطعام الطيّب الذى كان الفه في الشام والى لباس يليق به * فان الخرجيّ افاده ان المفدّدين على السلع الخرجية لا ينبغي لهم التحفّل بالملبوس * اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط * مع ان السوقيين يحسبون ان الخرجيّين يستجلبون اليهم المفدّدين بالمال والهدايا * فلهذا كان الفارياق دائم الحزن والاسف * فلم يمكنه وقتئذ ان يتعلم لسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخصّ ترويج السلعة فقط * هذا وقد كان عند الخرجي المذكور خُرَيْجيّ لئيم * شكس الاخلاق اصفر الوجه * ازرق العينين دقيق ارنبة الانف كبير الاسنان * راى الفارياق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزغه الشيطان ان يسمّر الطاقة * فلما رآها الفارياق مسمرة تفاءل بانها خاتمة النحس * وهكذا كان * فانه مرض بعدها بايام قليلة * فاشار الطبيب على الخرجي بان يسفره الى مصر * فسافر من ثم ومعه كتاب توصية الى خرجي آخر *





في منصّة دونها غصّة

ما زال البحر بحرا * ما برحت الريح ريحا * ما انفك طالع الفارياق هابطا * ما فتئ لسانه فارطا * فلما بلغ الى الاسكندرية وجد في محل الخرجي القديم خرجيا آخر قد دخل في مضايق ذميمة لم يرض الشيخ خليل بن ايبك الصفدي ان يدخل فيها * فتخلّف عمن تقدمه وخبثت ريحه بين اقرانه * والحامل له على ذلك انه راى هوآ البلاد شديد الحرارة عليه * فارتاى ان يتخذ له هرمين يتسلقهما حين يحترّ * كما ان سلفه اتخذ هرما من الدنان * فافرغ عليهما من الاسجين ما يسيل به واد * فشاع اسرافه هناك وملّه اصحابه * ثم سافر الفارياق من الاسكندرية الى مصر وادّى كتاب التوصية للخرجي * فانزله في دار رفيق له وكانت محاذية لدار رجل من الشاميّين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنّين والعازفين بالات الطرب * فكان الفارياق يسمع الغنآ من حجرته * فهاج به الوجد والغرام * وتذكر اوقاته بالشام * وحنّ وصبا الى مجالس الانس * وخيّل له انه انتقل من عالم الجن الى عالم الانس * واسفرت له الدنيا عن لذات مبتكرة * وشهوات مدّخرة * وافراح صافية * واماني وافية * فنسي ما كابده في المحروس من الدوار والفواق * وفي الجزيرة من الجوع وتسعير الطباق *

وما اصابه من بُحْح التشديد * وترح التقليد * وراى لدولة مصر بهجة ورونقا * وفى عيشها رغدا مغدقا * فكانّ الناس كلهم مُعَرِسون * او مفاخرون ومنافسون * ولنسائها كياسة وظرفا وجمالا * ولطفا ولينة ودلالا * وتيها واختيالا * يخطرن فى الطرق بالحبر كالمنشآت * فيجعلن مجموع الهمّ على القلب فى شتات * وما انا باول واصف لهنّ انهن خلّابات للعقول * غلّابات للفحول * فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر * وذكر محالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر * وفى المثل السائر * تراب مصر من ذهب * وغيدها نِعْم اللُعَب * وانها لمن غلب * واعجب ما يرى من احوالهن * حين يخرجن من حجالهن * ويتفلّتن من عكالهن * ما اذا ركبن الحمير الفارهة العالية * واستوين فوقها على منصّة مضمّخة بالغالية * فترى عُرفهن قد ملأ الخياشيم * وحَوَر اعينهن يذكّر الناس بحور جنات النعيم * فكل من ينظر حورية منهن يكبّر عند رؤيتها * ويستصغر الدنيا بجمال طلعتها * ومنهم من يهلّل لالتفاتتها * ويسبّح عند حركتها * ومنهم من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها * او ماسا لجلبابها * او حاملا لنعالها * او رافعا لاذيالها * او بطانة لحبرتها * او بوابا لحجرتها * او رسولا بينها وبين عاشقها * او تبعا لتبعها ومرافقها * او مشّاطا يسوّى فرقها * او خياطا يرقع خرقها * او صائغا يصوغ لها سوارا * او حدّادا يصنع لها مسمارا * او بلّانيا يدلك بدنها * او هنًا آخر يدانى هَنَها * وهى من فوق تلك المنصّة تتعزّز وتتمنع * وتشفن وتتطلّع * فترمى هذا بنظرة فتدميه * وذاك بغمزة فتُصبيه وتسبيه * فتعطل على التجار اشغالهم * وتبلبل من ذوى البطالة بالهم * حتى كانّ الحمار من تحتها يعرف قدر مَن حمل * ويدرى ما غرض من كبّر لرؤيتها وهلّل * فهو لا ينهق ولا يسمع

له شخير * ولا يكرف كساقر الحمير * بل يسمُد على الخيل كبرا * ويمشي الخيلاَ زهوا وفخرا * اما قائد الحمار فانه يرى ان قائد الجيش دونه في المنزلة * وان الناس لفى افتقار اليه فهوالذى لا بدّ له من عائد وصلة * كيف لا وهو الموصوف بالسياسة * والقيادة والفراسة * وهنا قضية نسيت ان اذكرها * فلا بد من ان اقيدها فى هذا الموضع واحررها * وهى ان القلوب بروية المتبرقعات * اولع منها بروية المسفرات * وذلك ان العين اذا رات وجها جميلا وان يكن رائعا شائقا غاية ما يمكن * فان المخيّلة تستقر عليه وتسكن * فاما عند تبصّر الوجه المحجوب * مع اعتقاد القلب بان صاحبه من الجنس المحبيب * ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة العينين * وبالهُدْب وبزجج الحاجبين * فان المخيّلة تطير بالافكار عليه * ولا تجد لها من أمَد تنتهى اليه * فيقول الخاطر (انتهى السجع لانه ملأ الصفحة) لعل هذا الوجه

أنْعبانيّ كالاثعبان وكالاثعباني الوجه الفَخْم فى حسن وبباض *
او ذوانسبات يقال فى وجهه انسبات اى طول وامتداد *
او هو مُصفح المصفح من الوجوه السهل الحسن *
او مُشمعدّ المشمعد من الوجوه الظاهر البشرة الحسن السعيد *
او مدنّر يقال دنّر وجهه تدنيرا تلألا *
او ملوّز الملوّز من الوجوه الحسن المليح *
او مخروط المخروط من الوجوه ما فيه طول *
او ساجع الساجع الوجه المعتدل الحسن الخلقة *
او عنميّ الوجه الحسن الاحمر *
او فدْغم الفدغم الوجه الممتلى الحسن *

او ذو كلثمة الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة *

او مسنون يقال رجل مسنون الوجه مملّسه حسنه سهله *

ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين * اسجحين او مكتّلين * وفي كل خدّ اذا ضحكت غمزة او هزمة او شجرة او عكوة او غرمة او فحصة او فيهما *

علطة العلطة واللعطة سواد تخطه المراة في وجهها زينة *

او في كل منهما خال عمّ حسنه * وعزّ فتنه *

اوفيهما اوفي احدهما خداد (ميسم في الخدّ) اوترنح (الشرط اللين)*

او وحص او عدّ او ظبظاب * الوحص بثرة تخرج في وجه الجارية المليحة والظبظاب بثر في وجوه الملاح ومثله العدّ *

واشتمل ايضا على ثغر منصّب * ذى شنب ورتل وحبب * ثغر منصب مستوى النبتة والشنب ماء ورقة وبرد وعذوبة في الاسنان اونقط بياض فيها او حدّة الانياب كالغرب تراها كالمنشار والرتل بياض الاسنان وكثرة مائها والحبب تنضد الاسنان وما جرى عليها من الماء كقطع القوارير *

او على تفليج في ثنايا من الدرّ * ذات اشر ووشر * اشر الاسنان واشرها التحريز الذى يكون فيها خلقة او مستعملا يقال اشرت المراة اسنانها واشرتها والوشر تحديد المراة اسنانها وترقيقها *

او ان لها عترة * تتهالك في حبّها عترة * العترة اشر الاسنان ودقة في غروبه ونقاء وماء يجرى عليه — والريقة العذبة وهي ايضا نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وعبر *

او ان بذقنها نونة تعوذ بسورة ن * او ان شفتها ريّا او حوّاء او نكعة *

اوان فيها لَعَسا او ذَبْنبا او يتصبب منها العسل تصببا *

او ان فيها ثرمَلة * تشفى من الوله * الثرملة النقرة فى ظاهر الشفة
العليا والتكعكش الشفاه الغليظة السمرة *

او ان فى طُرْمتها طِرْما * الطُرمة النبرة وسط الشفة العليا والطرم الشهد
والزبد والعسل *

او انّ لها تُرْفه * اشهى واعزّ من الترفه * الترفة هنة نابتة وسط الشفة
العليا خلقة وهى ايضا النعمة والطعام الطيب والشى الطريف
تخص به صاحبك *

او ان لها عَرْعَرة على مثلها تهون الغرغرة * العرعرة ما بين المنخرين *

او خَوْرَمة * تطيب بها النفس عن الخُرّمة * الخورمة مقدم الانف او
ما بين المنخرين والخُرّمة واحدة الخُرّم وهو نبت كاللوبيا
بنفسجى اللون يشمه والنظر اليه مفرح جدا ومن امسكه معه
احبّه كل ناظر اليه ويتخذ من زهره دهن ينفع لما ذكر *

او نُثرة * عليها تنثر البدرة * النثرة الخيشوم وما والاه او الفرجة بين
الشاربين حِيال وَتَرة الانف *

او ان لمراعفها غَفْرا * يكسر شوكة الاجرا * المراعف الانف وحواليه
والعفر زئبر الثوب *

او ان لها خُنْعُبة * تشدّ العظام الوَربة * الخنعبة النونة او الهنة
المتدلية وسط الشفة العليا او الشق ما بين الشاربين
حيال الوترة ويقال فيها ايضا الخُنْبعة *

او عَرْنَبة * تصح بها القلوب الوصبة * العرنبة الانف او ما لان منه او
الدائرة تحته وسط الشفة او طرف وترة الانف *

او عرْتَمة * هى للحسن سمة * العرتمة مقدم الانف او ما بين وترته
والشفة او الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها الهرثمة *

او ان على ملامظها وملاغمها لُغَما * ينفى سدما * ويشفى سقما * الملامظ ما
حول الشفة والملاغم ما حول الفم كالملامج واللغم الطيب القليل *

او لعل لها نَبْرة * هى تمام النضرة * النبرة وسط النقرة فى ظاهر الشفة
والنضرة الحسن *

او تُفْرة * يطيل الصب عليها زفره * التفرة مثلثة الاول النقرة فى وسط
الشفة العليا *

او حِثْرمة * تذر القلوب بها مغرمة * الحثرمة الدائرة تحت الانف وسط
الشفة العليا او الارنبة او طرفها *

او وَتيرة * تفدَى بالف ونيرة * الوتيرة حجاب ما بين المنخرين *

او ان لها خيشوما يبرئ كمها * ويطرى وَمْها * الخيشوم من الانف
ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الراس
والومه شدة الحرّ *

او قَسامه * يمضى بها العاشق اقسامه * القسامة الحسن والوجه ــــ او
الانف وناحيتاه او وسط الانف الخ *

او ان لها ذَلَفا * بصحّ دنفا * الذلف صغر الانف واستوآ الارنبة او
صغره فى دقة اوغلظ واستوآ فى طرفه ليس بحدّ غليظ *

او خَنَسا نغبب له الخنّس * الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
قليل فى الارنبة وهى خنسآ والخنّس الكواكب كلها او السيّارة *

او كان انفها مُصفَحا * المصفح من الانوف المعتدل القصبة *

او اشمّ * الشمم ارتفاع قصبة الانوف وحسنها واستوآ اعلاها وانتصاب الارنبة *

او ان به قَنَى * قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه
او نتو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهى قنيآ *

او ان به غُرْضَين * يلهيان عن التغريض واللُجَين * غرضا الانف ما
انحدر من القصبة من جانبيه جميعا والتغريض اكل اللحم
الغريض والتفكه *

او ان لها ناظرين * نفديهما بالناظرين * الناظران عرقان على حرفي الانف *

او ناحرتين * نذيل لهما النحور والمقلتين * الناحرتان عرقان فى اللَحى
وضلعان من اضلاع الصدر او هما الواهنتان والترقوتان *

او حافزا * يشرح قلبا حالزا * ويتلحّز له الشاعر تلحّزا * الحافز حيث
ينثنى من الشدق وقلب حالز ضيّق والتلحّز تحلّب فيك
من اكل رمانة حامضة ونحوها شهوة لذلك كالتلزّج *

او ان خنّابتيها * تحوم القلوب عليها * الخنابتان طرفا الانف *

او ان لها صامغين * هما قرة العين * وريّ الغين * الصامغان والصماغان
والصمغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلى الشدقين
وهما ايضا السامغان لغة في الصاد والغين العطش * وليت
شعرى هل يتكوّن فيهما صمغ شهد حتى سميا بهذا وهل
هما منطبقان او منفتحان وهل يتلحّز لهما الشاعر المسكين كما
تلحّز من الحافزين الله اعلم *

ثم يقول او ان لها حُترة * يديم الصبّ اليهما حَتْرة * الحترة مجتمع الشدقين
والحتر تحديد النظر * فهل من تلزّج بعد *

او ان لها ماصغين * يعوّذان من العين * الماصغان اصول الصدغين
عند منبت الاضراس *

او غُنْبة * تُهند الخلىَّ سُنْبه * الغنبة على ما فى القاموس واحدة الغُنَب وهى دارات اوساط اشداق الغلمان الملاح * لكنى رايت رتة البرفع اولى بها فلا عِكاس ولا مِكاس * على هذا الاختلاس * والتهنيد التصبى والتشويق والسنبة الدهر *

ولعل عارضها * يتيم معارضها * العارض صفحة الخد وجانب الوجه *

او ان لها عِلاطا * يشغف من ناظره نِياطا * العلاط صفحة العنق والنياط الفؤاد *

او بُلده * تفتن اهل البلدة * البلده نقاوة ما بين الحاجبين ونقرة النحر وما حولها او وسطها *

او ان لها مُحاجر * تباع لها المحاجر * المحجر من العين ما دار بها والمحاجر الثانية ما حول القرية *

او اسارير * تعنو لها من جلس على السرير * الاسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان *

او ان طُلْيتها تبرى الطُلَى * الطلية العنق او اصلها والطليا قرحة كالقوبا * ولدِيدَيْها اللُدُود * اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع ياخذ فى الفم والحلق *

ولربربها اللَّز * اللربر مجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن *

ومفاهرها اعز الى ذى مسغبة من الفهيرة * المفاهر لحم الصدر والفهيرة محض يلقى فيه الرضف فاذا غلا ذرّ عليه الدقيق وسيط *

وان سالفتها تغنى عن السلاف * السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوة *

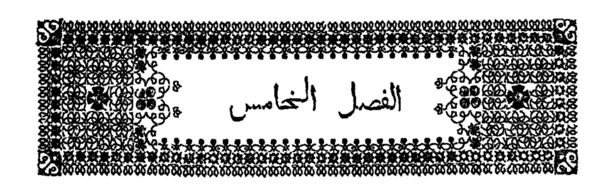
ونحرها عن نحر النهار * نحر النهار والشهر اوله *

وترائبها عن الأتراب * الترائب عظام الصدر او ما ولى الترقوتين منه والاتراب واحدها تِرب وهو اللِدَة * ويصح ان تكون ايضا بكسر الهمزة مصدر اترب الرجل اى كثر ماله فليسال القائل عن ايهما اراد *

الى غير ذلك من الاحتمالات التى لا بدّ منها لحصيف العقل المستحكم الراى * وانما اطلت الكلام هنا لكونى نافلا له عمن تبصّر الوجه المحجوب * ودهش عن الاصابة فسال فمه سعابيب *

وغاية ما اقوله انا ان من شاعر امراة ليلا ولم يرها كما جرى لسيدنا يعقوب عم وقع له ما وقع لصاحبنا هذا المكثر من اللعلّات والإنّات والاُوّات * ولقائل ان يقول ان هذه القضية معكوسة فى شان المراة اللابسة * فان النظر اذا وقع عليها وهى متسترة وقفت معه المخيلة عند حدّ ما * بخلاف العريانة فان المخيلة والقلب عند النظر اليها يطيران عليها ولا يقفان على حدّ فالمخيلة تتصور اشيآ والقلب يشتهى اشيآ اخرى * وللمجيب ان يقول ان ذلك انما نشا عن الفرق الحاصل بين الوجه والجسم * فان الجسم من حيث كونه اكبر من الوجه اقضى طيران المخيّلة اليه * وحومان القلب عليه * وردّ هذا القول جماعة منهم الصباباتى والمباعلىّ والالعزىّ وابو ارّ * بان كبر الجسم هنا ليس سببا للطيران والحومان * اذ لو لم يبدُ منه الا موضع واحد لكفى * فبقى الاشكال غير مدفوع * واجيب بان العلة فى ذلك انما هى لكون الجسم جسما والوجه وجها * وسُفّه هذا القول فانه تحصيل للحاصل * وقيل انما هو لكون الوجه محلا لاكثر الحواس * ففيه محرن الشم والذوق والبصر وقريب منه محرن السمع * وارتضاه جماعة منهم العرِهى والتنتآى والذُودحى * وردّ بان هذه الحواس لا مدخل لها هنا * فان المراد من كونه المراة لا يوقف عليها اصالة فهى منسحبى عنها * وقيل انما هو لكون الجسم يحوى

اشكالا كثيرة * ففيه الشكل القمقمي والرمّاني والقرموطي والاطاري والحاتمي
والقبّي والعمودي والهَدَفي والصادي والميمي والمدرّج والمخروط والهلالي
ومنفرج الزاوية * وردّ بانه كقول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه *
وقيل انما هو لكون العادة الاغلبية هي ان يكون الوجه حاسرا والجسم
مستورا * فاذا راى الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره وطارت افكاره *
وقيل غير ذلك والله اعلم * ويحتمل ان هذه القاعدة التي استدركت ذكرها
غير صحيحة فياليتني نسيتها فان ذكرها اوجب المناقشة بين العلماء *
والحاصل ان الغرام البرقعي لما باض وفرخ في راس الفارياق غرّدت اطيارة
عليه لان يتخذ له آلة لَهْو * فما عتم ان تأبّط له طنبورا صغيرا من السوق *
وجعل يعزف به في شباك له مطلّ على دار رجل من القبط * وكان عند
الخرجي خادم مسلم قد عشق ابنة القبطي فغار عليها من الطنبور * فسعى
بالفارياق الى سيده قائلا اذا سمع المارّون في الطريق صوت الطنبور من
دارك ظنوا انها دسكرة او حانة او نُكْتة (مركز الاجناد ومجتمعهم على لواصاحبهم
الخ) لا دار للخرجيين * لان هذه الآلة لا يستعملها غير الترك * فشكره
الخرجي على ذلك واستصوب ما قاله واوعز الى الفارياق بالغاء الآلة * فالغاها
وجعل يفكّر في التملّص من ايدي هذه الزمرة التي لم يبرح اذاها واصلا
اليه من كل شاكّ سواء في الجزيرة والارض * ثم بعد ايام قليلة هرب الخادم
بالبنت وتزوّج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب العالمين *



الفصل الخامس

في وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المورخين المتقدمين * ومدحها جمّ غفير من الشعرآ العابرين * وها انا اليوم واصفها ومادحها بما لم يسبقني اليه احد من العالمين * فاقول انها مصر من الامصار * او مدينة من المدن * او مَدَرة من المَدَر * او كورة من الكُور * او قصبة من القَصَب * او بُحرة من البُحَر * او ماهة من الماهات * او قرية من القرى * او قارية من القوارى * او عاصمة من العواصم * اوصقع من الاصقاع * او دار من الديار * او بلدة من البلاد * او بلد من الابلاد * او قطر من الاقطار * او شي من الاشيآ * غير ان اهلها يقولون انها مصر الامصار * ومدينة المدن * وعاصمة العواصم * وشي الاشيآ الى آخره * وما ادرى فرق ذلك * وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة * متدفقة بالشهوات السابغة * توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف البغدادى * يجد بها الغريب ملهى وسكنا * وينسى عندها اهلا ووطنا * ومن حواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل فى اجسام نسائها * فترى فيها النسا سمانا كالافط بالسمن على الجوع * والرجال كالحشو بالنبرج على الشبع * ومنها ان اسوافها لاتسبه رجالها البتة * فان لاهلها اطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل

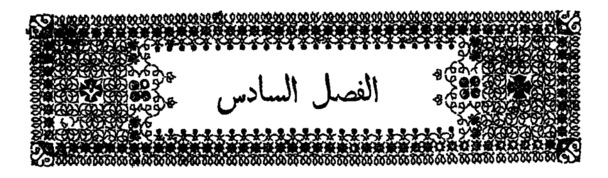
مرضية واخلاقا زكية * واسواقها عارية عن ذلك راسا * ومنها ان مآها لا يشبه عيشها اى خبزها * فان الاول عذب والثانى تافه * ومنها ان العالم فيها عالم والاديب اديب والفقيه فقيه والشاعر شاعر والفاسق فاسق والفاجر فاجر * ومنها ان نساها يمشين تارة على الارض كسائر النسآ وتارة على السقف وعلى الحيطان * ومنها تذكّر المونث وتانث المذكر مع ان اهلها متقنون للعلم واى اتقان * ومنها ان حمّاماتها لا تزال تقرا فيها سورة او سورتان من القرآن فيها ذكر الاكواب والطائفين بها * فالخارج منها يخرج طاهرا وجنبا * واعجب من ذلك ان كثيرا من رجالها ليس لهم قلوب * وقد عوّض الواحد منهم عن قلبه بكتفين وظهرين وباربعة ايدى واربعة ارجل * ومن ذلك ان كثيرا من البنات اللاى يغسلن اقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتعمّمن بقمصانهن بعد غسلهن ويمشين عريانات * ومنها ان قوما منهم بلغهم ان نسآ الصين يتخذن او بالحرى يُتّخذ لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المعهود * فجعلوا يشذّبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت اخف للعمل وانفع لصاحبها * مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست مما يكسَى حتى تنقص عليهم بزيادة النفقة * كما هو شان الافرنج الذين لا يغادرون عضوا من اعضائهم الّا ويكسونه احتفالا به وتفخيماً له او حذرا عليه من العدوى * ومن ذلك اى من الخواص لا من الاعضآء ان البنات اللاى يُستَخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك * بحمله على روسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات صادحات مادحات مازحات * غير آحات ولا ترحات ولا دالحات ولا رازحات ولا كالحات ولا نائحات * ومن كان نصيبها من الآجرّ نظمت عليه موالا اجرّيا * او من

الجبس غنت له اغنية جبسية * كانما هن سائرات فى زفاف عروس * ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لكل منهما الديوان المخدمى * فالديوان الاول قيمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فرشهم من هو * والديوان الثانى وهو دونه فى القدر والشان قيمته امراة تجهز لهم ما يلزمهم لتسخينهم من هى * واصل منشى الديوان الاول عجمى * وقد صار الان من الشهرة والنباهة عند العرب بحيث انك لا تزال تسمع بذكره والثنا عليه فى كل مقام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس اوغنا او ادب * ومن ذلك ان البرنيطة فيها تنمى وتعظم * وتغلظ وتضخم * وتتسع وتطول وتعرض وتعمق * فاذا رايتها على راس لابسها حسبتها شونة * قال الفارياق وكثيرا ما كنت اتعجب من ذلك واقول * كيف صح فى الامكان وبدا للعيان ان مثل هذه الروس الدميمة * الضئيلة الذميمة * الخسيسة اللئيمة * المهينة المليمة * المستنكرة المشوّمة * المستقذرة المهوّعة * المستقبحة المستفظعة * المستسمجة المستشنعة * المسترذلة المستبشعة * تنقل هذه البرانيط المكرمة * وكيف انماها هوآ مصر وكبّرها الى هذا المقدار * وقد طالما كانت فى بلادها لا تساوى فارورة الفراش * ولا توازن ناقورة الفَراش * وكيف كانت هناك كالترب واصبحت هنا كالتبر * ياهوآ مصر بابارها ياماها ياترابها صيّرى طربوشى هذا بريطة وان يكن احسن منها عند الله والناس وافضل * واحلّ وامثل * وللعين ابهى واكمل * وعلى الراس اطبق * وبالجسم اليق * وغير ذى قرون تتملّق لتتلمّق * ويُررق عليها لتزرق * قال فلم يغن عنى الندآء شيا وبقى راسى مطربشا * وطرف دهرى مطرفشا * ومن ذلك ان قوما من الهُكَكآ المهاكيك فيها يمرأون ويبرفعون لحاهم ويراحمون ذوات البرافع على مورد الاباتبذ * فتراهم يتخفعون ويهجلون ويتبارون

ويوكوكون ويوزوزون ويباشمون وهم اقبح خلق الله * ومن ذلك ان لضابط البلد شفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم * وذلك انه يامر جميع السالكين فى طرقها ليلاً ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة * خيفةَ ان يعثروا بشيء فى اسواق المدينة فيسقطوا فى هوة او جبّ فتنكسر ارجلهم او تندقّ اعناقهم * ومن وُجد ليلًا يطوف من غير ذوى البرانيط وليس بيده فانوس غُلّت رجله الى يده * ويده الى عنقه * وعنقه الى حبل * والحبل الى وتد * والوتد الى حائط * والحائط الى ناكر ونكير * وتصلية سعير * ومن ذلك ان لبنى جنّا فيها اسلوبا فى الكتابة لا يعرفه احد الا هم * ولهم حروف كحروفنا هذه الا انها لا تقرا الا اذا ادخلها الانسان فى عينه كذلك رايتهم يفعلون * ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال اهل الميت يندبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملآن من الطرّيخ * ومن خصائصها ايضا ان البغاث بها يستنسر * والذباب يستصقر * والناقة تستبعر * والجحش يستمهر * والهرّ يستنمر * بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة * ومن ذلك ان كثيرا من اهلها يرون ان كثرة الافكار فى الراس * يكثر عنها الهموم والاكدار او بالعكس * وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور * كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره * وان تلك الكثرة سبب فى الاقلال * وهذا الطول موجب لقصر الاجال * واوردوا على ذلك براهين سديدة * قالوا ان العقل فى الراس كالنور فى الفتيلة * فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفد الفتيلة ولا يمكن ابقاوها الا باطفاء النور * او كالماء فى الوادى * فاذا دام الماء جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب فى البحر فمتى حُفِر بقى * او كالفلوس فى الكيس * فما دام المفلس اى صاحب الفلوس يمدّ

يده الى كيسه وينفق منه فنى ما عنده * الا ان تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده * او كالتيس النازى * فانه اذا دام نزوه نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه * فمن ثم اصطلحوا على طريقة لتوفيف جريان العقل فى ميدان الدماغ حينا من الاحيان ليتوفر لهم فى غيره * وذلك بشرب شى من الحشيش او بمضغه او بالنظر اليه او بذكر اسمه * فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم وبحضر السرور * وتولى الاحزان * ويرفص المكان * فمن يرهم على هذه الحالة ودّ لو يكتب فى زمرتهم ويدخل فى دائرتهم وان يكن فاضى القضاة * ومن ذلك ان طرقها لا تزال غاصة بالابل المحمّلة * فينبغى للسائر فيها اذا راها مقبلة ان يخلى لها الطريق * اوّلا فلا باس ان يفقد احدى عينيه * وقد ينبنا عن هذا الزحام فوائد كما فى حكاية المراة التى سارت مع امها لتحضر عرس اختها فطالعها من محلها *





الفصل السادس

ے لا سی

فد كست اطں ابی ادا سركت العارىاں واحدں ڡی وصو مصر اسىرىح ڡادا هو هی او اىاها * ڡىسعى لی الاں ان امكث ڡی طل هدا الفصل الوحىر فلىلا لانڡص عنی عىار النعب ثم اقوم ان سا الله نعالى *

الفصل السابع

ے وصو مصر

فد قمت حامدا لله شاكرا * فاں العلم والدواه حى اصو هده المدىىه السعىده الحدىره ىالمدح من كل من رآها * لاىها ىلد الىحر ومعدں الفصل والكرم * اهلها دوو لطو وادب واحساں الى العرىب * وفى كلامهم من الرفه ما ىعنى الحرس عں الطرىب * ادا حىّوك فعد احىوك * واں سلموا علىك فعد سلّموك * واں زاروك زادوك سوقا الى روىىهم * واں زرىهم فسحوا لك صدورهم فصلا عں محالسهم * اما علماوها فاں مدحهم فد انىسر فى الافاق * وفاں فحر من سواهم وفاق * ىهم من لس الحاىب ورفه الطىع وحفص الحىاح وىساىسد الوحه ما لا ىمكں المىالعه فى اطرائه * ولكل ىوع من

الناس عندهم اكرام يليق به سوآ كان من النصارى او من غيرهم * وربما
خاطبوهم بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم
خلافا لعادة المسلمين فى الديار الشامية * وبذلك لهم الفضل على غيرهم *
وكانّ هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركوز فى جميع اهل
مصر * فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة * وكلهم فصيح اللهجة بيّن
الكلام سريع الجواب * حلو المفاكهة والمطارحة * واكثرهم يميل الى
هذا النوع الذى يسمونه الانقاط * وكانه المجارزة وهى مفاكهة تشبه
السباب وهو اشبه بالاحاجى * فان من لم يكن قد تدرّب فيه لا يمكنه ان
يفهم منه شيا وان يكن شاعرا * وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناوهم
اشجى ما يكون * فلا يمكن لِمن اَلِفه ان بطرب بغيره * وكذلك آلاتهم
فانها تكاد تنطق عن العازف بها * واعظمها عندهم هو العود وقلّ
اعتناوهم بالناى * ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون
من المغيّبات * غير انى اُذمّ من غنائهم شيا واحدا * وهو تكرير لفظة واحدة
من بيت او موّال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام *
ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفّلين على الفنّ * وبعكس ذلك طريقة
اهل تونس فان غناهم اشبه بالترتيل * وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب
فى الاندلس * ومما ينبغى ان يذكر هنا ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام
الناهجين منهج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة
والادب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة * الا انهم انشط منهم على
السفر والتجارة والصنائع واكثر اقداما وجَلَدا على تعاطى الاعمال الشاقة *
وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شره عظيم الى اتخاذ
الديار الرحيبة * وقنية الخيل النجيبة * والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر

لا حدّ لها * فاذا دخلت دار نصرانى من المتمولين بمصر رايت عنده * عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون * وقدر نصفها من الاراكيل الثمينة * وثلث غرفات مفروشات باحسن مايكون من القماش * وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة * واسرة عالية وطيئة وثيابا فاخرة وغير ذلك * ومع هذا فلا تجد عنده كتابا * ولو ان مشتريا شاء ان يشترى شيا من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصرانى بربع الثمن* ولكن وجود هذه الشراهة انما هو فى الغالب عند النصارى الغربآ * فاما القبط فانهم اشبه بالمسلمين * وقلّ من تعاطى المتجر منهم * اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت فى الذروة العليا من الابهة والعزّ والفخر والكرم والمجد * فكان للمتسمين بخدمتها مرتّب عظيم من المال والكسى والسُحَن مما لم يعهد فى دولة غيرها * وكان واليها يولى المراتب العلية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ما عدا اليهود * خلافا لدولة تونس فان شرفها عمّ الجميع * ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحِرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جدا فلهذا كنت ترى الناس قُصرتهم وعمّيهم مقبلين على الشغل واللهو معا * فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف * ومحال القهوة مجمع للاحباب * والاعراس مسموع فيها الغنآ والات الطرب من كل طرف * والرجال يخطرون بالخز والديباج * والنسآ ينوّن بما عليهن من الحلىّ * والخيل والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش * الا ان صاحبنا الفارياق لم يكد يدخل ارضا سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها * فارجع معى الان لنخلصه من ايدى الخرجيين * فانى تركته يحاول ذلك مذ حين *



الفصل الثامن

في اشعار انه انتهى وصف مصر

قد غادرنا اى انا وجماعة المولفين الفارياق يحاول ان ينفض الخرج عن ظهره * وانى الآن من دونهم علمت انه بات ليلة وهو يفكّر في ان كل شى اثبتته الصنعة فلا بد من ان تقلقله الاحوال * فمن ثم عزم على القلقلة * فخرج فى الصباح من معزفه واخذ يطوف فى الاسواق ويحرك كتفيه عند كل خطوة ويقول * لاقلبنّه لاطرحنّه * لاركسنّه لابدعنّه * انه انقض ظهرى اى قرح اى عقر * هل انا اليوم حمار لحمار بالنكر * فراه بعض الظرفاء وهو يحرك منكبيه فقال لا بد لهذا من شان فاقبل اليه ولطّف له المقال حتى استخرج سرّه من سرّته * وعلم حاله وسبب سفرته * فقال له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة * ولكن لا بدّ للفوز بذلك من حركة * قال واى حركة اعظم مما ترى * قال بل الامر دون ذلك * أَلَك اذن واعية * وفكرة مدركة وقدم ساعية * قال اجل * قال فاسمع اذا ما اقول لك * ان بهذا المصر شاعرا مفلقا من النصارى له وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان * قال ما هذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا متناقض الطرفين * فكيف فك هذا المعمى وتاويل هذه الاحجيّة * قال لا تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة * والفرق بين ذلك ان الشاعر

بالصنعة هو من يكتسب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى ينال منهما شيئاً * فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذي يقول الشعر لباعث من البواعث دون تكلّف وانتظار للجائزة * قال ليس هذا الفرق مما ذكره الآمدي * قال انعت الامدي الى آمد واسمع مُني * قال قد امّدته فما الرشد * قال نصحي لك ان تكتب كتابا الى هذا العلامة وتلتمس منه فما نظرت به عليه مواجهة * فاذا تكرم بذلك فاذكر له بع ما ابت نعانه واستجد به *ولا بد من ان يحسك * فانه رجل موصوف بمكارم الاخلاق ويحب دغدغة الافتخار * ولا سيما انه يرغب في مجالسة ذوي الادب وتيسير اسباب معيشتهم * فتلطف اليه في المقال * واما ضامن لك ان تفوز منه بالآمال * فشكره الفارياق على نصيحته ورجع الى محله راضيا مستبشرا * فلما جنّ الليل اخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه *

اهدي سلاما لو يحمله النسيم لعطر الآفاق * ولو جعل للبدر هالة لما اعتراه المحاق * ولو مزجت به الصهباء لما اعقبت شربها صداعا * ولو استنشقه مريض او لعقه لما لقي برحاً واوجاعا * ولو علّق على شجرة لزهت في الحال اوراقها ولو في الخريف * ولو سقته الروض لانبتت من كل زهر بهيج طريف * ولو جعل على اوتار عود لاطرب دون عازف * ولو تُغنّي به في مجلس لاغنى عن المشموم والمعازف * ولو علّق في الآذان لكان شنوفا * ولو صقل به سيف كليل لجاء رهيفا * ولو مُثّل لكان حدائق ورياضا * وسلسبيلا وحياضا * ولو نيط بالعمائم * لاغنى عن التمائم * ولو ختم به ولهان لاجراه مُجرا السُلوان * ولو كُتب على رخام لالهى الآكل عن النواح * او على حصير هيفا لقام لها عام الوشاح * او على ا ى مركوم لما احوجه الى السعوط * او على ساق اعرج لكان له من فقرة سوق وقروط * او على

لسان ابكم لانحلت عقدته * او على كف بخيل لهان عليه فى البذل ذهبه وفضته * او على اجاج لعاد فراتا * او على رمل لانبت الريحان نباتا * ونحيات فاخرة * ذكية عاطرة * ارق من النسيم * واحلى من التسنيم * واشهى من العافية على بدن السقيم * واجلى للعين من الاثمد * واحلى للناقد من العسجد * واصفى من الماء الزلال * واعلق بالقلب من امل الوصال * واشغل للبال * من هوى ذى دلال * وازهر من نور الصباح * وازهى من نور الاقاح * واعبق من شذا الراح * وانمن من الجوهر النفيس * واعز عند البستى من التجنيس * وعند ابى العتاهية من الزهديات * وعند ابى نواس من الخمريات * وعند الفرزدق من الفخريات * وعند جرير من الغزليات * وعند ابى تمام من الحكم * وعند المتنبى من جزل الكلم * تهدى الى الجناب المكرم * المقام المحترم * ملاذ الملهوفين * مستغاث المضيم * ثمال المظلومين * ملجا المهضومين * منهل القاصدين * مورد الطالبين * ادام الله سعده * وخلد مجده * وبعد ياسيدي فانى قدمت هذه الديار وانا حامل لخرج قد انقض ظهرى * وعيل به صبرى * ولم اجد من يزحزحه عنى ولو قليلا * ولست اجد بنفسى الى التخلص منه سبيلا * وقد هديت الى نور معروفك فى جنح هذا العماس * وانبئت انك انت وحدك معتقى من هذا الارتماس * دون سائر الناس * فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم * وابث اليك مشافهة ما بى من البث المقيم * والضر الاليم * فانك اهل لان تاخذ بيد من لا ناصر له * وان تصطنعه لك بالنفائس تحقق امله * وتنيله ما امله * وان تتخذه لك ما عاش رهين شكرك * ممنون برّك * فهو يرجو ذلك منك رجاء من لاذ بعقوة قصرك * فان رايت ان تفعل وذلك من

احسانك * وطول امتنانك * والسلام * وكتب عنوانه يشرف بانامل سيدى الاكرم الاحسب الافخم الاوحد الافضل الاسعد الامثل الارشد الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان ادام الله بقاه بالعز والنعم *

فلما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح السلام من التشابيه المتكلفة لم يتمالك ان ضحك منها وقهقه * وقال لبعض جلسائه ممن الم بالادب * سبحان الله قد رايت اكثر الكتّاب يتهوسون فى اهدآ السلام والتحيات للمخاطب كانما هم مهدون له عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمن * فنراهم يشبهونه بما ليس يشبهه * ويغرقونه فى الاغراق ويغلونه فى الغلوّ حتى ياتى مبلولا محروقا * وربما جآوا بفقرتين متماثلتين فى المعنى كقول صاحب هذه الرسالة الان نمال المظلوميس ملجا المهضوميين * ثم اذا انتقلوا من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية * وما ادرى ما الذى حسّن لارباب فن الانشآ ان يضيعوا وقتهم بهذه الاستعارات والتشبيهات المبتذلة * ونظم الفقر المتماثلة فى المعنى * مع ان العالم يتاتّى له ان يبدى علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ بليغة المعنى * وهذه الف ومائتا سنة قد مضت وما زلنا نرى زيدا يلوك ما لفظه عمرو * وعمرا يمضغ ما قاله زيد * فقد سرى هذا الدآء فى جميع الكتّاب * اما تفخيم المخاطب فى العنوان بالاجل والامجد والاسعد والاوحد وما اشبه ذلك فله وجه * وذلك انه لم تجر العادة فى بلادنا بان يكون تبليغ الكتب على يد البريد * وانما تبعث مع اشخاص ليست لهم خبرة بالطرق ولا بالديار فانها كما لا يخفى عاطلة عن النسبة خطّا * فاذا حملها رجل لا يعرف القرآة طفق يسال

كل من لقيه فى الطريق عن اسم المخاطب * فان لم يكن العنوان دالّا عليه التبس على القارى * فان كثيرا من الناس مشتركون فى الاسمآء وان كانوا مختلفين فى المكارم والاخلاق * وفضلا عن ذلك فقد يتفق ان مبلّغ الكتاب بعد ان يكون قد سال غير واحد عن اسم المخاطب ووجدهم كلهم اميين * وبعد ان يكون قد اصاع نصف نهاره فى البحث عن الطريق * فلا يكاد يهتدى اليه الّا ويجد عَوْنا يترصده * حتى اذا لمحه تلقفه وبعثه الى احدى الجهات التى اراد * فيبقى الكتاب عنده ثم ينتقل منه الى غيره * وربما لقى غيره ما لقيه هو فينتقل الكتاب الى آخر وهلم جرّا * فكان لا بدّ من الاستقصآء فى العنوان عن صفات المخاطب * فقال له جليسه اذن يجب ياسيدى ان يذكر فى العنوان جميع الصفات * فيقال للمخاطب مثلا اذا كان جميلا كيّسا غنيّا رشيق القد كبير العمامة عريض الحزام * الجميل الكيّس الغنى الى آخره * فقال اما وصف انسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له * واما بغير ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المخصصة اذ الناس فى ذلك سوآء * وما خالف ذلك فما اولاه بالاستعمال وستراه عن قريب مستعملا ان شآء الله * وهو وان يكن احيانا من المضحكات وذلك كانّ تصف رجلا مثلا بالزَبَبيّة والكثية والحنطاوية والسُرُنْبَثيّة والكِرْنبغية والزَلْهَبيّة والزُخْرُبيّة والسَنْطبيّة والعَزْزَبيّة والعَشْجبيّة والعِطّبيّة والبُحْوظيّة والأَزَلّية والسناطية والفُسحيّة والبَجْهَصيّة والبِرْطاميّة والحَشْرميّة الا انه احسن من ايقاع اللبس فى صفات المخاطب * فقد بلغنى ان كثيرا من الكتب التى تضمنت مقاصد مهمة لما لم يدل عنوانها بالنص والتوقيف على ذات المرسل اليه فُتحت ليعلم صاحبها * فكانت سببا فى ضرر المرسل

والمرسل اليه * انتهت محاورتهما * واعلم هنا ان الخواجا المذكور لما بلغته الوكة الفارياق كان مريضا فلهذا لم يجبه على الفور * فبقى الفارياق ينتظر جوابه اياما حتى اعتقد ان سجعه كله ذهب باطلا * اذ لم يكن يعلم السبب وكان فى خلال ذلك دائم الفكر والقلق * فانا الآن أدعه فى هذه الحالة منتظر الجواب * وادع صاحبه يتداوى حتى يطيب *

واعرّج قليلا على منازل الالقاب والقاب المنزلة المتعارفة

وفتئذ بشرط ان تسمحوا الى بان

انتقل الى فصل

اخر

وهو

*





الفصل التاسع

فيما اشرت اليه

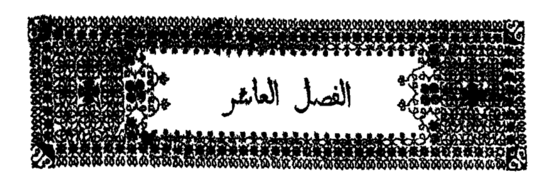
حد اللقب عند المشرقيين انه هنة نائئة او زنمة او علاوة زائدة متدلدلة تناط بكونيّة الانسان * وعليه قول صاحب القاموس العُلاقى الالقاب لانها تعلّق على الناس * وعند المغربيين اى الافرنج انه جُلَيدة تُكوّر فى الجسم * وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها * فاما الجليدة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه * وحاشية ذلك اذ الشرح لا بد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى * ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر * فان لكل قاعدة شذوذا * والجليدة عند الافرنج متوارثة كابرا عن صاغر * مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى والاغا بل الملك انما هو محصور فى ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده * فقد يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتبا او نوتيا * واما عند الافرنج فلا يصح ان يقال لابن المركيز مريكيز او مركيزى * وقد يجتمع مطلق الزنمة والجليدة فى جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية والثانية غير متناهية * وذلك ان اصل كلّ منهما فى الغالب أكال يحدث فى ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليهم * ولا يمكن تسكين هذا

الهيجان وحك هذا الأكال لا باحداث الهنة او الجليدة * وبيانه ان الملك اذا غضب مثلا على زيد من الزيدين لذنب اقترفه * ثم بعث اليه ذلك الزيد بشفيع عريان ليترضاه سكّن هذا الاستشفاع ثورة ذلك الغضب * واختلطت الكيفية الهيجانية بالماهيّة العريية فانتجتا جليدة لمن كان يخاف سلخ جلده * فتحلى بها بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه * والغالب فى الجليدة ان تحتاج الى جسمين * جسم مغضوب عليه وجسم شافع فيه * والغالب فى الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط * ومن الهنات هنات كنائسية وهى على نوعين * ترابيّة وهوائية * فالترابية ما كان لها مستقر او اصل في التراب فتنمى فيه وتثمر * وذلك كان يكون جاثليق من الجثالقة مستقرا فى دار او دير * وله إمرة على اناس يودون اليه عشورا ونحوه * فهو يامر فيهم وينهى ويحكم ويقضي بحسب الاقتضاء او بحسب ما يعنّ له * ولا بدّ وان يكون عنده كاتب يعى اسراره * وطباخ يشد فقاره * وخازن يخزن ديناره * وسجن يحبس فيه من خالفه فى رايه او انكر عليه اطواره * وما اشبه ذلك * والهوائية عكس ما تقدم وذلك كهنة المطران اثناسيوس التتونجى صاحب كتاب الحكاكه فى الركاكه * فان سيّده قلّده هذه الهنة ليحكم بها فى مدينة طرابلوس الشام * غير انه ليس فى هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يودى اليه عشورا او يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة * فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة الامير * على راعى الحمير * وزنمة الملك * على شيخ قرية عفك * والغرض من ذلك كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما * واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان الخواجا والمعلم والشيخ ليست الغايا معدودة فى الهنات ولا فى الجلدات

اذ ليس فى تحصيلها ما يحتاج الى شفيع او اختلاط أُكالىّ بماهية عربية * وانما هى خرقة تستر عورة الاسم الذى اطلق على المسمّى وهى غير مخيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرّجة ولا ملفوفة * بل هى كالبطاقة شدت الى لابسها ليُعرَف بها سعره * الا انه كثيرا ما يقع الغلط فى الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة * فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على نصارى القبط * وكلهم غير معلِم ولا معلَّم اذا قلنا انه مشتق من العلم * فاما اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحّة * ولفظة خواجا على غيرهم واصل معناها كالمعلِم فبقى الاعتراض فى محله * فاما لفظ الشيخ فانه فى الاصل صفة من اسنّ * ثم اطلق على من تقدم فى العلم وغيره مجازا عمن تقدم فى السن * فان الطاعن فى السن يستحصف عقله ويستحكم رايه وان انكره النسآء * فنُقلت مزيّته الى من باشر العلم * والذى يظهر لى بعد التامل ان فى الهنات والجليدات لضررا عظيما على من تحلّى بها وخلا عنها * الدليل الاول ان المتصف بها يعتقد بمجامع قلبه انه افضل من غيره خَلقا وخُلقا * فينظر اليه نظر ذى القرن الى الاجمّ * ويستكفى بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحمودة والمزايا الباطنة ويخلد بها الى البلادة واللذات الموبقة * الثانى انه لو نشبت فيه ربقة زحل يوما من الايام ودارت به دوائره فان لم يجد ذات جليدة مثله لم يمكنه التجلد مع غيرها * وربما كان يهوى جارية غير جليدة فى المطبخ او فى الاصطبل فيحرمه منها ابوه او منصبه او اهله او اميره فيقع تعطيل على اهل الجمال * وهو امر مكروه بل قد جزم بتحريمه جميع العلمآء * الثالث انه قد يتفق ان يتزوج بذات جليدة معسرة مثله عن ميسرة * فاذا ولدت له اولادا لم يمكنه ان يحضر لهم معلما يعلمهم فى داره * ويستحيى ان

يبعثهم الى المكتب ليتعلموا مع حملة اولاد الناس * فتغدو اولاده من العجماوات ويتسلسل ذلك فى ذريتهم الى ما شا الله * الرابع ان الهنة والجليدة تقضيان على المتصف بهما بنفقات لاقة * وتكاليف شاقة * تفضى به الى التفريط والاسراف * والتهالك والاشراف * وربما اوصلته اخيرا الى انشوطة حبل من مسد * الخامس ان الانسان من اصل الفطرة ليس له هنة ولا جليدة فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة * او فى الافل من الفضول او من البطر * وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها خوف الاطالة * فقد تبين لك ان الخواجا المشار اليه كان غير ذى هنة ولا جليدة * ولعله كان يحصل على احداهما لولا ميله بالطبع الى الادب * ولكن لكل شى آفة *





الفصل العاشر

في طبيب

*

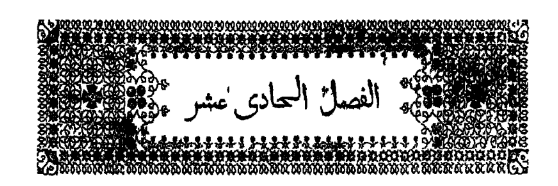
صحّ الله ما بك من السقم ياخواجا نصر او مسيح او فرج * على حدّ من
قرا الصراط والسراط والزراط * ومن قال اجعلني قد نسكت نصافا او نساوا
او نزافا * انك غادرت الفارياق في وسواس وبلبال * فهو ينتظر
الجواب منك في الغدوّ والآصال * قال انه ليحزنني كثيرا ان قد بلغني
كتاب صاحبك وانا محموم موجع الراس فلم يمكن لي ان اعجل اليه بالجواب *
وكان بودي لو افعل ذلك معما كنت اعانيه غير ان الطبيب يزول عن انامل
معي من الحركة * ولكن لا بدّ من ان تسمع قصتي مع هذا الغراب * وهي
اني اتخمت يوما من اكلة برغل احدثها بحذافيرها فاصبحت وبي غثيان *
واتفق ان زارني في صباح ذلك اليوم بعض الامراء الذين ينبغي ان
يقال لما اثبتوه نعم في موضع لا ولما نفوه لا في موضع نعم * فرآني على
تلك الحالة فقال ما بك * فاخبرته الخبر * فقال عليك بطبيب الساعة
فهو امهر الاطباء لانه قدم من باريس منذ ايام * ولولا ذلك لما اتخذته
طبيبا لي ولاهلي * قلت من عادتي ان اصبر على المرض الخفيف الّا
واسعف على معالجته بالاحماء والتوقي فقد تكون في ذلك اغنى عن
العلاج * فاني ارى هؤلاء الاطباء يعالجون الامراض الخفيفة بالحقن * ومنها

يهتدون الى العلة والمعلول الا بعد ان تبلغ الروح الحلقوم * فيجربون مرة دواء ومرة اخرى غيره * قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما قلت هذا الكلام فلا بد من احضاره الان * وما زال بي حتى بعثت اليه خادمي حيا وخجلا * ثم خطر ببالي ان الادب عندنا من فرط كرمه قد يجبر المادوب على الاكل * وربما القمه بيده ما تعافه نفسه * ولكن لم اسمع ان احدا تكرم بان يجبر غيره على علاج * فلم اتمالك ان ضحكت * قال ما اضحكك * قلت لا شي * قال ما احد يضحك من لا شي فلا بد وان يكون هناك شي * قلت فكرت في ذلك الطبيب الذي عاد مريضا فقال لاهله آجركم الله في مريضكم * فقالوا انه لم يمت بعد * قال يموت ان شا الله * فضحكت * قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك * وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك * ثم ما عتم الخادم ان جا به وهو اشد مني مرضا ونحولا * فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرجه من داره * فلما ان دخل جس نبضي ونظر الى لساني ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يهس اى يحدث نفسه * ثم رفع راسه وقال لخادمي هات الطست * قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب حشتي افلا تشاورني * قال انه الفصد او الرمس * قلت هداك الله يا شيخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كببة * قال انا اعرف ذلك انا اعرف * انكم يا اهل الشام كلكم تموتون بهذه الكبة * فقد شبعت بها حين كنت في بلادكم اكثر من مئة جنازة * نعم هي الكبة * قلت في عجانك ان شا الله * قال لا تدخل الكبة في صحني مطلقا * فالتفت الى الامير وضحكت فظهر لي انه هو ايضا لم يفهم * وفي الاختصار فانه ما زال هو والامير يخطئان رايي حتى استسلمت للهلكة ومددت يدي * واعمل فيها مضعه اعمال السكين

فى بطيخة * فخرج الدم منبعثا حتى دخل فى عينيه فاطلق يدى وذهب ليغسل وجهه * ثم جآ بعد هنيهة وقد غشى علىّ * فتداركنى خادمى بما الزهر وغيره والامير ناظر الى دخان تبغه والطبيب بيساره * فلما افقت ربط يدى وخرج مع الامير وقال احترز لنفسك فانا نعودك عن قريب * فقلت فى نفسى لا اعادكما الله * فلما كان الغد جآ الطبيب متابطا اعشابا * فقلت ما هذه الاعشاب * قال حقنة قلت تكفينى واحدة * قال ان الامير يقول لك ينبغى ان تحتقن ان لم يكن لنفسك فلاكرامه * فقلت فى نفسى لا باس باكرامه فى الحقنة * الا انه قد خالف العادة مرة اخرى فان عادة المزور ان يحلف الزائر باسم الله واسما ملئكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيا على اسمه * وهذا زائر يلحّ علىّ بالاحتقان * ثم استعملت الحقنة * ثم وافانى اليوم القابل ومعه حقة * فقلت وما بيدك * قال مسهل مما اصنعه للامير * فاستففته * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى * فاستبشرت وقلت له قد وهنت منى القُوَى بقوة المسهل * قال ينبغى ان تتخذ اليوم حمّاما فى غاية السخونة لكى تعرق وقد جرّبته فى دوى الامر فوجدته بعد المسهل انفع ما يكون * ثم تولّى هو بنفسه تسخين المآ واتى بى فى مغطس كنت اتخذته لنفسى * فلما دخلته لفحنى حرّه حتى غشى علىّ بعد ان سمط جلدى * فأُخرجت منه على رَمَق من الحياة * وتداركنى خادمى بالمشمومات حتى افقت * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى فشرحت ابتها وقلت لعله قد نفد ما فى وطاب علاجه وكان الحمام آخر ما عنده * فسالنى عن حالى * فقلت هو كما ترى * قال عليل * قلت باقىٍ عليل * قال ينبغى ان تفصد * فسقط علىّ كلامه كجلمود صخر حطه السيل من عل *

وقلت كانك تهمّ باعادة ما صنعته اوّلاً فمتى ينتهى هذا الدور * قال لا بدّ ان احد هذه العُلُوج (جمع علاج) يزيل ما بك * قلت اجل اما الاول فهو انت واما الثانى فهو دمى او روحى * ثم تجلّدت وتمنعت وقلت له قل للامير ابى والحمد لله عزب فلاى سبب يحاول تسفيرى سريعا فلم يفهم * وقال انى اريد ان اصدك لا ان اثقل عنك * قلت فانا لا اريد فارحنى اراحك الله * فاولانى كتفه وولّى * ثم لم يلبث ان بعث الىّ برقعة الحساب وتقاضانى فيه خمسمائة قرش * فانه زعم ان عنده ناسا فى الريف من الفلاحين يجمعون له تلك الاعشاب مع انها مما ينبت على حيطان ديار القاهرة * وما كفاه ذلك حتى توعّدنى بانى اذا تاخّرت عن قضائه كما تاخرت عن الفصد الثانى برفع القضية الى ديوان فصله * فنقدته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله فى الساعة التى ارتنا وجوه العجم وادبارهم * وها انا اليوم والحمد لله احسن حالا * ومرادى ان اجتمع بصاحبك * ولكن لا بد من اكرامه قبل الزيارة * ثم انه امر غلامه بان ينتقى تختا من الثياب الفاخرة وان يتوجه بها الى الفارياق * فانه كان وقتئذ مبرنطا * ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابيات قليلة تتضمن استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى *





الفصل الحادى عشر

في انجاز ما وعدنا به

كان للفارياق صاحب من الديار الشامية يتردد عليه * * فلما وفد الخادم بالرسالة وتخت الثياب كان هو حاضرا * فقال للفارياق انا اذهب معك الى الخواجا ينصر فقد سمعت بذكره غير مرة واحبّ ان اراه * فقال له الفارياق ولكن لعلّ فى الإزواء اساءة ادب فى حق المُزُور * (ا) فان المدعوّ لا يليق به ان يستصحب احدا معه * قال لا باس فان هذه عادة الافرنج فاما فى مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايا شاء * وللمستصحَب ايضا اذا لقى واحدا فى الطريق من معارفه ان يستصحبه * ولهذا ايضا ان يستصحب آخر وللاخر آخر حتى يصيروا سلسلة اصحاب * بحيث لا يكون فى السلسلة حلقة انثوية * وكلهم يكلمون المَزور من دون محاشاة وينالون عنده الاكرام ويترحَّب بهم * ولا يمكن ان يسال احدا منهم فيقول له وانت ما حاجتك واىّ كتاب وصاة عندك الىّ * وما اسم زوجتك او اختك وما سنّهن * وفى اى حارة يسكنّ كما تفعل اصحابك الافرنج * ولا تخش من الرجل جَبْها * وبعدُ فان لنا عليه دالّة الادب * فهى تغنينا عن دالّة السبب * فاجابه الى ذلك وسارا اليه معا * والفارياق يرفل بثيابه وقد اتخذ له عمامة كبيرة * فتذكر يومئذ عمامته بالشام وسقطته تلك المشؤمة *

(ا) ازوى الرجل جآ ومعه آخر *

فلما استقرا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقّي بالبشر والبشاشة * وبعد معاقبة اوحشتنا لآنستنا * ومداركة آنستنا لاوحشتنا * ومواترة سلامات طيّبين * وموالاة طيبين سلامات * كما جرت العادة عند الخاصة والعامة * قال الخواجا للفارياق قد سرّنى قدومك الى هذه الديار والله سبحانه وتعالى قد اسبغ عليّ نعمته لاشركك فيها * فقد قال الشاعر

قالوا البعال الذ شي يشتهى   فاجبتهم هذا ضلال بيّن
اسدا معروف الى ذى حاجة   اشهى وابقى وهو امر هيّن

على انى لا اقول ان بك حاجة اليّ لكنى لحظت من شكواك انك محتاج الى ذى مروة يواسيك او يسليك او يتوجع * وقد وجب عليّ القيام بما يسليك ما انت معانيه * سوآء كان ذلك بالمواساة او بالنصيحة * ولا سيما انه قد ظهر لى انك منشّم فى طلب العلم * وقد عانيت القريض * ولكن فى كلامك ما انتقدته عليك * وليس هذا وقت نقد وتفنيد * وانما اسالك ايّ كتاب من الادب قرات * فابتدر صاحبه وقال قرا كتاب بحث المطالب * فقال له لقد عجلت فى الجواب * فان هذا الكتاب فى النحو لا فى الادب * الا انكم يا تلاميذ الجبل تحسبون ان من قرا هذا الكتاب فكانما قد استوعب العربية كلها دون افتقار معه الى شى من كتب اللغة والادب والشروح * وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمق كتابا او خطبة فانما يستعمل بعض اسجاع مبتذله ساكنة الرويّ * خيفة ان يلتبس عليه المرفوع بالمنصوب * ويتطاول الى بعض استعارات بارده * وتشبيهات جامدة * حشوها الالفاظ الركيكه والمعانى المتفلفلة من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا او رباعيا * وما يتعدى به من حروف الجرّ * فعند قوله هذا تذكّر

الفارياق قول المطران لقيعر فيعار واولجت فيها * فذكرها للخواجا المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحص الارض برجله * ثم قال نعم وان لفي كتب الكنيسة كلها اغلاطا فاضحة من هذا النوع * فقد قرات فى كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من التواضع على جانب عظيم حتى انه كان كلما مرّ عليه رئيسه يقوم وينتصب عليه * اى له * وعن آخر انه بلغه عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات * فكان يستمنى دائما ان يراها * اى يتمنّى * وعن آخر انه كان خرج من ديره وغاب عنه مدة طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولى رئاسته احد اصحابه * وانه بعد ان تفاوصا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهبيب الرهبان ليلاً * اى ايقاظهم من هبّ اذا قام * وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ فى الكنيسة ينتعظ له كل من يسمعه * اى يتّعظ * وغير ذلك مما لا يحصى بل قد ورد فى الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاه فيما اظن جهل المعرّبين * فمن ذلك ما ورد فى انجيل متى خطابا عن المسيح عم * احذروا لا يضلكم احد فانه سياتى باسمى كثيرون قائلين انا هو المسيح فلا تصدقوهم * والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمى فيدّعى كل منهم بانه هو المسيح * وشتان ما بين الكلامين * وفى رسالة مار بولس الى طيموثاوس * ولتكن الشمامسة ازواج زوجة واحدة * ومقتضاه اشراك الشمامسة فى بضع واحد * معاذ الله ان يكون كلامى هذا ازدراء بالدين وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرّب والّف من اهل ملتنا * نعم ان بعض المطارنة قد الفوا تاليف مفيدة جوّدوا عبارتها وحرروا معانيها * الا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يعجبهم الا الكلام الفاسد الركيك * ولقد افضى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض * فلنعد الى ما كنا

بصدده وهو اسعافك ايها المخدين بما يريحك من حمل الخرج * هل لك
في ان تكون كاتبا عند رجل من السّراة الاغنيآ يريد ان ينشى ممدحا
يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه * فيكون شغلك فيه في كل يوم نظم
بيتين او اكثر بحسب الاقتضاء * قال فقلت اني ياسيدى ما بلغت
من العلم ما يوصّلني الى هذه الرتبة * ونحن هنا في بلد العلم والادب
فاخشى ان يتصدّى لى قوم يزيفون كلامي ويخطّئونني * فاخجل والله
بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر * فاني رجل احب الخمول
وان بضاعتي في ذلك لمزجاة * قال لا تخش من ذلك فان اهل مصر
وان كانوا قد تقصّوا حدّ العلم وبرعوا في الفضل والادب على غيرهم * الّا
انهم لا يتعنّتون على الناظم او الناثر بلفظة يخلّ فيها عفوا * او بمعنى
يخطى فيه سهوا * فانهم اهل سماح ومياسرة * على ان من نبغ في الشعر
ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطّئه اخرى فلا يمكنه ان يصل
الى مرتبة الشعرآء المجيدين * ولو بقي ينظم ابياتا ويودعها سمعه فقط لما
عرف الخطا من الصواب قط * فلا يكاد احد يصيب الّا عن خطا * وقد
جرت العادة بين الشعرآء بان ما يستهجنه بعضهم من المعاني والالفاظ
يستحسنه البعض الآخر * فلا يزال الشاعر والمولف بين اثنين عاذل
وعاذر * ومخطّئ ومصوّب * ومفسّق ومبرّى * ومعترض ومناضل * وراتق
وفاتق * وممزق ورافئ * وخارق ورافع * وحاظر ومسوغ * ومضيق وموسّع
وقائل لِمُ وقائل لأنّ * حتى ترجح حسناته سيّئاته * وتتداول الناس ابياته *
وقد طالما حاول الشهرة اناس بالقول المردود * والكلام المقصود * فمنهم
من نظم ابياتا مهملة اى عارية عن النقط فاهملت * ومنهم من التزم فيها
الحك بان يجعل في اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح

فتركت والغبث * ومنهم من جعل دابه التجنس والتوريات البعيده فردّت
وزيفت * واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتعرض
للّوم والتفنيد * وانى اعيذك من ان تعدّ فى جملة هولآء * فانى رابت
فى انشائك نزوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة * وسليقة متوقدة *
وبعد فمن ذا الذى ما سآء قط * قال فقلت والله ان لك علىّ لمنتين
عظيمتين * الاولى عنايتك بمعاشى * والثانية تنشيطك اياى الى النظم *
فقد كنت جزمت بان لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك

باسدى من الشاكرين * وبكرمك من الرائرين * ثم
انصرف من عنده داعيا له وقد اضمر
مفارقه الخرجى
فى اليوم
القابل
*





الفصل الثاني عشر

في ابيات سَرِيّه

❊❋❊

لم يكن لصاحبنا الفارياق عند الخرجي من الاثقال الّا جثته فقط * فلذا تابّط طنبوره ووضع دواته في حزامه وقال له * قد اغانني الله واراني طريقا غير التي طرقتها لي انت وحزبك الخرجيون * فانا اليوم مفارقك لا محالة * قال كيف تفارقني وما اسات اليك في شيء * قال هذا الطنبور يشهد عليك بانك سؤتني * قال ان العازف به لا تقبل له شهادة فكيف تصح شهادته هو مع كونه سببا في جرح شهادة صاحبه * قال بل تصح كما صحت شهادة جرابانك * وانه لينطق بمساويك كما نطقت اتان حدّك * ويدكّ حصون عِنْقاشبّتك كما دكّ المدن بوق ربيبك * قال ما هذا الكلام * قال وحي والهام * قال لا باس في ان تعزف به فقد علمت ان الخادم عن حسد شكاك * قال بل اني عازف به عند من يقولون لي زِد وبُعاد واحسنت والله * لا عند عجم لا يذكرون اسم الله الّا في الابتهال * قال قد خلّطت واشططت * قال قد فرّطت وقسطت * قال انك كنود * قال انك من اليهود * ثم ولّى عنه وهو سامد الراس جاحظ العينين من الغيظ * وسار واكترى محلّا آوى فيه الطنبور وتوجه الى الممدح * فما استقر به المجلس الّا وورد بشير البه وبيده رقعة فيها بيتان يراد ترجمتهما *

فلما عُرضا على مترجمى اللغات العجمية واديت ترجمتهما الى جهبذ المدح انتهت النوبة اخيرا الى الفارياق * فاخذ القلم وكتب

ركب السريّ اليوم خير جواده   ياليته منا امتطى اكتافا

اذ ليس فينا رامح او رافس   بل كلنا يغدو به رفّافا

فلما قابل الجهبذ هذين البيتين بالاصل وجدهما يشتملان على المعنى اشتمال البطن على الجنين او الامعآ على العَفَج * مع عدم الحشو بالالفاظ التى يستعملها الشعرآ غالبا لسد ما فى ابياتهم من الخلل * فاعجب بهما جدا وقال * هما حريّان بان يفضلا على الترجمة العجمية * فانى لا ارى فيها الا معاظلة الفاظ ولكن لعل هذه عادة القوم فدعهم وعادتهم * غير انه لما اشتهر البيتان عند اهل النقد اعترض بعض ان قوله رامح او رافس من الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغوا * فالاولى ان يقال جامح او رامح وفيه مع ذلك سجع * واجيب بان للفظة رامح معانى كثيرة منها الثور له قرنان واسم فاعل من رمح اذا طعن بالرمح او صار ذا رمح * ورمح البرق لمع * ورُدّ بان الثور ليس له مدخل هنا بقرنيه * فان الناس لا تركب الثيران وان اشار اليه المتنبى فى العبب * واسم الفاعل بمعنى طاعن لا يناسب المقام * لان المركوب لا يكون طاعنا * ثم ورد فى اليوم القابل بشير ثان معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفارياق

قام السرى مبكّرا لصبوحه   فارتجت الارضون من تبكيره

اَوَما ترى ذى الشمس من شباكه   مدّت اليه شعاعها لسروره

فاعترض على البيت الثانى انه غير لفق للاول * واجيب بانه متفرّع عليه ومرتبط به * لان الارضين لما ارتجت وخشى العالمون سطوته ترضّته الشمس بشعاعها * وردّ بان ترضى الشمس كان متراخيا عن ارتجاج الارضين

فلا يفيد * واجيب بان الترضّى حاصل على اى حال كان * فان الشمس لا يمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع * وضحك قوم من هذا التعليل * ثم ورد فى اليوم الثالث بشير آخر فقال الفارياق

نام السرىّ مهنّأً بالامس لم   يخطر بخاطره الشريف هموم
ان نام نامت امّة الثقلين او   ان قام قامت والكرىّ جريم

فاعترض على لفظة الثقلين انها ثقيلة * وان امّة حقها ان تكون امّتا * ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبرة فى كونها مشتقة من الثقل * ثم ورد فى اليوم الرابع بشير آخر فقال

شرب السرىّ فحلّ شرب المُسْكر   فاستغن عن فتوى الفقيه المنكِر
واذا اصرّ على الخلاف محرّمٍ   فاعمد الى حدّ الحسام الابتر

فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضى الى الكفر وتعطيل الشرع * واجيب عنه بانه طبق الاصل * ثم ورد فى اليوم الخامس بشير آخر فقال

خرج السرىّ مع السريّة ماشيا   غلسا الى الحمّام كى يتنعما
من كان يدعك مرة جسميهما   خُلقت يداه على المدى ان تلثما

فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين * ورد بانه لا محظور منه فان السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين * ثم اعترض ان الافصح ان يقال جسمهما او اجسامهما * واجيب بان الافصح لا ينفى الفصيح * ثم قيل انه ارتكب ضرورة بحذفه حرف الجر فى المصراع الاخير اذ حق الكلام ان يكون خلقت يداه بان * على ان تثنية اليد هنا لا معنى لها فان الداعك لا يدعك بكلتا يديه * واجيب بانه لا مانع من حذف الجر مع أنْ * وان التثنية للايذان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح * ثم ورد فى اليوم السادس بشير آخر فقال

خلع السريّ اليوم نعليه على   مُثنٍ عليه مبالغ فى مدحه
فاستبشروا ياعصبة الشعرآ من   هذا السخاء بيمنه وبسنحه

فاعترض عليه بان اليمن والسنح بمعنى واحد * واجيب بانه كقول الشاعر والفى قولها كذبا ومينا * ثم ورد فى اليوم السابع بشير آخر فقال

حلق السريّ اليوم اسفل جسمه   باظافر ظفرت بكل مؤمّل
فالناس بين مصفّر ومرتّل   ومدفّف ومزمّر ومطبّل

فاعترض عليه صرف اظافر* واجيب بان ذلك غير محظور لاسيما وقد وليها قوله ظفرت * ثم ورد فى اليوم الثامن بشير آخر فقال

طوبى لمن فى الناس اصبح حالقا   راس السريّ لاحلس الملحوسا
لا زال محفوفا بلطف الله ما   حلقت له شعرًا شريفا موسى

فاعترض عليه بان الملحوس غير وارد فى صفة الراس * واجيب بانه لا باس به هنا للجناس * ثم قيل ان محفوفا مع ذكر الراس ثقيلة * واجيب بانها خفيفة بالنسبة الى راس السريّ * قلت وكان الاولى ان يعاب عليه قوله طوبى لمن * فانه مطلق لا يفيد ان السرى حلق راسه فى يوم معيّن * غير ان الجناس فى المصراع الثانى شفع فى البيت كله * ثم ورد فى اليوم التاسع بشير آخر فقال

بَسَم الزمان عن المنى وتنوّرا   لما استحمّ سريّنا وتنورا
ان المعالى من اساقه زهت   والشعر بالشعرآ أكسب مفخرا

فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التامّ وغيره الا قوله مفخرا * ثم ورد فى اليوم العاشر بشير آخر فقال

فحب السريّ واى شهم ماجد   بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنة فرضت على كل الورى   ان المحالق منهم ليصقب

فعيب عليه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل * ثم ورد فى اليوم الحادى عشر بشير آخر فقال

عطس السرىّ فكلنا يبكى دما   وارتاعت الارضون والافلاك
حرس الاله دماغه عن عطسة   اخرى تموت برعبها الاملاك

ثم ورد فى اليوم الثانى عشر بشير آخر فقال

فسّى الامير فاىّ عرف عاطر   فى الكون فاح واىّ مسك ديفا
ياليت اعضا العباد جميعهم   تغدو لنشوة ذا العبير انوفا

فعيب عليه قوله فسّى * اذ التكثير هنا لا معنى له * واجيب بان القليل المنسوب الى السرىّ كثير * وعليه بظلّام للعبيد * فان ادنى ما يكون من الظلم فى حق البارى تعالى كثير * ثم ورد فى اليوم الثالث عشر مبشران فقال

حبق السرىّ اليوم فى وقت الضحى   والجوّ ادكن ليس يسفر عن شَرَق
فتعطّرت ارجآونا بأريجه   فكان من حبَق له عَرْف الحَبَق

فاستحسنا لما فيهما من التجنيس * ثم ورد فى اليوم الرابع عشر مبشران اخران فقال

قد أُسهل اليوم السرىّ فكلنا   فرح ففى اسهاله التسهيل
فاستبضعوا خزا اليه مطرّزا   وتسابقوا ان السطّى قتيل

فاستحسن البيت الاول للجناس * وعيب عليه قوله مطرزا * اذ التطريز هنا لا موجب له بل فيه ايلام * واجيب بانه طبق الاصل * وان حق الترجمة ان لا تزيد على الاصل المترجم منه فى المعنى ولا تنقص عنه ولا سيما فى الامور المهمة الخطيرة * وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله فكلنا فرح وان علله بقوله ففى اسهاله التسهيل * اذ المتبادر ان التسهيل مسبّب عن حتف الممدوح وكانّ الجناس شفع فيه *

ثم ان الفارياق بعد انقضا هذه المدة الذكية راى من الواجب ان يزور صاحبه ويخبره بما جرى له * فلما تشرف بمجلسه ساله الخواجا عن حاله * فقال له قد كنت اود ياسيدى ان ازورك قبل الان لكن خشيت ان يعلق بناديك اثر من الرائحة التى شملتنى * فقال له لا ضير فى ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها * وان نادىّ لا يبرح كل يوم يعبق به امثالها من زيارة امثال السرىّ وهذا شان امّ دِفار * ولكن كيف حالك من جهة المعيشة * قال قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا * واتخذت خادمة لتصلح لى الدار * وخادما ليصلح الحمار * وانا الان بجاهك وفضلك فى احسن حال ثم انصرف من عنده داعيا له *

(سرّ بينى وبين القارى)

قد كان طبيب الجزيرة نصح للفارياق ان يجانب النسآ اى يبتعد عنهن لا انه يلصق بجنبهن فان فى قربهن حَيْنا له فالفى قوله كذبا ومينا *





الفصل الثالث عشر

في مقامة مقعدة

لا يمكن لى ان ابيت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم مقامة * فقد عودت قلمى فى هذا الموضع موالاة السجع * وترصيع الفقر الرائعة للعقل الرائقة للسمع * الشائقة للطبع * فاقول *

حدّث الحارث بن همام قال * بينا انا امشى فى اسواق مصر واسرح ناظرى فى محاسنها * وانهافت على النظر الى جمال سوافنها * فتدركنى جِمال مدائنها * فالطأ بقرار حائط واصبأ بآخر * واجعل يدى تارة على عينى وتارة على ما هو اصغر منها او اكبر * اذ اومأ الىّ فتى من حانوت له * عليه لوائح هيبة ومنزلة * وحَوْبة فى التراتب منحلّة * غير منحللة * فقال ان شئت ان تصعد الى هنا الى ان ينفض زحام الابل * وتنساغ غصّة هذا الأَزل الأَزِل * فانك لدينا لمن المقرّبين * وانى باكرامك لقمين * فوجدت دعوته كدعوة الداعى بحىّ على الفلاح * وقلت ما يابى السماح * الّا من فاته الصلاح * وعَمِه عن النجاح * كيف لا وقد اوشكت جوارحى ان تعود مجروحة * وضاقت باجمال ابلكم الارض وهى فسيحة * فابتسم ابتسامة اسفرت عن لُحْن للقول سريع * وطبع الى ابلاء المعروف دريع * ثم صعدت اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمائم مختلفة * ولهم وجوه مؤتلفة * فلما

سلمت متوددا * وتبوّأت ما بينهم مقعدا * قال رب الحانوت هل لك فى
ان تنتظم معنا فى سلك جدال قد شغلنا من الضحى * وجعلنا له الآذان
كثفال الرحى * فهو دائر على كل منّا بالمناوبه * ومستدرك ختامه باوّله
بالمعاقبه * دون دَرَك ومعاقبه * اذ ليس فيه افضآ الى البحث في
الاديان * وانما هو امر مباح لكل انسان * فقلت ان كان مرجعه الى العقل
فقد كلفتمونى إدّا * وشططتم فى انتظامى معكم جدّا * اذ لست بصاحب
اسفار * بل حلبف تطواف واسفار * وان كان الى الطبع فان بى لطبعا
سليما * وخُلقا قويما * قال هذا الثانى هو مركز دائرته * وفيصل محاورته *
قلت فاملأ اذنى اذا من جدالك * والقِ علىّ اعدال عِدالك * قال اعلم * فرج
الله عنك كل غم * انى انا والحمد لله من المسلمين المومنين بالله وبرسوله *
وبوحيه وتنزيله * وان صاحبى هذا الودود * واشار الى احد القعود * هو
من النصارى والآخر من اليهود * والآخر امّعة ما له اعتقاد ولا جحود * وانّا
قد تنازعنا كاس البحث فى الزواج * وافضنا فيه كما تفيض من عُرَفات
الحجّاج * اما النصرانى فانه يزعم ان طلاق المراة مفسدة من اعظم المفاسد *
ومندمة تمنى المطلّق بالنُغَص والمكابد * ووجه فسادها على مقتضى زعمه *
وقدر فهمه * ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالمتاع المنتقل *
وكثوب المبتذل * موقوفة على بادرة تفرط منها * اوهفوة تنقل عنها * لم تخلص له
سريرتها * ولن تمحض له مودتها * بل تعيش معه ما عاشت فى انقباض
وايجاس * ووحشة وابتئاس * ونكد وياس * وتدليس والباس * واذا
انزلته منزل مبتاعها * واعتقدت ان متاعه غير متاعها * وانه لا يلبث
ان يلاعنها او يبارئها * او يخالعها او يكسوها ثياب النجمة * ويقول لها
الحقى باهلك * او استفلحى بامرك * او انت علىّ كظهر امّى * او

حبلك على غاربك * وعودى الى كناسك * عند اهلك وناسك * فما انت لى بباهل * وما انا لك ببعل * لم تحرص له على حاجة ولا على سرّ * ولم يهمّها ما ينزل به من الشرّ * وربما خانته فى عرضه وماله * وكادت له مكيدة فضحته بها بين اقرانه وامثاله * وهناك محذور آخر * ادهى وانكر * وانكى واضر * وامضّ وامرّ * وهو ان المراة اذا فركت زوجها بان رأت منه ما تخاف غائلته * لم يهمها ان تربّى عَيله او تستكفى عائلته * فان المراة لا تحبّ ولدها الا اذا احبت بعلها * ولا تحب بعلها الا اذا ادام وصلها * وآتاها سؤلها * ومن كان له زوجة لم يُولها فواده * ولم ينخل لها وداده * فاتخذته عدوا خصيما * لا اليفا حميما * فهو جدير بان يرثى له شامته * ويرجع عنه سامته * فان صدره والحالة هذه مورد الشجون * وراسه منبت القرون * ومنزله منزل الاكدار * وحالته فى الجملة حالة اهل النار * الا انى اعترض على مذهب من حظر الطلاق * وتقييد بزوجته دون الطلاق * بان الزوجة اذا علمت ان جسم زوجها قد أُدغم فيها * واصبح سره فى فيها * فصارا فردا لا زوجا * سوآ هبطا وهدة او صعدا اوجا * وانه لا يُفكّ هذا الالتحام الّا بمقراض الحِمام * ولا تحلّ عقدة هذه الكينة * الا بانحلال جميع اجزآء الطينة * وانها اذا مرضت مرض هو معها * واذا رات رايا فلا بدّ له من ان يواطئها عليه ويجامعها * نشزت عليه وتنمرت * وطغت وتجبرت * فتارة تسومه شرآ لباس وحُلىّ * وتارة تتعنتّ عليه بامر تذيقه فيه الصُلىّ * فويل له اذا حبا * ثم ويلان اذا أَبَى * وان غاب عنها ليلة قامت قيامة كيدها عليه * وان تشاغل عنها بامر له فيه نفع جرّت جميع المضارّ اليه * ودابه التودّد اليها والتملّق * والمداراة والترفق * ومجاملته لها اذا جفت * ومجالقته اباها اذا انفت * وتانّنه معها اذا تذكّرت * وتصعصعه منها اذا

تشزّرت * وهل يطيب عيش لمن علم انه طوع لهوى غيره * وان لا مناص له من ضيره * فاما شان الاولاد * وهو الداعى الى تحمّل هذا الكُباد * فان الزوجين اذا كانا على حالة النفور والعناد * والخلاف واللِحاد * لم تكن تربيتهما لولدهما الا اغراء بالاقتدآ بهما * وتدريبا على الفساد بسببهما * فيكون اهمالهم من غير تربية عند طلاق امّهم أَوْلى * وان الوفاق هو المصلحة الاولى * على انّا نعلم من التجربة * منذ سنّ الله تعالى الزواج وحبّبه * ان المراة اذا علمت ان لزوجها استطاعة على طلاقها * وتملصًا من وثاقها * حرصت على ان تتحبب اليه وتلاينه * وتياسره وتخادنه * وتخالقه وتداريه * وتتلافاه وتراضيه * وتجامله وتسانيه * خيفة ان يتنغص عيشها بفراقه * او تحرَم من خَلاقه * فان لم يحصل بينهما الوفاق * فالطلاق الطلاق * وراى صاحبنا هذا اليهودى قريب مما رايت * فلا يخالف الا فى اسباب الطلاق وهى كيت وكيت * فاما صاحبنا الامّعة * فانه متردد فى هذه القضية المنكعة * فتارة يقول ان الطلاق ادعى الى الراحة * وتارة انه موجب لنكد العيش وصفق الراحة * وطورا يزعم ان المُتْعة او الزواج الى اجل مسمّى اوفق * حتى اذا انقضى يجدد العهد بينهما ويوثق * الى ان يتفارقا عن تراض * ويقضيا لهما وعليهما ولا قاض * فهو اخف على الثَبَج * وانفى للحَرَج * وان يكن يفعله بعض الهمج * وحينا يقول بل التسرّى اسرّ * واهنأ واقر * ان لم يكن من القرينة مفرّ * واونة يختار الاقتصار على خوبدمة وعبوبة * وآونة على وحدة العزوبة * والتناول مما تنفيزه به الفرص المرقوبة * واخرى على جب الآلة * ان كان الجبّ ينجى من الحبالة * قال وذلك انى صعّدت فى درجات هذه الخطّة ونزلت فى دركاتها * وعانيت ضروبا من اخطارها وهلكاتها * فوجدت عند كل درجة منها مهواة تنغب فيها

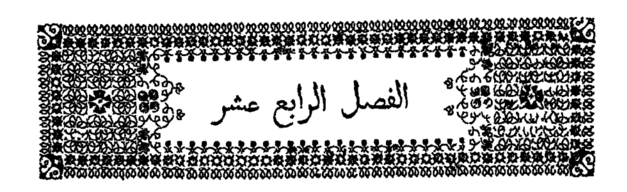
الاحلام * وتضيع الافهام * وتَهِن القُوى * ويستطاب التَوى * ويصغر كل عظيم من البلا * حتى كأنّ هذه الحاجة ليست من الحَوج في شي * وما لها به من صلة لحَىّ * فهي داء لا آسي له * وثوب قشيب مسموم يسر ناظره وحامله * لكن يقرّح اوصاله ومفاصله * وكل امر في الدنيا فانما يصح قياسه على عقول الكَيْسَى من الناس * ويعالج بالصبر او الياس * الا هذه الحَوْبة فان المرجع فيها الى الطباع * ولا يفيد معه رشد ولا زَماع * ثم أنّ انين الثُكْلى * وقال واني ازيد على ما قاله الامعة قولا * ولا اخشى من احدكم عذلا * فاقول ولكم تصدعت قلوب من ذلك الصدع * واشتقت من ذلك الوَمّاح مشاق لا يطيقها طبع * وكم من رؤس لاجله دُعكت ورضّت * وعقول أفِنت وخَرِضت * واعناق دقّت * وعيون لقت * واسنان هُتِمت * وانوف شُرِمت * وشعور ندفت * ولحى نتفت * وايدٍ قطّعت * وانساب ضيّعت * وكتائب كتّبت * وكتب كُتبت * (حاشية من جملتها هذا الكتاب) وخيل رُكضت * وسيوف ومضت * ورماح شُرّعت * واحزاب تترّعت * وجبال دكّت ونسفت * وبيوت اقوت وعفت * واملاك حُربت * وملوك استخربت * وبلدان خربت * بل امم تهالكت وفنيت * وقرون اندرجت ونسيت * ثم تأوّه وقال وسلعة نُفدت * ودنانير نُقدت * قال الهارس فعلمت انه قد صدعه الصدع بماله * وعظّه بلهاته عند تغلغله فيه وايغاله * ولذاك كان يفيض في حديثه ويخوض فيه * ليعلم هل من مصاب مثله وعنده علم ما يشفيه * ثم التفت اليّ مستعبرا * وقال وانت فما ترى * قلت والله انها لاحدى الكُبَر * ومعضلة تفيض لها العبَر * قد طالما ارتبك فيها العالم النحرير * وضل عن علمها اللبيب الخبير * لا جرم ان معرفة الافلاك وكواكبها * وايشاء معادن الارض وعجائبها * واسرارها وغرائبها *

لَأَهْوَن عليّ من ان اقول فى هذه المسألة نعم اَوْ لا * فما ارى كلّا سكوتى عنها اَوْلى * ثم بينا هم يوجبون ويسلبون * ويوجزون ويسهبون * اذا بالفارياق مرّ علينا راكبا على حمار فاره * سامد سامه * فلما بصرت به قلت له نزال نزال * وحيّ على هذا العِدال * فما نرى غيرك جديرا بايضاحه * وبشفائنا من صُماحه * قال فى ايّ امر مريج كنتم تخوضون * وعن اى نكر مشيج انتم تحيصون * قلنا له فى الزواج * فهلمّ العلاج * فابتدر وقال على ارتجال *

مسالة الزواج كانت ثم لا　　تزال طول الدهر امرا معضلا
ان يكن الطلاق يوما حُلّلا　　للزوج ايّان ابتغاه فعلا
فليس عندى رشدا ان تُحظلا　　زوجته عنه ولا ان تُعضَلا
ان لم يصببا للوفاق سبلا　　فدعهما فليفعلا ما اعتدلا
ايان شاآ طلّقا وانفصلا

قال فضحكنا من افتخاره ما لم يذكر فى الكتب * وقلنا له الى حمارك عن كثب * فما نرى رايك الّا بِدْعا * ولقد اسات جابة بعد ان اصبت سمعا * ثم تفرقنا كما اجتمعنا * وعجبنا مما سمعنا *





الفصل الرابع عشر

في تفسير ما غمض من الفاظ هذه المقامة ومعانيها

ليس في لغتنا هذه الشريفة ولا في لغة امة اخرى من الامم لفظة تدل
على فاعل ومفعول او فاعلين اشتركا في فعل واحد للذتهما ونفعهما *
واحتاجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما اي رفع ونصب يجرى بينهما *
وبيانه ان لفظة الزواج عندنا معناها ضمّ واحد الى آخر حتى يصير كل
واحد منهما زوجا لصاحبه * ولكن من دون قيد مكان ولا زمان * فلو تزوج
زيد بهند في سهل او على قنة جبل او في كهف في يوم الاحد او
الاثنين او السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمراة صكا موذنا
بزواجه بها او يشهد على ذلك رجلين لصحّ * هكذا كانت سنّة السلف
المتقدمين من الانبيآ وغيرهم كما هو مسطور في تواريخهم * بل لم
تكونوا يقيدون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود * اما لفظ النكاح فمعناه احراز
امراة على اي وجه كان * وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب
للنكاح والطعام وغيرهما حتى جآ الشرع فعرّفه وميز الحلال من الحرام منه *
قال ابو البقآ في الكليات ـــ ولكن لم اجده في فصل النون فان رايته
في غيره انجزت ما وعدت به * وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم
النكاح لم يزل الى الان مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى *

وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاذ من ذكره * وانما استعملته العلمآء من دون محاشاة لاسباب * الاول انه استعمل قديما من الجاهلية فاثبتته العافلية * الثاني لوروده في القرآن * الثالث لاشتماله على اربعة احرف وفاقا للطبائع والعناصر والجهات * الرابع لورودها في اسرار سور القران * فالنون في ن والقلم وما يسطرون والكاف فى كهيعص والالف في الم والحآ فى حم * الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا لك منها معنيان شريفان * الاول اسم فاعل من حبى والثاني فعل امر من كان * وبه برزت الموجودات الى العيان * وتجلّت الحقائق لذوي العرفان * السادس لخفة اللفظ وحلاوته * السابع لكون اوله يدل على آخره وآخره على اوله * وقد سمى هذا النوع بعضهم دلالة الاول على الاخر وبالعكس * قال وفائدته انه لو استشهد القاضي احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف ثم غشي عليه اوعلى القاصي تالحزا لذلك * عَرَف من بقى غير مغشى عليه بالمجلس القاضوى ما اراده القائل * وكذلك لو طرا عليه عند ادآ الشهادة ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحآء لدل هذا الجزء الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول * قلت وهو تعليل بديع غبران هذه التسمية لا توجد فى كتب البيانيين والبديعيين * ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة بحيث يسلم الطرف * فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا فى وصف البرنيطة بقولك المستقبحة المستقطعة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة * قلت كان ذلك من باب مراعاة النظير * فان طول البرنيطة يقتضيه * فاما مدلول اللفظ الذي نحن بصدده فانه قصير * ثم انى كنت ابتدات كلاما في اول هذا الفصل ولم انهه فان القلم زلق بى الى معنى آخر على عادته *

واظن ان الجناب الرفيع او الحضرة السنية لم يفهماه فمن ثم اقول الان *
انه اذا كان المراد من الزواج ان كلّا من الزوجين يزاوج صاحبه لنفسه
لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليّان ياكل فخذ الدجاجة
لامّ عليّ * لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو قُبّعة فيقول للمراة لا تتزوجى
هذا لكونه لم يسمّ بطرس * ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسمّ
مريم * او ان يقول هذا يوم الاحد لا يصح فيه الزواج * وهذه حجرة لا يحلّ
فيها البعال * والّا لصح ان يقول لهما أرياني الميل فى المكحلة * ومثل
هذا الكلام لعمرى لا يليق باحد ان يقوله او يكتبه * ثم ان المراة هى من
الاشياآ التى لكثرة تكرر النظر اليها كالشمس والقمر لم يوفّ العقل حق
اعتبارها * وبيانه ان الله عز وجل خلق المراة من الرجل لتكون بمنزلة
معين له على مصالحه المعاشية ومونس له فى وحشته وهمومه * الا انّا نرى
ان هذه العلة الاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى ان بلآء
الرجل وهمه ووحشته ونحسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه
المراة * فتنقلب تلك الاعانة احانة * وتلخيصه ان الانسان وُلد فى
هذه الدنيا محتاجا الى اشيآء كثيرة لازمة لحفظ حياته * وذلك كالاكل والشرب
والنوم والدفء * والى اشيآء اخرى غير لازمة للحيوة وانما هى لتقويم طبعه
حتى لا يختلّ * وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الغنآ واتخاذ المراة * الا ان
هذا الاخير مع كونه جعل فى الاصل لتقويم الطبيعة * اذ يمكن للرجل ان يعيش
حينا ما من دونه * فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التى لا بد منها * الا ترى
ان من يحلم بامراة يجد منها فى الحلم ما يجده منها فى اليقظة * وليس
كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا * بل وقوع هذا نادر جدا
حتى للجائع والعطشان * وقد طالما رضيت اصحابنا الشعرآ بطيف الخيال

من المحبوب * وما احد منهم رضى على جوعه بان يبعث اليه ممدوحه بكاس مدام فى الحلم او ثريدة * واذا تناول الانسان طعاما طيبا لونا كان او لونين بقى عدة ساعات مكتفيا بما ناله غير مفكر فى القِدْر ولا فيما يقتدر فيها * حتى يعاوده الجوع فيطفق ح' يفكّر فى تناول طعام آخر * ولكن لم يسمع عن احد من الناس فى حالتى الجوع والشبع انه كان كلما راى طائرا فى الجو اشتهى ان يقع على سقوده فى البيت حتى يسترطه * او انه كان لا يزال يبصّص فى دكاكين الطباخين والبدّالين والزياتين ويلاوص من ثقوب اقفالهم ومن خصاص ابوابهم وشقوق حيطانهم على ما عندهم من اصناف الماكول * نعم ان الجائع فى بلادنا يحسب كل مستدير رغيفا كما يقال * وفى بعض بلاد الافرنج ربما حسب ايضا المستدير والمطاول وذا شقّ كظِلف الشاة وذلك لتفننهم فى اشكاله * غير ان الجائع الى النسآء ليس له شكل ينتهى اليه * وكذلك قصية الشرب فان الظمان بعد ان يروى غليله بالمآ فاذا جئ اليه بكاس من التسنيم عافه * وكذلك البردان المحتاج الى الدفئ فانه متى لبس ما يدفّئه من الثياب ويجمّله بين الناس لم يتطالل بعد ذلك الى كل ثوب ينظره فى دكاكين التجار معرضا للبيع * ولو راى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة بالازهار البهيجة لم يتمنّ ان تكون الوانها فى سراويله او قميصه * وانما يراها ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبّه * ولا يحلم ليلته تلك انه راى روضة انيقة او يتصور وهو متوسّد على فراشه انها لو كانت جِبال مخدّته لراد ذلك فى تنعيمه او عمره * وقس على ذلك النائم اذا نام كفايته على فراش غير وطيّ فان منظر الفراش الوثير بعده لا يهمّه * والحاصل ان للانسان عقلا فى يافوخه يدله على ما ينفعه ويضره

ويسؤه ويسره * وان في كل من معدته وحلقومه ميزانا فويما يرن به ما هو محتاج اليه من الطعام والشراب * وبه يدرى مضمون قولهم ربّ اكلة حرمت اكلات * فاما في امر المراة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا * والرشيد غويا * والحليم سفيها * والمهتدى ضالا * والحكيم عَمِها * والعالم جاهلا * والفصيح عييّا وبالعكس * والصَبُور جزوعا ولا عكس * والفتى شيخا ولا عكس * والغنى فقيرا وبالعكس * والفظّ لطيفا ولا عكس * والسمين نحيفا وبالعكس * والمعافى مبتلى ولا عكس * والمتثبّت متغشمرا وبالعكس * والبخيل كريما ولا عكس * والساكن متحركا وبالعكس * والطرد عكسا وبالعكس * وهلم جرا * واذا راى امراة تبغضه فربما احبها * او تجفوه كلف بها * او تعرض عنه تعرّض لها * او تتملّق اليه وتملته فُتِن بها * او ترمبه بحقيبتها على ثقلها جُنّ بها * الا ولو حضر مجلسا كان فيه

امراة وضيئة حسنة نظيفة *

وهيّئه حسنة الهيئه *

ومُخَبأة الجارية المخدره لم تتزوج بعد *

وذَبّاة الجارية المهزولة المابجة الخفيفة الروح *

وجَرْبآ الجارية المابجة *

وخِدَبّة ضخمة *

وخرعُوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضآ اللينة الجسيمة اللحمة الرقيقة العظم *

وحَبِبه الجارية السمجة الرحيمة *

ورطبه معروف *

وسرْهَبة المراة الحسنة الطويلة *

وشُطْبة الطويلة الحسنة الخلق *

وشِطْبة الجارية الحسنة الغضة الطويلة *

وشَنْبا ذات شنب وقد ذكر تحت البرقع *

وصُقْبة الطويلة التارّة *

وصَهْبآ الصَهَب حمرة او شقرة فى الشعر كالصُهبة والصهوبة *

وعَجْبآ المراة يتعجب من حسنها *

وقبّآ الدقيقة الخصر الضامرة البطن *

وكُبْكابة المراة السمينة *

ومكدوبة النقية البياض *

وكاعِب التى نهد نديها *

ولعُوب الحسنة الدَلّ *

ووَطْبآ العظيمة الثدى والوَطْب الثدى العظيم *

وهَدْبآ الكثيرة شعر الهدب *

وذات صُلُوتة الصَلْت الجبين الواضح وقد صلت ككرم *

وصَمُوت الخلاخيل غليظة الساقين لا يسمع لهما حسّ *

وخَوْبآ الحَدَثة الناعمة *

وبَلْجآ البُلْجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهى بَلْجآ *

ومِبْهاج حسنة *

وجائعة الوشاح ضامرة البطن ومثله غَرْثى الوشاح *

وخَدَلَّجة المراة الممتلئة الذراعين والساقين *

ودَعْجآ الدَعَج سواد العين مع سعتها *

ورَجْراجة ترجرج عليها لحمها *

وزجّآ   الزَجَج محركة دقة الحاجبين فى طول والنعت ازج وزجآ *

ومُعَذَّلجة   الممتلئة الناعمة الحسنة الخلق *

ومفلّجة الاسنان   الفلج تباعد ما بين الاسنان *

وبَنْبَذح   بادن ونحوه بَلْدح *

ودَحُوح   عظيمة *

وذات سَجاحة   سَجح الخدّ سهل ولان وطال فى اعتدال *

ودُمّلُحة   الضخمة التارّة *

وصَلْدَحة   عريضة وكذا سلطحة وصلطحة *

وفُقّاح   المراة الحسنة الخُلُق *

ووَضّاحة   البيضآ اللون الحسنته *

وبَيْذَخة   تارّة *

وبُلاخّة   عظيمة او شريفة *

وصَمِخة   المراة الغضّة *

وطُباخيّة   الشابّة المكتنزة *

وفنخآ الاخْلاف   ناقة فنخآ الاخلاف ارتفعت اخلافها قِبَل بطنها ذمّ وفى المراة والضّرع مدح *

وفِرْضاخة   ضخمة عريضة او طويلة عظيمة الثديين *

وفُفاح   المراة الحادرة الحسنة الخلق *

ولُباخة   لحيمة *

وهَبّيخة   الناعمة التارّة *

وتَخنداة   المراة التامة القصب كالبَخَنْدى *

وبَرَخْداة   الجارية الناعمة التارّة *

ومبرندة الكثيرة اللحم *

وثأدة المكتنزة الكثيرة اللحم *

وثوهدة السمينة التامة الخلق وكذا الثهودة والفوهدة *

وثهمد السمينة العظيمة *

وجدّآ الصغيرة الثديين *

وجيداً الطويلة الجيد الدقيقته *

وبضّة المجرّد بضّة عند التجرّد *

وخبنداة جارية خبنداة تامة القصب او تارّة ممتلئة او ثقيلة الوركين وساق خبنداة مستديرة ممتلئة *

وخريد الخريد البكر لم تمسس او الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كالخريدة والخرود *

(تنبيه المرأة الجشوب الدردحة الضمزر اللهبرة العكبرة القعسوس الجباعة الثدمة اكثر دلاّ وغنجا من جميع هولآ)

ورخودّة الليّنة العظام السمينة *

ورعديد رخصة *

ورهيدة الشابة الرخصة الناعمة *

وعرّد الجارية البيضآ الناعمة ترتج من نعمتها *

وعضاد المراة الغليظة العضد *

وعمدّة الشابة الممتلئة شابا كالعمدانية *

وغادة المراة الناعمة الليّنة البيّنة الغيد *

وغيدآ المتثنّية لينا *

ومقصدة المراة التامة العظيمة تعجب كل احد والتي الى القصر *

ومأدة　　الجارية الناعمة *

ومَمْسودة　　مجدولة الخلق *

وأمْلُود　　المراة الناعمة اللينة *

وناهِد　　كاعب *

وبَهِيْرة　　السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البَهِيلة

وبَشِيرة　　جميلة *

ومبشورة　　الحسنة الخلق واللون *

وثارّة　　ممتلئة الجسم *

وثَرّة　　الحسنآ الرعنآ *

وجُحاشرة　　الضخمة الحادرة الجسيمة العبلة المفاصل العظيمة الخلق *

وجَهْرآ　　مونث الاجهر وهو الحسن المنظر والجسم التامّة والاحول المليح الحولة *

وحادرة　　السمينة او الحسنة الجميلة *

واُحْوُرِيّة　　البيضآ الناعمة *

وحَوارِيّة　　الحَوارِيّات نسآ الامصار *

وحَوْرآ　　الحَوَر ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها او الح *

ودات تذهكر　　ترجرج *

ومُدَهْمَرة　　المراة المكتّلة المجتمعة *

ومرمّرة　　طويلة جسيمة *

وزهْرآ　　المراة المشرقة الوجه *

ومُسْبورة　　الحسنة الهيئة *

ومسمورة الجارية المعصوبة الجسد غير رخوة اللحم *

وشُغْفر المراة الحسناآ *

وصُيّرة الحسنة الصورة *

وعبقرة تارة جميله *

وعُبّهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم كالعبهر والجامعة للحسن فى الجسم والخلق *

وغُجُنّجرة المكتّلة الخفيفة الروح *

ومُعْصر التى بلغت شبابها وادركت او دخلت فى الحيض او راهقت العشرين *

وغرّآء بيضاآ وكذا فرّآ *

وذات افترار افتر ضحك ضحكا حسنا *

وفُرْآ الممتلئة لحما وشحما او التى قاربت للادراك *

وقُفاخِرِيّة النبيلة العظيمة من النساآ *

ومُرْمورة المرمورة والمرمارة الجارية الناعمة الرجراجة *

ومَشْرَة الاعضاآ رَيّا *

ومُطِرة لازمة للسواك او للتنظف والاغتسال *

وذات مَكْرة المكرة الساق العليظة الحسناآ *

ومُمْكورة المطوية الخلق من النساآ والمستديرة الساقين او المدمجة الخلق الشديدة البَضعة *

ومارِيّة بيضاآ برّاقة (من مار) *

وذات نَضْرة حسن وبهجة *

ووَثيرة الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة *

والتنبيه المراة الرِّبسة الدِعْفصة الدِنْقصة القُنْبُصة الصَعْلة الطَهْمل الصَلْفع الضَوْكعة الرَصعآ القَشْوانة الكروآ اكثر دلّا وغنجا من جميع هولآ *

وهُذَكِر المراة التى اذا مشت حرّكت لحمها وعظامها *

وهَيْذَكُور الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدلّ كالهُدكورة

وبِلِز المراة الضخمة او الخفيفة *

وعُكّموزة الحادرة التارّة *

وغُمّازة الجارية الحسنة الغمز للاعضآ *

وكِناز كثيرة اللحم صُلْبة *

وآنِسة الجارية الطيبة النَفْس *

وبَيْهس الحسنة المشى *

وخَرُوس البكر فى اول حملها *

وخَنْسآ تقدم ذكرها تحت البرقع *

ومُرّكس الجارية طلع نهدها فاذا اجتمع وضخم فقد نهد *

وعَيْطَموس المراة الجميلة او الحسنة الطويلة التارة كالعُطْموس *

وعَلْطَميس الجارية التارة الحسنة القوام *

وعانِس التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الابكار *

وقُدّمُوسة ضخمة عظيمة *

وفِرْطاس الجارية البيضآ المديدة القامة *

وكَنِيسة المراة الحسنآ *

ولَعْسآ من فى لونها ادنى سواد *

ولَمِيْس اللينة المَلْمس *

وعَشَة المراة الطويلة القليلة اللحم او الدقيقة عظام اليد والرجل *

وخربَصة المراة الشابة التارّة *

ودُخوص الجارية الممتلئة شحما *

ورخْصَة معروف *

وبَضّباضة بَضّة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة *

وخُريْصة الجارية الحديثة السن الحسنة البيضاء التارة *

ورَضْراضة فى معنى رجراجة *

وغَضّة غضيضة الطرف الغضّة الناضرة والغضيض من الطرف الفاتر *

وفارض ضخمة *

وضّفاضة الجارية اللحيمة الجسيمة الطويلة *

ومُفاضة الضخمة البطن *

وخُوْطانة جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولا ونَعمة *

وسَبْطة الجسم حسنة القدّ *

ونَطّة حسنة القوام طويلة *

وشِناط المراة الحسنة اللون والقوام *

وذات عَنَط وعَيَط طويلة العنق حسنته *

وذات بِناط مكتنزة اللحم كثيرته *

ومُلَعّطة الجارية السمينة الطويلة الجسيمة *

وبَتْعاء الشديدة المفاصل والمواصل من الجسد *

وبرْبعة فائقة الجمال والعقل *

وبريعة طريفة مليحة كيّسة *

ومُتَلِّع الحسناء لانها تتلع راسها تتعرض للناظرين اليها *

وسَنيهة الجميلة اللينة المفاصل اللطيفة العظام *

وشَبْعى الخلخال والسوار ضخمة تملأهما سمنا *

وشَمُوع مَزّاحة لَعُوب *

وصَمْعآ الصغيرة الاذن والاذن الصغيرة اللطيفة المصنّمة الى الراس *

وضَرْعآ عظيمة الضرع *

وفَرْعآ تامة الشعر *

ولَعّة عفيفة مليحة *

ولاعة التى تغازلك ولا تمكنك (قلت لانها تلوع مغازلها بذلك) *

وأَنُوف طيبة رائحة الانف *

وخَنْضَرِف المراة الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *

وذَلْفآ تقدم ذكر الذَلَف تحت البرقع *

وذات سُجُف السجف دقة الخصر وخماصة البطن *

وسُرْعُوف المراة الطويلة الناعمة *

وسَيْفانة الطويلة الممشوقة الضامرة *

وظريفة الظَّرْف انما هو فى اللسان او حسن الوجه والهيئة او يكون فى الوجه واللسان او البَزاعة وذكا القلب او الحِذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات الزولات لا الشيوخ ولا السادة *

وقِرْصافة القِرْصافة من النسآ التى تتدحرج كانها كرة *

وقِصاف المراة الضخمة *

ولَفّآ واحدة اللُّفّ للجوارى السمان الطوال *

وحسنة المعارف والموقفين المعارف الوجه وما يظهر من المراة والموقفان

الوجه والقدم او العينان واليدان وما لا بدّ لها من اظهاره *

ومُهَفهفة ضامرة البطن دقيقة الخصر *

وهَيْفاَ الهَيَف ضمر البطن ورقة الخاصرة *

وبَرّاقة الحسناَ لها بهجة وبريق كالابريق *

وبُهْلُق المراة الحمراَ جدا *

وحارُوق نعت محمود للمراة عند الجماع *

وخِرباق الطويلة العظيمة او السريعة المشى *

ورشيقة حسنة القدّ لطيفته *

ورُقْراقة التى كانّ الماء يجرى فى وجهها *

ورُوُقة حسناَ تعجب *

وسَوْقاَ الطويلة الساقين او الحسنتهما *

وعَبِقة المراة التى اذا تطيّبت بادنى طيب لم يذهب عنها اياما *

وعاتق الجارية اول ما ادركت *

وعَشَنّقة طويلة ليست بضخمة ولا مُثقلة *

وغُبْرُقة العينين واسعتهما شديدة سواد سوادهما *

وغُرانق امراة غرانق وغرانقة شابة ممتلئة *

وذات غَرْنقة غزل بالعينين *

وذات لمّة غُرانقة ناعمة تُفيّئها الريح *

وفُنُق جارية فنق ومفناق منعمة *

ولَبِقة الحسنة الدلّ واللبسة *

ومُلْصقة الضيقة المتلاحمة *

ولَهِقة شديدة البياض *

(تنبيه المراة الطُرطبة المتخبخبة الزغادبة العُكَبا دات الحردبة والسطبة البَلَعثة الخَرْنا الخُنظوب العُكبرة المُثَدنة الخَطلا اكثر دلّا وغنجا من جميع هولآ)*

وممشوفة خفيفة اللحم *

وَرَوْدكة حسناً فى عنفوان شبابها *

وضِبْرك المراة العظيمة الفخدين *

وضَكْضاكة قصيرة مكتنزة *

وضُنَاكة الصُلبة المغصوبة اللحم *

ومُعْرَوْركة متداخلة *

وعكَوّكة القصيرة الملززه او السمينة *

وعَضَنّك اللفآ التى ضاق ملتقى فخديها مع نرارتها *

وعاتِكة المراة المحمرّة من الطيب *

ومُفَلِّك التى استدار ندبها *

ومَكْماكة المكماكة والكمكامة القصيرة المجتمعة الخلق *

وهَبَرْكة الجارية الناعمة *

واسيلة الخدّين كالاسيل من الخدود الطويل المسترسل *

ومُبَتّله الجميله كانها بُتِّل حسنها على اعضائها اى قطّع والتى لم يركب بعض لحمها بعضا وفى اعضائها استرسال *

ويَهْكلة المراة العضة الناعمة *

وجُمُول جَمْلآ الجمول السمينة والجملآ الجميلة والحسنة الخلق من كل حيوان *

وحَذله المراة الغليطة الساق المستديرتها او الممتلئة الاعضا لحما فى دقة عظام كالحَذْلآ *

وخَلّه المراة الخفيفة *

ودَخْلة الضخمة التارة *

ودُمْحِلة السمينة او الحسنة الخلق *

ومِكسال نعت للجارية المنعمة لا تكاد تبرح من مجلسها مدح *

ورَخِيمة رَخُمت الجارية صارت سهلة المنطق فهى رخيمة ورخيم *

ورَقيمة المراة العاقلة البّرزة وفى ب ر ز امراة بَرْزة بارزة المحاسن او متجاهرة كهلة جليلة الخ *

وميّسانة الضُحَى مدح ونحوه نَؤُوم الضحى *

وحسنة الخفيّين اى صوتها واثر وطئها يقال اذا حسن من المراة خفيّاها حسن سائرها *

وعانية المراة التى تُطلَب ولا تطلب او التى غنيت بحسنها عن الزينة*

(تنبيه المراة القُرْزح القَيْلع الجِنْجل الجِزْمل الحُمَكة الخَنْثل الجَبْلة الجَهْبَلة الحَنْكَلة القيْعَلة اكثر غنجا وتدعبا من جميع هولآ) *

وسيأتى تتمة وصف الحسان فى الفصل السادس عشر من الكتاب الرابع اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارى نظيرى * وانما اقول * نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هولآ الحسان على اختلاف الوانهن لودّ ان ينظمهن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه كسبحة اوليآ الله المفردين * ومن مارانى فى ذلك رجعته الى قصة سيدنا سليمن عمّ * فانه معما اوتى من الحكمة * وما ادراك ما الحكمة * فقد كان سلكه يشتمل على الف امراة * منهن ثلثمائة سُرّيات والباقى سَرِيّات * فكان له فى كل يوم امراتان ونصف وكسور * كَلا ولو انه اى الرجل راى الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكان اول ما يخطر بباله

ان يقول لقد تزينت هذه السمآ بهذه النيّرات البهية * فمتى تزيّن حجرتى بواحدة من اخواتهن او باثنتين او بثلاث او بعشر او بالسبحة كلها * ولو راى غوطة او ربوة او جبلين متناوحين او نوفا او حُقّة او هدفا او شُقّبا او قُوزا او دَعْصا او كوثلا او خُوطا يتأوّد او بحرا يتموّج او عوطبا او طاووسا او تفاحا او رمّانا او عقد درّ منظوم او شيا آخر يروق العين لسبق وهمه الى امراة * بل ربما تصوّر واحدة لم يكن قد راها قط ولا وجود لها فى الاعيان * ولو راى سفينة ماخرة فى اليمّ وعليها شراعها لشبّهها بامراة ترفل بثيابها فى الطرق كما كان داب احد الخرجيين المتورّعين * ولو راى حمامتين تتزاقّان وتتلاسنان قال ليت لى الان من ارقّها وتزقنى والاسنها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى * ولو راى ابا بُرائل بين ضغادره يلقمهن مما لديه * ويصفق لهن بجناحيه ويجثّل اليهن ويتجفّل ثم يحلج بينهن لود ان يكون نظيره * وحسبك بذلك من دناآة واهانة لهذه الصورة البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبيه والنظير * لا ولو انك القيته فى جب سيدنا يوسف * وفى فلك سيدنا نوح * وفى بطن حوت سيدنا يونس * وعلى ناقة سيدنا صالح * ومع اصحاب الكهف * لصرخ قائلا المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولو انزلته فى

بُنانة	الروضة المعشبة *
ورُفهة	الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه *
ودُقيرة	الروضة الحسناآ العميمة النبات *
ووَدِيفة	الروضة الخضراآ *
وغُلْباآ	الحديقة المتكاثفة *
وعُاجوم	البستان الكثير النخل *

ومَخرفة البستان *

وحديقة الروضة ذات الشجر *

وفى حُجْرة وعِلّية وغرفة ومقصورة وخِدر وحَجَلة ومِنَصّة *

وسِدار شبه الخِدر والموصّد الخدر *

وحُشّة القبة العظيمة *

وجُنبُذة كالقبة *

وعَرْش الخيمة والبيت الذى يستظل به كالعريش *

وكِرْح بيت الراهب ومثله الركح *

وكوخ البيت المسنم من قصب *

وصومعة بيت للنصارى *

وريّع الصومعة *

وفنزر بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعا للربيئة *

وبَهْو البيت المقدم امام البيوت *

وحِلّة جماعة بيوت الناس او مئة بيت والمجلس والمجتمع *

وفُسطاط السرادق من الابنية ومثله المضرب *

وكِبْس بيت من طين *

وحِفْش البيت الصغير جدا *

وجَنْز البيت الصغير من الطين *

وخُصّ البيت من القصب او — *

ورُدْهة البيت الذى لا اعظم منه *

ومُجلُود البيت الذى لا باب فيه ولا ستر *

ووأم البيت الدفئ *

واُقْنَة	بيتٌ من حجر *
وطِراف	البيت من اَدَم *
ووُسْوط	بيت من بيوت الشعر او هو اصغرها *
وطُنُف	السقيفة تشرع فوق باب الدار *
ونُزُل	ما هيّئ للضيف ان ينزل عليه *
ومَغْنى	المنزل الذى غنى به اهله ثم ظعنوا او عامّ *
ومَعْهَد	المنزل المعهود به الشى *
ومُعان	المباآة والمنزل *
ونَدِىّ	مجلس القوم نهارا او — *
ومُرْتَبع	الموضع يرتبعون فيه فى الربيع *
ومَصيف ومَشْتى	معروف *
ودَسْكرة	بناء كالقصر حوله بيوت او — *
ومَشْرَفة	موضع القعود فى الشمس بالشتآ *
ومُضْحاة	ارض مضحاة لا تكاد تغيب عنها الشمس *
وظُلّة	شى كالصفّة يستتر به من الحرّ والبرد *
ومَشْرَبة	الغرفة والعلية والصفة *
وسُغْنة	الزَفْن او مطلق المظلّة *
ومظلّة	الكبير من الاخبية *
وساباط	سقيفة بين دارين تحتها طريق *
وعِرْزال	بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ *
وكِنّ	البيت *
وقَيْطون	المخدع *

وسَرَب الحفير تحت الارض

ودِيماس الكنّ والسَّرَب وال...

وبُرج معروف *

وصَهوة البرج فى اعلى الرابية *

وصَرح القصر وكل بنآ عال *

وعَقر البنآ المرتفع *

وطِربال كل بنآ عال*

وأَزَج ضرب من الابنية *

وإيوان الصفة العظيمة كالازج *

ورواق بيت كالفسطاط او سقف فى مقدّم البيت *

وأُجُم كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن *

وكَعبة الغرفة وكل بيت مربّع *

وأُطُم القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح *

ووَشِيع عريش يبنى للرئيس فى المعسكر *

وسُتَيْنُق بيت مجصّص *

وجَوسق القصر *

ودَوْسَق البيت ليس بكبير ولا صغير او البيت الضخم *

وقُهْقُور بنآ من حجارة طويل *

ونُغْبور الحجر الذى يذبح عليه القربان للصنم *

وزُور مجلس الغنآ *

وبُدّ بيت الصنم *

وزُون الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزيّن *

ومسجد معروف *

وكنيسة معروف *

وفُهْر مدراس اليهود تجتمع اليه فى عيدهم او ـــ *

ومِدْراس الموضع يقرا فيه القرآن ومنه مدراس اليهود *

وفى كوكبان حصن باليمن رصّع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب *

والجُوْسق دار بنيت للمقتدر فى دار الخلافة فى وسطها بركة من الرصاص ثلثون ذراعا فى عشرين *

وقصر النعمان الذى بناه السِنِمّار هو رجل اسكاف بنى قصرا للنعمان ابن امرء القيس فلما فرغ القاه من اعلاه لئلّا يبنى لغيره مثله او هو غلام لأُحَيحة بنى أُطُمة فلما فرغ قال له لقد احكمته قال انى لاعرف فيه حجرا لو نزع لتقوض من عند آخره فساله عن الحجر فاراه موضعه فدفعه احيحة من الاطم فخرّ ميتا *

والجعفرىّ قصر للمتوكل قرب سرّ من راى *

والمارد حصن بدومة الجندل *

والأَبْلق حصن بتيماء قصدتهما الزبا فعجزت فقالت تمرّد مارد وعزّ الابلق *

وصِرْواح حصن بناه الجن لبلقيس *

ودار الخيزران بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة *

وقصر بَهْرامجُور من حجر واحد قرب همذان *

وقصر غُفْرآ بالشام *

والبديع دنا عظيم للمتوكل بسرّ من راى *

وزغسره حصن قرب الكرك *

وقصر عسل بالبصرة *

والندّ حصن باليمن *

والعُفر حصن بها *

وسَمدان حصن بها عظيم *

والشَحب حصن بها *

وتُربان حصن بها *

وهرّان حصن بها *

وشُواحِط حصن بها *

والمَوْهَبَة حصن بها *

والظُفَير حصن يمانى صنعا *

ولَسبيس حصن باليمن *

والنُجَير حصن قرب حضرموت *

وغُمْدان قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقف اربعون ذراعا * لما انفك ان يصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولا عيش الا مع المراة * ولو انزلته فى

شِعْب بَوّان احدى الجنان الاربع *

وصنعآ د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق *

والسُغْد بساتين نزهة واماكن مثمرة بسمرقند *

والشَعْران جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالفواكه والطيور *

والوَهْط بستان ومال كان لعمرو بن العاص على ثلثة اميال من وَجّ كان يُعرّش على الف الف خشبة شرآ كل خشبة درهم *

وبَلَنْسية د شرقى الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الّا مياها تدفع ولا تسمع الا اطيارا تسجع *

ومُرْسية	د اسلامى بالمغرب كثير المنازه والبساتين *
وثمانين	بلد بناه نوح عم لما خرج من السفينة ومعه ثمانون نفسا *
وجابُلص	د بالمغرب ليس وراه انسى *
والراهُون	جبل بالهند هبط عليه آدم عم *
والجُوديّ	جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عم *
وقاف	جبل محيط بالارض او من زمرذ وما من بلد الا وفيه عرق منه وعليه مَلَك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرّك فخُسِف بهم *
والقِيق	جبل محيط بالدنيا ومثله القِبق *
والساهِرة	ارض يجردها الله يوم القيامة * لما انفك بصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولاعيش الا مع المراة * بل لو صعد الى
المِسْريف	باب للتوبة فى السمآ *
وطوبى	شجرة فى الجنة *
وعلّيين	فى السمآ السابعة تصعد اليه ارواح المومنين جمع علّى *
والضُراح	البيت المعمور فى السمآ الرابعة *
وبُرْقع	اسم للسمآ السابعة او الرابعة او الاولى *
والحاقورة	اسم للسمآ الرابعة *
والصاقورة	اسم للسمآ الثالثة *
والغُرْفة	السمآ السابعة وكذا عَروبا وفيها سدرة المنتهى *
وعِفّيون	بحر من الريح تحت العرش فيه ملئكة من الريح معهم رماح من الريح ناظرين الى العرش تسبيحهم سبحان ربنا الاعلى *
والاعراف	سور بين الجنة والنار * لاحد يرعى [illegible] حاشوه ويقول

المرآة المرآة * فانى ما دمت بشرا لا بدّ لى من المرآة *

ولو اريته من الغرائب

السُكيّنة شى كان له راس كراس الهرّ من زبرجد وياقوت وجناحان *

والألواذ تابوت التوراة *

وقُرطى مارية هى مارية بنت ارقم او ظالم كان فى قرطها مائتا
دينار او جوهر قوّم باربعين الف دينار او درّتان كبيضتى
حمامة لم يُرَ مثلهما قط فاهدتهما الى الكعبة *

وقنطرة خُرّزاذا امّ ازدشير بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب
الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة وخمسون اكثرها مبنى
بالرصاص والحديد *

وتابوت تاحة هى تاحة بنت ذى الشُفُر قال ابن هشام حفر السيل عن
قبر باليمن فيه امراة فى عنقها سبع مخانق من در وفى
يديها ورجليها من الاسورة والخلاخيل والدماليج سبعة سبعة
وفى كل اصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعند راسها تابوت مملو مالا
ولوح فيه مكتوب باسمك اللهم اله حمير انا تاحة بنت ذى
شفر بعثت مائرنا الى يوسف فابطا علينا فبعثت لاذنى بمُدّ
من وَرِق لتاتينى بمُد من طحن فلم تجده فبعثت بمدّ
من ذهب فلم تجده فبعثت بمد من بحرىّ فلم تجده
فامرت به فطحن فلم انتفع به فاقتفلت فمن سمع بى
فليرحمنى واية امراة لبست حليا من حليى فلا ماتت الّا ميتتى *

وذا الفقار سيف العاص بن منبّه قتل يوم بدر وكان كافرا فصار الى
النبى صلّعم ثم صار الى علىّ *

والكُشُوح — من السيوف السبعة التى اهدتها بلقيس الى سليمن عمّ *

والجِنّ — حىّ من الجن منهم الكلاب السود البهم او سفلة الجن وضعفاوهم وكلابهم او خلق بين الانس والجن *

واَوَرم الجَوْز — قرية بحلب فيها اعجوبة وهى ان المجاورين لها من القرى يرون فيها بالليل ضو نار فى هيكل فيها فاذا جآوه لا يرون شيا *

والرئىّ — جنّى يُرَى فيُحبّ *

وفرس قاين الذى قال له هِجْدَم — يقال اول من ركبه ابن ادم القاتل حمل على اخيه فزجر الفرس فقال هج الدم فخفف *

والعصافير — شجر يسمّى من راى مثلى له صورة كالعصافير كثيرة بفارس *

والنَسْناس — جنس من الخلق يثب احدهم على رجْل واحدة وفى الحديث ان حيّا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل انسان منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة خلق على حدة او هم ثلثة اجناس ناس ونسناس ونسانس او النسانس الاناث منهم او هم ارفع قدرا من النسناس او هم ياجوج وماجوج او هم قوم من بنى آدم او خلق على صورة الناس وخالفوهم فى اشيا وليسوا منهم *

ودُعموصا — رجل زنّاآ مسخه الله دعموصا لدويبة او دودة سودآ تكون فى الغدران اذا نشّت *

وعَبّودا — عبد اسود اول الناس دخولا الجنه *

وعامر بن جدْرة — اول من كتب بخطنا *

ومُرامرا   اول من وضع الخط العربى *

وابا عُروة   رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه *

وطَخْمُورث   ملك من عظما الفرس ملك سبعمائة سنة *

والوَضّاح   رجل ملك الارض وكانت امه جنّية فالحق بالجنّ *

والرابضة   ملئكة هبطوا مع ادم وبقية جلة الحجّة لا تخلو الارض منهم *

واليَبْروح   اصل اللفّاح شبيه بصورة انسان *

وسُكَيْنة   اسم البقة الداخلة انف نمروذ *

وطاحية   نملة كلمت سليمن عم *

وعَيْجَلوف   اسم النملة المذكورة فى القرآن *

والتُخس   دابة بحرية تنجى الغريق تمكّنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين *

والجسّاسة   دابة تكون فى الجزائر تجسّ الاخبار فتاتى بها الدجال

والرُخّ   طائر كبير يحمل الكُرْكَدّن *

والكركدن   دابة تحمل الفيل على قرنها *

والزبعرى   دابة تحمل الفيل بقرنها *

والعَقام   سمك وحيّة تسكن البحر وياتى الاسود من البر فيصفر على الشط فتخرج اليه العقام فيتلاويان ثم يفترقان فيذهب كل منهما الى منزله *

وبنت طبق   سلحفاة تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض بيضة تنقف عن حية *

[illegible]   طائر يصيد [illegible] *

والبَلْت طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منه في الطير احرقته *

والسَمَنْدل طائر بالهند لا يحترق بالنار *

والتِهِبّط طائر اغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول انا اموت انا اموت *

والأُنن طائر كالحمام صوته انين أُوْهِ اوه *

والزماح طائر ياخذ الصبي من مهده *

والهَدِيل فرخ على عهد نوح عمّ مات عطشا او صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه *

والقُرْقُفَنّة طائر يمسح جناحيه على عيني القنذع الديّوث فيزداد لينا *

والقُقُنُس طائر عظيم بمنقاره اربعون ثقبا يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة ياتي الى راس جبل فيجمع من الحطب ما شآ ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فينقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رمادا فيتكوّن منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفآ * لمدّ عنقه وجعل اصابعه في اذنيه واذّن صارخا * هاى هاى المراة المراة * اروني المراة * ما يجزئني شي عن المراة * ولو انكَ لاعتد

والجُنابى لعبة للصبيان *

وحَذَبْذَبى لعبة للنبيط *

والطَبْطابة حشبة عريضة يلعب بها بالكرة *

والقِرْطِبّى ضرب من اللعب ونوع من الصراع *

والكِبْكِب لعبة *

والكُوبة النرد او الشطرنج *

والهَبْهاب لعبة للصبيان *

وكُتْكُتَى لعبة *

والبُحَيْثَى لعبة بالبُحائة اى التراب *

والكُشْكُشَى لعبة بالتراب *

والطَّنّ لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة تسمى المِطَنَّة *

واللوثة خرقة تجمع ويلعب بها *

والأُنْبُوثة لعبة يدفنون شيا فى حفير فمن استخرجه غلب *

والشِطْرِنج معروف *

والخَرِيج لعبة يقال لها خَراج خَراج *

والفَنْزَج رقص للعجم *

والشَّجْشَجة لعبة يقال لها عُظَم وضّاح *

والكُجّة لعبة ياخذ الصبى خرقة فيدوّرها كانها كرة *

والكَجْكَجة لعبة تسمى اسب الكلبة *

والجُمّاح تمرة تجعل على راس خشبة يلعب بها الصبيان *

والجُمْجُم رمى الصبى الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه *

ودِجَنْدِح لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فمن اخطاها قام على رجل وحجل سبع مرات *

والدّاح نقش بلوح للصبيان يعللون به ومنه الدنيا داحة *

والرُجّاحة حبل يعلّق ويركبه الصبيان *

والدُّبّاح لعبة *

والدُّماخ	لعبة للاعراب *
والطَّخة	خشبة يلعب بها الصبيان *
والطَّريْدة	لعبة تسميها العامة المَسّة والضَّبْطة فاذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه راسه او كتفه فهى المسّة واذا وقعت على الرجل فهى الأَسْن *
والنَّرْد	معروف *
والموافدة	لعبة وان تفعل كفعل صاحبك *
والباقِر	لعبة *
والبُقَيرَى	لعبة *
والجعرّى	لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبى بين اثنين على ايديهما *
والحاحُورة	لعبة تخط الصبيان خطّا مدورا ويقف فيه صبى ويحبطون به لياخذوه *
والدِكْر	لعبة للزنج والحبش *
والسُحّارة	شى يلعب به الصبيان *
والسُدَّر	لعبة للصبيان *
والعَرْعرة	لعبة للصبيان *
والشَعارير	لعبة *
والمِنْحار	لعبة للصبيان او الصواب الميجار *
والتُوْز	خشبة يلعب بها بالكجّة *
العَزّ	عزز لفلان قبض على شى فى كفه ضامّا عليه اصابعه يريد منه شيا لينظر اليه ولا يريه كله *
والفُقَيْزَى	لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها *

والسُقار لعبة لهم يسافرون فيها اى سوابون *
والكُسد الكجه *
والحواس لعبة للصبيان *
والدُسّد لعبة *
والدعكسة لعب للمجوس كالرقص *
والقستسى لعبة لهم *
والقاعوس لعبة لهم *
والبوصاء لعبة لهم ياخذون عودا فى راسه نار فيديرونه على روسهم *
والرقاصه لعبة *
والخويلد لعبة تسمى الدارة *
والخطّة لعبة للاعراب *
والصنطه لعبة لهم *
والصرّوط وهوان يركب احدا ويخرج رجليك من تحت ابطيه ويجعلهما على عنقه *
والصرعطّه لعبة لهم *
والمنط سط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها *
والمرّصاع دوّامة الصبيان وكل خشبة تدحى بها *
والبومع الخذروف *
وقلوبع لعبة لهم *
والجمعه اللعب بالكرة *
والخُذروف شى يدوره الصبى بخيط فى يده فيسمع له دوى ويسمى ايضا الخُذره والبوصاقة والخذروف ايضا طين يعجن

يعمل شبيها بالسكّر يلعب به الصبيان *

والزُحْلوفة تزلّج الصبيان من فوق التل الى اسفله *

والعَياف العياف والطربدة لعبتان لهم *

وقاصّة قرصافة لعبة لهم *

والحُزُقّة ضرب من اللعب *

والدَبّوق لعبة *

والزُحْلوقة كالارجوحة *

والشَفَلَّقة لعبة وهو ان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه *

والعُفّقة لعبة *

والعُقّة التى يلعب بها الصبيان *

والقِرْق لعب السُدَّر *

والكُرّك لعبة لهم *

ودِبّى حَجَل لعبة *

والدُخَّيْلَيآ لعبة لهم *

والدِرَفْلة لعبة للصبيان *

والدِرَكْلة لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هى حبشية *

والفِئال لعبة للصبيان يخبّون الشى فى التراب ثم يقسمونه ويقولون فى ايّها هو *

والفِيال لعبة لفتيان العرب *

والدُمّة لعبة *

والدُوّامة التى يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى ايضا المِرْصاع *

والمَرْعمة لعبة لهم *

والسخمه لعبة لهم *

وظّم وصّاح لعبة لهم *

والمِهْرام عود يجعل فى راسه نار يلعبون به *

والبُرْطُه ضرب من اللهو كالبرطمه *

والبُوْن حرفه يلعب عليها بالكجه *

والطُس لعبة لهم *

والعَبْس لعبة للروم يقامر بها *

والكُسد لعبة *

والدّمه لعبة للصبيان *

والمِجْدآ خشبة مدورة يلعب بها الاعراب *

والمجاساه حاساه لاعبه بالجوز فردا او زوجا *

والقُره لعبة *

والقُلَه عودان يلعب بهما الصبيان *

لسجر فاه وسجاه وعجاه وزاد صراحا وصحصحا وهو يقول المراه المراه * الا

فلاصيبى دالمراه * ولو انك طرّيد

والرّباب معروف *

والعرّطبه العود او الطنبور او الطبل او طبل الحبشه *

والكوبه النرّبط والطبل الصغير المخصّر *

والدّرْبَج شى كالطنبور يضرب به *

والصنج شى يتخذ من صفر يضرب احدهما على الاخر وآلة باوتار

يضرب بها معرّب والضارب صوب الصنج *

والونج ضرب من الاوتار او العود او المعزف *

والعود معروف *

والمِزْمار ما يزمّر به ويقال له ايضا الزَّمْخر والزَّنبق والصُلْبوب والنقيب والقُصّابة والهُبْنوقة *

والمِزْهر العود يضرب به *

والشَّبّور البوق ويقال له ايضا القُبْع والقُثْع والقُنع والصُور *

والطنبور معروف *

والكَنّارات العيدان او الدفوف او الطبول او الطنبور *

والكُوس الطبل *

والبَرْبَط العود *

والشِياع مزمار الراعي *

والهَيْرَعة اليراعة يزمر بها الراعي *

والدف معروف *

والمُسْتُقة آلة يضرب بها الصنج ونحوه *

والعَرْكَل الدف والطبل *

والصَغانة من الملاهي معرّبه *

والطِبْن الطنبور او العود *

والقِنّبس الطنبور *

والكِران العود او الصنج *

والوَنّ الصنج *

لظل فاغرا فاه وهو يزعق ويقول المراة المراة * الا فطرّبوني بالمراة * ولو اطعمتك

الجُوذاب طعام يتخذ من سكر وارز ولحم *

والقُبُب الاقط خالط رطبه يابسه *

والكَناب معروف *

والسَنّوت الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر *

واللَفيتة العصيدة المغلّظة او مرقة تشبه الحيس *

والنَفيتة طعام اغلظ من السخينة *

والعُلاثة سمن واقط يخلط *

والغَبيثة لت الاقط بالسمن كالعيثة *

والسِكباج معروف *

والطَباهجة اللحم المشرّح *

والنابجة طعام جاهلىّ *

والاَخِيخة دقيق يعالج بالسمن او الزيت *

والتَفيخة طعام يعالج بالتمر والاهالة *

والكامخ ادام *

والثريد معروف *

والرشيدية طعام معروف فارسيته رشته *

والرّهيدة البّر يدق ويصب عليه لبن *

والشُهيدة البُرق المشوى *

والقَدِيد اللحم المشرّر المقدّد *

والحَنيذ حنذ الشاة شواها وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهى حنيذ *

والزُماوَرْد طعام من البيض واللحم ويسمى ايضا الميسّر *

والبَرابِير طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب *

والبُورانية طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون *

والجاشرية طعام *

والجعاجر ما يجد من العجين كالبنادق فيجعلونها في الرب اذا طبخوه *

والخزيرة دقيق يطبخ بلبن او دسم *

والحكر السمن بالعسل يلعقهما الصبي *

والمخمور الطعام المدسّم والخُمرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم

وما قُدّم من شيء وطعام يحمله المسافر في سفرته وقصعة

فيها خبز ولحم بين اربعة او خمسة *

والخزيرة شبه عصيدة بلحم *

والصَّحيرة اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه السمن *

والعذيرة دقيق يحاك عليه لبن ثم يحمى بالرضف *

والقُرْقور سويق من مر السويق *

والمُرّيّ ادام الكامخ *

والمَصيرة مريقة طبخ باللبن المصير *

والسخيرة لبن يخلط بطحين او سمن *

والوغير لبن يغلى ويطبخ *

والجَامِس مرق السكباج *

والخبز الثريد من الخبز الفطير *

والمُزرّر الطعام المعالج بالرز *

والبسيسة لت الاقط المطحون بالسمن *

والحميسة العلند *

والحيس مر يخلط بسمن واقط فيعجن شديدا *

والكبيس لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق فصير كالسويق *

والهريسة معروف *

والبَوْش طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل فى زنبيل ويجعل في جرة ويطين ويجعل فى تنور *
والجَشِيش السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل في قدر ويلقى فيه لحم او تمر فيطبخ *
والرُشْرش السمين من الشوآ *
والقَميشة طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه *
والمكرّشة طعام يعمل من اللحم والشحم فى قطعة مكورة من كرش البعير *
والكَوْشان طعام من الرز والسمك *
والآمِص الآمص والامبص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرّد المصفّى من الدهن *
والخَبِيص طعام من التمر والسمن ويسمى ايضا البُرُوك *
والعَمْص ضرب من الطعام *
والكَرِيص طبخ الحُمّاض باللبن فيجفف فيوكل في القيظ *
والمَصُوص طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة *
والأقِط شي يتخذ من المخيض الغنمى *
والمُبرَقَط طعام يفرّق فيه الزيت كثيرا *
والبَهَطّ الارز يطبخ باللبن معرب *
والخَلِبّط الجدى اذا سلخ فشوى *
والسَميط الجدى اذا نزع شعره فشوى *
والسُرَيْطآ حسًا كالحريرة *
والسُوَيْطآ مرقة كثر ماؤها وثمرها اى بصلها وحمصها وسائر الحبوب *

والتَشْييط لحم يشوى للقوم *
والخَدِيعة طعام لهم *
والخَذِيعة طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حزّز وقطع والمخذّع الشِواء *
والخَلْع لحم يطبخ بالتوابل في وعآ من جلده او القديد المشوى في وعآ باهالته *
والرَضيعة البرّ يدق بالفهر ويبلّ ويطبخ بالسمن *
والوَضِيعة حنطة تدق فيصب عليها السمن فيوكل *
والثميغة ما رقّ من الطعام واختلط بالوَدَك *
والخَطِيفة دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ *
والصفصفة السكباجة *
والطِحْرِف حسا رقيق دون العصيدة *
والمُوخِف طعام من اقط مطحون يذر على مآ ثم يصب عليه السمن *
والأُلُوقة طعام طيب او زُبد برُطَب *
والخُرُوفة طعام اغلظ من الحسا *
والمدقّقة من الطعام مولدة *
والرَوْذَق الحمل السميط وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه *
والزُرَيقآ الثريدة بلبن وزيت *
والسَلِيقة الذرة تدق وتصلح او الافط خلط به طرانيب وما سلق من البقول ونحوها *
والسويق معروف *
والنُبارِق ما اقتطع من اللحم صغارا وطبخ *

والوَشيق لحم يقدد حتى ييبس او يُغلَى اغلاءة ثم يقدد ويحمل في الاسفار *

والولبغة طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن *

والدَليك طعام من الزبد واللبن او زبد وتمر ونبات وثمر الورد الاحمر يخلفه ويحلو كانه رُطَب النخ *

والرَبيكة اقط بتمر وسمن *

والسَّهيكة طعام *

والفَريك طعام يفرك ويلت بسمن وغيره *

واللَّبيكة اقط ودقيق او تمر وسمن يخلط *

والوَديكة دقيق بشاط بشحم *

والسَكبلة دقيق بالرب او بالسمن والتمر *

والخَذَل حب شجر وخنز *

والطَفَيشَل نوع من المرق *

والعَوكَل ضرب من الادام *

والرَوم طعام لاهل اليمن من اللبن لدبذ *

واباعاصم السويق والسكباج *

والهُلام طعام من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن *

والسَخينة طعام رقيق يتخذ من دقيق *

والكُبان طعام من الذرة لليمنيين *

والتَلبينة حساء يتخذ من نخالة ولبن وعسل *

والحَلبهة تمر يعالج باللبن *

والإِرَة القديد ولحم يغلى بالخل اغلاآة فيحمل فى السفر *

والآصِية طعام كالحسى بالتمر *

والإِطْرِيّة طعام كالخيوط من الدقيق *

والكُدَى لبن ينقع فيه التمر تسمّن به البنات * ولو اطعمته من انواع الكمأة الذُبَح والفُرحانة والقُرحان والغُرد وبنات اُوبر والجماميس والقَقْع والبرْنيق والذُعْلوق والقُعْبل والعُرجون والعُرهون ومن انواع السمك القُباب والهازِبى والكَنْعَت والكَنعد والجُبّاط وهى اولاده والبَيْنيث والمُدّج والأَبْدح والقُدّ والغُوبر والزّمير والزُنجور والاُشبور والطَنْز والانقليس والجُوفى واللُخم وابا مُرينا *

والصِلَنْباح سمك طويل دقيق *

والحافِيرة سمكة سودآ *

والجِرّى سمك طويل املس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص *

والصَرْصَران سمك املس *

والغارّة سمكة طويلة *

والقَيصانة سمكة صفرآ مستديرة *

والشَبّوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المسّ صغير الراس كانه بُرْبط *

والجِنِّيس سمكة بين البياض والصفرة *

والضِلَعة سمكة صغيرة خضرآ قصيرة العظم *

والحَفّة سمكة بيضآ شاكة *

والعُقّة سمكة جرداء بيضآ طعم مطبوخها كالارز *

والحُذّاق سمكة لها ذوائب كالخيوط *

والحافول　سمك احمر طويل *

والقبس　سمكة عريضة قدر راحة *

والعلآ　سمك قصير *

والبق　السمك الصغار الهاربة *

واللم　صغار السمك *

والصحناه　ادام يتخذ من السمك الصغار *

والصير　الصحناه او سيها والسمكات المملوحة يعمل منها الصحناه *

والحريد　السمك المقدد *

والقريب　السمك المملوح ما دام في طرآته *

والطريح　سمك صغار يعالج بالملح *

والحساس　سمك صغار يجفف *

والسوط　سمك يمرق في مآ وملح *

والارنبان　سمك كالدود *

والصعتر　بعض السمك *

والسكل　سمكة سودآ ضخمة *

والرجر　سمك عظام *

والبال　الحوت العظيم *

والاطوم　سمكة بحرية غليظة *

والجندرة　سمكة كالرحى الاسود الضخم *

والسلك　دابة كالدلفس *

والجمل　سمكة طولها ثلثون ذراعا *

واللذآ　سمكة يتخذ منها السرسة الجيدة وهو ايضا شي كالحمص

شديد البياض توصف به المراة *

والنُّخَص تقدم ذكرها فى الغرائب * ومن المَحار

السُّلَجِ اصداف بحرية فيها شي يوكل *

والدُّلاع ضرب من محار البحر *

والقُرَّنع دويبة بحرية لها صدفة *

والجُمَّحْل لحم يكون فى جوف الصدف * ومن انواع الخبز

الطُّرْموث خبز المَلّة ومثله المُفْتَأَد والمَّباة والطُّرْموس والإِصْطَكْمة

والأُصْطُكْمة * ومن الغرائب هنا ان صاحب القاموس اورد

التى بالكسر بعد ا ش م والتى بالضم بعد ص ط م *

والزَلَحْلحة الرقيقة من الخبز وكذا الصَّرِيقة *

واللُّحوح خبز شبه القطائف *

والأَنبخانيّ خبزة انبخانة ضخمة *

والخُبْرة الثريدة الضخمة *

والمَشْطور الخبز المطلىّ بالكامخ *

والسِّلْتِجْن الكعك *

والخَنيز الثريد من الخبز الفطير *

والرَّشْرش اليابس الرخو من الخبز كالرُّشْراش *

والهَشاش الخبز الرخو اللين *

والمُرَبَّقة الخبزة المشحمة ونحوها المروّلة *

والرُّقاق الخبز الرقيق *

والصَّغِيغة خبز الارز المرقق *

والمَلّى الخبزة المنضجة * ومن اجناس اللبن

السَمْغَج اللبن الدسم الحلو ومثله السَمْلَج والسَمْهج والسمهجيج *

والقَطِبيّة لبن المعز والضان يخلطان او لبن الناقة والشاة *

والشَمِيْط ما لا يُدرَى احامض هو ام حقين من طيبه *

والجُلَعْطِيط اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عُجَلِط وعثلط وعذلط وعكلط وعلبط * تقدم نحوى بغيض كان يتكلم بالاعراب الى لبّان فقال يالبان اعندك لبن عُثلط علبط عجلط فقال له اللبان تنصرف او تُصفَع *

والكَفْخة الزبدة المجتمعة البيضآ *

واللِيّاخة الزبد الذائب مع اللبن *

والقِشْدة الزبدة الرقيقة *

والقِلْدة القشدة والتمر والسويق يخلّص به السمن *

والنَهِيْد الزبد الرقيق *

والعَكِيس اللبن الحليب تصب عليه الاهالة *

والثميرة اللبن الذى ظهر زبده *

والنَخِيسة لبن العنز والنعجة يخلط بينهما *

والإمْخاض الحليب ما دام فى المِمْخضة *

والحالُوم ضرب من الاقط او لبن يغلط فيصير شبهها بالجبن الطرى *

ومن الحلواء

الوَطِيئة تمر يخرج نواه ويعجن بلبن والاقط بالسكر والكعك *

والعَبِيبة طعام وشراب من العُرْفط حلو*

والبُرْت السكّر *

والضَيْح العسل والمفل *

والمَلَخ عسل فى جلّنار المَظّ *
واليَعْقيد طعام يعقد بالعسل *
والفارِد ابيض السكر واجوده *
والقَنْد عسل قصب السكر *
والفانِيذ ضرب من الحلوآ *
والصَقْر عسل الرُطَب والدبس *
والإِكْبِر شى كانه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجى به النحل *
والفالوذ م ويسمى ايضا الرِعْديد والمُزَعزع والزَلِيل والكَمّص والمُزعفَر *
والماذِىّ العسل الابيض او الجديد او خالصه وجيده *
والمُسيّر حلوآ *
واللوزِيْنج معروف معرب *
والوَخِير نريد العسل *
واللَّواص الفالوذ والعسل *
والسِرِطْراط الفالوذ او الخبيص *
والمَجِيع تمر يعجن بلبن *
والقَطائف معروف *
والكُرْسُفىّ نوع من العسل *
والطِرْم الشهد والزبد والعسل *
والمَنّ كل طلّ ينزل من السمآ على شجر او حجر يحلو وينعقد عسلا
ويجف جفاف الصمغ الخ *
والزَلابِينة حلوآ معروف * ومن الثمر
الصَرَبة شى كراس السنور فيه شى كالدبس بمص ويوكل *

والخَزْب شجر كالرمان يوكل *
والبُوت شجر نباته كالزعرور *
والرَّعْثآ عنب له حبّ طوال *
والجَوْح البطّيخ الشامى *
والصَدَح ثمرة اشدّ حمرة من العُنّاب *
والمُلاحىّ عنب ابيض طويل ونوع من التين *
والعُنجُد الزبيب او ضرب منه *
والفِرْصاد التوت او حمله او احمره *
والقَنْد نبت يشبه القثآ او الخيار *
والكَنْد حب يوكل *
والمَريد التمر ينقع فى اللبن *
والمَغْد ثمر يشبه الخيار *
والحَناذ المشمش *
والصُفْريّة تمر يمانى يحفى بُسرا فيقع موقع السكر فى السويق *
والضَمِر العنب الذابل *
والزِنْبار التين الحلوانى *
والسُكّر من احسن العنب *
والزَعْرآ ضرب من الخوخ *
والشَعْرآ ضرب منه ايضا *
والمِغْفَر شى ينضحه الثمام والعُشَر والرِمْث كالعسل وكذا المغعر *
والعُوْفُر البطيخ الخريفى او نوع منه *
والقُسّر عنب ابيض طويل *

والمَزّمار الرمّان الكثير المآء لا شحم له *

والنهر[illegible] العنب الابيض والكُلافِيّ عنب ابيض فيه خضرة *

والجُوْزة ضرب من العنب *

والمِشْلَوز المشمش الحلو *

والبَلَس ثمر كالتين *

والضّغابيس صغار القثآ او نبات كالهليون *

والمَيس نوع من الزبيب *

والكِشْمش عنب صغار لا عجم له الين من العنب *

والضَرْوع عنب ابيض كبار الحب *

والاَقماعيّ عنب ابيض يصفرّ اخيرا حبه كالورس *

والمَيْعة شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضآ اكبر من الجوز تؤكل ولبّ نواها دسم يعصر منه الميعة السائلة (فى فول)

والغاف شجر له ثمر حلو جدا *

والباسِق ثمرة طيبة صفرآ *

والرازِقيّ العنب المُلّاحى *

لزاد شحر فم وزعيقا ولغطا وزياطا وضجيجا وهويقول المراة المراه * الا فاحسونى المراة * ولو انك سقيته من الشراب

الرحيق ممزوجا بالبند الرحيق الخمر او اطيبها او الخالص او الصافى والبند الذى يسكر من المآ *

والسَلْسل ممزوجة بالسلسل السلسل المآ العذب ومن الخمر اللينة *

والمِسْطار مزاجها العُضُرس المِسْطار الخمر الصارعة لشاربها والعضرس المآ البارد العذب والثلج *

والإِسْفِنط مزاجها النَقِز   الاسفنط المطيب من عصير العنب او ضرب من الاشربة او اعلى الخمر * والنقز الما آ الصافي ا[illegible] *

والخرطوم ممزوجة بالمآ الزلال   الخرطوم الخمر السريعة ومآ زلال كغراب سريع المرّ في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس [illegible]

والمعتّقة مزاجها الفُرات . المعتقة الخمر القديمة والفرات المآ العذب جدّا *

والمثلّث   شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه *

والفَضيخ   عصير العنب وشراب يتخذ من بُسر مفضوخ *

والفَقْد   شراب من زبيب او عسل كالفُقْدد *

والمَقَديّ   شراب من عسل *

والداذِيّ   شراب الفسّاق *

والجُمهوريّ   شراب مسكر او نبيذ العنب اتت عليه ثلث سنين *

والخُسْرواني   شراب *

والسَكَر   الخمر ونبيذ يتخذ من التمر *

والغُبَيْرآ   السُكُرْكَة وهي شراب من الذرة *

والمِزْر   نبيذ الذرة والشعير *

والكَسِيس   نبيذ التمر *

والبِتْع   نبيذ العسل المشتدّ او سلالة العنب *

والسُقُرْقُع   شراب يتخذ من الذرة او من الشعير والحبوب *

والجِعَة   نبيذ الشعير *

والفُقّاع   هذا الذي يشرب لما يرتفع في راسه من الزَبَد *

والباذِق   ما طبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا *

والخَليطَين   ما ينبّذ من البُسر والتمر معًا او من العنب والزبيب او منه ومن التمر ونحو ذلك *

والصَرِيّ   الماَ من البسر الاحمر والاصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذا *

والعُكبيّ سويق المقل *

والاَطْواق   لبن النارجيل وهو مسكر جدا سكرا معتدلا ما لم يبرز شاربه للريح فان برز افرط سكره الخ *

والصَعْف   شراب من العسل او يشدَخ العنب فيطرح ثم يغلى *

والنبق   دقيق يخرج من لبّ جذع النخلة حلو يقوى بالدبس ثم يجعل نبيذا *

والسَليل   الشراب الخالص *

والمُعْمول   المعمول من الشراب ما فيه اللبن والعسل *

والطِلاَ   الخمر وخاثر المنصّف وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه *

لعربد وزاد صراخا وصياحا وهو يقول المراة المراة * الا فاسقوني المراة * بل لو سقيته من الفحفاح والكوثر * ومن رحيق مختوم * مزاجه من تسنيم * وجعلته في جملة من يطوف عليهم ولدان مخلدون * باكواب واباريق وكاس من معين * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * في سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماَ مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * وعنده جنّتان * ذواتا افنان * فيهما عينان تجريان * فيهما من كل فاكهة زوجان * من دونهما جنتان * مدهامّتان * فيهما عينان نضّاختان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فيهن خيرات حسان * فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام * والحب ذو العَصْف

والريحان * بين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان * بين متكئين على فرش بطائنها من استبرق * وعلى فرش موضونة * يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة * لما رايته والحالة هذه راضيا من دون المراة * فاعوذ بالله من هذا الانسان * ومع ذلك اى مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود المراة اذ الاول مخلوق لحفظ الحياة والثانى لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره * فان وجود المراة اصعب منهما واكثر تعذرا واغلى سعرا * اذ الطعام والشراب يوجدان فى كل مكان وزمان * حتى ان اهل سقر لهم طعام من الزقوم والمهل والضريع * وشراب من غسلين * وظل من يحموم * ولكن ليس لهم نسآ من مارج من النار او من الشياطين * ولا وجود للمراة ايضا فى السفينة ولا فى دير الرهبان الا نادرا * ولا لراكب فرس او حمار او جمل او بغل * ولا لساع على القدم * ولا لمباشر الحرب ولا لمسجون * ولا لقبيح الخلقة الا اذا كان جميل الدينار والجلآ * ولا لشاعر مملق وان نمانعهن وسهر الليالى فى وصف محاسنهن والتشبب بها * ولا لمن به تنسوبليه وترويلية ورلقية وزمالقبة وزهلقية وتيناتبة واذلبلائية وتعنعية وهلوكبة وسكارية ونيتلية وعتبنية وحريكية وطمسلية ومنجوفية وحصورية وسرسية وعجيرية وذوذخية وحوقلية وهوذلية ووخواحية وعذيوطية وعضيوطبة وعطيوطية ونتبة ونموتية وصفيطية ومجبائبة وعنولية * فان قيل ان الادرم لا خبر له ايضا * قلت يمكن ان تدق له الخبز ناعما فيمضغه ويجتزئ به * ولكن كيف السبيل الى مضغ المراة مع النيناتية واخواتها * ثم انه كما وقعت البلابل عن ذات

المرأة وحارت العقول في السرّ الذي اودعه الله فيها * من جهة انها اول الاسباب في عمران الكون وخرابه * اذ لا يكاد يحدث في العالم خطب جليل الا وتراها من خلله واقفة وراءه او بالحرى مضطجعة * كذلك حصل التشويش والتخليط في اسمها * فالمراة في لغتنا الشريفة مشتقة من مرؤ الطعام اذا صار مريئا هنيئا جيد المغبّة * الا انها كثيرا ما تكون طعاما ذا غصّة وشجا وتخمة وتختير وتحثير * ثم ان همزها للوصل ووصلها للهمز * وجمعها من غير لفظ المفرد وهو متعدد * وفي بعض اللغات هي ويل الرجل * وفي بعضها سَوْأَة * فاما الزوجة وهي المفهوم منها انها امراة وزيادة او نصف امراة ونصف رجل فقد خصّت ترضيا لها باسماء كثيرة * من ذلك القرينة واشتقاقها معلوم * والعازبة واشتقاقها من عزب اى بعد لانها تعزب عن ابويها الى زوجها او بالعكس او عنه الى غيره * والحُرْمة * واللحاف لانها تدفي الرجل بحر جسدها كما سياتي * والحَدادة والنِضر والعِرس والحَليلة واللباس والجَبَل والحال والخُضلّة والشاعة والحَنّة والرُبَض والنَعل ولست ارضى بهذه فالأولى محوها * ومن الغريب انها سميت لباسا ولحافا ولم تسمّ سروالا * قال بعض العلماء اذا اراد الله ان يقضي خيرا على الارض قيّض له امراة فكانت الوسيلة الى اجرائه * واذا اراد الشيطان ان يقضي شرّا توسل اليه ايضا بامراة * وقد اختلفوا في تاويل هذا القول * فالخرجيون على ان دخول المراة في قضية ملك الانكليز كان للخير المحض * والسوقيون على انه كان للشر الجهنمي * وكذلك قضية ملكتي الانكليز وقضية ايرين زوجة ليو الرابع وتيودورة زوجة تاوفيليوس * وغير ذلك مما لا يحصى * واعلم هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من النساء بابا او مطرانا او رئيس جيش او رئيس سفينة او قاض * وذلك لاتقاء

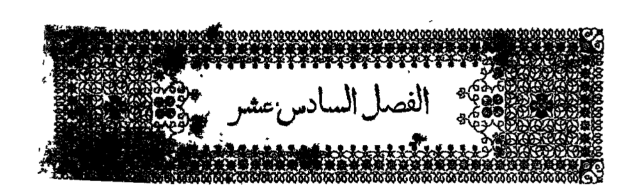
باسهن وسطوتهن * فان الرجال مستعبدون للنسا بالطبع فهلوا من هذه المراتب العلية فكيف بهن اذا وليتها * فان قيل ان الافرنج يتخذون منهن ملكات ويفلحون * قلت قد تقرر عندهم انه اذا كان رئيس الدولة انثى كانت ادارة الاحكام والعمل كله لذكر * ولعل ذلك من مشاكل الامور الانثوية فان هذا التعليل يصدق ايضا على كون الباب وغيره يتخذ من النسا * ولعلي قد اطلت الكلام هنا على النسا مع انه ربما يوجد فيهن قصار غير جديرات بالطويل منه * فينبغي لي الان تطليقهن والعود الى ما كنت بصدده * وساعود اليهن في موضع آخر ان شا الله *

الفصل الخامس عشر

. . . .

. . . .

. . . . في ذلك الموضع



الفصل السادس عشر

في ذلك الموضع بعينه

لم يطاوعني القلم على الانتقال من هذا الموضع الشهي الى الكلام في الفارياق وامثاله * بل لعله هو نفسه يروم ذلك ايثارا له على ذاته * فلا بد اذا من الرجوع الى وصف النسآ من دون اعتذار اليه فاقول * قال بعض الفحول من العلمآء ان المراة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم * اما وجه كونها اشرف فلان شاهدي تانيثها واقفان في محل مرفوع * بحيث يمكن لها ان تراهما او تريهما ايان شاءت من دون تطاطي راس وانحنآ * وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفى * الا ترى ان بعض الادبآ قال ان من عزّ لا ان يقولها الانسان وهو رافع راسه * ومن ذُلّ نعم ان يقولها وهو خافضه * اما شاهدا الرجل فهما منكوسان في محل منخفض بحيث لا يقدر ان يراهما الا اذا تطاطا وانحنى * واما وجه كونها افخم فلان ساقيها اللتين هما عمودان لهيكل الجسم * وبطنها الذي هو منبت لتكوّن النسمة * وعجزها الذي هو مورد للاعجاز * تكون افخم من ساقي الرجل وبطنه وعجزه * واما وجه كونها انبل فلانها تنسل بما يلقى اليها مدة تسعة اشهر * واما وجه كونها احلم فلانّ سِمَة الحلم ترى في شاهدي تانيثها * واما وجه كونها افضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه *

... الرجل لا الى ... لا تصير رجلا ولا طفلا *
واما وجه كونها اكرم فلانها ارق ... وارحم ... الى طبعا * فاذا رات احدا محتاجا الى شي من عندها لم تضن به عليه * ... ما جاء من مادح السيدة زبيدة اذ قال

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما تعطى الاكف من الرغاب

فلما انكر الوصفاء عليه ذلك وهموا بضربه انتهرتهم واحسنت اليه لعلمها انه لم يخطئ الوصف * وقال فحل اخر ان المراة تعمر فى الغالب اكثر من الرجل * وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة والنعومة كان لها ان تتلقى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والتانى * فتكون به ميلعا اى تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك * فمثلها كمثل الغصن الرطيب يميل مع الريح فلا ينقصف * فاما الرجل فانه لما كان مفطورا على القسوحة واليبوسة فمتى دهمه امر تصلب له واقتسح فلا يلبث ان يعطب به * فمثله كمثل الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح * قال ومن خواصها ايضا ان الخمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل * واختلفوا فى تعليل ذلك * فذهب قوم الى ان فى دم المراة قوة جاذبية تغلب على الخمر فتجذبه سفلا فلا يصعد الى دماغها * وزعم بعض ان فى المراة نوعا من الخمر يسمى رضابا وهو فيها قوى جدا * بحيث اذا خالطه الشراب اىّ شراب كان ذهب بقوته * والقطرة من هذا النوع تباع احيانا ببدرة واحيانا براس انسان او بعنقه * ومن خواصها ان شعرها

يكون اطول من شعر الرجل * وشعرها ابلغ من شعره * وشعورها ادق * ومشاعرنها انفع * اما الاول فلم يختلف فيه اثنان * واما الثانى فلانها اذا قالت شعرا فانما تقوله فى رجل فهو يعجب الرجال ويبلغ منهم بالطبع * ويعجب النسآ بالطبع والصنعة ايضا * ولعل ذلك مشكل آخر من المشاكل الانثوية * فانى ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه انما يقول الشعر فى امراة * ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شعره يكون فى غير الغزل * وذلك كاختلاق مدح يفتريه على امير * او وصف مجلس انس او حرب ونحوه * واما الثالث فلانها اذا مرّت مثلا بحانوت بزّاز ورات بزّا شفافا اترنجى اللون * فاول ما تلمحه تقول لك هذا يصلح للّيل * وربما كان فكرك وقتئذ فى كتاب تطالعه او فى شرآ حمار تركبه * واذا رات ديباجا اخضر قالت بديها هذا يصلح للشتآ * اوكتانا ابيض فاخرا خصّصته بالصيف * ثم اذا مرّت بدكان جوهرى او اذا تهوّستَ انت واخذتها اليه قالت لك على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصا فى خاتم للبنصر * وهذه الياقوتة فى خاتم للخنصر * وهذه الزمردة فى خاتم للمتوسطة * وهذا الفيروزج فى خاتم للسبابة * وهذه الفريدة فى خاتم للابهام * وهذه اللآلى الكبيرة لقلادة فى العنق * وهذه الصغيرة لسوار * وهذه السلاسل الذهب الموصعة توضع فى العنق مع القلادة وتدلّى الى الخصر ويعلق بها ساعة من ذهب * وهذه الشنوف الثقيلة للشتآ * وتلك الخفيفة للصيف * وهذه المتوسطة للربيع والخريف * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار * فان قيل ان الكاف فى فكرك خطاب مطلق لكل قارى وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او غيره من السادة العظمآ فلا يصح توجيه الخطاب اليه * لان الامير لا يفكر فى الحمير * قلت قد ورد فى

سفر التكوين في الفصل السادس والثلثين ان عاند من ولد سعير الحورى كان يرعى حمير ابيه زبيون وكان اميرا * بل قد علّق عليه في بعض النسخ جلاّ دوك وهو اعظم من الامير * ثم انها اى المراة لم تلبث حالة كونها ناظرة الى تلك الجواهر ان تقسم اهل المصر جميعا الى خمسة اقسام

القسم الاول في تهيئة الجواهر *

من التِجاب   ما اذيب مرة من حجر الفضة *

والمُشْخَلَة   حرز بيض تشاكل اللولو او الحلىّ يتخذ من الليف والخرز وقد تسمّى الجارية مُشْخَلبة لما عليها من الخرز وليس على ثنائها شي *قلت وفي محفوظي ان ابن الاثير حكاها بتقديم الخآ على السين دون هآ *

والصِسْب   حبّ اللولو *

والقَصَب   ما كان مستطيلا من الجوهر ...... والدرّ الرطب والزبرجد الرطب المرصّع بالياقوت *

والبَسَّذ   حجر معروف *

والبَهْت   حجر معروف *

والكِبريت   الياقوت الاحمر والذهب او جوهر معدنه خلف التُبّت بوادى النمل وهي ت ب ت تبّت كسكّر بلاد بالمشرق ينسب اليها المسك الاذفر *

والياقوت   معروف *

والدَهْنَج   جوهر كالزمرد *

والزِبرج   جوهر او الزينة من وشى *

والزبرجد   الزبرجد *

والصَابِجة — سبيكة الفضة المصفّاة *

والمُرْجان — م وتعريفه فى القاموس انه صغار اللولو *

والخَرايد — الخريدة اللولوة لم تثقب *

والفَريد — الشَذْر يفصّل بين اللولو والذهب ج فرائد والجوهرة النفيسة والدرّ *

والجُذاذ — جارة الذهب *

والبَلّور — جوهر معروف *

والتِبْر — الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة اوما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من النحاس والصفر *

والسِيَرآ — الذهب الخالص *

والشَذْر — قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا اذابة او خرز يفصّل بها النظم او هو اللولو الصغار *

والشَمّور — الماس *

والعَمَّرة — الشذرة من خرز يفصل بها النظم *

والنُضار — الجوهر الخالص من التبر *

والخَرز — الجوهر وما يُنظم *

والفِلِزّ — نحاس ابيض — او جواهر الارض كلها او ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها *

والهِبْرِزِىّ — الذهب الخالص *

والنَوامِس — الجُمان *

والحصّ — اللولو ونحوها الحوصد *

والخِلاص ما اخلصته من الذهب والفضة *

والدِّلِّبص مآ الذهب *

والخَضَض حرز بيض صغار يلبسها الصغار *

والثَعْثع اللولو والصدف *

والجَزْع الخرز اليمانى الصينى *

والزِيْلع ضرب من الودع *

والينْع ضرب من العقيق *

والزُخْرف الذهب وكمال حسن الشى *

والصَريْف الفضة الخالصة *

والسفائق السفيقة الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما *

والعقيق معروف *

والخَضْل اللولو والدر الصافى وحرز معروف *

والحُوْمة البلّور *

والجُمان اللولو او هنوات اشكال اللولو من فضة او خرز بتبص بمآ الفضة *

والمِيْنا جوهر الزجاج *

والمَهْو اللولو وحصى ابيض والمَهاة البلورة *

والبِهآ الزجاج ويقصر او القوارير وحجر ابيض ارخى من الرخام — وضرب من الخرز *

القسم الثانى فى عمل الحلىّ

من البوْبوْ راس المكحلة *

والأُرْنة القلادة *

والأرْب حلى *

والمِعْقب القُرط ومثله الرَّعثة ج رِعاث *

والبِجّة خرزة او لولوة تعلق فى الاذن *

والدُملج معروف *

واليارَج القُلْب او السوار *

والجانِح الجانح من الدر نظم يعرَّض اوكل ما جعلته فى نظام *

والداح سوار ذو قوى *

والسَبنيح الدر او خيطه قبل ان ينظم فيه والحلى *

والوِشاح كِرْسان من لولو وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المراة بين عاتقيها وكشحيها *

والوَضَح حلى من الفضة *

والفتخة خاتم كبير فى اليد او الرجل او حلقة من فضة كالخاتم *

والخَلَدة السوار والقُرْط *

والزِراد المِخنقة *

والعِضاد الدملج كالمعضاد *

والعِقْد معروف *

والقِلادة ما جعل فى العنق *

والمِنْجد حلى مكلل بالفصوص وهو من لولو وذهب او قرنفل .... ياخذ من العنق الى اسفل الثديين بقع على موضع النجاد *

والمَسْجور من اللولو المنظوم المسترسل *

والسّعِيره قلادة بعرى من ذهب وفضة *

والسعبره حبه نصاع من فضة او حديد على سكل السعيره الخ *

والعِتْرة قلادة تعجن بالمسك والافاويه *

والعُمْر الشنف *

والتِقْصار القلادة ج تقاصير *

والكُشْبر المَسْك من العاج كالسوار *

والقُفّاز — او ضرب من الحلى لليدين والرجلين *

والجِبْس سوار من فضة يجعل فى وسط القِرام *

والسَلْس — او القُرْط من الحلى *

والشُمْس ضرب من القلائد *

والقُداس شى يعمل كالجمان من الفضة *

والكبِيس حَلْى مجوف محشوّ طيبا *

والقلادة المكرّسة وهى ان ينظم اللولو والخرز فى خيط ثم يضمّا بفصول بخرز كبار *

والنِقْرِس شى يتخذ على صنعة الورد تغرزه المراة فى راسها *

والخُرْبُصِيص القرط والحبة من الحلى *

والخُرْص حلقة الذهب والفضة او حلقة القرط او الحلقة الصغيرة من الحلى *

والحَوْط خيط مفتول من لونين اسود واحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلّا تصيبها العين *

والسِمْط قلادة اطول من المخنقة *

والعُلْطة القلادة *

والقُرْط الشنف او المعلّق فى شحمة الاذن *

واللَّطّ القلادة من حب الحنظل المصبّع *

والانْواط — المعاليق *

والوَصيعة — حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة فى سيف او سرج او غيرهما *

والشُنُف — القرط الاعلى او معلاق فى قوف الاذن او ما علّق فى اعلاها *

والنُطفة — القرط او اللولوة *

والوَقْف — سوار من عاج *

والجِزاق — السوار الغليظ *

والجِلَق — خاتم من فضة بلا فصّ وهو ايضا خاتم المُلك *

والمِخنقة — القلادة وكذا المزنقة والمعنقة *

والخُوق — حلقة القُرط والشنف *

والدَنْبسق — كل حلى من فضة بيضآ خالصة *

والزُناق — كل رباط تحت الحنك *

والسَوْذق — السوار والقُلُب *

والطارقيّة — قلادة *

والطَوق — معروف *

والقَلَقِيّ — ضرب من القلائد *

والمَسَك — الاسورة والخلاخيل *

والجَدِيل — الوشاح *

والحُبْلة — ضرب من الحلى *

والحِجْل — الخلخال *

والمُرْسَلة — قلادة طويلة تقع على الصدر او القلادة فيها الخرز *

والسذِل — السمط من الدر يطول الى الصدر *

والأَشكال حلى من لولو او فضة يشبه بعضه بعضًا يُقرَّط به النسآ الواحد شَكْل *

والطِمْل القلادة كالطِبيل لانها تُطمَل اى تلطخ بالطيب *

والقَبَل شى من عاج مستدير يتلالو يعلّق فى صدر المراة *

والقِرْمِل ما تشدّه المراة فى راسها *

والإكليل شبه عصابة تزيّن بالجوهر *

والمُحال ضرب من الحلى *

والنَخْل ضرب من الحلى *

والتهاويل الالوان المختلفة وزينة التصاوير والنقوش الخ *

والبَرِيم حبل للمراة فيه لونان مزيّن بجوهر *

والتّوائم تواثم اللولو ما تشابك منها *

والتُومة اللولوة والقرط فيه حبة كبيرة *

والخاتَم معروف *

والعِصْمة القلادة *

والكَرْم القلادة ونوع من الصياغة فى المخانق او بنات كرم حلى كان يحذ فى الجاهلية *

والأَنظام كل خيط نظم خرزا *

والثُكْنة القلادة *

والجُمان سفيفة من أَدَم ينسج وفيها خرز من كل لون تتوشحه المراة *

والبُرة الخلخال *

والرِبْق القلادة او التى توضع فى عنق الغلام *

والوَنِيّة العقد من الدر او اللولوة *

الى الحَسَل روس الاسورة والخلاخل *

من الأَناب المسك او عطر يضاهيه *

والجُلاب مآ الورد *

والزَّرنب طيب او شجر طيّب الرائحة *

والكُركُب نبات طيب الرائحة *

والمَلاب عطر او الزعفران *

والشَث نبت طيب الريح يُدبَغ به

واليَلَنجُوج عود البخور *

والرَّباحيّ جنس من الكافور *

والمُرَنَّح اجود عود البخور *

والرَّيحان نبت طيب الرائحة او كل نبت كذلك *

والشيح نبت طيب الرائحة *

والصَّيّاح عطر او غِسْل *

والنَضوح طيب *

والسَابِخة عطر كانه قشر منسَحِج ودهن ثمر البان قبل ان يربَّب *

واللَّبيخة نافجة المسك

واللخالخة طيب م *

والسُعْد طيب م *

والرَنْد شجر طيب الرائحة والعود والآس *

والزَّباد م ويسمى الزَهْم *

والعَبْد نبات طيب الرائحة *

والقِنْدبد العنبر والكافور والمسك وطيب يعمل بالزعفران *

والنَدّ طيب م *

والجَنبذ دهن والغسل المطيب *

والكاذى شجر له ورد يطيب به الدهن *

والبَهار نبت طيب الريح *

والخَطّار دهن يتخذ من الزيت بافاويه الطيب *

والخُمْرة الوَرْس واشياء من الطيب *

والذَرِيرة عطر *

والزَبْعر نبت طيب الرائحة *

والإذْخِر حشيش طيب الريح *

والسّاهرية عطر *

والضَيْمُران الريحان الفارسى *

والمُطيَّر العود او المُطرى منه *

والظَفار شى من العطر كانه ظفر مقتلف من اصله *

والعَبير الزعفران او اخلاط من الطيب *

والعَبْهر النرجس والياسمين ونبت آخر *

والعِطْر الطيب *

والعَمار الريحان يزين به مجلس الشراب *

والعنبر روث دابة بحرية او نبع عين فيه *

والغرآ نبت طيب او هو الغُرْبُرآ *

والفاغِرة طيب او الكبابة *

والقُطْر العود الذى يتبخر به *

والكافور نبت طيب نُورة كنور الاقحوان والطلع او وعآوه وطيب م

يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين الخ *

والنِسْرين ورد م *

والعُجُوز ضرب من الطيب *

والبَلَسان شجر صغار كشجر الحنّا لا ينبت الّا بعين شمس ظاهر القاهرة يتنافس فى دهنها *

والقَلَسان نبات طيب الرائحة *

والقَنَس نبات طيب الرائحة ويسمى ايضا الراسَن *.

والهَبَس النجْيرىّ ويقال له المنثور والنمام *

والمَرْدَقوش طيب تجعله المراة فى مشطها *

والحُصّ الوَرْس والزعفران *

والسَعيط البان ودهن الخردل *

والقُسْط عود هندى وعربى *

والضَياع ضرب من الطيب *

والمَيْعة عطر كالمائعة *

والنَقُوع صبغ فيه من افواه الطيب *

والعَوْف نبات طيب الرائحة *

والخِلاق ضرب من الطيب *

والرَجيق ضرب من الطيب *

والنُكّ طيب م *

والسُكّ طيب يتخذ من الرامك *

والمسك المنموع اى المخلوط بالعنبر *

والنَتْل ضرب من الطيب *

والرُّعْلة ، اكليل من ريحان وآس *

والسُّنْبل ، نبات طيب الرائحة *

والقُنْدُول شجر بالشام لزهره دهن شريف *

والنَّدّل العود او اجوده كالمندلىّ *

والبَشام شجر عطر الرائحة *

والبَهْرمان العصفر والحنآء *

والثِّومة شجرة اطيب رائحة من الآس *

والجُيْهُمان الزعفران وكذا الرُّيهُقان *

والخُزامى خيرىّ البرّ *

والضَّرْم شجر طيب الريح *

والمَكْتومة دهن يجعل فيه الزعفران او الكَتَم *

واللَّطيمة المسك *

والمَنْشَم عطر شاقّ الدقّ او قرون السنبل *

والنمّام نبت طيب *

والمَهْضُومة طيب يخلط بالمسك والبان *

والأُشْنة عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر *

والبان شجر لحب ثمره دهن طيب *

والجَفْن شجر طيب الرائحة *

والحُنُّون الفاغية او نور كل شجر *

والرُّقون الحِنّا والزعفران *

والكُشْنة شى يتخذ من آس واغصان خلاف تبسط ويضد عليها الرياحين اصله كُشْنا او هى نُورْدَجة من القصب والاغصان

الرطبة الوريقة تحزم ويجعل جوفها النور قلت ونحوها الكُنْثة *

والمَيْسُوسَن شى تجعله النسآ فى الغِسْلة لروسهن *

والغالية طيب م *

والفاغِيَة النامة وزهر الحنآ والافعآ الروائح الطيبة *

والفاغية نور الحنا او يغرس غصن الحنا مقلوبا فيثمر زهرا اطيب من الحنآ فذلك الفاغية *

والكِبآ عود البخور او ضرب منه *

والكاذى دهن ونبت طيب الرائحة *

واللُوّة العود يتبخر به *

والقَدا شى يتطيّب به كالبخور *

القسم الرابع فى عمل الآنية والادوات والمتاع والفرش

من الغَرَب جام من الفضة *

والنُفارِج الطبق فيه الفيخات والسكرجات *

والصُراحيات آنية للخمر *

والمطافح المغارف *

والبُهار اناء كالاباريق *

والطِرْجُهارة شبه كاس يشرب فيه ونحوه الطِرجهالة والفنجانة ويقال للفنجانة الصغيرة سُوّمَلة *

والسَوارِف وعآ الخمر من خابية ونحوها *

والاكواب والاباريق والقوارير والكؤس والاقداح والطاس والصحون والعُتُد والخروس والصيعان والدنان والصحاف والقِصاع والرِلَج والقوارى والجِفان والعِلاب والبواطى والمآكل والقِعاب والنواجيذ والعِساس والعُسُس

والقِدام والعُسوف *

والجُهَّمة القدر الضخمة *

والهَيْطلة القدر من صفر *

والمِرْجل القدر من الحجارة والنحاس *

والكَفْت القدر الصغيرة *

والهِلْجاب القدر العظيمة وكذا البساط *

والتأمورة كالابريق والحقة والثميمة المشدودة الراس *

والتَّعن الجفنة يعجن فيها *

والجام م ونحوه الصاع *

والمَكّوك طاس يشرب به *

والعَيْزار ضرب من اقداح الزجاج *

والسُعُوف الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شى جاد وبلغ من مملوك او علق او دار فهو سُعُف وبالتسكين السلعة *

والوَرْسيّ من اجود اقداح النُضار *

والزَوْرآ اناء من فضة *

والقانور الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية *

والقُذْمور الخوان من فضة *

والدَيْسق حوان من فضة *

والقَرقار إناء *

والمُنْبنَد كيس تضع فيه المراة مرآتها وادانها *

والعِكْم نَمَط تجعل فيه المراة ذخيرتها *

والقَشْوة قفة من خوص لعطر المراة *

والجُؤنة سُفَط مغشّى بجلد ظرف للطيب *
والعَتِيدة الطبلة او الحقّة يكون فيها طيب الرجل والعروس وكذا الشريط *
والدُرْج حِفش النسآء الواحدة بهآ *
والصِوان ما يصان فيه الثوب *
والتَخْت وعآ تصان فيه الثياب ونحوه العَيْبة والمَبْناة *
والأَسْطان آنية الصفر *
والأَبْزَن حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس *
والشِجاب خشبات منصوبة توضع عليها الثياب *
والغُدُن الغِدان القضيب تعلق عليه الثياب *
والقَفَدانة غلاف المكحلة وخريطة من أَدَم للعطر وغيره *
والحناجيد الحُنْجود فارورة طويلة للذريرة ووعآ كالسفط الصغير ونحوه الحُنْجور *
والبَزّ الثياب او متاع البيت من الثياب ونحوها *
والعَقار متاع البيت ونضده الذى لا يبتذل الّا فى الاعياد *
والثَقَل كل شى نفيس مصون *
والثات الجهاز ومتاع البيت ونحوه المَحاش والآنلة والشَذَب والزَلْزل والأَهرة والرِهاط والسُفاطة ويقال لقماش البيت خاشِ ماشِ وفاش ماش وقَرْبَسُوش *
والنَجْد ما ينجّد به البيت من بُسط وفرش *
والنَضَد السرير ينضّد عليه *
والنَضِدة الوسادة وما حشى من المتاع *

والبُورِيّة الحصير المنسوج *

والمِسْوَر متكا من ادم *

والعَبْقرىّ ضرب من البسط *

والرَفْرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط — والفراش والوسادة والبسط *

والزِلِّيَّة البساط *

والنَمَط ضرب من البسط *

والمِسْحيد نوع من البسط *

والإرْاض بساط ضخم من صوف او وبر *

والنُسُج السجادات *

والزَّرابىّ النَّمارق والبسط او كل ما اتّكى عليه الواحد زِرْبىّ *

والرِّحال الطنافس الحيرية *

والنمارِق الوسادة والميثرة والطنفسة *

والدُرْنوك ضرب من البسط *

والوِراك ثوب يزيّن به المَوْرِك وهو الموضع الذى يجعل عليه الراكب رِجله *

والبَراطِل البرّطلة المظلة الصيفية *

والظُلَل الظُلّة الغاشية وشى يستتر به من الحرّ والبرد *

والمماطر المِمْطر ثوب صوف يتوقى به من المطر كالممطرة *

والأزْفان الزِفْن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر البحر ونداه *

والسُرادقات السرادق الذى يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف

ولا بد كذلك من اتخاذ المَشْقة للحمّام وهى حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل * ثم تفرش تلك الدار السعيدة بالفُسَيفساء والشَّبَه * الفسيفساء الوان من الخرز تركب فى حيطان البيوت من داخل * والشَّبَه شى من الصفر كالفسيفساء * وتُسْتَر مؤثَّلة اى مزينة بالجواهر ونحوها و بحَجَلات ومِنَصّات وبارائك وعروش وكراسى وطوارق من العاج عظم الفيل *

والساج — شجر *

والشُّوع — خشب اسود للصناع اوهو الآبنوس او الساسم او خشب الجوز *

والسَّمُر — شجر معروف *

والنُّضار — خشب للاوانى *

والعَرْعار — شجر *

والضُّار — شجر البلوط *

والساسم — شجر اسود او الآبنوس *

والنُّوع — شجر حلو سمو *

والشُّوحط — شجر تتخذ منه القسيّ او ضرب من النبع *

والغَبْر — شجر جوز البر *

والصَّوْبر — شجر البادروج *

والصار — الذباب *

والسَّلام — شجر * قيل لاعرابى السلام عليك قال الجحاب عليك قيل ما هذا جواب قال هما شجران مُرّان وانت جعلت علىّ واحدا فجعلت عليك الآخر *

والكَنَهبل — شجر عظام *

والپنس شجر كالآس وربما حمل او هو الهنساه *
والشم شجر للقسى *
والضال السدر البرى وسحر آخر *
والنس شجر يقال له بالفارسيه حوس ساى *
والبس سحر كالصوبر ارزن من الاسوس *
والسحس سحر صلب *
والمس سحر عطام *
والوص سحر يعمل منه البرابط والاعواد *
والطق سحر حلى حسه مس *

ثم نذكر نحوا ازبر من البلور *

والقطر صرب من النحاس *
والعلز النحاس الذى لا يعمل منه الحديد *
والعلز نحاس ابيض نجعل منه القدور المفرغه او ـــ *
واللبط سى كالرجام الا انه دونه فى اللين *
واللق حجاره بالمين نصى ما وراها كالرجاج *
والحكك حجر ابيض كالرجام *
والمها حجر ابيض ارخى من الرجام *
والمهل اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضه والحديد ونحوهما *
والهصم صرب من الحجارة املس *

م تمام رسه هذا المكان السريو وثاب محسوّ بالعسر والخرنيله * الوثاب
لسرير والفراس * والعُسَر سحر يحسى فى المحاد ويخرج من زهره وسُعمه
ـر * والحرمله سحره تسوق حراوها عن الس قطن ويحسى به محاد

الملوك * غير اني ارتكبت هنا غلطا فاحشا في تاخيري ذكر الفراش وهو اول ما يخطر ببال المراة عند دخولها بلدا * وهنا تمّ اثاث الدار * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار *

القسم الخامس في عمل الثياب

الثّرقبيّة وهي ثياب بيض من كتان مصر *
والجِلْباب القميص وثوب واسع للمراة *
والسُكُب ضرب من الثياب *
والسِلاب الثياب السود *
والقُصُب ثياب ناعمة من كتان *
واللّبيبة ثوب كالبقيرة *
والنُقْبة ثوب كالازار *
والبِظّماج ما كان احد طرفيه مخملا او وسطه مخمل وطرفاه منيّران *
والمعرّجة المخططة في التوآ *
والموثوجة ثياب رخوة الغزل والنسج *
والهَبْرَج الموشى من الثياب *
والمترّحة المترّح من الثياب ما صبغ صبغا مشبعا *
والوَجيح الصفيق من الثياب *
والخُوخة ضرب من الثياب اخضر *
والوَليخ ثوب من كتان *
والثفافيد ضربٌ من الثياب *
والجِماد ضرب من الثياب *
والمعضّدة المعضد ثوب له علم في موضع العضد *

والقرند ثوب م *

والمُقرمدة ثوب معرمد مطلى بسبه الزعفران *

والمحشّدة المصبوغة بالزعفران *

والمعدّنة ساب م *

والهُرْدنة المصبوغة بعروق الهُرد *

واللّادة ثوب حرير صيني *

والمِطْرية الثياب البيض الواسعة *

والحصير ثوب مزخرف موشي اذا نشر اخذت القلوب مآخذه لحسنه *

والخُسْروانية نوع من الثياب *

والدبار ما فوق الشعار من الثياب *

والسّابرية الثياب الرقيقة الجيدة *

والمُسيّرة المسيّر ثوب فيه خطوط *

والصُدْرة ثوب م *

والصِدار ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر *

والعِنْقرية عبقر بلدة ثيابها في غاية الحسن *

والمعجر ثوب تعجر به المراة وثوب يماني *

والعُسارية ثوب عساريّ طوله عشرة اذرع *

والعُفار ضرب من الثياب احمر *

والقُطْرية ثياب كتان بيض *

والمرير ضرب من مقطع ثياب النساء *

والمسيّرة المنسوجة على سرس *

والماعزية ثياب من الحمر او كالحرير *

والتوّزية منسوبة *

والمُمَرْعَزة المِرعزّى الزغب الذى تحت شعر العنز *

والمطرّزة المعلَمة *

والمفروزة ثوب مفروز له تطاريف *

والقرمزية المصبوغة بالقرمز *

والقَهْز ثياب من صوف احمر كالمرعزى وربما يخالطها الحرير *

والتِنّيسيّة تنّيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة *

والمُدَمقسة الدِمَقس كالابريسم او القزّ او الديباج او الكتان *

والقَسّيد منسوبة الى قسّ من ارض مصر *

والكِرْباس ثوب من القطن الابيض *

والمُلَسلسة الموشاة المخطّطة *

والنرسيّة نرس ة بالعراق *

والمورّسة المصبوغة بالورس *

والأكْياش الثوب الذى اعيد غزله مثل الخز والصوف *

والماجُشون الثياب المصبّغة *

والمقفّصة المخططة كهيئة القفص *

والمحرّضة المصبوغة بالإحْريض للعصفر *

والعُرْضىّ جنس من الثياب *

والمِعْرَض ثوب تجلى فيه الجارية *

والرَيْطة كل مُلاَة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب ليّن رقيق *

والسِجِلّاط ثياب كتان موشية وكأنّ وشيه خاتم *

والسَّمْط ثوب من صوف و[illegible] ليس له بطانة [illegible] *

والمقطّعات القصار من الثياب — او [illegible] *

والمردّعة التى فيها اثر طيب *

والصَدِيع ثوب يلبس تحت الدرع *

والمضلَّعة المسيرة المخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع *

والنصع ثوب ابيض *

والموشّحة المعلمة *

والشُرافىّ ثياب بيض *

والشَقّ ويكسر الثوب الرقيق *

والبُنْدقية ثياب كتان رفيعة *

والمحقّقة المحكمة النسج *

والخُزْرانق الثياب البيض *

والدَّبيْقية دبيق د بمصر *

والرِتاق ثوبان يرتقان بحواشيهما

والرازقية ثياب كتان بيض *

والمزبرقة المصبوغة بحمرة او صفرة *

والعِلْقة ثوب بلا كمّين — او الثوب النفيس *

واللِفاق ثوبان يلفق احدهما بالاخر *

والمحبّكة الموثقة المخططة *

والمِجْوَل ثوب للنسآء *

والخَمْلة الثوب المخمل كالكسآء ونحوه كالخميل *

والخال الثوب الناعم وبرد يمنى *

والدِرَقل ثياب كالارمنية *

والمُمَرجِل ثياب فيها صور المراجل *

والمُمرجَل ضرب من ثياب الوشى (اورد صاحب القاموس التى بكسر الجيم فى رج ل والتى بفتحها فى مادة على حدتها) *

والمرمَّلة المرققة *

والسَحل ثوب ابيض من قطن ونحوه المِسحَل *

والمُسَلْسَلة ثوب مسلسل فيه وشى مخطط *

والعَقل الثوب الاحمر *

والمفلفلة الموشاة كالفلفل *

والقُسْطلانية ثياب منسوبة الى عامل *

والوَصِيلة الثوب المخطط *

والمهلهَلة الرقيقة *

والآمِيّة منسوبة *

والمُبرَم جنس من الثياب والثوب المفتول الغزل طاقين *

والجُهْرَمِيّة ثياب منسوبة من نحو البسط او هى من الكتان *

والمرسَّمة المخططة *

والمرقَّمة المخططة والرقم ضرب من الوشى او الخز او البرود *

والعَقْم المرط الاحمر اوكل ثوب احمر *

والقَدم ثوب احمر *

والقِرام ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش او ستر رفيق كالمِقْرم *

وابى قَلَمون ثوب رومى يتلون الوانا *

والملحَم جنس من الثياب *

والنِّيم كل ليّن من عيش او ثوب *

والآخِنيّ الثوب المخطط *

والدُفَنيّ ثوب مخطط *

والأُرجوان ثياب حمر *

والسَّبَنيّة ثياب من حرير فيها امثال الاترجّ *

والشَتون اللينة من الثياب *

والشاذكونة ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن *

والمُعَرجنة المصوّر فيها اشكال العرجون *

والمعيّنة ما كان في وشيها ترابيع صغار كعيون الوحش *

والمفنّنة ثوب مفنّن فيه طرائق ليست من جنسه *

والمفوّهة المصبوغة بالفوّة (عبارة القاموس في ف و ه والفوّة كسكر عروق رفاق طوال حمر يصبغ بها الخ وفي ف وى الفوّة كالقوّة عروق تصبغ بها) *

والفوهيّ ثياب بيض *

والنَهْنَهة الثوب الرقيق النسج *

والمُلَهلَهة الملهلة من الثياب كالمهلهل *

والموجّهة ما كان لها وجهان *

والمِحشأ كساء غليظ او ابيض صغير يتّزر به او ازار يشتمل به *

والسَّبجة كساء اسود *

والخُسبيج كساء من صوف *

والإضريج كساء اصفر والحرير الاحمر *

والمسبّح الكساء القوي الشديد ونحوه المسبّح *

والسَّيح الكسآ المخطط كالمسيّح *

والبجاد كسآ مخطط *

والبُرجُد كسآ غليط *

والجُودِيآ الكسآ *

والأَغْشر ما كثر صوفه من الاكسية *

والخَمِيصة كسآ اسود مربّع له علمان *

والمِرْط كسآ من صوف او خز ج مروط *

والشَمْلة كسآ دون القطيفه *

والطِمْل الكسآ الاسود والثوب المشبع صبغا *

والمارِيّ كسآ صغير له خطوط مرسلة *

والشَرْعَبيّ ضرب من البرود *

والعَصْب ضرب من البرود *

والمكعّب الموشى من البرود والاثواب والثوب المطوى الشدد الادراج *

والخِلاج ضرب من البرود المخططة *

والشَبْح برد يمنى *

والقُرْدح ضرب من البرود *

والسَّعيدية ضرب من برود اليمن *

والسَنَد ضرب من البرود *

والبَقِير برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقيرة *

والحِبَر ضرب من برود اليمن مفرده حِبَرة كعنبة *

والحَبير البرد الموشى والثوب الجديد *

والسِيَرآ نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير *

والمطنّر ضرب من البرود ،
والقِطْر ضرب منها *
والمسيّر المخطّط بحمرة *
والمرتّس البرد الموشى *
والفُوف ضرب من برود اليمن وبرد مفوّف رقيق او فيه خطوط بيض*
والنصي الحمار ومن البرد ما له لونان *
والبِركة برد يمنى *
والمرْحَل برد يمنى *
والمرحّل ما فيه تصاوير رحل *
والنَّجمة البرود المخططة بالصفرة *
والأتحمى برد معروف *
والمسهّم البرد المخطط *
والقَطيفة رداء مخمل *
والمُطرف رداء من خز مربع له اعلام *
والخَبيّة رداء من خز *
والخَزّ الديباج *
والسُّندس ضرب من البزيون او ضرب من رقيق الديباج *
والاستبرق الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق *
والمسيّر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة السير *
والسّبّ شقة رقيقة كالسبيبة *
والطريدة شقة مستطيلة من الحرير *
والسَّرَق شقق الحرير الابيض او عامة *

والبَتّ الطيلسان من خز ونحوه *

والسُّدوس الطيلسان الاخضر *

والطِلْس الطيلسان الاسود *

والطاق الطيلسان او الاخضر *

والساج الطيلسان الاخضر والاسود *

والصُتّيّة الملحفة او ثوب يمنى *

والشَوْذر الملحفة والإتْب *

والدُواج اللحاف الذى يلبس *

والمِشْمال ملحفة *

واللِفاع الملحفة او الكسآ او النطع او الردآ وكل ما تتلفع به المراة *

والمُرجَّل ازار خز فيه عَلَم *

والمُدارة الازار الموشى *

والحَقْو الازار ومثله الخِصار *

والصِداد ما اصطدّت به المراة وهو الستر *

والفُوَط ثياب تجلب من السند ومآزر مخططة *

والدِثار ما فوق الشعار من الثياب *

والحُلَل واحدتها حُلّة وهى ازار وردآء وبرد او غيره ولا تكون حلة الا
من ثوبين او ثوب له بطانه *

والسِرْبال القميص او الدرع او كل ما لبس *

والقُرْطَق لبس م *

واليَلْمَق القبآ معرب يلمه *

والقَرْقَر لباس المراة *

والقَرْزح　لباس كان لنسآئهم *

والمِفْضل　المفضل والمفضلة والفُضُل الثوب الذى تتفضل فيه المراة
اى تتوشح *

والحِقاب　شى تعلق به المراة الحَلْى وتشده فى وسطها كالحَقَب *

والنِطاق　شقة تلبسها المراة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل
الى الارض والاسفل ينجر على الارض الخ *

والمِجَنّ　الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى *

والإتْب　برد يشق فتلبسه المراة من غير جيب ولا كمين والبقيرة
ودرع المراة *

والجَوْب　درع المراة اى قميصها *

والأُصْدة　قمص يلبس تحت الثوب *

والخَيْلَع　القميص بلا كمّ *

والرادعة　قميص قد لُمّع بالزعفران او بالطيب *

والقُمُص السنبلانية　اى السابغة الطول او منسوبة الى بلد بالروم *

والشِعار　ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد ويفتح *

والقَدْعة　المِجْوَل وهى الدُرّاعة الصغيرة *

والجِسْد　المدرعة الصغيرة *

والغِلالة　شعار تحت الثوب كالغِلّة *

والهَفّاف　الهَفاف من القميص الرقيق الشفاف كالهَفْهاف *

والشَليل　الغلالة تلبس تحت الدرع *

والقَرْقل　قميص للنسآ او ثوب لا كمّى له *

والعطابة　ما تغطت به المراة من حشو الثياب كغلالة ونحوها *

والفَرْوة معروف *
والسُبَنْجُونة فروة من الثعالب *
والشَعْرآ الفروة *
والمُسْتُقة فروة طويلة الكم *
والخَيْعل الفرو او ثوب غير مخيط الفرجين او درع يخاط الخ *
والمِعْقَب الخِمار للمراة *
والنِقاب ما تنتقب به المراة *
والخِمار النصيف وهو العمامة وكل ما غطّى الراس *
والوَصاوِص البراقع الصغار *
والمِقْنعة ما تقنّع به المراة راسها والقِناع اوسع منها *
والعِصابة ما عُصب به والعمامة *
والسِيْدارة الوقاية تحت المقنعة والعصابة *
والعَمارة كل شى على الراس *
والعَمَر منديل تغطى به الحرة راسها *
والخُنْبُعة مقنعة صغيرة للمراة *
والنُخْنَق خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكيها لتقى الخِمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع والبرنس الصغيران *
والصِقاع البرقع — وخرقة تقى الخِمار من الدهن كالصوقعة ونحوها الغِفارة *
والقُنْبع خرقة تخاط شبيهة بالبرنس والخنبعة او شبهها *
والقُنْزعة التى تتخذها المراة على راسها كالقنذعة *

والبنيقة [illegible] الجراب [illegible] *

[illegible] التي تتخذه المرأة [illegible] *

والجُنّة خرقة تلبسها المرأة تغطّي راسها ما قَبُلَ ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع *

والتّساخين الخفاف وشي كالطيالس *

والجَراميق الجرموق الذي يلبس فوق الخف *

والكُوث القفش الذي يلبس في الرجل اي الخف القصير *

والرانَ كالخف الا انه لا قدم له وهو اطول من الخف *

والجَوْرب لفافة الرجل وجوربته البسته اياه *

والقُفّاز شي يعمل لليدين يحشى بقطن تلبسهما المراة للبرد او ضرب من الحليّ الخ *

وتمام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستون جِبْسا ومثلها مقارم * الجِبس سوار من فضة يجعل في وسط القِرام * والمقرمة مَحْبس الفراش ومثلها سراويل من

الأَرنبانيّ الخزّ الادكن *

والسّنا ضرب من الحرير *

والأَرْدن ضرب من الخز *

والطارُوني ضرب منه والطُرن الخز *

والقِتْبين الخز المطبوخ الابيض *

والبِرْس القطن او شبيه به او قطن البَرْديّ *

والسَريع الكتان الجيد *

والقَر الابريسم وهو الدِمَقس ويقال ايضا الدِمَقْس والمدقس *

وقد زل بى القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على جميع ما سواها ليطابق الذكرُ الفكر * ثم انك اذا اخذتها الى ساحات المدينة واسواقها حيث تزدحم الناس * فاول ما تلمح فرهدا غُسّانيّا غيسانيا تقول هذا يصلح لان يكون زير نسآء ولان يركب الجياد ويتقلد السيف ويعتقل الرمح ويطعن به * او غلاما مترعرعا قالت هذا يصلح لان يربى فى المدرسة الزيرية حتى ينبغ * او كهلاً قالت وهذا جدير بان يقعد فى بيته ويتعاطى الغزل والنسيب ليجهّز ما يلزم لتلاميذ المدرسة منه * او شيخا همّا هَرِما قالت وهذا قمين بان يكون مشيرا فى الامور التى تعسر على الاغرار من الخِرّيجين فيكفيهم النصب فى ايشائها * فان لم يلفَ عنده الراى السديد فليدرج فى كفن ويرمس * هذا وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار او بالاكاف * فاما وجه كون مشاعرتها انفع فلانه قد جرت عادة من شاخ من ذوى الامر والنهى انه اذا جفّ دمهم وصوى لحمهم حتى لم يَعُد التدثر بالثياب يدفئهم * شاعروا واحدة من هولآ النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة الدثار والنار والابازير * والاحسن فى ذلك ان تكون حارية عذرآ * وقد اختلفوا فى علة الحرارة ومأتاها * فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفئ المقرور * واعترض بان هذا النفس لا بدّ وان يختلط بالشنب فيبرد * وغيرهم على ان منفذ الحرارة انما هو من المسامّ التى ينبت فيها الشعر * فان المراة لما كانت مفتوحة المسامّ كان صعود الحرارة منها ابلغ * بخلاف الرجل فان مسامّه مسدودة بما له من الشعر * وردّ بان الامرد مثل المراة فى كونه مفتوحها ولم يقل احد بان مشاعرته تدفى * وذهب بعض الى ان الحرارة انما هى من النفس من انفها * وقال قوم من المتهافتين على الجناس انها من

موضع آخر * قال فى القاموس تكوّى الرجل بامرأته تدفا واصطلى بحر جسدها * قلت ومع حرص المولف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم يذكر فعلا يدل على اصطلا المرأة بحرارة جسد الرجل * ولهذا اى لاجل ان فى جسم المراة من الحرارة ما لا يوجد فى جسم الرجل كان اخف ما يكون من الدثار يدفئها ولو فى الصِرّ * والرجل اذ ذاك يُكهى ويقفقف ويقرعبّ ويتقرقف * ومثله غرابةً ان اكلها يكون اقلّ من اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه * قال المتكلمون ووافقهم على ذلك الاطبآ النطاسيّون * ان مما فضل الله سبحانه المراة به ان جعل فيها قوة على حج الخصم وهداية الضالّ الى الدين القويم * واوردوا على ذلك شاهدا ما جرى لذلك المعتزلى مع امرأته * وذلك ان بعض المشاهير من علمآ المعتزلة الذين يزعمون ان افعال العبد ليست مخلوقة لله كان يجادل اهل السنّة ويورد لهم من الادلة والبراهين على تاييد مذهبه ما يربكهم به * فانبرت له امراة لبيبة سُنّية وقالت لقومها زوجونى به فاخصمه فى ليلة واحدة ان شآ الله فبات معها تلك الليلة على الجادة * حتى اذا قضى لها الفرض ثم تنفّل بعده وتطوّع وظن انه قد استحق الثواب وخُلِق بالاغتماص * قالت له واين الرابع والخامس والعاشر باسرْواص * فتجالد لآخر ثم قال قد نفد ما فى الوطاب * فلا ملام ولا عتاب * قالت امثلك من يبدى هذا الاعتذار * وانت تقول ان الافعال غير مخلوقة للواحد القهار * قال قد نبهت من كان غافلا * وهديت من كان ضالا * انى عدّيت عن مذهبى القديم * وقد هدانى الله الى الصراط المستقيم * قلت ويعلم من كتب التاريخ ان المراة لها اعظم مدخل فى دخول النصرانية فى بلاد الافرنج * قال بعض الظرفآ من الادبآ ان المراة اذا رامت

ان تشترى حاجة او تستقضى احدا شيا لم يلزمها ان تنقد البائع او القاضى مالاً * وانما تنقده العين من العين * قال ولذلك جآ هذا الحرف بالمعنيين * بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضآ شى ايا كان ولا سيما النشنشة فلا بد وان يحل عقدته بنفاثات الدرهم او الدينار * وانها ايضا اذا توحّمت على شى تحبه وهى حبلى ظهر ذلك الشى المتوحّم عليه فى الولد * فينبغى للاب ان يتفقد ولده ليعلم اى شكل من الاشكال بدا فى اجسامهم * وما انكره منها فليكتمه * قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقرّ بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها او لمستها * وليس للرجل شى من هذه الخصائص * وان امراة واحدة اذا كانت فى مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهندهم كلهم اجمعين * فتتصبّى هذا بلفظة * وذلك بلحظة * وذا بغمزة * وذاك بهجلة * وآخر بخزرة * وغيره بتحشبفة * واخر باسجادة * وغيره برورة * واخر بالتفاتة * وغيره بليّة جيد * وآخر بشمّة * وغيره بنرنزة * واخر بعضة على لسانها * وغيره باخراجه ونصنصته * وآخر بضم شفتيها وانفاصهما * وغيره بعرّض عارضها * وآخر بتفيّئ شعرها * وغيره بابتسامة * واخر بضحكة * وغيره بقهقهة * فيقوم الجميع عنها راصين * وابرع ما تكون المراة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها ويداعبونها ويتملقونها * قال ومن خصائصها ايضا انها تعرف ما فى قلوب الرجال * فلذلك تفتنهم بوكوكتها وحركتها وتعمُدهم وتّصبيهم * وتتبلهم وتشجيهم * وتحسّرهم وتبلبلهم * وتطربهم وتشغلهم * وتعبّدهم وتهدّهم * وتتيمهم وتهيّمهم * وتشوفهم وتروعهم * وتعوفهم وتلوعهم * وتورّقهم وتسبيهم * وتسرفهم وتنسبهم * وتحلبهم وتسحرهم * وتحربهم وتسهرهم * وتسعهم

ونشتريهم * وتجيبهم وتصديهم * وتقلبهم وتفأدهم * وترآهم وتصدرهم * وتكبدهم وتطحلهم * وتمعدهم وتفخذهم * وتبطنهم وتستهم * فاما ما قيل فى خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالخياطة والتطريز وغيره فمذكور في كثير من الكتب فعليك بمراجعتها * انتهى الكلام الان على المراة بغير مرآ على ان عندى منه ما عند الفرا من حتى *

قال بعض معانية العلمآ المراة كلها شرّ * وشر ما فيها انه لا بد منها *

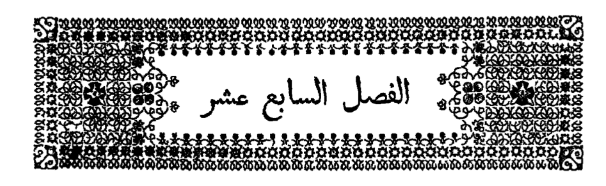
قلت وهو كحلم جحى نصفه صدق ونصفه كذب *

فالصادق منه قوله انه

لا بد

منها





الفصل السابع عشر

في رثاء حمار

اهلاً بك يافارياق ابن انت وفيمَ كنت هذه المدة الطويلة — في نظم الابيات السرّية — ولكن هذا معلوم عندي ولم اسالك الا عن امر حديث — قد فجعت بالامس بحمار لي وسالت عنه الجيران فلم يقل احد منهم انه سرقه * فاكتريت منادياً بدرهم فجعل ينادي في الاسواق الا قد فرّ اليوم حمار الفارياق وخلّى قيده في الوتد فهل منكم من رآه * فلم يجبه احد الا بقوله ما اكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها * فلما عاد اليّ بهذه البشرى بلغ مني الغيظ كل مبلغ * وآليت ان لا انظر بعدها في وجه حمار سوآء كان حقيقياً او مجازياً * فقد قال بعض ائمّة اللغة ان من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها ان يقال للرجل الجاهل حمار * ثم اخذت ارثيه بهذه الابيات وهي

راح الحمار وخلّى القيد في الوتدِ وما راى اثره في الناس من احدِ
فهل انا راكب من بعده وتدًا ام مجرئي قيده لو كان من مَسَد
ام كيف ادخل دارا كان لي سكَنا فيها وأنزل عندي مُنْزَل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شفَق كالطفل من شفق سرهدته بيدي
وجدته يسعر لا يخالطه ماسٌ ولا عسجد حوفا من الذَرَد

وكان يوقظني منه النهاق اذا استثقلت نوما بصوت مطرب غَرِد

كم حاد بي من مَضيق حين ابصر من حولي الجمال تبلّ الارض بالزبد
وساوبي في طريق بلّ جانبها اهل الجمال بماء الورد وهو ندي
وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد زفاف خود اليها بالغ الامد
واذ تبيّن نعشا للجنازة لم يمرر به مع اليم النحس في الكَتَد
ما ضل يوما عن استقرآ معلفه اكان في روضة غنّآ ام جَرَد
قد رابني حذفه حتى ظننت به مَشَخية مثل بعض الخلق عن احد
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت رجلاه عن جوب وَعْث طال او جَدَد
شُلّت يدا مَن به ولّى وغادرني امشي وانشب في اوحال ذا البلد
اتألمُ انني من بعده جَزِع وان فرقته نار على كبدي
وان صوت المنادي اليوم يزعق أن البسْ إكافك في جنح الدجى وعُد
لايغرّرنّك رَغْد انت واجده عند الحراميّ خصمي فيك من حسد
فانما ذا لحيْن انت تعلمه ما دام شهرا على طِرْف ولا عَتَد
يفديك كل حمار ندّ من بطَر او ضجّ من لَغَب او خار من جَهَد
او حار من شَبَق فلاّن بحفلة كرّاف بول قديم جق كالفِدَد
مصنبع الراس ممشوق القوائم لم يحرن اذا سُمته خَسْفا ولم يُحِد
اَليّة انه بالطرق اَعرَف من مولاه ان لم يَعُقْه القيد ذو العقد
ياليت لي خصلة من ذيله اثرا ارنو اليها كما يُرنَى الى الخُرُد

قال فقلت له لقد ضاع شعرك في الحمار العادي * كما ضاع الدرهم في المنادي * قال اما الدرهم فقد ضاع حقا واما الحمار فلا * قلت كيف ذلك والدار منه بلقع * قال من عادتي اني اذا فقدت شيا وذكرته في

الشعر خيّل لى انى عُوّضت عنه * فان لم اذكره بقيت متحسّرا على فقده * قلت او يقوم النثر مقام النظم * قال ربما يقوم عند بعض الناس* فقد بلغنى ان كثيرا من المولفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم منها قلّة ذات اليد فالفوا فيها كتبا واستغنوا بها عنها * قلت من قال ذلك * قال هم قائلوه * قلت هذا محض كذب فانى الّفت فى النسآ كذا وكذا رسالة وما خطر ببالى قط انى عُوّضت عن واحدة ممن وصفت* قال ولِمَ الّفتها اذًا * قلت لم يكن لى من شغل ولا حركة * ووجدت الزمان علىّ طويلا ولا سيما الليالى من دون مباشرة شي ما فلفقت ما كان يخطر ببالى * قال وهلّا تفرح الان بتاليفك اذا قرائه او اذا سمعت ان الناس يقراونه * قلت بل اضحك من سخف عقلى وقتئذ * فانى قد عرّضت عرضى لالسن القادحين فضلا عن كونى اضعت اوقاتى عبثا فيما لم يجدنى نفعا * وقد بلغنى ان كثيرا من المتزوجين سآهم ما قلته فى النسآ وذكر مكايدهن فاستظهروا علىّ بجماعة من العلمآ عابوا علىّ تبويب كتبى وخطّاونى فى عبارتها * وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النسآ بلفظه فقالوا لا ينبغى ان يحكى الكلام بلفظه فى الكتب وغير ذلك مما ندّمنى كثيرا * قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يعادون المولف حال حياته * فاذا مات حرصوا على كلمة يأثرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... ما دام حيّا فاذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بمآء الذهب

قلت وما نفع هذا الحرص لمن مات * قال لا نفع منه غير انى ارى ان فى النظم للذة عظيمة * ولا بدّ وان يكون النثر ايضا مثله فانهما كلهما

يخرجان من مخرج واحد * افلا تقول بصحة ذلك * قلت انى اقول باللذّة فى التاليف من جهة ان المولف يعرف شيا جهله غيره * ولا شك ان فى معرفة الحقائق لذة * غير انه يقابلها من الالم ما يرجحها * وذلك ان المولف اذا عرف مثلاً حقيقة واراد ان يعرّف غيره اياها وجد اكثر الناس قد صمّوا عن سماعها * ومَثل ذلك مثل طبيب نصوح راى اهل بلده يستحمّون بالمآ البارد فى حال كونهم محمومين * فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فأبَوا وقالوا ان هذه البرودة تنزيل الحرارة * فهو من جهة انّه عارف بالحقيقة مسرور * ومن جهة انه يرى غيره فى ضلال منها محزون * وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على غيره * الا ترى ان اهل العلم كلهم ضعاف ضاوون قليلوا الكلام والنوم والاكل والضحك * وان الجهال سمان تارّون اصحآ كثيروا الاكل والنوم وغيره مما جُعل لتقويم الطبيعة * قال فما بال الاطبآ سمان ايضا وهم بمنزلة العلمآ فى كونهم يعلمون من المنافع ما يجهله غيرهم * قلت ان الطبيب لا يرى الناس حين ياكلون ويشربون ويباعلون * وانما يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم * فاما العالم فانه فى كل وقت ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم * فلا يمكنه والحالة هذه الا ان يتاسّف على ما هم فيه من العماوة والعمانة * قال افتقول اذا بالجهل * قلت هنيئا لمن رضى به * قال وما قولك فى الشعر * قلت ان كان هو لمصلحة اى لشى يعود الى القيام باَودك فنِعْم هو * وان يكن عن مجرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رايت امراة جميلة او وردة او روضة كما هو داب اكثر الشعرآ يتكلفون للنظم فى كل ما لاح لهم * او كرباتك الحمار الآن تحركه اولى * قال ولكن احسن الشعر ما

جآء عن هوس اى عن السليقة لا بالتكلف * فانى حين امدح السرىّ اجد فى ضم لفظة الى اخرى ما يجده المُعانى لضم نقيضين مختلفين * وليس كذلك ما نظمته فى الحمار * فانى نظمت فيه هذه المرثية فى ساعة من الزمن * قلت ولكن الناس لا ينظرون الّا الى الظاهر * فقصيدتك فى الحمار يسمونها جاربة * وابياتك فى السرىّ سريّة * قال ان كان الامر كما ذكرت فلم رغبت عن التاليف ولكن لا فى النسآ فان ذلك امر مستفيض * قلت اما اولّا فلان المولف يوقع نفسه فى كلاليب السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك انفا * والثانى فان حقيقة اسم المولف غير محمود * فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى الملفّق واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف * فيحسبون انه من التاليف بين شخصين * وانما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ * وهو ايضا مكروه عند بعض الناس وخصوصا عند النسآء * واحسن الالقاب هنا فيما ارى عند النصارى قسيس وعند المسلمين بيك * اما القسيس فلانّ كل الناس تلثم يده وتتبرك بذلك * وان المراة من القبط لتغسل رجلى القسيس بيديها بمآ الزهر ثم توعى مآمها فى زجاجة * وانه متى جاء حمل امعآه الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة والاكرام فزعبها اى زعب * واذا شآ ان يبقى فى بيته لعارض من العوارض بعث غلامه بعلامة الى احد البيوت فجآه منها بغدآء ينظم فيه شعرآ عصرنا قصائد * فاما البيك فانه وان يكن مقامه بين الناس كريما الا انه لا يمكنه ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس * اذ لا يتاتّى له ان يمشى وحده * فلا بدّ وان يمشى معه اثنان عن اليمين والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع والاحترام ففى قلوبهما

منه حزازات تبعثهما على مراقبته والتعنّت عليه * اللهم الّا اذا تزيّا بزى خادم له وج فظاهر اللباس يجبئ عند العين * قال هيهات ان اصير قسيسا * هيهات ان اصير بيكا * اما حرفة القسيس فانها لا تصلح لى لانى لا احبّ الركاكة * واما صفة البيك فانى لا اصلح لها فان القدرة الازلية لم ترتض لى منذ الازل بالبوكية للبيكية * وما بقى امامى الا الشيخية * قد توكلت على الله * قلت انى مفارقك على ان تخبرنى بما سيحدث لك فى شيخيتك*

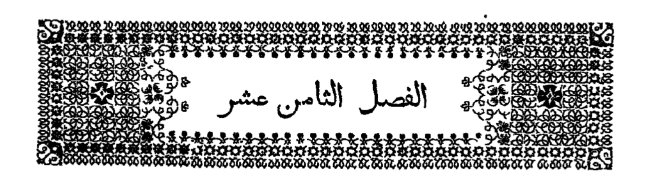
قال سافعل ذلك

ان شا

الله

*





الفصل الثامن عشر

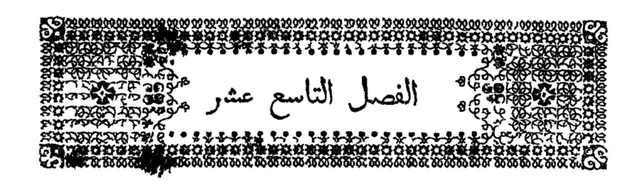
في الوان مختلفة من المرض

ثم لازمَ الفارياق نظم الابيات وهو حريص على الاتّسام بسمة شيخ * فعنّ له ان يقرا النحو على بعض المشايخ لما انه راى ان القدر الذى كان تعلمه منه فى بلاده لا يكفى لممدح السرىّ * وفى ذلك الشهر الذى نوى فيه القرآة أُصيب برمد اليم * فلما افاق شرع فى العلم فقرا على الشيخ مصطفى كتبا صغيرة فى النحو والصرف * ثم اشتد به دآ الديدان الذى سببه فيما قيل اكل اللحم نَيًّا * وتلك عادة مشهورة عند اهل الشام * فكان يتمعّص منه وقت القرآة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة التعليل * حتى قال له مرة سبحان الله ما احد قرا علىّ هذا الفن الّا ويتمعّص * فقال له ليس التمعّص كله ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو * فان لجماعة الديدان ايضا مدخلا * فانى لا اكل شيا الّا وسبقوا معدتى اليه * قال لا باس عليك عسى ان يخف عنك ببركة العلم * واتفق للفارياق وقتئذ ان ساله احد معارفه ان يقرا على الشيخ المذكور ذلك الكتاب الذى تقراه النصارى فى الجبل * وهو كتاب بحث المطالب * فلما ختمه التمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقرائه فى بلاده * فكتب له اجازة وعرضها على الفارياق * فحين تصفحها راى فيها خطاً فى اللغة

ولاعراب * فاستاذن من شيخه ان يوقفه على الغلط * فلما وقف عليه قال ساكتب له غدا اخرى * ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفارياق فيها النظر اذا بها كالاولى * فنبّه شيخه على ما فيها * فقال له اكتب له انت عنى ما شئت * فكتب له ما اعجب به * على ان الشيخ كان مضطلعا بفن النحو غاية ما يكون * فكان يقضى ساعة تامة فى شرح جملة غير تامة * الا انه لم يكن يزاول الانشآ والتاليف فكان علمه كله فى صدره وعلى لسانه ولا يكاد يخرج منه الى القلم شى * ثم بعد قراة النحو على النسق المذكور راجع الفارياق وجع العينين * فلما افاق راى ان يقرا شرح التلخيص فى المعانى * فشرع فيه مع الشيخ احمد * فلم يسِرْ فيه قليلا حتى اصابته الحكة ولم يكن قد عرفها فى مبادئها فلهذا استمرّ على القرآة * حتى اذا كان الشيخ آخذًا مرة فى شرح مسألة معضلة ثارت الحكة فى بدن الفارياق فجعل يحكّ بكلتا يديه * فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا فى الحك * فقال له ما بالك تحك وانت على ما يظهر لى غير منتبه لقيل واجيب * هل نحن الان فى محاكة الالفاظ او فى محاكة الاعضآ * قال لا تواخذنى ياسيدى فانى ارى لذة الحك مانعة لى من التنبّه لغيره * قال اَوَ بك الحكة * قال لعلها هى * فنظر الشيخ الى يديه فقال هى والله فينبغى ان تنحصر فى بيتك وتطلى جسمك بخرء الكلاب فليس لها من علاج سواه * فلزم الفارياق بيته وجعل يطلى بدنه كل يوم بالخرء المشار اليه ويقعد فى الشمس ساعات حتى لقى من ذلك عذاب الهون * ثم لما افاق رجع الى القرآة * وبعد ان ختم الكتاب عاودته ضريبة الرمد * ثم نقر فى راسه ان يقرا شرح السلّم للاخضرى فى المنطق * فشرع فى قرآته على الشيخ محمود فاصابته الهيضة وهى الدآء

المسمى في مصر بالهوآ الاصفر * فبقى ثلثة ايام لا يعي ولا يعقل من الدنيا شيا ولا يقدر على النطق * سوى انه سمعه خادمه مرة يهذى ويقول كلّية موجبة كبرى * فظن انه يستعظم مصيبته فيقول انها كبرى * ولم يكن احد اصيب بهذا الدآ في مصر * فلما مضت ثلثون يوما انتشر في البلد وعمّ بلاوه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف * ووقتئذ عرف الفارياق انه كان المقدّم في هذه البليّة وغيره التالي كما تقول المناطقة * وان الديدان التي كان يقاسي منها هي التي عجلت له بهذا الدآء فعجل هوبها * فجعل اي الفارياق يركب حماره ويطوف في الاسواق وكانّه اٰمِن من المقدور * (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك الذي استحق الرثآ والتابين بل كان ممّن يحق له التقريظ) فسار الى قرية في الريف ومعه خادمه وخادمته * فعلم به بعض ولاة البلاد فاستدعى به وبالخادم والخادمة * وقال له ايّ لبيب هل هذا وقت الموت او وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا * قال انا مدّاح السريّ وقد اتيت لاسرّح ناظري في نضرة الريف فاجيد مدحه بعد موت من يموت * فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتي العقم * قال ما هذه واشار الى الخادمة * قال هي اخت هذا يعني الخادم * قال وما هذا * قال خوليّ هذا يعني الحمار * فالتفت الامير الى الخادم فراى عليه طلاوة * فقال له من حيث انك شاعر السريّ او شعروره فلا تثريب عليك * وانما ينبغي ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتي * قال لك عليّ الإمرة فخذه * فاستبد به الامير تلك الليلة وساله عن الفارياق ماتحا * فقال له الخادم والله يا سيدي انه رجل طيب غير اني اظن انه اعجمي فاني لا اكاد افهمه حين تتكلم بلغتنا * فلما اصبح الصباح تاهب الفارياق للرجوع فلم

يجد الحمار * فظن انه لحق بالاول * فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع حمار آخر من حمر الامير الى سهل وهو تحته يزقع وينخر * فلما ان راه على حالة المفعولية غلبه الضحك فقال * قد ورد فى الحديث ان الناس على دين ملوكهم * الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها * ولكن بالعير ولا بالمُعِير * ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه * وقال له الخادم قد سرّحنى الامير فانه لم يرنى اهلا لخدمته الا ليلة واحدة وها انا الآن حرّ * ثم ان الفارياق بعد ان هنّا الامير ومرّأه رجع الى مصر وكان البلآ قد خفّ * فسال عن شيخه المنطقى فقيل له انه حىّ لم يقضِ من القضايا * فرجع اليه واتمّ معه ما كان ابتدا به * فلما بلغ آخر درجة من السلّم عاودته ضريبة الرمد فلزم بيته * فلما افاق راى ان يتعلم شيا من الفقه وعلم الكلام * فبدا بالكنز وبالرسالة السنوسيّة فمرض ـــ فزاره بعض معارفه من الفرنساوية فساله عن سبب ضعفه فاخبره الخبر * فقال له انا اشفيك منه باذن الله ولكن على شرط ان تعلم ابنى العربية * فقال حبا وكرامة * فشرع مذ ذلك الوقت فى تعليمه وفى تعاطى الدوآ من عند ابيه * ولكن لا بدّ لتفصيل ذلك من فصل على حدته



الفصل التاسع عشر

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب

كان هذا الرجل طبيبا مشهورا بمصر * ولكن شهرته في ذاته اكبر منها في دوائه * وذلك انه كان قد تزوج جارية تارّة على كبر سنّه فاولدها بنتا وصبيا * ثم عجز عن اداء حقها فجعل دابه الملاطفة لها والملق * وتلك عادة الرجل مع المراة من انه كلما قصّر في اعفافها وارضائها في الحقوق الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بها وتودّده لها * وهمّ ان هذا يسدّ عند المراة مسدّ ذلك * وكذا حالته معها اذا كان يخونها ويرأم اخرى * كما ان داب المراة ان تزيد هسهسها وعروتّبها لزوجها بزيادة اساءته اياها واطفاف الكيل لها * او تملقه لها اذا كانت تخونه * وبنا على ذلك قال الطبيب لزوجته يوما من الايام * يا هندى انى ارى ان قد صدئ مفتاحي عن قفلك * وان بنتك وزائرك يقتضيان ان يهدى لك آلة رضاعة لتلقي بها ذي بحس خُنثى فتزوجي بآخر * والّا فاني اخاف ان تتركيني وتطيري من عندي كما تطير الحمام * وقد هون عليّ ان اخسر بك شيا واحدا ولا اخسرك بجملتك * فانت ام ولدي * وجمل سرّي من كبدي * ولا اطيق فراقك * فاختاري ايمسك من شئت آلك بد غرته * فضحكت المراة عند ذلك * ثم قال ومن حسب ان ي

معروف فى [illegible] بالى الطبيب فاذا راى الجيران رجلا قادما الىّ بل رجالاً فلا يكون عليك شبهة * فضحكت المراة ايضا لقوله رجالا * قال فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو فى نصف الليل * وهنا ضحكت ايضا * ثم تمادى فى الكلام معها الى ان قال ولا تظنى انى انا وحدى تفردت بهذه العادة * فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا قهقهت * فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق ظنت زوجته اوّلا انه قصد بذلك ان يستطلع سرّها ويتصيّدها بزلّة * فبكت من شدة الغيظ وقالت له ازعمتنى بغيّا حتى تقابلنى بمثل هذا الكلام وتسيئ بى الظن * قال حاشا لله من ذلك * وانما تكلمت معك بمقتضى الطبع فتدبّرى فولى بعد حين وردّى علىّ الجواب * فانصرفت المراة من حضرته وهى واجمة مرتابة * ثم مضت عليهما ايام غير قليلة والرجل لا يهارش ولا يعاطل * ولا يلاعب ولا يباعل * فقلقت جدّا لهذه الحال * وضاق صدرها عن صبر الاعتزال * واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها * فتبعّلت له يوما من الايام وتبرّجت وتعطرت وقصدت غرفته وهى تقول فى نفسها * اليوم يكون برح الحالتين * وفيصل الحدّين * فان لم تكن مذ ساعة ذكّرته بما قال * فتلقاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف انها كرِهت * اذ راى قد علت عينيها حمرة وهما تترارثان وفى صوتها تهدّج اى رعشة واضطراب * فلما استقرت بادرها بالكلام بان قال هل تبصّرت فيما قلته لك مذ ايام * قالت نعم ولكن اما عندك فضلة تغنينى عن هذا الامر * قال ما عندى والله من وَشَل ولا فضلة * ولا ثَمَد ولا ثُملة * ولم يبق لى امل لاصلاح شانى فى ناعوظ ما لا فى لحم العصفور ولا فى سحم الوَرَل ذلكا ولا فى الرتحسال ولا العاعل ولا الا اميل

ولا القاقلة ولا الراسن ولا الفوفل ولا الفرنفل ولا السنبل ولا المصطكى ولا الجوزبوّا ولا الهال ولا الرازيانج ولا فى علك الروما ولا فى حب الصنوبر ولا الحمص ولا الكابلى ولا البليلج ولا دارفلفل ولا السمسم ولا الخولنجان ولا البسباسة ولا دهن البلسان ولا خصى الثعلب ولاّ فى بيض العصافير ولا فى دهن السوسن ولا فى القلقاس ولا فى اصل النرجس منقوعاً فى الحليب ليلتين ولا فى الكرفس مدقوقا بزره بالسكر والسمن ولا فى لبس الثوب المورّس ولا فى أكل اصل اللُوف ولا فى الضَّجع معصورا ماؤه فى اللبن الرائب ولا فى البورق مدوفا بالعسل او فى دهن الزنبق ولا فى البندق الهندى ولا فى الهَمّقاق مقلوّا ولا فى علك البطم والينبوت ولا فى المسك مدوفا بدهن الخِيرىّ ولا فى البَهْمَن ولا فى الجَزَر ولا فى الهليون ولا فى الاملج ولا فى البَسفارذانَج ولا فى اخضر الباقلّى بالزنجبيل ولا فى القلقل مدقوقا بالسمسم معجونا بالعسل ولا فى صمغ الكَنْدَلَى ولا فى المُقل ولا فى ثمر البطم ولا فى التبخير بخفبف لحم الرخم مخلوطا بخردل سبع مرات ولا فى حب الرَلَم ولا فى لبّ القرطم ولا فى معك الغَنَم ولا فى الموز ولا فى مسح دماغ الخفاش بالاخصيين ولا فى لحم الحمام ولا فى قرفة القرنفل ولاّ لما ضننت عليك بشى لما تعلمين من فرط محبتى لك * فقالت له اذا كان الامر باسيدى كما ذكرت فانى اختار قسسا * قال اى وسواس وسوس الىك هذا الاختيار الذى ليس من الخير فى شى * قالت اما اولا فلانّ الناس لا يسئون به الظن اذا راوه داخلا الىّ كل يوم * والثانى انه يقال ان مادة القسيس متوفره فيه * قال قد غوبت ومع ذلك فانى احشى منه على ولدىّ فانه ربما يعربهما بخلافى حالة كونى مخالفا له فى معتقده فالاولى ان تختارى آخر * قالت

انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف فاختر لى
من تشآ فانى ارضى بكل ما ترضى به انت * قال بارك الله فيك * ثم
قبّلها من فرحه ووعدها بالانجاز مدته فى اليوم القابل * وما كاد يسفر الفجر
الا وهو فوق جاره يقصد بعض اصحابه * فلما اجتمع به قال له ان لى
عندك حاجة جئت التمسها منك * قال قل ما بدا لك * قال على شرط
ان لا تخيّبنى * قال سابذل مجهودى كله ان شا الله فى قضآئها * فاخذ
يده فى توثيقا للعهد ثم قال له انى اريد ان تكون خليفتى فى زوجتى *
فقال له الرجل هل بدا لك سفر من مصر وان تترك زوجتك هنا *
قال لا وانما تكون خلافتك عنى فى حضورى * فاستآ الرجل وقال او
خامرك ريب فى صداقتى لك حتى اضمرت استطلاع سرّى * وخفى
امرى * فعند ذلك صرّح له بالقضية والحّ عليه فى القدوم معه * ولما ان
قدما انعقد البيع بحضرة كلّ من الزوج والزوجة وتم التراضى * وصار
الرجل مذ ذلك الوقت يتردد على دار الخلافة وبقى كذلك مدة * ثم
ان الزوجة لما ملّته كما هى عادة النسآ وظهر له ذلك من قلة احتفالها
به مرة ومن اعتذارها اليه اخرى * جرى هو ايضا على عادة الرجال من
انه افشى سرّها لصاحب له * فجرى هذا ايضا على جُدُد امثاله وجعل
يتردد اليها وقام عندها مقام الاول * ثم ملّته فافشى سرها * ثم جآها اخر
فقبلته * ثم آخر وآخر حتى صاروا جماعة عظيمة * ثم تراجع اليها احبّاوها
الاوّلون وانهمكت فى التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب
كالمشرعة * ولم تكن هذه القضية قد شهرت فى مبادئها عند الجيران
اذ كانوا يظنون ان القوم ياتون ليتداووا من علل بهم * ولكنها علمت
بعد ذلك * وكان سببه ان الطبيب اتخذ له دارا اخرى خارج البلد

ليصيف فيها * وترك امراته فى الدار الاولى والزائرون على ما
كانوا عليه من الورود والصدور * فتنبّه ج الناس لذلك * وفى هذا الوقت
اى ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفارياق المسكين يتردد
على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى * فظن الناس انه من جملة الزائرين *
وتقلدوا اثمه فى اعناقهم الى يوم الدين * فانه كان معطلا وفعله ملغى
عن العمل * وبقى على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من
العلاج * فكأنّ الطبيب اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه *
فمن ثم اقتصر الفارياق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفى * وفى
خلال ذلك سافر الى الاسكندرية لمصلحة ما * فاجتمع فيها بواحد من
الخرجيين الصالحين * فساله هذا ان يرجع معه الى مصر ليعلم عنده
بعض تلامذ فاجابه الى ذلك * وانما رغب فيه لكون الخرجيّين لا
يوخرون اجرة من يعمل لهم * وفى اثناء هذا عنّ له ان يقرا علم العروض *
فاخذ فى قراءة شرح الكافى على الشيخ محمد * فما كاد يختمه حتى
فشا الطاعون بمصر * فاشتد بالمولى الخرجى الحرص على حياته ابقاء
للمصلحة الخرجية كما زعم * فمن ثم راى ان يتباعد عن وهدة الفخ
قليلا لكيلا ينطبق عليه فيفجع الخرجيون امثاله بفقده فيكون فقده سببا
فى فقد غيره * اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن تميت * فجعل
الفارياق مع الحرّيجين الخُرَيجيين ومع رجل لبيب ذى خبرة بالعلاج
المانع من عدوى الطاعون * ثم استصحب ما لزم له وفرّ الى الصعيد
ونفصل ذلك فى الفصل الاتى *



الفصل العشرون

في معجزات وكرامات

كان عند الخرجي المذكور خادمة زعوية من اهل بلاده * فلما عزم على الفرار رأى ان يعاودها في منزله لضرورة حاجة فيه * وانما ابى ان يستصحبها معه لانه كان متزوجا بامرأة هي دونها في الحسن * كما جرت العادة في بلاد الافرنج من ان الخادمة غالبا تكون فوق مخدومتها في الوسامة والجمال ودونها في الدراية والمعارف * فوقع في خاطر زوجته انه اذا نشبت فيها عوائق الفج اولا ربما اتخذ زوجها تلك الخويدمة في فراشها وطاب عنها نفسا * وان اول شيء تتعلمه البنت من امها قبل زواجها هو منع الاسباب التي تبعث زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها * ولذلك كان من عادة نساء الافرنج ان يهدين الى بعولتهن صورهن وان كانت شنيعة ليجعلوها في قمصهم * او خصلا من شعورهن وان تكن جزاً ليحتموا بها * ثم بدا مشكل آخر * وهو ان الخادمة اذا بقيت وحدها في الدار لم تأمن من ان يتسوّر عليها احد في الليل فيقع المحذور * ويحمى التنور * ويكسر المحصور * ويمدّ المجرور * ويطم المغمور * ويذال المدحور * ويخرب البور * ويفك الطلاسم عن المسحور * ويفتق المسطور * ويسد الثغور * ويوسع الصور * ويعمر المطمور *

ويتذلل العبسور * ويصدع الفاتور * ويحوب القهور * [illegible]
فتشلّم شوكة الزنبور * فارتاى بعد ان رفع يديه بالا[illegible]
ان يضمّ اليها رجلا من اهل بلاده نخيها قشتيها [illegible]
ارتكاب شي من الافعال التى جرّت هذه التوافى [illegible]
جملة الاغلاط الفاضحة التى اشتهرت بين الناس * اعنى انهم يحققون
فى الغالب من دون مراجعة النسآ والاستشهاد بقولهن ان النحيف لا
يقدر على ما يقدر عليه السمين * وكان الاولى ان لا يستبدّوا برايهمَ فى
ذلك * فمكث القشعوم مع الخادمة فى اهنا عيش * اما ما كان من
الخُرَنجيين فان مخرّجهم اى مرتبيهم وكّل بهم ذلك الرجل اللبيب *
واوعز اليه فى ان يحظرهم عن الخروج * وان لا يدع احدا من اقاربهم
يدخل اليهم * وان يستخدم رجلا ليشترى لهم ما يلزمهم من الخارج *
ولا يستلم منه شيا الا بعد ان يغمسه فى الخلّ او يبخّره بالشيح * وغير
ذلك مما عرف فى اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوباء * وكان هذا
الوكيل من مشاهير علمآ ملّته * وكان فى مبدا امره كافرا لا يعتقد بدين
من الاديان * لكنه كان حميد الخصال حسن الاخلاق * غير ان كفره
حال بينه وبين رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخرجيين من اهل بلاده *
ففرحوا بهدايته كثيرا * واحسنوا اليه احسانا وفيرا * فانقلب هزله جدّا
وتمكنت منه الوساوس والاوهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات
والمعجزات * فكان يتمنّى ان تسنح له فرصة لذلك * واتفق فى هذا الاوان
ان مات بالطاعون ذلك الخادم الذى كان يشترى لوازم الدار * فلما
جآء الدفّانون ليحملوه اعترضهم الوكيل من داخل الدار * فخافوا ان
يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل مصر حرمة زائدة * ثم انه

مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى لان يحقق له صدق عقيدته * ثم فتح الباب وخرج والقى نفسه على جثة الميت وجعل فمه فى اذنه وهو يناديه قائلا * ياعبد الجليل (اسم الميت) انى ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من ظلمة الموت الى نور الحياة * ثم اصغى ليستمع الجواب فلم يجبه احد * فاشار الى الدفانين ان اصبروا * ثم سار الى ذلك الموضع الذى صلى فيه اوّلا * وغيّر ركعته بان جعل فمه بين فخذيه وهو يجمجم فى الدعآ وذلك على منوال الياس النبى حين صلّى لانزال المطر بعد ان قتل انبيآ بعل * وكان عددهم اربعمائة وخمسين نبيّا على ما ذكر فى الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الاول * الا انّ بين الداعيَيْن فرقا * وهو ان النبى صلى هكذا بعد القتل وصاحبنا هذا قبل الاحيآ * وكان الاولى ان يرفع عبد الجليل الى غرفة كما فعل النبى المذكور بابن الارملة التى كانت تعوله * وكان دعآوه الى الله لاحيائه ان قال ايها الرب الهى اجلبتَ الشرّ ايضا على هذه المراة بقتل ابنها الخ * ثم انه شبح يديه حتى صارت جثته على شكل صليب * ثم قام ناشطا مسرورا واسرع فى ان القى جثته على الميت واعاد فى اذنه كلامه الاول * فلما لم يجبه احد وراى الميت لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يمش مرة هنا ومرة هناك ولم يعطس سبع عطسات كما عطس ابن المراة الذى احياه النبى اليشع على ما ذكر فى الفصل الرابع من سفر الملوك الثانى * ذهب الى المطبخ وامر الطباخ بان يصنع له مرقة على الفور * فلما صبّت المرقة اقبل بها الى عبد الجليل وجعل يفرغ منها فى حلقه وذاك مشغول عنه شاكر ويكبر * فلما اعياه امره امر الدفانين ان يحملوه وقال انا على ذنب فى كونى

لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه * ثم اقبل الى حجرة الفارياق وقال له لا تواخذني ياخليلي بعجزي عن احيآء الخادم فان زمن الانشار لمّا يبلغ * ولكني لا اتراخى في عقيدتي بان افعل ذلك المرة الآتية ان شا الله * فلما سمع الفارياق ذلك اضطرب باله وثار دمه غيظا وحزنا * فاصابه في ذلك اليوم الدآء الفاشي * فخرج تحت ابطه سلعة كالاترجة وحمّ واخذه صداع اليم * فاما الوكيل فلم يصبه شي * وذلك من الاسرار التي يعجز عن ادراكها الحكمآ * ثم ان الفارياق كان حال مرضه يفكر فيما جرى عليه وهو وحيد غريب لا مونس عنده يسليه * ولا طبيب يداويه * وكان يقول في نفسه اذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبي هذه التي سهرت الليالي على نسخها * نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه غير ان موت الفتى مثلي غريبا اصعب * واني قد ابتليت والحمد لله في هذه المدينة بجميع انواع الادوآ المصبوغة بلون الحمام * فاذا فسح الله الآن في اجلي فلا افارق هذه الدنيا الا قرير العين بنجل يرثني * وان لم يكن عندي من حطام الدنيا غير الكتب * كيف لا وقد جآء عن ابشلوم ولد سيدنا داود انه بنى له جدارا ليذكر به بعد موته اذ لم يكن له خلف * فلاتزوجنّ فان لم ياتني خاف فالطوب بمصر كثير * اللهم يسّر * غوثك ياكريم * يارحمان يارحيم * ثم لما كان يمعن النظر في حال الزواج ويتصوّر مشاقه وشدائده التي كان يرى اودّآءه ومعارفه يقاسونها ويئنّون من باهظ حملها * يرجع عن عزمه ويسحر من استحالة عقله وضعف فهمه لضعف جسمه * ثم يعتذر لنفسه بان كل انسان اذا عاش مدة حياته على راى لم يوافق راى الجماعة * وكان يعتقد وهو حيّ صحيح الجسم معافى انهم كلهم على ضلال وانه هو وحده على هدى * فاذا ادركه ضعف

جسم لم يلبث ان [illegible] الاول * كما جرى لنيوتن الفيلسوف ولكثير غيره من الحكماء والفلاسفة * ثم ان الله [illegible] تدارك الفارياق برحمته * ومنّ عليه بالشفا من علته * فقام من فراشه كانما قام من جدثه واقبل على الطنبور يعزف به ويغنى * فدعه الآن على هذه الحالة ولا تنغص عليه عيشه * وشمر اذيالك معى

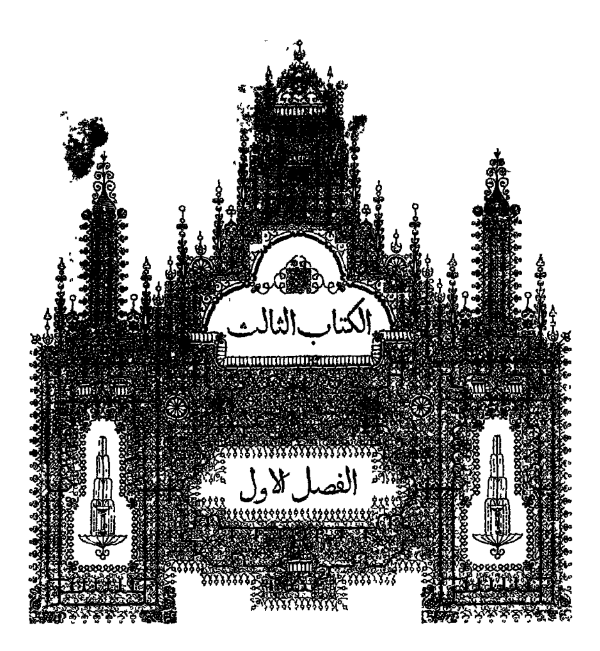
لنطفر فوق هذا الاجيج المتاجج

امامنا فيما

يلى

هذا





في اصرام اتون

او ما كفى بنى آدم ما هم فيه من الشقآ والعنآ * والجهد والبلآ * والمشقة والنصب * واللاوآ والتعب * والحرمان والنحس * والقنوط والتعس * يحمل بهم فى الفُرُث والوحم * ويولدون فى الاوجاع والالم * ويرضعون فى الضرر * ويفطمون فى الخطر * ويحبون فيعثرون * ويدرجون فيتدهورون * ويمشون فيكلّون * ويكدّون فيملّون * ويبطلون فيتضورون * اذا جاعوا خاروا ووَهَوا * واذا اكلوا اتّخموا وبَجِروا * واذا ظمئوا صووا * واذا شربوا علثوا وغثثوا وحثروا * واذا ارقوا ذابوا قلقا وكمدا * واذا ناموا ذهب العمر منهم سدى * واذا هرموا ملّهم اهلهم واخوانهم * واذا احتُضروا

حسر ... حسرا ربما احافهم * ثم هم بس دلك فى تحصيل اسباب المعاش ساعون * وفى الظاهر باللباس والزينه معتنون * والعرب منهم منهافت على امراه تكون له اهلا * ودو الاهل همّه تروحه وتربية ولده طفلا وكهلا * فادا مرضوا مرض * وادا حربوا حرن وحرض * ووبل له ان تكن روحه برزآ * او كانت عاقرا ودمآء * وراى لعيره من المتروحين بين دوى طلعه ناصرة * وسمائل سارّة * فيقول فى نفسه انما لذة الدنيا البنون * وانى مت بلا حلف واىّ موت * وكم من سقوط طفر وهن الجسم كله * وكم لقلع ضرس دهب الصبر او حلّه * ما عدا الادوآ المعضّله * والعلل الماصّله * وتحالف الازمان وحول الاحوال * وتعاقب الاحزان ودوّل الحال * على هذا الجسم الواهى البال * ففى الشتآ تكون عرضة للريح والزكام والبلغم والرطوبات * والبوال والعفونات * وفى الصيف للصفرآ والحمى والصداع * والرهل والاسترخاع * وفى الربيع لهيجان الدم وتبيّغه وتزعّده * وفى الخريف لتحرك السودآ وادى الهوآء وددعته * ثم ان منهم من يولد ويعرض له من العيوب والامراض

البحا	اسراف الكاهل على الصدر *
او القسأ	خروج الصدر وسوء الحمله *
والقطا	دحول الظهر وخروج الصدر *
والحدب	معروف *
والحسد	ان سعص جلد الرجل من دآء فيفسد شعره فيصير ابيض واحمر
والحصد	سر يخرج بالجسد *
والست	دآء م *
والصوب	داء فى السعد *

والطَنَب طول فى الرجلين فى استرخآ وطول فى الظهر*
والعَكَب غلظ فى الشفة واللحى *
والغَضَبة بخصة تكون بالجفن الاعلى خلقة *
والغِصاب دآء او الجُدَرى *
والغَلَب غلظ العنق *
والقَلَب انقلاب الشفة *
والقُلاب دآء القلب *
والقُوبآ الذى يظهر فى الجسد ويخرج عليه *
والكَنَب غلظ يعلو الرجل واليد *
والكَوَب دقة العنق وعظم الراس *
والنافبة دآء للانسان من طول الضجعة *
والجَوَث عظم البطن فى اعلاه او استرخآ اسفله *
والخَوَث استرخآ البطن *
والضَمَج آفة تصيب الانسان وهو ايضا هيجان المابون *
والعِناج وجع الصلب *
والفَحَج تدانى صدور القدمين فى المشى وتباعد العقبين والفحج
والفحج اقبح منه *
واللَخَج اسوأ العمص *
والمَجَج استرخآ الشدقين *
والجَلَح انحسار الشعر عن جانبى الراس *
والصَفَح عرض فاحش فى الجبهة *
والنطَف علة يكوى منها الانسان *

والفرکیة تقامد ما بين الاليتين *

والتلح عرض الراس ولا رسه *

والفلح سو في السعه السعلى *

والقادح أكال في الاسان *

والقلح صفره الاسنان *

والكسح الزمانه في اليدين والرجلين *

واللحج اللحص في العين *

والمرح سده سلان العين وفسادها *

والمسح احراق باطن الركبه لخشونه الثوب او اصطكاك الرجلين

ومثاله المسح *

والودح احراق في باطن الفخذين *

والنرح خروج الصدر ودخول الظهر *

والزلحه وجع ياخذ في الظهر *

والفسح ا سرخآ المفاصل او عرض الكف والقدم وطولهما *

والنفاح نفخه الورم من دآ يحدث *

والحرد عدم الشعر *

والادرد دهاب الاسنان *

والوده نقاص في الدقن *

والسواد دآء من سرب المآ *

والنود طول العنق والظهر *

والكباد وجع الكبد *

والهد دآء في ارجل الناس وافخادهم *

والأدَرَ الآدر والمادور من ينفتق صفاقه فيقع قُصْبُه فى صفنه النح وفعله كفرح *

والبُجر خروج السرّة وعظم البطن *

والبَخر النتن فى الفم *

والباسور م ج بواسير *

والحَثَر البثور وحثرت العين خرج فى اجفانها حبّ احمر *

والحَذْرة قرحة تخرج ببياض الجفن *

والحُصْر والحَصَر الحصر احتباس ذى البطن وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعىّ فى المنطق *

والحَفَر سُلاق فى اصول الاسنان *

والحُمْرة ورم من جنس الطواعين *

والحُنجَر دآء فى البطن *

والأُخَيضر دآء فى العين *

والذَّهَر اسوداد الاسنان ومثله التذيير *

والزَّحِير استطلاق البطن *

والزَّعَر تفريق الشعر وقلته *

والزَّوَر عِوَج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينه *

والشَّتَر انقلاب الجفن من اعلى واسفل وانشقاقه او استرخآ اسفله *

والصَّعَر صعر الراس *

والصَّفَر دآء فى البطن يصفّر الوجه *

والظَّفَر دآء فى العين *

والظَّهَر دآء الظهر *

والعَوَر معروف *

والتقطير عدم استمساك البول *

والقَصَر يبس فى العنق *

والمَعَر قلة الشعر *

والناسور علة فى المآقى وعلة فى حوالى المقعدة وعلة فى اللثة *

والكُزاز داء من شدة البرد *

والسُلاس ذهاب العقل *

والقُفاس داء فى المفاصل *

والفَطَس انفراش الانف فى الوجه *

والقَعَس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب *

والقَفَس عظم الروثة *

والقَنْعسة شدة العنق فى قصرها كالاحدب *

والكَسَس قصر الاسنان او صغرها او لصوقها بسنوخها *

والنِقْرِس ورم ووجع فى مفاصل الكعبين واصابع الرجلين *

والهَوَس طرف من الجنون *

والحَمَش دقة الساقين *

والحَفَش صغر العينين وضعف البصر حلقة او فساد فى الجفون بلا وجع او ان يبصر بالليل دون النهار *

والدَوَش ظلمة البصر وضيق العين *

والرَمَش حمرة فى الجفون مع ماء يسيل *

والطَرَش اهون الصمم *

والطُناش داء كالزكام *

والعُطاش دآء لا يروى صاحبه *

والعَمَش ضعف البصر مع سيلان الدمع فى اكثر الاوقات *

والمَدَش رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها *

والنمش نقط بيض وسود او بقع تقع فى الجلد تخالف لونه .

والبَخَص لحم نانئ فوق العينين او تحتهما كهيئة النفخة والشَّخَص انقلاب الاجفان *

والبرص معروف *

والنَعَص وجع العصب من كثرة المشى *

والحاصّة دآء يتناثر منه الشعر *

والخَوَص ضيق فى موخر العينين او فى احداهما *

والحُوَص غؤور العينين *

والخَيَص صغر احدى العينين *

والرَمَص وسخ ابيض يجتمع فى الموق *

والشَوصة وجع فى البطن او ريح تعتقب فى الاضلاع او ورم فى حجابها *

والغَمَص ما سال من الرمص *

والقَبَص وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة *

والقِرْماص قصر الخدين *

والقَفَص حموضة فى المعدة من شرب المآ على التمر وحرارة فى الحلق *

والاَحَص نغض كثير فى اعلى الجفن *

واللَخَص كون الجفن الاعلى لحيما *

واللَصَص تقارب المنكبين والاسنان *

والماصّة دآء ياخذ الصبى من شعرات على سناسن الفقار الخ *

والنقص [illegible] عصب الرجل *

والملص معروف *

والوقص قصر العنق *

والحرض فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل *

والهرض الجنف يخرج على البدن من الحرّ *

والخباط داء كالجنون *

والاذوطية الاذوط الناقص الذقن *

والاسطية الاسطّ الطويل الرجلين *

والسرطان ورم سوداوى يبتدئ مثل اللوزة واصغر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمر وخضر شبيه بارجل السرطان لا مطمع فى برئه وانما يعالج لئلا يزداد *

والضرط خفة اللحية ورقة الحاجب *

والضوط عوج فى الفم *

والطرط خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب *

والقطط قصر الشعر وجعودته *

والمرط خفة الشعر *

والمعط عدم الشعر *

والجحظ خروج المقلة او عظمها *

والبنع ظهور الدم فى الشفتين وانقلاب الشفة عند الضحك *

والجلع عدم انضمام الشفتين *

والخلع التوا العرقوب *

والوسع فساد فى الاجفان *

والرَمَع اصفرار فى وجه المرأة من دآ يصيب بظرها *
والزَلَع شقاق فى ظاهر القدم كالسلع *
والزَمَع الزيادة فى الاصابع *
والصُداع وجع الراس *
والصَلَع انحسار شعر مقدم الراس *
والتصوّع تشقق الشعر *
والقَرَع معروف *
والقَفَع ارتداد اصابع الرجل الى القدم *
والقُلاع دآ فى الفم *
والقَمَع فساد فى موق العين واحمرار او بثرة تخرج فى اصول الاشفار *
والكَتَع رجوع الاصابع الى الكف *
والكَثَع احمرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب *
والكَلَع شقاق ووسخ فى القدم *
والكَوَع اقبال الرسغين على المنكبين *
واللَخَع استرخآ الجسم *
واللَطَع بياض فى باطن الشفة الخ *
والوَكَع اقبال الابهام على السبابة من الرجل *
والهَنَع انحنآ فى القامة *
والبَثَغ ظهور الدم فى الجسد *
والذَلَغ انقلاب الشفة *
والفَدَع التوآ فى القدم *
والفَوَع ضخم فى الفم *

والوَبَغ	هِبْرِية الراس *
والجَنْف	الجنف في الزور دخول احد شقيه وانهصامه مع اعتدال الآخر *
والخُشَفذ	قرحة تخرج بحلق الانسان *
والحَنَف	الاعوجاج في الرجل *
والخَنَف	انهصام احد جانبى الصدر او الظهر *
والسأف	تشقق وتشعث ما حول الاظفار *
والسَّعْفة	قروح تخرج على راس الصبى ووجهه *
والشأفة	قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى فتذهب او اذا قطعت مات صاحبها *
والشَنَف	انقلاب الشفة العليا من اعلى *
والطَرْفة	نقطة حمرآ من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها *
والغَضَف	استرخآ في الاذن *
والغَطَف	كثرة شعر الحاجب *
والكُتاف	وجع الكتف *
والكَلَف	شي يعلو الوجه كالسمسم — وحمرة كدرة تعلو الوجه *
والارْقان	آفة تصيب الزرع والانسان كاليرقان *
والبَخَق	اقبح العور *
والبهق	بياض رقيق ظاهر البشرة الخ *
والحَوْلق	وجع في حلق الانسان *
والحُماق	الجدرى او شبهه *
والخُناق	دآ يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة *
والرَوَق	ان تطول الثنايا العُلى السُفلَ *

والسُلاق نثر يخرج على اصول اللسان او تقشر فى اصول الاسنان وغلظ فى الاجفان *
والشَدَق سعة الشدق *
والشَمَق مرح الجنون *
والغَمَقة دآء ياخذ فى الصلب *
والفَتَق علة فى الصِفاق *
والفَوَق ميل الفم والفرج *
واللَسَق لسوق الرئة بالجنب عطشا *
والمَشَق ان تصيب احدى الربلتين الاخرى *
والوَدَق نقط حمر تخرج فى العين تشرق بد او لحمة تعظم فيها او مرض فيها ترم منه الاذن *
والسَكَك عيب فى الاذن *
والساهك حكّة العين *
والشاكّة ورم فى الحلق *
والشوكة دآء م وحمرة تعلو البدن *
والفَرَك استرخآ اصل الاذن *
والفَكَك انفراج المركب استرخآ *
والأَلَل قصر الاسنان واقبالها على غار الفم كاليَلَل *
والبَدَل وجع فى البادلة (اللحمة بين الابط والثندوة) ووجع المفاصل واليدين *
والنُوال دآء يكثر منه البول *
والنَعَل تراكب الاسنان *

والثَلَل ثساقط الاسنان *

والحَذَل حمرة فى العين وانسلاق وسيلان دمع *

والحِقَل دآ فى البطن *

والحَلَل استرخآ ووجع فى العصب *

والحَوَل معروف *

والخَبَل فساد الاعضآ والفالج *

والخَزَل الكسرة فى الظهر *

والخُمال دآء فى المفاصل *

والدَحَل عظم البطن *

والدَخَل ما داخلك من فساد فى عقل او جسم *

والسَبَل غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة *

والسَغَل السَغِل الصغير الجثة الدقيق القوائم او المضطرب الاعضآ او السيّى الخلق والغذآ او المتخدد المهزول وقد سغل كفرح فى الكل *

والسُلال م كالسلّ *

والسَوَلة استرخآ البطن وعبره *

والصَحَل البحح *

والصَعَل دقة الدن من تقارب النسب *

والطَحَل دآ الطحال *

والطلاطِلة سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب *

والعَفَل شى يخرج من قبل النسآ كالادرة *

والعَقَل اصطكاك الركبتين *

والعُقابيل ما يخرج على الشفة غبّ الحمى *

والغُمُل فساد الجرح من العصاب *

والقَبَل اقبال احدى الحدقتين على الاخرى *

والنَمْلة بثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا ويدبّ الى مكان آخر *

والأُطام حصرة البول والبعر من دآ *

والنُجام دآ فى العين *

والجُذام معروف *

والخُشَم تغير رائحة الانف من دآ فيه *

والرُحَم وجع الرحم *

والسُرم وجع الدبر *

والضَجَم عوج فى الفم والشدق والشفة والذقن والعنق *

والعَسَم يبس فى مفصل الرسغ تعوجّ منه اليد والقدم *

والغَمَم سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا *

والفَقَم تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى *

والقَعَم ميل وارتفاع فى الاليتين *

والكَزَم قصر فى الانف *

والكَشَم نقصان فى الخلق وفى الحسب *

والمُوم اشد الجدرى *

والبَطَن دآ البطن *

والثَفَن دآء فى الثَفِنة وهى من الانسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ *

والدَنَن انحنآ فى الظهر ودنو وتطامن فى الصدر والعنق *

والزَمَن العاهة ونحوه الضَمن *

والتسوّن استرخآ البطن *

والقَعَن قصر فاحش فى الانف *

والآهة والماهة الآهة الحصبة والماهة الجدرى *

والجَله انحسار الشعر عن مقدم الراس *

والشَوَه طول العنق وقصرها ضد *

والفَوَه سعة الفم *

والقَرَه القره فى الجسد كالقلح فى الاسنان *

والعَمَه قلة شهوة الطعام كالقَهَم *

والمَرَه فساد العين لترك الكحل *

والبله قلة الفطنة *

والتَلَه الحَيرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا *

والدَلَه ذهاب الفواد من همّ ونحوه *

والبَزا انحنا فى الظهر عند العجز او اشراف وسط الظهر على الاست *

والنَخو سعة الجلد واسترخاوه *

والجَلا دون الصلع *

والجَوَى دآ فى الصدر *

والحَصاة اشتداد البول فى المثانة حتى يصير كالحصاه *

والحَقوة وجع فى البطن من اكل اللحم *

والخَذَى استرخآ الاذن وانكسارها *

والرَثية وجع المفاصل واليدين والرجلين او ورم فى القوائم او منعك الالتفات من كبر او وجع *

والشَرى	بثور صغار حمر حكاكة *
والشَغا	اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج *
والضَوى	دقة الجسم وقلة الجسم خلقة او الهزال *
والطَنى	طنى لزق طحاله ورئته بالاضلاع من الجانب الايسر *
والفَغا	ميل فى الفم *
والقَعا	هو ان تشرف الارنبة ثم تقعى نحو القصبة *
والفَطَى	دآ فى العجز *
واللّقوة	دآ فى الوجه *
واللَّوى	وجع فى المعدة واعوجاج فى الظهر *

وغير ذلك من العيوب كان يكون الانسان قشعوما او مقرقما او زَغْبلا او سَقَعْطَرى او نِغاشيا او إزَبا او دميما * ومن الادوآ التى لم يُعرَف لها بعدُ اسم * ومحال ان نحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية والعشرون حرفا * واصعب ما فيها واضرّ الهُكاع والتشويل * وقد زاد معاصرونا على ذلك الدآء الزَرْنبى مما خلت عنه لغتنا الشريفة * واعود فاقول الم يكف بنى ادم ان مدى عمرهم قصير * وهمّهم فيه طويل كثير * وامرهم عسير * لكل منهم من العنآ والجهد واللوعة * ما يكفيه وآخرين معه * فطالب العلم يسهر الليالى فى تبيين مشاكل * وايضاح مسائل * وذو الصنعة يقضى نهاره كله مكبّا على عمله ذا سخط * حتى ينال كفافه فقط * وذو الامارة مشغول البال باحكامه وسياسته * والرئيس ذو همّ برئاسته * والملك موجس من وزرائه ان يتحالفوا عليه فيسقوه ما به هلاكه * والوزرآ خائفون منه ان ينقم عليهم فتدور بهم افلاكه * والتاجر يبكر الى محترفه وهو مشفق من كساد بضاعته * والطبيب يخشى ان تُرشَد الناس فيستغنوا

عن براعته [illegible] عقاقيره * وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره * وسفوفه وبجوره * والقاضى يستعيذ من قدوم من تفتنه من الغيد بجمالها * وتربكه فى مسائل غير مذكورة فى كتابه فيعلق بحبالها * ويتحير من احوالها * والربّان يحذر من عصف الارواح * والزاجل من شب نار الحروب التى وقودها الارواح * فكلما راى سلطانه متغيرا * وخاطره مكدرا * قال اللهم اكفنى غِيَر الدهر * واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل العصر * فانى ارى فى وجه ملكى واميرى سيماء القتال * والرسم بمنازلة الابطال * وانا ذو صاحبة وعيال * واملاك واموال * اللهم اكفف السنة الاجانب عن القدح فيه * والقِ فى قلوبهم رعبه وامحُ من صدره ما يوغره ويزفيه * والحارث يوجل من كثرة الامطار * وهبوب الاعصار * والمعلّم من رغبة الناس عن العلم الى الجهل * والمتعلم من عقبة الكُتّاب * وعاقبة الكتاب * الشافه لما عنده من ثمد الجَلَد * والحاظر له عن اللهو والدد * والمغنّى والعازف بالات الطرب من وقوع الغلآء * او استيلآء الحزن على قلوب الاغنيآء * واللاعب من اهتدآء الناس الى الجد * والشاعر من الفائه ممدوحه كالحجر الصلد * او محبوبه ذا جفآء وصد * والمولف مثلى من مجانيين اى بشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدّون له فيحرقون كتابه * ويخرّقون اهابه * والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته * وهما من بخله وحرمانهما من ثروته * والقسيس من كتب الفلاسفة * والفلاسفة من وعيد القسيس وبوادره العاصفة * ورعوده القاصفة * وفى الجملة فكل ذى حرفة يخاف من انحراف نفعها عن جانبه * وكلٌّ يدعو الله لصلاح حاله ولو بفساد حال صاحبه * اذ لا تكاد تتم مصلحة من هذه المصالح المذكورة * الا ويجرّ معها مفسدة بالضرورة * كما قال ابو الطيب المتنبى مصائب

قوم عند قوم فوائد * ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما ساله * جدير بنوال ما امله * وان لغته فى ذلك عند الحق سبحانه وتعالى * اصدق مقالا * نعم اعود فاقول * وان طال المقول * او ما كفى الناس الخوف من الموت يفاجئهم وهم فى دعة واطمئنان * او يفجعهم بفقد ما لديهم عزيز من اهل وولد واخوان * وخلان وحيوان * اذ بعض الناس يكلفون بالخيل والطير والسنانير والكلاب * كلفهم بالاهل والاصحاب * او الرعب من ان يسقط احدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه * او تسرى النار فى بيته فيحترق تالده وطريفه فيعدم رزقه * او يقع فى تيّار فيجفأ به الى ما شا الله * او تخسف به الارض * او يخرّ عليه السقف من فوق * او تبلغه الوكة من مسافة مائتى فرسخ فتقلقه وتورقه وربما ابكته دما * او ياتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته * او يفقد ما فى كيسه او همیانه فى الطريق * او ينشب فى عينه عود فيعطلها * او تتشنج به عضلة فيعد بعدها من سقط المتاع * او ياكل شيا ضارًّا فيودى به * او شرابا مسموما فيسقط امعآه وارابه * او يرى جميلة فيؤرّقه جمالها فيصبح وهو هائم متيّم يشكو للطبيب من سقامه * وللشاعر من غرامه * فلا هذا يطمعه ويمنّيه * ولا ذاك ينفعه ويشفيه * اوقبيحة فتدهمه مُرْعبة * ويلازمه القمه عن المادبة * او تنبحه الكلاب وتخرق ثيابه فيبدو وَذَمه * او يسيل دمه * او يكون جالسا يوما على التخت * فيسمع له صريف التحت * فيسود وجهه بين اخوانه وعترته * واهل قريته وكورته * وربما نبزوه بالخَضْفى او الغَضْفى او النَضْفى او الخَبْقى او الخَبْقى او الخَفْقى او العَفْقى او الغَفْقى او الحَضْمى او الخَضْمى او الزَدْمى * او يقع عليه الكابوس ليلاً فيقف جريان دمه على قلبه فيهلك لبلته * نعم الم تكفهم هذا كله حتى طفق

بصيرة يجترئ على بعض كتائب الحدس والتخمين * ويجرّد عليه مقانب العزكين * فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرّعة * وبسيوف اللعن مبتعة * وبنصال الجدال فائدة مارقة * وبنبال الجلاد صاردة خاسقة *
فقال بعض الا ان درجات السمآ مئة وخمس * فقال غيره الا انها مئة واربع * فقال اخر لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين * وسلّ الانثيين * انما هي مئة وست * ثم قام اخر وقال الا ان دركات سقر ستمائة وست وستون * فقام غيره وقال الا انها ستمائة وخمسون * فقال اخر لقد كذبتما والحدتما وضللتما واستوجبتما غلّ اليدين والرجلين * ونتف الشعرين * انما هي ستمائة وسبع وستون * ثم قام اخر وقال الا ان قرن الشيطان ثلثمائة وخمسة وخمسون ذراعا * فقال آخر هذا افك واضح * وبهتان فاضح * بل هو ثلثمائة وستة وخمسون * فقال اخر وكسور * ثم قال اخر الا انه من حديد لكونه ثقيلا على الناس يعنّيهم * فاجابه غيره الا انه من ذهب لكونه يضلّهم ويغويهم فقال اخر بل هو من اليقطين لانه ينمى ثم يذوى * ويكبر ثم يصغر * ويطول ثم يقصر * ثم قام آخر على راس سلّم عال وقال بصوت جهير الا ان بكم ايها الناس لجُلَيدة ينبغي قطعها بحجر محدّد لا كبير ولا صغير * فقال آخر بل بسكّين ماض لا طويل ولا قصير * فقال آخر لقد سفهتما انما هي عزيزة علينا * كريمة لدينا * لايصح قطعها بحجر ولا سكّين * ولا خدشها بشيء ولو من رقين * فانما هي متصلة بالوريد ومنعقدة بالوتين * ومن قطعها فقد كفر * واستوجب نار سقر * فقال آخر بل قطعها واجب فانها من الزوائد * فاعترضه القائل بعدم القطع انّا لا نرى شيا غيرها يقطع فما وجه تخصيصها بالقطع * قال بل الشوارب تُحفَى والاطفار تقلّم * قال ولكنها بعد ذلك

تنبت وتلك لا * قال انما دليلي القطعي على وجوب القطع عدم نفعها لصاحبها * قال لم يخلق الله شيا عبثا من غير نفع * قال بل خلقك اياك لغير فائدة * قال لا بل انت مخلوق عبثا * ثم حشد كلّ من الفريقين بخيله ورَجْله * وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومُحله * فمن بين قارع بحدّ الحسام * ورام بالسهام * وباطش بيده وقاذع بلسانه وهاجٍ بقلمه * فالروس متناثرة * والدمآ جارية والاعصآ متطايرة * والعرض مهتور والحرمات مهتكة * والمال مسلوب والديار مخرّبة * والحزازات في الصدور كامنة * والمشاحنة ظاهرة وباطنة * والخيل مُسرَجة * والكماة مدجّجة * والطرق معطلة * والارض ممحلة * والفرص للانتقام مرقوبة * والدعوات في الليالي مشبوبة * ياايها الناس اعتبروا بمن فات * كيف صار الى الرفات * وان منهم من كان يذكر اسمه في حياته بالبركات * فاصبح يذكر باللعنات * ومنهم من كان يحسب في قومه سراجا وهّاجا * فصار يحسب دخانا وعجاجا * ومنهم من كان ياكل حتى ينتفخ بطنه وتجحظ عيناه * ويتلجلج لسانه وترتخي شفتاه * فصار الان الدود ياكله * وبعض الحشرات يستوبله * ياايها الناس * وجمهوركم في سبات والباقي في نعاس * فرارِ من غرور النفس * وحذارِ من قرور الرمس * وبدارِ الى تقديم عمل صالح يقربكم الى الله * ويلأم بعضكم ببعض وانتم في الحياة * اتموتون وفي قلوبكم الحقد على خصمكم * وفي افواهكم اللعن على مخالفكم في زعمكم * الم يقل لكم الحق كونوا ياعباد على الارض اخوانا فانكم من اب واحد وامّ واحدة وانكم جميعا لميّتون * سوآ كنتم ذوي وجوه سمر او حمر او صفر او سود او بيض انكم كلكم بشر انكم كلكم فانون * انكم ناظرون ولامسون وسامعون وشامون وطاعمون * ثم قال

الجُليدىّ منكم يشنأ اللابليدى * والحديدى منكم يمقت اليقطينى افلا تتوادعون * الم اظهر لكم فى طلوع الشمس وغروبها * وفى بزوغ الكواكب ومغيبها * وفى سكون الريح وهبوبها * وفى خمود النار وشبوبها * وفى زخر المياه ونضوبها * وفى صروف الدهر وخطوبه * وهمومه وكروبه * وفى سواد الشعر ومشيبه * وفى هرم الجسم وشحوبه * وفى الازمان اذا توالت * والاحوال اذا حالت * والدول اذا دالت * وفى الغياض اذا ابهجت * والرياض اذا دبجت * والاشجار اذا اورقت وجردت * والاطيار اذا زقزقت وغردت * وفى اللسان اذا نطق * والقلم اذا مشق * ليس لعمرى بين الوحوش الضارية والطيور الكاسرة ما بينكم من العداوة والبغضآ * والضغن والشحنآ * اذكروا يوم ان صعد خطيبكم المنبر * وعبس وبسر * وتوعد وتنكر * وخطا وكفر * وحض على القتال وذمر * ثم دعا فاستغفر * واستخار الله واستبشر * فاغرتم على جيرانكم * وانتهكتم حرمات اخوانكم * وفرقتم بين الام ورضيعها * والمراة وضجيعها * وبين الاب وولده * وسَبَدَه ولبده * اذكروا يوم ان حشد رئيسكم اليه اعوانه * وهاج اهله واخدانه * على ان يخون سلطانه * واى خيانه * وما ذلك الا لمخالفته له فى الحرر والتقدير * والتاويل والتعبير * والتخريج والتفسير * اذكروا يوم ان اعلمتم انفسكم بعلائم الجهاد * وقلتم هذه حرب الله هذا قتال لرضى رب العباد * هذا يوم كسب الثواب * والنجاة من العذاب * فانبضوا الى العدو من البر والبحر * واغتنموا عند الله اجر هذا البرّ * اذكروا يوم ان تنازعتم على لون طعام تاكلونه * وشكل شراب تشربونه * ورحضة جسم تغسلونه * ونوع فراش تتوسدونه * ورقعة ثوب تلبسونه * ووجه كلام تعقلونه * ووعاء تستعملونه * الاختلاف

فى هذه الدنيا فُطرتم * ام بالخصام والمعاداة أُمرتم * ما بال علمآ الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون فى ادلّتهم * وان اختلفوا لم يشبّوا النار لتحقيق نحلتهم * وانتم تشبونها عند كل فرصة تسنح لكم * ووهم يسبق اليه فكركم * وكان الاولى ان تتواطاوا على راى واحد كما تواطأ اولئك* وان تُسنّوا لعباد الله مصالحهم لا ان تدخلوهم فى هذه الملاحك * وتربكوهم فى هذه المرابك * وان تهدوهم الى اقوم المسالك * لا ان تلبسوا عليهم فى هذه الحوالك * دعوهم يشتغلوا باسباب معيشتهم* ولا تكلفوهم ادراك ما فوق طاقتكم وطاقتهم* واعملوا انتم ايضا بايديكم ساعتين اذا عملتم بالسنتكم النضناضة ساعة * واجمعوا امركم عند تفرق اهوائكم على الالفة والطاعة * انسيتم ما جآ فى الزبور الذى به تلهجون * وتهذون وتذبرون * وهو قوله ما احسن الاخوة ان تسكن جميعا فى بيت واحد كالدهن النازل على اللحية لحية هرون * لا ولا تحرّموا ما حلل الله لكم من الطيبات * ولا تتلاوصوا الى معرفة ما لغيركم من الهفوات * ولا تبيعوا املاك السماوات * وانتم على الارض من ذوى البطالة والترّهات * ليس على السوفى ان يتزوج خرجية من حرج * ولا على الخرجىّ ان يتروج سوقية من مَرَج * فان اختلاف الحزر فيما لا يعلم * لا يكون مانعا للفوز بهذا المغنم * الذى يدريه من تعلم ومن لم يتعلم * او لم تعلموا ان الارحام من الرحمة اشتقّت * والى المصاهرة سُقت * وعلى الانساب انطبقت * والى التآخى والتآلف خلقت * وبالتوادّ اختصت * ولانتهاز فرص الحظ فُرصت * فما لكم عنها تتباعدون * وتتقاعسون وتتفاعدون * ولِمَ انتم هولآ فى بحر الشك والظن تسبحون * وتستبضعون تجارة الخرص وتربحون * لا سمع الله دعآ احد منكم

فى الشرق الا اذا كان يستصوبه اهل الغروب * ولا يفيزكم بالآخرة الا
اذا تألفتم فى الدنيا على هذا الضرب * فليصافح اذاً اخضر الراس
منكم اسوده * ومدوّره ذو القُبّعة مخروطه ذا اللبدة * وليُصْفِ كلّ منكم
لاخيه نيّته وودّه * ويحفظ له عهده * واذ قد اتفقتم على المخلوق فلا
تختلفوا على الخالق * فهو رب المغارب والمشارق * وانه ليريد ان
المشرقى منكم اذا سافر الى المغرب يرى اهله فيه له اهلا * وشمله شملا *

فاقبلوا النصيحة * واسمعوا ما يمرّ بكم بعدها من العبارات
الفصيحة * والمعانى المليحة * فى هذا
الفصل الذى
سميته ☚





الفصل الثاني

في العشق والزواج

قد ذكرت في آخر الكتاب الثاني ان الفارياق ابتلاه الله بامراض كثيرة وكرب وفيرة ثم انجاه منها جميعا * وانه بعد ان راى نفسه معافًى منها اطمانّ خاطره واخلد الى الغنآ * والآن ينبغي ان اذكر ختام هذه النوبة * وعاقبة هذه الحوبة * وتفصيل ذلك ان الدار التي كان فيها الخريجيّون كانت محاذية لدار بعض التجار * وكان له بنت تحبّ السماع واللهو والطرب وترتاح الى الغنآ جدا * فكانت اذا سمعت الفارياق يغني او يعزف في غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى ان يفرغ فتنزل الى حجرتها * فلما علم الفارياق ان صعودها كان لاجله اذ لم يكن احد غيره يظن به التعرّض لها صبت اليها نفسه ونزغه فيها نازغ من الهوى * غير انه كان من طبعه النفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين اشقى الناس * لان الحالة الزوجية لا يبدو منها في الغالب سوى صعوباتها ومشاقها * وكان اذا قيل له فلان تزوج تاخذه به رافة ويرثى له كما يرثى لمن دار به تيّار شديد او رزئ برزيئة كبرى * فتنازع فيه ج عاملا الهوى والحذر * فرجحت كفّة الاول الثاني فراى ان مجرد النظر اولى من التعرض باشارة تدل على انه ذو صبوة وهيام * ومكثا على ذلك مدة وهو احذر من التورّط *

حتى اذا كان يوم وراتها تمسح محاجرها بمنديل امّا من حرّ الشمس او من
غيره اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه * فانفتقت بنائق
الصبر من صدره * وهاج به الوجد لازالة حذره * وقال فى نفسه ايقابل
احد غيرى دموع باكية بالاعراض * وهل وراء الدموع غير الهوى * كيف
لا تذيبنى وما قلبى بجلمد * ولا انا بمخلّد * وقد علمت ان اعظم لذات
الحيوة ما اذا وجد الانسان له خدينا نويّا * وقرينا صفيّا * وانا غريب
محتاج الى مؤنس فى وحشتى * ورفيق فى وحدتى * ومَن مُؤنس مثل
الزوجة * وايّ خير فى العزوبة لمن رزقه الله قوته وحُوجه * وبمثل هذه
الخواطر السريعة وطّن نفسه على تحمّل اعباء الهوى من اى جهة كانت *
فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما * فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى
الخد اخرى * واصبع تقرن باخرى * وذراعين تشبحان مع تنفس وزفير *
وشفتين تضمّان * وراس يهزّ وغير ذلك مما يتعلل به المبتدئون فى الحب *
فاما المتناهون فلا يرضيهم الّا الهصر بالفودين كما نص عليه الاستاذ امرء
القيس * ودامت دولة الاشارة بينهما اياما مديدة من دون كلام * فلما
عجزت الايدى وسائر الجوارح عن ترجمة ما فى القلب وخصوصا لبُعد
ما بينهما احالا على ان يجتمعا فى مكان بحيث يرى المحب حبيبه *
فلما بصر بها عن قرب وحدها والفضل لمخترع الزى المصرى عَنْدلة
جرّلة * اذ لو كانت مسربلة بالزى الافرنجى لما عرف هل كان ما فى
صدرها عِهْنا او برْسا او قطنا * او خُرفعا او عُطْبا * او بَبْلما * او قِشْبرا
او حِربرا او نُوْدلا (١) * او كان ما وراءها عُظامة او لحما وشحما * قال
وهاتان الصفتان اعنى العَندلة والجرلة احسن ما يراد من المراة * فان
الاولى تستشفع فى الكون الامامى والثانية فى الكون الخلفى * قات وقد

(١) العهن الصوف او المصبوغ الوانا والبرس القطن او شبيه به او قطن البردى والخرفع القطن المندوف والعطب الصوف والمنفوش والببلم قطن البردى وقطن القصب والقشبر الردى والصوف وشبابته والنودل المذى

جآء عن سيدنا سليمن عمّ مدح العندلية بقوله فى الفصل الخامس من سفر الامثال فليروينّك ثدياها فى كل حين * ولقائل ان يقول ان العهن واخواته مع وجود اليد والجبت (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق الصفتين المذكورتين * والجواب ان ذلك محظور غالبا فى البلاد المشرقية ولا سيما من اول مرة * فاما عند غيرهم فلا محظور منه ولذلك شاع استعمال العظّامات عندهم بلا نكير * ثم حيث تقدم لنا فى الكتاب الاول وصف الحمار على اسلوب افرنجى فلا باس هنا ايضا فى وصف الرجل قُبيل الزواج على النسق المذكور فنقول * انه مدة تعلله بغبطة الزواج وتلحّره من لذاته * لا يخطر بباله شى من مستانف آفاته * وانما يخطر فى حدسه * ويقول فى نفسه * ان حالتى لا تكون كحالة معارفى وجيرانى * الذين تزوجوا واخطاتهم الامانى * اذ هم لم يودوا الزواج حقه * ولم ياخذوا فى اسبابه بالثقه * لان منهم من باعل * وهو غير كفو لهذا العمل * اما لصغر واحته * او لعدم سماحته * او لمباينة سنّه عن سنّ زوجته * او لضعف فى آلته * او لانه كان من الزمالقية على شفا * او كان مُصَلِّفا او مُنَفْشِفا (٢) * او لان اميره كان يغيّبه عن وطنه * او لان جاره كان يخالفه الى عطنه * او لان امّه كانت رقيبا على امراته * او لان امامه كان ضيزنا له على مائدته * فلذلك نار بينهما النقار * وطال النفار * فقُدّ القميصان من قُبُل ومن دُبُر * ونُتف الشعران والصخب كثر * وخدش الجلدان خدشا بالظُفر * وانتثر الريحان من فوق السرر * اما انا فانى بحمد الله خال عن هذه الخلال * فلا تحول لى مع زوجتى حال * ولا تزاحمنى فيها الرجال * ولا يعتريها منى ملال * فرضاى رضاها * ومناى مناها * وما انا بادرم ولا انخر * ولا احدب ولا اخنب * وان لى يدين اعمل بهما

(١) الجَبْت جسّ الكبش ليعرف سمنه من هزاله *

(٢) المصلف من لا تحظى عنده امراة وهو ايضا الذى ثقلت روحه وقلّ خيره والمنفشف من به رعدة واختلاط غَيرة واشفاقا على حرمه *

برجلين اسعى عليهما * وان يكن بى من عيب فى خَلقى * يستره عنى
حسن خُلقى * فانى لا اعارضها فى طعامها * ولا فى لباسها ومنامها * بحيث
تنام الى جنبى * وتتخذ من الملبوس ما يليق بها وبى * فما يمنعنى
من اتحاد قرينة * تكون على هذه الصفة الميمونة * حتى اذا سمع الناس
بان زوجى عُروب * وعرضها عندى مصون ووجهها عن المراود محجوب *
حسدونى على هذه النعمة السابغة * فكان لى كل غصة من العيش سائغة *
ولا يخفى كم فى كيد الحسود من لذة * لا تتقاعس عنها الالذّه * ما
عدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس * الذى قربه للقلب ترويح
وللكرب تنفيس * وان امرءا يقاسى النهار جهده * ثم يبيت فى الليل
وحده * من دون ضجيع له تنفخ فى انفه * وتسخن دمه من امامه
ومن خلفه * لجدير بان يحصى مع الاموات * ويلقى بين الرفات *
هذا وانى استغنى برضبها عن الشراب * وبشم شعرها عن المسك والملاب *
وانهم قالوا ان الرائحة الانثوية تستنشق من منابت الشعر وبها نشوة
الحواس * سوآ كان فى المعابن او فى الراس * واجتزئ بحر جسدها عن
الوقود للاصطلآ * وبالربوّ اليها عن الاثمد والجلآ * فيتوفر علىّ كل يوم
فى الاقل درهم * انفق نصفه على الحمّام كل غداة فيبقى لى النصف
الآخر وذلك حر عمّ * وعين اسمّ * فاما ما يقال فى كيد النسا * واغانهن
الرجال بما يعزّ على الاسا * فليس ذلك على عمومه * ولا يتقرر حكم الا
واستثنى امور من تعميمه * فاعلى اول من اخرجه هذا الاستثنآ * ومن
للاعراب على الزواج الثنآ * كيف لا وانا ذو فصاحة ولسان * ودهآ
وجنان * فما يعيبنى شى من نكرها * ولا تخفى عنى خافية من امرها *
واذا رضها واخّها * وازيدها ان لى عليها فقه تصطرها الى طاعتى ونصحها *

فان قلت لها اليوم يصوم فيه المباعلون * ويتبتل المفاعلون * قالت انا اول من صام * وآخر من نام * وان قلت لا يجمل بالمحصنة ان تتبرّج * قالت ولا ان تتغنّج * وان قلت ان حق الزوجة على زوجها في كل اسبوع مرة * قالت وتبقى ايضا عفيفة حرة * وان قلت ليس الحليّ بلازم للعرس * قالت ولا الديباج شرّ لُبس * وفي الجملة فان عيشي معها يكون رغيدا * وحالي سعيدا * وحظي مديدا * وطعامي مريئا * وشرابي هنيئا * وثوبي وضيئا *وفرشي وطيئا * وبيتي مانوسا * ومتاعي محروسا * وطرفي قريرا * وشاني مذكورا * وسعيي ميمونا * وقصدي مامونا * فحيّ هَلَ الزواج * بلعوب مغناج * طلعتها علاج * من الالفاج * وضجعتها انهاج * الى الافلاج * انتهى * وانا اقول ان مما غُرس في هذه الطينة البشرية اللَثِية ان الرجل متى وطّن نفسه على الزواج حبّب الله اليه زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن الناس خُلقا وخَلقا * لا بل يرى نفسه انه قد ترفع عن اقرانه * وتميّز على اخوانه * حتى يستخسّ ما كان من قبل يستعظمه * وانه قد صار انسانا جديدا يجدر بان يجدد له وجه الارض * وبناءً على ذلك لم يعد الفارياق يرضى بالاغاني والاشعار المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى جديدة من نظمه * ونظم خلال ذلك قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب غريب فجاءتا طيخيّتين كما سترى ذلك * ولو استطاع ان يخترع كلاما جديدا يعبّر به عن غرامه وحدبث شانه لفعل * وكان اذا راى رجلا متزوجا يهيب به وينشده

انا في حلبة الزواج المجلّي   انما انت فسكل فاشور
ان قدحي بفوز عما قريب   انما قدحك السفيح ببور

او عزبا قال له

يا ايها الاعراب اني رافض دين العزوبة فاقتدوا بمثاليا
لبس الغِنَى الا البعال فبادروا يا قوم واستغنوا بمثل بعاليا

ونهوّس يوما لان ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تهافتا على احداث شي غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك * وهي

ساعة البعد عنك شهر وعام الوصل يمضي كانما هو ساعه
اتنجم الليل الطويل صبابة وتنجمي لنجوم ذي تفليك
ويخفق مني القلب ان هبت الصبا ويذكرني البدر المنير محياك
الا ليت شعري كم يقاسي من النوى وانحائه قلب يذوب تجلدا

ومن الفضول هنا ان نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عيني قرة * واني اراك احسن الخلق * وانّا ليغبطنا الناس * وانك تغنينني عن الغنى * واني بقربك سعيد * وببعدك عميد * وانّا نكون ابدا كما نحن الان * وانك ذات ملاحة تشغل الخليّ * واني اغار عليك من النسيم بفيئيّ شعرك هذا الدجيّ * وانّا لجسمان في روح واحد او روحان في جسم واحد * وانك لتربين مني كل يوم محبّا جديدا * واني لارى فيك كل وقت حسنا جديدا * وانّا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين * الى غير ذلك من الكلام المتعارف عند امثاله * قال خير ايام الانسان في حياته هي المدة التي تتقدم الزواج والتي تليه * قلت ومبلغها عند الافرنج شهر يسمونه قمر العُسَل وهو بعد الزواج * ومبلغها عندنا معاشر العرب شهران يقال لهما قمرا العُسْل * حتى اذا امتلات الخليّة عادت

كل نحلة زنبورا ورجع كل شي الى اصله * واقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش * فلا بدّ لهذا المخلوق الآدمي من ان يحب ذاتا من الذوات او شيا من الاشيآ او معنى من المعاني * وكلما زاد حبه في قسيم منها نقص في قسيمه الآخر * وقد يكون احدها سببا في زيادة حبّه للآخر * مثال ذلك مَن كلف بالشعر او الغنآ او التصوير فكلفه هذا يكون باعثا له على حبّ الذات الجميلة * ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته في النسآ بل ربما لهى عنهن بالكلية * ومن كلف بالخيل المطهّمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات أَو لا * وعدّ بعضهم من هذا النوع السراباتية وهم المنظّفون للمراحيض * واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كَلَف من هوى النفس * فهذه ثلث حالات متسببة عن ثلثة اسباب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى باعتبار القلّة والكثرة وما بينهما * الاولى متعادلة وهي ان يحبّ المحبّ محبوبه كنفسه * فلا تطيب نفسه بشي ولا تهنئه لذة الا اذا كان محبوبه مشاركا له في تلك اللذة * وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبُعَيده * ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة * الثانية المتعدية اى المجاوزة للمتعادلة * وذلك كأن يحب المحب حبيبه اكثر من نفسه * وذلك صفة الاب والام في حبّ ولدهما وصفة بعض العشاق * اما الاب فانه يفدي ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسرات حتى يمتعه بها * فاذا راى نفسه عاجزا عن الاكل والبعال وراى ابنه ياكل ويباعل لذّ له ذلك * وهو مع هذا غير خال ايضا عن الرشد والتمييز * فاما العاشق فانه قد يوثر معشوقه على نفسه غير ان

الهالة تكون مختلة في غير محلها ووقتها * والثالثة معلومة وهي ان يحب الانسان محبوبه مع ايثار نفسه عليه وهو الاغلب * وهنالك ايضا تلك احوال اخرى مكانية وهي القرب والبعد والتوسط * ولها تاثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس * فالصادق الود يحب في حالتي القرب والبعد على حدّ سوى * بل ربما كان البعاد مهيجا له الى زيادة الشوق والغرام * وما احسن قول من قال في هذا المعنى

كانّ الهوى شمس ابى ان بردّها   مهاه نوًى لا بل تزيد بها حرّا

فاما الطَرِف الشَبِق فانه لا يرسل الساق الّا ممسكا ساقا * وثلث اخرى زمانية وهي الصبى والشباب والكهولة * فمحبة الصبى اسرع واعلق * ومحبة الشباب احرّ واقوى * ومحبة الكهولة اقرّ وادوم * والكهل يقدر محاسن محبوبه ومنافعه اكثر * ومحبته له تكون امرّ واحلى * فالمرارة لعلمه انه قد عرّض نفسه للوم اللائمين وعذل العاذلين من الاحداث والاغرار * ولاشفاقه دائما من ملل محبوبه اياه * فقلبه ابدا واجب * وهمّه بشانه ناصب * والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم * ولكون هواه والحالة هذه راهنا متمكنا فهو يعتقد بمجامع قلبه انه ساع في اسباب سعادته وحظه * ولها ايضا ثلث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعني اليسر والعسر وحالة ما بينهما * اما الموسر فان محبته ابرد واحول * لان غناه يحمله على استبدال محبوبه والتنقل من حال الى حال * فلتحذر النسآ المحصنات هذا الصنف من الناس وان ماس بهن ماسه * الا اذا كن لا يخفن على سرّهن وعرضهن * لان الغنيّ يستحلّ افشآ الاسرار * كما يستحل خزن الدينار * وعنده ان كل شي شبه درهمه * وطوع نَهمه * فاما الفقير فان محبته اسطّ واشد

والوَرع * لان فقره من حيث كان مانعًا له من ازالة الموانع التي تحول بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضي به الى اليأس او الخبال او الى الانتحار * فاما المتوسط فان حبّه اعدل واصحّ * ولها ايضا ثلث حالات اخرى وهي الذل والعزّ والمساواة * فالذل غالبا صفة العاشق والعزّ صفة المعشوق * ومن اعجب انواع المحبة الحبّ المختلط بالبغض * وذلك كان يهوى رجل امراة وهي تهوى غيره وتتمنع عليه * فيهيج به وجده الى وصالها تشفيا منها * فان فاز به غلبت محبته على كراهيته والّا فلا * ولا يزال هذا دابه حتى يسلو عنها * والغالب ان المحب لا يسلو محبوبه اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر باخر شبيه له في خلقه وخلقه وهيهات ذلك * فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من قلب الناظر موقعا مكينا * فتخلج فيه من محركات الوجد والشوق ما تخالجه عشرة مدة مديدة * وعندي انه لا بدّ وان يكون المحبّ قد تصوّر في عقله سابقا صفات وكيفيات من الحسن فصبا اليها * حتى اذا شاهدها حقيقة في ذات من الذوات كما كان تصورها عُلِق بها قلبه وخاطره فكان كمن وجد ضالّة ينشدها * وقد تكون المحبة عن طول سماع عن شخص فيسترسل السامع اليه شيا فشيا حتى يكلف به * واكثر اسباب المحبة النظر والعشرة * واعلم ان كثيرا من الناس قد عشقوا الصور الجميلة في الذكور والاناث لغير دعارة وفسق * وانما هو ارتياح نفس ووجد بال، ويؤيّده ما ورد في الاثر* من عشق فكتم فعفّ فمات مات شهيدا ، والعاشق في هذه الحالة يرضى من معشوقه بادنى شي * فالقبلة عنده نصر وفتح وغنيمة * قال الشريف الرضي

سلوا مضجعي عني وعنها فاننا   رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

[illegible] تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وفتى * وقال ابن الفارض [illegible]

كم بات طوع يدى والوصل يجمعنا   فى بردتيه التقى لا نعرف الدنسا

وهذا العشق يسمى عند الافرنج العشق الافلاطونى نسبة الى افلاطون الحكيم * ولا حقيقة له عندهم وانما هو مجرد تسمية * ويعرف عندنا بالهوى العُذّرى * نسبة الى عُذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية اى بكارتها وافتضاضها وشى آخر منها * ويروى عن مجنون ليلى انها اتته يوما وجعلت تحدثه فقال لها اليك عنى فانى مشغول بهواك * وللمتنبى فى هذا المعنى

فشُغلتُ عن ردّ السلا   م فكان شغلى عنك بك

واحق النساآ بان تُعشق وتعزّز التى جمعت الى حسن خلقها الادب وحسن المنطق والصوت * واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جآ فى بعض المواليات المصرية * فانه والحالة هذه يقدم على اصعب الاعمال واعظم المساعى * ويباشرها من دون ان يشعر بها * لأن فكره ابدا مشغول بمحاسن حبيبه * فلو رفع صخرة فى هذه الحالة على عانقه بل فِنْدًا لتوهم انه رافع نعال محبوبه او بالحرى رجليه * ثم انه معما يلحق المحبة من طوارى التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فان عيش الخلى لا خير فيه * لان الحب يبعث على المروّة والنخوة والشهامة والكرم * ويلهم المحب المعانى اللطيفة والخواطر الدقيقة * ويكسبه الاخلاق المرضية * ويستوجبه الى عمل شى عظيم يذكر به اسمه ويحمد شانه

ولا سيما عند محبوبته * وقلما رايت عاشقا به جفآ وفظاظة او رث. وبلادة او دناءة وخساسة * قال بعض العزهين واظنه من التيتائيين * لو لم يمنع من عشق المراة شي بعد التعفف والتورّع سوى الاضطرار الى حبّها لكفى * لان الانسان متى علم انه مسخّر لحب شي ومكلّف به ملّه بالطبع ونفر منه * قال فيكون حب المراة على هذا مغايرا للطبع * هذا اذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالى الهمة * فاما الاوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر انفسهم فهم يتساقطون على حب المراة حيثما عنّت لهم وكيفما اتفق * قلت هو كلام من لم يذق الحب او من كان مفرّكا * ولو سمع انثى تقول له يوما احمل ياروحى هذا الحمل من الحطب على راسك * او احبُ ياعيني على استك كالولد الصغير للبآها حاملا وزَحْنَقَفَا (١) * ثم ان للعشاق مذاهب مختلفة فى العشق * فمنهم من يهوى ذات التصنّع والتمويه والعجب * ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يوثر الحسن الطبيعى * وان يكون فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة * والى هذا اشار المتنبى بقوله

حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفى البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الاول مثل مَن يُقدّم له لون من الطعام وبه فمه فيحتاج الى التفحية والتقتيت * ومثل الثانى مثل مَن به سبُغُنيّة وسُرطمبّة (٢) فلا بمنعه عدم التفحية والتوابل من ان يلسو ويلوس ويلتى ثم يلحس قعر الجفنة بعد فراغه منها * فاما رغبة بعض الناس فى الغفول والبلاهة فانها مبنية على ان المحبّ لا يزال يقترح من محبوبته اشيآ كثيرة تبعث اليها الحاجة * فمتى كانت ذات دهآ وذكآء خشى ان تملّه وتحرمه * ومنهم من يزيد فى المراة غراما اذا كانت ذات عزّة وشرّة ومعاسرة * فيكون

(١) الزحنقف الزاحف على استه *

(٢) سبُغُند طائر مصرلا يقع على شجرة لا اكل جميع ورقها والسرطم الواسع الحلق السريع البلع *

استرضاوها ادعى الى النشاط والسعي * وهذا يفعله فى الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة * ومنهم من يعشق المراة لانتسابها بسمة شرف وسيادة او وجاهة * وذلك داب ذوى الطموح والاستطاعة * ومن هذا الصنف من اذا راى امراة وضيعة الشان تشبه امراة شريفة عشقها لاجل حصول المشابهة فقط * ويقال لاهل هذا المذهب المشبّهيّة * وهو فى النسآ اكثر فان المراة لا تكاد ترى رجلا الا وتقول لعله يشبه بعض الامرآ الغابرين او المعاصرين او الآتين * ومنهم من يعشق من بها ذلّة وانكسار وملاينة * وذلك شان ذوى الرفق والرقة * ومنهم من يعشق من على طلعتها اثار الحزن والكآبة والفكرة * وهو مذهب ذوى الحنين والطرب * ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس * وهو خلق المحزونين المبتئسين * فان النظر الى مثل هذه ينفى الهم * ويجلو الكرب والغم * ومنهم من يعشق من بها مرح ونزق وطيش وثرثرة وقهقهة * وهو داب السفهآ والجهلا * ومنهم من يعشق المراة لادبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها * وهو مذهب العلمآ والادبا * ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلىّ والتانق فى الملبوس كثيرة الغنج والتمويه * وهو طريقة ذوى السرف والشطط * ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة * وهو شان الفساق الفجار * ومنهم من يعشق الخبتعور الشهوانية المتلعجة الطفسة * وهو خلق من بلغ منه العُهر كل مبلغ * ومنهم من يعشق اللّاعة الخريدة العفيفة ابتغآ ان يفسدها ثم يتباهى بذلك بين اقرانه * فاذا رضيت له ملّها او ارادها ان تكون على غير تلك الحال * وهو عندى شرّ من عاشق المتوهجة * ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها فى محبوبته بحسب اختلاف الاحوال * هذا فى الخُلق فاما فى

الخَلق فالنحيف يهوى السمينة وبالعكس * والاسمر يحب البيضآ وبالعكس * والطويل يحب القصيرة وبالعكس * والاملط يحب الكثيرة الشعر وبالعكس * اما النسآ فاحبّ الرجال اليهن الفارس الابع * الشجاع الاروع * فاما الغنى والفقر فلا ضابط لهما فان الغنى يتهافت على حب الفقيرة كما يتهافت على حبّ الغنية * بل البخيل من الاغنيآ يوثر حب الفقيرة طمعا في ان يرضيها بالقليل من المال * والغالب ايضا ايثار حبّ الجيل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التي تتصور المخيلة وجودها فيه دون غيره * الا اذا منع مانع جهل بلغته فيحصل للمخيلة انقباض في تماديها * وكما ان لطف النسآ وفلفطتهن تُعجب الرجال ولا سيما في الفراش كذلك كان يعجب النسآ من الرجال نرارتهم وشَيْطميَّتهم * فلا تكاد امراة ترى رجلا على هذه الصفة الا وتقول في قلبها عند هذا كفايتي وغَنَآى * وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطَول من الطُول * غير ان النسآ على الاعم يجنين اللذات من كل مجنى ويكرعن من مواردها ما ساغ وما اغص * فمَثلهن كمثل النحلة تجنى من الزهر وان يكن على الدمن * فامّا الغيرة فهي خلق طبيعي في كل بشر اذا كان سليم الذوق * فان الانسان يغار على متاعه من ان ينتهكه غيره فكيف على حرمته * وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نسائهم فليس على اطلاقه * فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معا اذا علم منها خيانة * نعم انهم يتساهلون معهن في امور كثيرة ربما تعدّ عند المشرقيين قيادة * الا انها في نفس الامر وقاية من الخيانة * اذ قد تقرر عندهم ان الرجل اذا حظر امراته عن الخروج وعن معاشرة الغير اغراها بالضِّد * بخلاف ما اذا ارضاها بهذه اللذات الخارجية * ثم انه لما

علم اجتماع المستعسلين اى الفارياق والبنت حلافا للعادة المالوفة ذاقت امها من ذلك مرارة الصاب * فاستشارت بعض اصدقائها فى امرها فقالوا لها لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من الخرجيّين * وانت من اعرّ ببت من السوقيين وهما لا يجتمعان * فقالت لهم ليس هو من جرثومة الخرجيين بل هو دخيل فيهم * قالوا لا فرق فى ذلك فان رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأت خياشيمنا وحذّروها منه غاية التحذير * مع انى قد حذّرتهم وامثالهم فى الفصل الذى مرّ من هذا الفصول * فلما علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق من مصالح النسآء * وانما هى مصالح من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه * والمقصود من الزواج انما هو التراضى والوفاق بين الرجل والمراة * وان ابيتم ذلك فها انا انذركم انى لست من السوقيّين فى شى * فرات امها ان تغيب بها ايّاما عن ذلك المحل رجآ ان يبعثها البعد على السلوان * فهاجت ج جميع عواصف الهوى فى كلّ من العاسل والمعسول * واليه اشار ابو نواس بقوله * دع عنك لومى فان اللوم اغرآء * فلما رات الامّ ان لا اشارة * تمنع البنت من الاشتيارة * ولا جُزْر * يكفّها عن الجزر * (ا) رجعت الى منزلها واستدعت بالفارياق وقالت له * قد علمت ان السوقيين لا يبغون مصاهرتك * فان كان عزمك على ان تتزوج ابنتى ينبغى لك ان تتسوّق ولو يوما واحدا * قال لا باس * فعلى هذا تسوّق يوم عقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت * ثم احضرت آلات الطرب ليلاً وادبرت الكؤس وزها مجلس الانس والسرور * والفارياق مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومُعيد على العازفين الاطرآ وقول آه وايه واوه * حتى اذا كلّت يده ولسانه وراى ان عزم الشَرْب ان يسهروا

(ا) الجزر شور العسل من خليته

الليلة كلها الى الصباح انسلّ من بينهم وصعد الى السطح لكي يستريح * وكانت الليلة مقمرة من ليالى الصيف * فلما ابطا عليهم ظنوا انه تفلت من الأُرْبة فاخذوا فى التفتيش عليه كما يفتش على امراة فالك او فارك * فلما وجدوه وعلموا ان نيّته مخالفة لنيتهم اخلوا له ولعروسه حجرة وهمّوا بالانصراف * فقالت الامّ لا او تنظروا باعينكم البصيرة * (١) وسبب ذلك ان عادة اهل مصر فى الغالب هى ان يتزوج الرجل المراة من دون ان يعاشرها ويعرف اخلاقها * وانما ينظر اليها نظرة واحدة بان تناوله مثلا فنجان قهوة او كاس شراب بحضرة امها * فان اعجبته خطبها من اهلها والّا كف رحله عن زيارتهم * ومنهم من يتزوج ولم يكن راى امراته قط * وذلك بان يبعث اليها امّه او عجوزا من اقاربه ومعارفه او قسيسا فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم * والغالب ان امّ البنت ترشى القسيس ليجيد صفة بنتها فيرغّب الرجل فى التزوج بها * ومنهم من يتزوج امراة قاطنة فى بلاد بعيدة فيبعث الى احد معارفه فى تلك الجهة لبصفها له فى كتاب ثم يستخير الله ويرتبق * ومع ذلك فان عيش هولآء المتزوجين على هذا النمط يكون هنيّا * فاما فى بلاد الشام فعادة اهل المدن كعادة اهل مصر وعادة اهل الجبل مغايرة * فان الرجل هناك يتمكن من رؤية المراة ومعرفة اخلاقها * هذا ولما كان الفارياق قد تعدّى حدود العادة بمصر فى كونه اجتمع بالبنت مرارا عديدة فى حضور امها وفى غيابها * ارادت امها ان تنفى عنها العار باظهار علامة البكارة * حتى يشيع خبر برآءة البنت فى جميع البلاد * فان اكثر الناس لا شغل لهم الّا الكلام * فاجتمعت تلك الزمرة ورآء الباب بعد ان جمعوا بين العروسين * وطفق الواحد منهم

(١) شى من اللحم يستدل به على الرمية ودم البكر *

ينادي ويقول افتح الباب ياابا مِزلاج * فظن الفارياق انه يريد الدخول عليهما ليعلمه كيف يكون العمل * ففتح له فقال لا ما هذا الباب عنيت وانما اردت باب الفَرَج * فرجع الى عروسه واذا باخر يقول لِجِ القبّة ياولّاج * وآخر ثجّر الطعنة يابجّاج * وغيره ارو الصدى ياثجّاج * وآخر ازل الزغب ياحلاج * وغيره افرغ السَجْل ياخلاج — اسرع الوطء يازلاج — املأ الوطب يازمّاج — ملّل الملمول يامعّاج — اغطس في اللجة ياغاطس — افقس البيضة يافاقس — اُجلِ المسواك ياوامس — تسوّر السور يامعافس — روّض المهرة يافارس * وما زالوا به حتى شام ابا عُمَيْر وناول امها البصيرة * فتهللت منهم الوجوه فرحا وحبورا * وصفقت الايدى استبشارا وسرورا * ونطقت الالسن بالتبرئة * وختموها بالتهنئة * ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غانمين * وكادت الام تطول عن الارض شبرا لهذا الفتح المبين *

القصيدتان الطيخيتان

ما كنت اول عاشق بين الورى — تبع العشيقة من امام ومن ورا
ورأى البكا له معينا شافيا — يوما ويوما اضحك المستعبرا
وبكون مصروع الغرام مزتّبا — متكسّسا مستقبلا مستدبرا
ومحنبشا ومجمّشا ومدهفشا — ومكتّصا ومزنجرا ومعنجرا
ومرنّما ومغنّيا ومصفّرا — ومشببا ومطبلا ومزمرا
وفيينة متثائبا متمطّيا — وفيينة متقاعسا مقعنصرا
واذا راى رايا رشيدا كان فى — ابرامه مترهئا متاخرا
فالعشق عقل العقل عن صيّوره — حتى يضل عن الصواب ويبطرا

التزبب التزيد فى الكلام كالتزبيب وزبّب فمه اجتمع الريق فى صامغيه والتكسس التكلس

فد كنت أعجب أن يقولوا شاعر ذو جنّة واخال ذلك مفترى
حتى لقيتُ صُوَيْحبىّ كليهما فاذا هما من طينة قد صُوّرا
خُلِق الجمال لعين صبٍّ جُنّة ولقلبه نارا تزيد تسعّرا
لا غرو ان يغدو لحمرة وجه مَن يهوى وقد حمل الغرام محمّرا
ياليت يغنى المرء يوما واحدا عنهن من شى يباع ويشترى
ليت الجمال لهنّ مثل الملح فى قدر الطعام مهوّما ان كثّرا
بل ليتهن خلقن اقبح ما يرى كيلا نهيم تحيّرا وتخيّرا
ليت الكواعب كن فُضّلا حبذا الطُرطُبّ مع لا ياكُبادى منظرا
ياليت ذى الهيفآ دِرْدِحة وذى الدهسآ فَلْحسة فيهنّنا الكرى
ليت العيون النجل ضيّقة وما فى الثغر من در نظيم صُفّرا
ياليت كانت كلّ ساق فَعْمة عود الشُكاعَى بل ادق واضمرا
ياليت لم يُصلت جبينٌ فوقه شعر كلَيْل كلّ غِرّ غرّرا
ياليت ما فى الجيد من عَنَط بدا وُقُصا لاعيننا وشيا منكرا
والحسن ان القبح احسن ملمحا اذ ليس يبكى العين ما منه يُرى
فلاىّ داعٍ كان شغل عقولنا وقلوبنا بهوى الونائر اكثرا
ولمَ اختُصصن بكل علق مضنّة وبكل حلى فاخر دون الورى
وبمَ ارتفعن على الرجال تطاولاً ولَهنّ تحتُ تقدما وتاخرا
والىمَ تصطبر الفحول وقد طغت افعالهنّ تحيّر المتصبرا
منا خرجن وعقلنا يُخرجن اذ يدخلن او يخرجن سفه من مرى
ولاى شى لم يكن قود على من لحظها قلب المتيم قد فرى
ولاى شى حل رشف الريق من ثغر الرشوف وكان ذلك مسكرا
وعلى مَ تعترّ الشناط على شج يمسى ويصبح بالغرام محسرا

الدردحة الـ...
التى طولها وعرض...
سوآ والدهسآ العـ...
والفلحسة الـ...
الصغيرة العجـ...

سلها هل السور فاركما اسعى | فى كل سهر ام ساحر اسهرا
اس المعالى والمكارم اس من | فحر الانام نعزة ونحسرا
نعادة اسم الحود ان دكرت له | طوعا وكرها وهو نهرم عسكرا
واذا نحساً ساعة فى وحهه | من اى ستّ قال اشى عسرا
ولربما عسق الكسر فحق من | ريح من الحساً نعم سحرا
ولوان دا الفرس حارى كدها | لراى الى فرسه قربا آحرا
لولا السأ لما رات محطّا | ومسقّها ومعسما ومعحّرا
ومعلّسا ومحتّها ومعتّسا | ومكسّحا ومحرّسا ومعزّرا
ومسما ومهسما ومسهما | ومدقّما ومدقّما ومسقّرا
ولما سائر الحماحم فى الوعى | تحت السانك وهى نُورى المعْفرا
ولما عفت دول نهن لُهَت فسّها الدمار فاصحت نحت الثرى
أملت علىّ حوادث الامم التى | عرت فعلت مقال من قد حرّرا
فارت قد فس السأ عقولنا | فامسح محاسهن فما نردرى
او فاحعان عساوة نعسى على | اصارنا أَو لا فاعم المُنْصرا
او فائصا او فائصا او والصا | او فاحصا طبعا نصآء بالحرى

السحسه ان نحمر
وحوه الرأس
وبحملا على نعسر
او جار وبحالو
بين وحوهها وكان
الناس ان نابل
سن وحوهها لا ه
من السحسد
والكسحان الدنوب
وكسحه قال له
ماكسحان *

السابسه

امس اسكو وقلبى السوم من اكسر اعدآى
امس اسكو وعقلى السوم معقول باهوآى
وطرفى مسبل لسى | ولسّى حالب دآى
ولوّا سى من كانوا | اذا عسب اودآى
ولاواى سن الاأسو | عن الالى من اللآى

وقد افسد آرابى جميعا بعضها اللآى
راى نار الهوى تذكو لاحراق واصلاً
فما بالى باصلآى تلظيها واسلآى
يقول الحتف من لمج وكونى ميت احيآ
احبّ الىّ من عيشى يوما ميش تيتآ
حياة الصّرى تكدير وصفوتها باصفآ
وما ينجع نصح فيه لو كان باتلآ
فهل من حَكَم ما بيننا يفرو بافتآ
عوادية ودعواه باصباحى وامسآى
ونورته ورنأته لاخزاى واختآى
طغا خطبى فما لى اليوم من آس واسوآى
فباسواى لا ينفك من لَهَج باسوآ
فلا يشغلكم هجوى وتقريطى واطرآى
فراسى اليوم امّرة لداعى نُكس اهوآى
فلا مطمع فى رشد حليع رق اغوآ
اذا وُقصت به عنقى فلا تشكوا لادمآى
وان شجّت به راسى فلا تبكوا لادمآى
وان هشمت به سنّى فلا نعموا عن المآ
وان بحقت به عينى فلا نكروا لاعمآى
جرى المقدور من قدم بتصليلى واسفآى
فلو شآ لابقانى معافى اىّ ابقآ
ولو شآ لاعمانى عن لقّآ سوآ

دعوا ذا الوجد يشقينى ويمنينى باشفاء
وهذا العشق يضنينى ولا تُعنوا باشفآى
هذا عظمى وذا جلدى وذا شانى وانشآى
فما يدخل ما بينى وبين هوى باحشآى
سوى فظّ فضولى زنيم شرّ مشآء
اذا اسمعتكم عَتّبًا فعدّونى من الشآء
ولا تُبقوا على طوقى وجلبابى واعضآى
فان الفَدْم من يَسمع ذا عَذْل باعضآء
وان الحرّ من يُسمع عَتّبًا يَلوا ارضآء

الاغانى

يابدر مالك ثان فى حسنك الفتّان
فارحم فتى ولهان مبلبل البال
عذّب بما ترضاه الا الجفا اخشاه
قد طال ما اصلاه وانت لى سالى
يا يوسف الحسن حوشيت من سجن
هددت بالحزن اركان امالى
من ذا الذى اغراك بصد من يهواك
الطرف منه باك وجسمه بالى
حنام ذا الهجران والصدّ والحرمان
حسن بلا احسان كالرىّ بالآل
محبك الواجد منك الرضى فاقد

يـالـيـتـنى واجـد　　إنـهام عـذالـى
اضنانى السهد　　وعرى الوجد
ما القصد ما الفصد　　سواك ياغالى
ياقاتن العشاق　　باللحظ والاحداق
تبارك الخلاق　　لحسنك الكالى
افديك بالمال　　والروح والآل
رضاك اشهى لى　　من طول آجالى

غيره

ما ترى عيني مثيلك　　يارشا فارحم قتيلك
لم يرم الا سلامك　　ثم ان شئت جميلك
كل ما فيك مليح　　كبدى منه جريح
بليت تفدى مقامك　　والهوى فيها صحيح
انت لى يابدر سالى　　وانا للهجر صالى
من يذق يوما غرامك　　لم يذق طعم الليالى
يارشا صد دلالا　　وجوابى منه لا
اسمع العبد كلامك　　وارقب المولى تعالى
فيك تعبيدى وذلى　　وهيامى اصل صلى
ليت من غيرى رامك　　يبتلى بالهجر مثلى
ضقت بالهجران ذرعا　　ولشوقى كان أدعى
لم ازل ارعى ذمامك　　وذمامى لست ترعى
ان يكن وصل فعذبى　　فيك قد احسنت ظنى

اسال اللـه دوامك　　فهو لى اشهى تمنى
ياملـيك الحسن طرّا　　يعرض المملوك امرا
أُدْنُه يوما غلامك　　ان له اجريت ذكرا
طال بالباب مثولي　　والتفات منك سولى
من راى يوما قوامك　　راح صبّا ذا نحول
انما بدرى غزال　　فاتنى منه الـدلال
ياعذولى دع ملامك　　انما العشق حلال

غيـره

المنا طبيبى　　يامن لى سبيت　　والهوى نصيبى　　من يوم انتشيت
ان فى شحوبى　　شكوى لو رثيت　　ياصنو القضيب　　ماهذا الجفـا
يوسف الجمال　　ذا الهوى صعب　　تهت بالدلال　　شانك العجب
ان تسل عن حالى　　ينفع العتب　　او بقيت سالى　　لم يـفـد دوا
من حمل الصدود　　صرت فى ذى الحال　　من مطل الوعود　　صار جسمى بال
ادمعى شهودى　　واشتغال البال　　ليس من محيد　　عن حكم الهوى
قد رنى لى اللاحى　　لما عادنى　　وعلا نـواحى　　ممّـا آدنى
وجهك الصّباحى　　صـلاّ رادنى　　يازين الملاح　　انعم باللقـا
مرْ بما تشاه　　تلقنى مطيع　　تلقنى فداه　　جهد المستطيع
ولعـى اذكاه　　شكلك البديع　　جسدى اضناه　　منك قول لا
من يجد كوجدى　　يدرِ قصتى　　ليس غير الوعد　　منك حصتى
بعض هذا الصد　　اصل غصتى　　انا فيك وحدى　　مبتلى انا

غـيـره

يافاتر الجفون ما بدا لك	حتى جفوت عاشقا جمالك
وياقضيب البان ما امالك	عن مغرم مؤمل وصالك
عذب بما ترضاه ياغزالى	الا الجفا شماتة العذال
انعم بوصل منك يوما مالى	انعم طول العمر ربى مالك
علامَ تجفونى ومالى ذنب	وما لقلبى عن هواك قلب
بحق من اولاك ما تحب	دعنى اقبّل مرة اذيالك
لم يبقَ لى على الصدود طَوْق	وعال صبرى عنك هذا الشوق
وليس لى الى سواك توق	وهل لعينى ان ترى امثالك
احرمت طرفى فى الليالى غمضا	وقلتُ ارضى علّه ان يرضى
ياهل ترى صدك عنى فرضا	فمن بقتلى يارشا افتى لك
ناشدتك الله انلنى سولى	وكن رفيقا بى ياماموْلى
يكفى الذى تراه من نحولى	بعبد رب العرش منه حالك

عـشـره

يابدر قل لى	هذا الهجران	تغوى اليه	ام امتنبه
جُدْ لى بوصل	ياغصن الْبان	توجر عليه	او فى النيه
ما القصد الّا	يوما مرآك	فالصبّ صار	فى بليه
لا تخش عذلا	ممّن اهواك	فهو امّار	بالاذيه
نعمت بالا	انعم بالى	يادا الجفون	الهندبه
وطبت حالا	طبّ حالى	فلى سجون	فى الطويه
فعب الادابا	به حوب	من الجمال	الملكيه

ومك راما عبد سببت بذا الدلال فرب الطيه
كم ذا المطال ولا وصال لبست ترام ذى السجيه
هذى الفعال يارت الخال وذا الغرام لى منيّه
انت المراد دون الانام لا بدّ لك فى البريه
فما سعاد بس الوسام انت مَلَك او حوريه

غبره

الى هنا يابدر لى انت المنى كلّ جنى مك الرضى الّا انا
يافاتنى بالدلّ لما تخطر وساجنى اذ جزت شزرا تنظر
قد شافنى منك المحيا الازهر واستافنى وجدى الى حدّ الفنا
بى كلّما القاك عنى معرضا وجد نما لكن جسمى امرضا
باذا اللمى حتامَ لاتبدى الرضى صِل مغرما البسته هذا الضنا
سبحان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قد فتن صبّا به امسى عميد
انت الحسن والشوق فى قلبى يزيد ان الشجن للعظم منى اوهنا
كلّفت فى ذا العشق تبريح الجوى حتى تفى لكن هيهات الوفا
هل منصفى مما به يقضى الهوى او مسعفى خدن على نيل المنى
يابدر لا تسمع مقال العاذل . وارع الولا باهيك وجدى قاتلى
قف الملا حسنا فقق بالنائل جُد بالطلا من فيك ياحلو الجنى

غيره

اذا امر الهوى رابك فلا تفسح له بابك
ولا تشغل به دابك تسمك الحزن والهما
انت العسق من ياته وعانات باكوابه

فما قد ذقت من صابه　دعانى لم اذق طُعما
هو العشق له مبدا　ولا تلقى له حدّا
يذيق العاشق السهدا　ويبلى الجلد والعظما
اياس قد كوى قلبى　بهذا الدلّ والعجب
اذا لم تستمع عتبى　فمن اشكو له السقما
تناهى بى الذى اجد　من الشوق الذى يَقِد
فدتك الروح والجسد　فكن يوما معى سلما
لقد افرطتَ فى هجرى　وملّكت الهوى امرى
فلا والله ما ادرى　اسحرا كان ام حلما
عسى او علّ ان تشفى　عليلا منك يستشفى
ونيران الهوى تطفى　فقل تطفا وخذ مهما
غدا مضناك ياحبّ　له صبر ولا قلب
ودمع فيك منصب　لان يُسقَى بفلك الما

غيره

طيرى لا غير　لا اسلو عنه ساعه　يااهل الخير　هلّا رعتم من راعه
دمعى سكّب　ونار شوقى لا تخبو　ولى قلب　للهوى بدى الطاعه
انا الهائم　عن حبّ السوى صائم　ليلى قائم　لا اغفى فيه ساعه
اشكو الوجدا　ولم تزد الا صدّا　فارحم عبدا　قد نوّعتَ اوجاعه
مالى صبر　وكيف صبرى يابدر　ودا الهجر　اسقى نفسى الطمّاعه
طعا الهجران　ومايشفى الصب الولهان مثل السلوان　لكن نفسى نزّاعه
ارانى البين　انواع الضنا والحين　وعشق الزين　منى فوق الاستطاعه
دوام الصد　لم يترك للمضنى حد　وليس القد　ينثنى فيه اطاعه

عيرة

لولم تدم بلوابا	لم تسنمع شكوايا
ولا دري مسكابا	من في الهوى يلحاني
اكثرت من صدودي	يامخلفا وعودي
لم ترعَ لي عهودي	ولم تسل عن شاني
أعرضت عني كبرا	وكان وصلي احرى
لقد عدمت الصبرا	من فرط ما دهاني
حمّلتني القالا	وطبت عني بالا
قل لي نعم او لا لا	فالمطل قد اضناني
يامفرد الجمال	يابدر احسن حالي
شمّت بي عذّالي	اما كفى اشجاني
سبحان من قد ابدع	هذا المحيا الاروع
والحسن طرا اودع	في طرفك الفتّان
ان الهوى هوان	نصبني به الابدان
ما اختاره انسان	الا وكان العاني
مولاي يامولايا	يامنتهى منايا
٢ ـ ٠ سوايا	ونسلي سنايى



الفصل الثالث

في العدوى

قد تقدم في المقامة الاولى ان عدوى الشرافشي من عدوى الخير * وان الاجرب قد يعدي اهل المصر جميعا بخلاف الصحيح فانه لا يعدي احدا من جيرانه * وهذا يرى ايضا في الامراض العقلية والقلبية * وشاهده على ما قالوه ان معلّمي الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم اياهم ترك عقولهم ويافن رايهم * وكذلك المكثرون من مخالطة النسآ فان قلوبهم ترقّ وطباعهم تتخنّث * فيتجردون عن تلك الشهامة والبسالة المختصّة بالمجرَّدين من الناس * وقد اعرف كثيرا من ابنآ جنسي الذين عاشروا الافرنج لم تسترق طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل * فصار احدهم لا يقوم عن المائدة الا وقد مسح الصحفة التي اكل منها مسحا لا تحتاج معه الى غسل * واذا حضر مجلسا انحى على احد شقيه وزفع زقعة يدوى منها المجلس * وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزي اي اعذروني * ومنهم من يلبس هذه النعال الافرنجية * ويطأ بها وسادتك هذه العربية * او يرخي شعره كشعر المراة واول ما يستقر به مجلس ينزع قبّعته ويطفق يزرع في حجرتك ما يتناثر من هِبْرِيَته * ومنهم من اذا ضمه مجلس بين اخوانه ومعارفه او غيرهم وراى فيه اديبا يتساجلان او يرويان النوادر الغريبة اخذ

في التصفير * ولكن تصفيرا مختلاّ خلاسيا اى غير افرنجى مُحّت ولا عربى خَتْم * اذ لم يكن قد عاشر القوم مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا الفنّ الجليل * ومنهم من يمد رجله اذا قعد فى وجه جليسه * ومنهم من ياتيك زائرا ولا يبرح يطرفى كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال جمّ المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهوّم من النعاس * او يراك قد حلت وسادتك وقلت سقى الله مريضكم * كما قال الاخفش لمن عادوه فى مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم يرون فى استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيبا * ومنها انه اذا زار احدهم خليلا له وراه مشغولا رجع على عقبيه من حيث جآ فلا يقعد ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغا خفّف قعوده عنده ما امكن * واذا راى على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امراة الا بعد ان يراها ويعاشرها * وانهم يبوسون ايدى النسآء ووجوه بناتهنّ وما يرون فى ذلك معرّة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أَوْشن (١) ولا ضَيْفن ولا مُزو * ولا يقول احدهم لصاحبه اعرنى منديلك كى امخط فيه او آلتك كى احتش بها * ومنها تساهلهم مع المولفين وحملهم ما يصدر منهم من الجهل والخطا مُحْمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنّتون مثلا على من قال فلان شمّ النرجس وحبق * او حبق وشم النرجس * او شم فحبق او ثم حبق * والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفى كتاب الفه احد معارفى من الديار الشامية باللغة الانكليزية فى احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(١) الرجل الذى ياتى الرجل ويتعهد بعد و باكل طعامه *

بعد ان وصف عرسا حضره فى دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم يزل ذاكرا لها بحروفها * وقد راى تفضلا منه ان يترجمها الى اللغة المذكورة * وهى فى الحقيقة مرثية فى امراة اذكر منها بيتين وهما

بالله ياقبر هل زالت محاسنها   وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت ياقبر بستان ولا فلك   فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز جلوا روايته على الاعراب ولم يخطّئه احد منهم بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع ان يختموا اعراسهم بالمراثى المبكية * ولكن لو كانت روايته هذه فى اللغة العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامّى والآخر خاصّى ففى العامّى يقول احدهم ما شآ الله ياخى مرثيه فى ختام العرس اسمعوا ياناس وتعجبوا من حذق هذا الراوى * فيقول الاخر اى والله مرثيه بدل الغنا عمركم ياناس سمعتوا كلام زى دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة الا بالله ما لقيش المغفل دى الا الرثآ يجعله فى ختام العرس * فيقول آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنش غفله اعظم من دى اهل العرس يختموا فرحهم بمرثيه وما يتطيروش * فيقول غيره الله على دى الراوى هو مغفّل ولّا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دى ويملا كتابه بالهجس والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دى والله اغرب ما سمعت ان الناس يستعملوا النواح عوض الغنآ والبكآ عوض الضحك والصفع على القفا بدل المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللّى قروا كتابه حمير ولّا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانيا) ياخواجا (او اذا كان مسلما او مستسلما) يا افندى اهل بلادك يتطيروا ويتشاموا كثير مما يضحك

ان الرثآ عندهم يستعمل فى الاعراس * فيقول الاخر سبحان الله هو حمار ضحك على جير ياخى خلونا منه * فيقول غيره لا اله الا الله نحب نعرف السيره ايه ان كان كلامه دا جدّ ولّا مزح * فيقول آخر مزح ازاى اللى هو طابعه فى كتاب ينباع فى الدكاكين ومصوّر عليه صورته بسيف وحمايل وازرار * فيقول غيره بقا نقول ازاى يبقى الانكليز يبلعوا كل شي يستفرغه فى حلقهم الغريب اللى عنده سيف بازرار وحمايل * فيقول آخر اظن الافرنج كلهم يصدقوا الخرافات * فيقول آخر ياخى دا باب واسع اول الكلام واخره غفله من الراوى وحماقه من السامعين * الى غير ذلك من الانتقاد والتعنّت * فاما فى المجلس الخاصّى فان القصية تبلغ فيه مبلغا اعظم من ذلك واخطر * فانهم يصورونها فى صور فتاوى علمية واجوبة فقهية فيستفتى اعظم ادبآء المجلس قائلا * ما قول امام الادبآ * وتاج الالبا * فى مولّف زعم ان اهل الشام يستعملون المرائى فى ختام اعراسهم * فهل تقبل له شهادة اوّ لا * الجواب * لا تقبل له شهادة عندنا على ذنب حمار * وان باع كل نسخة من كتابه عند الافرنج بدينار * صورة استفتآ آخر * ما قول عمدة المصنفين * وقدوة المولّفين * فى مدّع ادعى انه سمع بكلتا اذنيه مرثية تنشد فى ختام عرس فى الشام الشريف * فهل يصدق كلامه وتجوز مطالعة كتابه او لا * الجواب * لا يصدّق ولا يوثق بما راه بعينيه لا فى الليل ولا فى النهار * ولا بما سمعه باذنيه وان كانتا كاذنى الحمار * استفتآ آخر * ما قول من كلامه مزيل للايهام * وموضح للابهام * فى كاتب اودع فى كتاب الّفه كثيرا من الروايات الهُذاهذية (١) والحكايات الاقناسيّة * وزعم فى جملة ما قاله ان اهل الشام ينشدون المرائى فى ختام اعراسهم * فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب او لا * الجواب *

(١) الهُذا هذ الذين يقولون لكل من راوه هذا منهم او من خدمهم *

من كذب فى قضية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذبا فى سائر القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب *استفتآ آخر ما قول اجل النقاد* وجهذ ذوى الرشاد * فى رجل الّف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيرا من الامرآ والوزرآ * والقضاة والعلمآ * وانهم له اصحاب وخلّان* وانساب واخوان * ثم ذكر فى موضع من الكتاب انه حضر عرسا فى دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والرياحين * والمغنيات والمغنين * وكان ختام ما غنّوا به مرثية فيلت فى امراة * فهل على فرض كونه كاذبا فى هذه تشفع له معرفته بالوزرآ فى تصديقه بغيرها * الجواب * ما هو بصادق فى هذه ولا فى غيرها ولا تشفع له معرفته بالامرآ فى شى كما ورد

لن تنفع الراوى لافّاك نحلته ... بانه يعرف لاعيان والامرا

استفتآ آخر * ما قول من لا يعلو قول على قوله * ولا يقطع امر الا بفصله * فى رجل ذى رُوآ * وسراويلات مفرسخة من امام ومن ورآ * الّف كتابا ضمنه ما سمعه وما رآه فى بلاده * وكان من جملة ذلك قوله انه راى عروسا تزفّ وتنشد بين يديها مرثية فى امراة * فهل يعتمد على رُوائه بالاخذ فى روايته * الجواب * ليست الرواية من الروآ * ولا يعتمد على زيّه * فى لاخبار عن ميته وحيّه * كما ورد

لن تنفع الراوى لافّاك حليته ... ولا سراويله ان فاه او سطرا

استفتآ آخر * ما قول عمدة لانام * عفا عنه الملك العلام * فى رجل تصدقه العجم * وتاخذ بكلامه فى كل امراهم * وتقرّ عيون نسائهم بالنظر الى لحيته * وسراويلاته وحليته * وكشرته وجلفته * وحرضه وجلعته * فيحلبهن

الفقير الصعلوك حالة كونه لا يملك منها قراضة * او للشبعان ان يلوّح
بثريدته للجائع اللاهس * فان قلت ان ذلك امر طبيعي وان العلامة
انما يراها في الغالب المتزوجون فلا وجه للحسد * قلت لو كانت
هذه العادة طبيعية لكنّا نراها مستعملة عند جميع الامم * وهولآ الافرنج
الذين هم اكثر دراية وعلما في الطبيعيات لا يستعملونها * لا بل يفنّدون
مستعملها ويقولون ان العُقْر يكون غالبا سببا في العُقْر (ا) * وان العروس
منهم اول ما يحسّ بالانشوطة قد عقدت في عنقه ياخذ عروسه ويعتزل
بها في ناحية لا يبصره فيها احد من خلق الله مجانبة لاسباب الحسد *
الموجب للنغص والكمد * فلا يرون ان سرور شخص واحد يكون سببا
في حزن جماعة * وانما قلت الانشوطة لان عقدة الزواج عندهم تنحلّ
باسباب كثيرة * فاما قولك ان العلامة انما يراها المتزوجون فلا وجه
للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب والمؤاربة * او هو ولا
مواخذة بما اقول كلام من لا بصيرة له ولا خُبْر * فقد اجمع العلمآ كلهم
المتبلّغ منهم والمقتّر والمتكفف والمعترّ والعريان وذو الرعابيل والمسجون
والمكبّل والمنكوّ والمرغم انفه على ان المتزوّج اضيق عينا بالحسد من
العزب * وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته اسعد منه حالا
ولا يفكّر الا في وجه اسعديته دون اشقويته * ولما كانت ليلة الدخول
بالعروس من الليالي الغرآ وان تكن حالكة كانت مظنّة لان تنشى
الحسد في صدر الحبير بها من دون تذكير لما يعقبها * وفي المثل وما
ينبئك مثل خبير * هذا واني استميح العفو من الجناب الاكرم * المقرّ
الافخم * حضرة الصِيّر المكرم * عما اريد ان اساله عنه على وجه الاستفادة
لا الانتقاد فاقول * من ايں تعلم يادا البصيرة ان تلك البصيرة التي

(ا) العُقْر استبرآ المراة لينظر ابكرام غير بكر *

يحصب بها المدبل وبعقد على علم ابدا انا بكارة البنت هي علامة البكارة * افليس من الممكن ان تكون ليلة الدخول بها قد فار التنور * وفاض المسجور * او بعثت منه عقابيل * دبّج بها ذلك المدبل * او يكون الرجل قد ذبح عصفورا او جرح احدى اصابعه اذا كان هو الذي سبق الى اصطياف تلك الوردة * او ان تكون البنت قد ادخرت في ذلك الصوان شيا من الدم * فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد الذوق * قلت لعمري ولعمر ابيك ان تلك الساعة ليست وقت وعْى ومعقول * بل وقت دهشة وذهول * ولا سيما اذا وقف وراء الباب جماعة يصفّقون ويعطّون * ويلحّون ويلحّون * فاقد الجواب عن ذلك * وها انا مسطره من هنا وهنالك





الفصل الرابع

في التورية

من عادة امثالي من المولفين ان يقهقروا احيانا ويطفروا فوق مدة من الزمان ويلفقوا واقعة جرت قبلها باخرى بعدها * وذلك يسمى عندهم التورية اى جعل الشي ورآ * وانهم ايضا يبتدئون بذكر صفات الشخص الذي بنوا عليه مولفهم منذ ابتدائه مناغاة محبوبته الى وقت خفوته في الزواج * ويذكرون في خلال ذلك امورا طويلة مملة وذلك كصفرة وجهه عند لقائها وتغير حركات نبضه وبهره وعبّه عن الجواب وبعثه اليها عحورا او كتابا واجتماعه بها في مكان كذا وزمان كذا * وكتخبفها الوانا عند قوله لها الفراش * الضمّ * العناق * الساق على الساق * الرضب * الملاسنه * البعال وما اشبه ذلك * وربما اساوا الادب ايضا في حق الاب والام * فانهم كثيرا ما يصرحون بان الام ترضى بان تكون ابنتها فتنة لناظريها * وتتساهل معها في تهنيد زمرة من الرجال لتقاسمها منهم شطرا * وان الاب من حيث ان حجره في حجر امراته لا في راسه لا يمكنه منع تلك الاسباب * وان الخَدَمة لا يكونون الا ذوى حَذْل مع المراة على الرجل * فالخوادم للاقتدآ بسيرة سيدتهن والخادمون للطمع فيها * وفي الجمله فانهم يجعلون بيت البنت المعشوقه دسكرة وماخورا وحابورا

ومنبتا لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد * وكلّ من اخواني هولآ
المولفين يخترع حيلةً من راسه ويعزوها الى غيره * اما الطفرة الى
ورآ فعندي انه لا باس بها اذا كان المولف راى مذهب التاليف
قد سدّ امامه ثم يعود الى ما كان عليه * واما تبليغ الرجل الى سرير
عروسه ثم اطباق الكتاب عليهما من دون ملاوصة لمعرفة احوالهما بعد
ذلك فلست ارضى به * اذ لا بدّ لي من ان اعرف ما جرى عليهما بعد
الزواج * فان كثيرا من النسآء اللآى يُحسَبن اناثا قبل تولي هذه الرتبة
الشريفة يصرن بعدها رجالا كما ان الرجال تصير نسآ * من اجل ذلك
رايت ان اتتبّع الفارياق بعد زواجه اكثر من تتبّعي اياه قبله * اد
الكلام على اثنين ادعى الى العجب منه على واحد * فاما الاسفاف للامور
الخسيسة والدعلقة والدنوق فليس من شاني * فائذن لي اذا ياسيدتي
ورخصي لي ياسيدتي في ان استعمل الطفرة واقول * ان الفارياق حين
كان مرتبقا بربقة الحب قبل الزواج كان قد استدعى به احد الخرجيين
في جزيرة البُخْر اى في الجزيرة التى يتكلم اهلها بلغة منننة * ليكون
عنده بمنزلة معبّر للاحلام باجرة اكثر مما كان له عند الخرجي بمصر *
فمن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة * فقالت
لا باس فان للرجل حقا على امراته ان يستصحبها حيث شآء * وان كل
بقعة من الارض تكون لها في صحبته مغنى ووطنا * ثم اخبر امها بذلك
فرضيت * فلما وقع المقدور بالزواج واُحكيب عقدته قال الفارياق
لزوجته ينبغي لنا الان ان نتاهّب للسفر * لان احلام الخرجي قد
تكاثرت في راسه ويخشى ان يفوته تعبرها * فقالت اَوَ ذلك من جدّه
هل جرت عادة النسآ بان يسافرن عقب الزواج ويعرّضن انفسهن للغم

والجواري * اليس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر * كيف افارق احواني والفي والانسباء الى بلاد مالي بها من صديق ولا خدين * قال ما غررت بك ولا قلت لك شيا غير ما قلته من قبل * قالت ما كنت لاعلم من الزواج ما اعلمه الان * فقد شبهه الناس بالسعوط الذي يعطيه الطبيب للنائم او للسكران حتى يفيق * قد علمت الان ان المراة لم تخلق للسفر وانما خلق السفر لها * قال اني وعدت الرجل بان اسافر اليه فلا بد من انجاز الوعد * فقد يقال في المثل ان الرجل يربط بلسانه لا بقرنه * ومع ذلك فان خرجيّنا هذا مسافر معنا بامراته فانت مثلها * قالت ما انا كزوجة الخرجيّ فاني الان حديثة الصبْغ وفي برزخ البكر والمتزوجة * ولم اسأم بعدُ من الارض حتى ادحل البحر * فلما علمت امها بذلك الحت عليها في السفر * فقالت دعوني اذًا استشير طبيبا لاعلم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة حديثا اوْ لا * فجيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال * انكم يانصارى الشرق تنذرون النذور للكنائس رجآء ان يمنّ عليكم صاحب الكنيسة بالحبل او الشفآء من بعض الامراض * واما نحن فننذر للبحر * فان النسآ عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن طهر هذا الولي ويلتمسن بركته * فمنهن من ترجع حبلى بفذّ ومنهن من تضع توأمين * ولا سيما اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنسآ يطعمهن ما يستهين * فقال الفارياق في نفسه اللهمّ اجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا شكسا فظًّا عسرا * فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر * فمن ثم اخذوا له الاهبة وسافروا الى الاسكندرية * اما السفر من بولاق في القنج فانه من اعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر * فان النيل لا يكون الا ساجيا * ورئيس القنجة يقف فالله كل قرية ابتردوا منها الدجاج

والفاكهة الطريّة واللبن والبيض وغير ذلك * وناهيك بماء النيل عذوبة وصحة * فالراكب فى احدى هذه الفنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه من نضرة الريف وخصب القرى * حتى يودّ لو تطول مدة سفره فيه وان كان فى قضاء امر مهمّ * فاغتنم الفارياق ج هذه الفرصة وامعن فى قضاء الاعذبين ونسى مصر ولذاتها * ونعيمها وحماماتها * ورُمدها وآفاتها * والكنف ومنابخها * والاخراج ونخانخها * والمكاتب وبرانحها * والطنبور واوتاره * والحمار وفراره * والطبسب وفنذعيته * وصاحب المعجزة وهجرعيته * والسرى ورائحته * والوبا وجائحته * وما زال على هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية سبحان ربّان * وقد

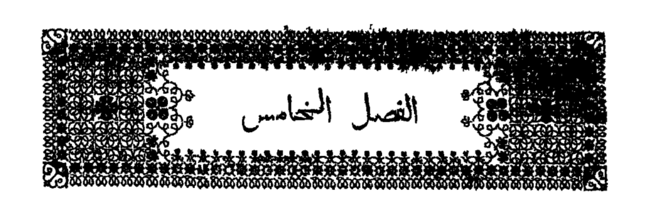
تزوّد ما يقوم بحاجة الطالة فى البحر

الملح * وفاز وصحّ اى

فوز واى

.





الفصل الخامس

في سفر وتصحيح غلط اشتهر

كان الخرجي رفيق الفارياق في السفر قد كتب كتابا من مصر الى بعض معارفه بالاسكندرية ليهيّئ له نُزُلا * فلما وصلوا اليها اقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التي تسافر الى الجزيرة * وكانوا جميعا يأكلون على مائدة واحدة ويتفاوضون في المصالح الخرجية وفي السفر وغيره * وكانت زوجة الفارياق لا تدري شيا سوى بيت اهلها * ولا تتكلم في امر الا فيما جرى لها مع امها او لامها مع الخادمة او لهذه معهما * وكانت اذا اخبرت مثلا بان الخادمة ذهبت الى السوق لتشتري شيا تخللت كل جملة بضحكة طويلة * فاقتضى لاخبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب والاياب * وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لا يعاشرن احدا سوى الخوادم واهل البيت * اما امهاتهن فلا يطالعنهن بشيء من امور الدنيا مخافة ان تنجلي الغشاوة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها * فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير * ولما كنّ هولآء يرين ان في اخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع حرًا لهن عظما * فاذا رات احداهن مثلا فتى جميلا بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها * قد رايت اليوم ياسيدتي

شابا مليحا ظريفا لا يصلح الّا لك * وانه حين نظرنى وقف وشخص الىّ وكانّه كان يريد ان يكلمنى * واخاله عرف انك انت سيدتى * فاذا رايته المرة الاتية كلّمته * واشباه ذلك من الكلام ممّا يجعل البنت ذات ضَلَع معها اذا غضبت منها الامّ * ولا يخفى ان البنات اذا كنّ جاهلات بالقرآة والكتابة وحسن المحاضرة وبآداب المجلس والمائدة وغيرها * فلا بد وان يتعوّضن عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التى يتخذنها وسيلة لما يرمن * فان البنت اذا اشتغلت بقرآة فنّ من الفنون او بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحيل * فاما اذا لم يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن واهوآهن كلها تتجمّع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهنّ وسندا * فكلامها عندهن اصدق من كلام امهاتهن * فالأَوْلَى عندى انا العبد الحقير ان تشغل البنت باحد الفنون والعلوم النافعة سوآ كان ذلك عقليا او يدويا * اَلَاترى ان الانثى مفطورة على حب الذكر والذكر على الانثى * فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع احوالهم * بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اليهم من دون نظر فى العواقب * بخلاف ما اذا كنّ تاذّبن بالمحامد والعلم اللائق بهن فانهن ح يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصّر وتدبر * وهناك قضية اخرى وهى ان النسآ اذا علمن من انفسهن انهن اكفاء الرجال فى الدراية والمعارف تترسّن دونهم بمعارفهن وتحصّنّ بها عند تطاول الرجال عليهن * بل الرجال انفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن ان يهتكوا حجاب التادب معهن * مثال ذلك اذا اجتمع غلام وبنت فى خلوة وكان الغلام قد قرا ودرى والبنت لم تعرف شيا غير ذكر اللباس

والزينة والخروج الى البستان * لم يلبث الغلام ان يتعدى طور الادب معها لاعتقاده انها لم تخلق فى الدنيا الّا لقصآ وطره منها * بخلاف ما اذا رآها ذات راى رشيد * وقول سديد * وفكرة مصيبة * وفهم للامور البعيدة والقريبة * وحسن محاضرة وجواب عتيد * ومعارضات ومماتنات فانه والحالة هذه يهابها ويحترمها * وليس كلامى هذا مخالفا لما قلته فى اغصاب الشوافن * وانشاب البرائن * وانما العبرة باختلاف وسائل العلم * والمراد من هذا الاستطراد كله ان نقول ان زوجة الفارياق وان يكن قد فاتها كثير من معلومات الرجال والنسآ فقد ابدت من المعارضة لامها عند تصادم مصلحة الزواج بمفسدة خرجية الفارياق ما افحم المجادل * وابكم المناضل * لكنها بقيت فى غير ذلك جاهلة * فان الفارياق لما كان ذات يوم على المائدة اخبره الخرجى بقدوم سفينة النار وحثه على التاهب للسفر * فسمعت بذكر سفينة النار فقالت ما معنى هذا * فقال لها الخرجى هى سفينة ذات الواح ودُسُر وانما تسير بقوة بخار النار * قالت واين النار * قال فى قميص بها * قالت ياللداهية كيف اسافر فى سفينة فيها قميص واعرض نفسى للنار * اليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون فى القنج كسفرنا من بولاق * قال ان القنج لا تصلح للبحر الكبير * قالت اما انا فلا اسافر ويسافر من يريد ان يحترق * فترضاها الخرجى وزوجته فابت * فلما حان الرقاد اضطجعت فى الفراش وادارت وجهها الى وجه الحائط * وهذا هو المقصود من هذا الفصل تنبيها للناس على ان هذه العادة هى من جملة العادات التى اخطاوا استعمالها * اذ ليس فى الادبار شى يدل على الغضب * بل الاقبال هو المظنة اه * فان المراة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها فى وجهه وروت

ما بين حاجبيها * او شمخت بانفها او سدّت منخريها * او غمضت عينيها كيلا تشم رائحته وتبصر سحنته او غطتهما بيديها او بكمها او بمنديل كان ذلك اشارة الى الغيظ * فاما فى تولية الدبر فلا علامة تدل عليه * فان قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نَفَسه * اذ الرائحة الكريهة لابد وان تفعم المناخر وان سُدّت فلا محيص عنه الا بالادبار * قلت الاولى ان تستلقى فيندفع المحذور * وبعد فان الدبر هى من الاشيآء التى طالما عُنى الناس بتفخيمها وتكبيرها وتعظيمها حسّا ومعنى * امّا حسّا فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافج والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل والمرافق والعُظّامات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتذابا لقلوب الناظرين * وفتنة لعقول العاشقين * فكيف يكون شى واحد مستعملا وسيلة للرضى والغضب معا فهو خُلْف بيّن * واما معنًى فلان العلمآ والادبآ وسادتنا الشعرآ ما زالوا يتغزلون بها ويتنافسون فى عرضها وسعتها * حتى ان بعضهم قال

من راى مثل حبّتى   تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها   ثم اردافها غدا

وقال عمرو بن كلثوم

وماكمة يضيق الباب عنها   وخصر قد جُننت به جنونا

ولقائل هنا ان يقول ان الشاعر لم يصف الخصر الا بكونه موجبا لجنونه * وان الاشارة الى كونه نحيلا بنآء على جنون الناس به اذا كان كذلك غير ناصّة * واحرى ان يكون هذا المفهوم الضمنىّ جاريا على وصف كل عضو * اذ لو قال وماكمة جننت بها جنونا لعلم بالبديهة انها تملا الباب ويفصل منها شى * ويا ليت شعرى هل الالف واللام فى الباب

للعهد الجنسى او الذهنىّ * وهل كالامام الزوزنى تعرّض لشرح ذلك * ثم انه من اهمّ ما يشغل بالَ المراة ويسهرها الليالى * هو ان تفتن ناظرها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع العالى * وربما لهيت عن وجهها وسائر جسدها وغادرته بلا زينة من فرطِ اشتغالها به * ولو تضمّر وجهها وذوت غضاضة بدنها لمرضٍ او كبر فقلّ اعتمادها على محاسنها لم تبرح معتمدة عليه ومتعهدة له * فهو عندها راس مال الخلب والتشويق * وما من امراة الا وتتمنى ان يكون لها عين فى قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعهدة له دائما * ولقد يهون عليها ان تقف ساعة او تمشى ساعتين او ترقص ثلثا ولا ان تقعد هنيهة خشية من ان يخشانّ او يضمر * وانها حين تنظر الى عطفها وهى ماشية او راقصة فما هو الا رمز الى ما وراءه * وان تهدكوها وتبهكنها هما انسب مصلاة يعلق بها قلب الرجل * وذلك لانها تعلم ان الحكمة الخالقية رسمت من الازل بان تكون كثرة اللحم والشحم فى ذلك الموضع * بالنسبة الى سائر البدن لا بالنسبة الى دكاكين اللحامين * شائقة للملوك والسلاطين * والامرآ والقضاة والائمة والقسيسن * والاحبار والموابذة والهرابذة والعلمآ والبلغآ والخطبآ والادبآ والشعرآ والعطارين والصيادلة والعازفين بالات الطرب ولسائر الناس * لا لانهم يتخذون من لحمه كبابا او من شحمه إهالة * او يستصبحون عليه او يتخذون من جلده كُوبة (۱) * ولكن ملأً لعيونهم وشرحا لصدورهم * فان عين ابن ادم مع كونها صيقة لا يملأوها ما هو اوسع منها واكبر بالف مرة * واشعارا لهم بان حكمتهم فى هذه الدنيا وتنطسهم وعزهم ومجدهم وان علت على الاطواد الشامخة والجبال الشاهقة فما هى الا سافلة عن حضيص هذا الموضع * الّا وانها تعلم انك اذا اجلست مثلا احد هولآ الاعزة الكرام امام

(۱) الكوبة الطبل الصغير المخصّر ولعله الذى تسميه العامة الدربكّة *

بعض المناصع (ا) على سرير مذهب * وضربت عليه قبة مموهة مزخرفة منمنمة منقشة مزوقة مكسوة بالحرير والديباج ومكللة بالزهور والرياحين * استنكف ان يقعد هناك نصف ساعة * على انه لا يستنكف ان يقعد عامّة نهاره وليله محاذيا لذاك المقام المنيف * وهو حاسر الراس * مشعث الشعر * حافى الرجل * فاغر الفم * مندلع اللسان * سائل اللعاب * محملق العينين * مشمر الذيل * شابح الذراعين * معوجّ العنق * مؤلّل الاذنين * فى اقبح هيئة يمكن للانسان ان يتصورها فى حق ذى مقام * حتى لو سمع نأمة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهى يهنّئه على هذا الفوز العظيم * والمغنم العميم * وتصوّر فى باله ان صوت العود لم يكن باشجى من غيره لا لكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر ذلك الموضع * ولو كان كالسطرين لسُمع له منطق باعراب * وان شكل القبة ماخوذ منه * ورائحة الندّ تروى عنه * وان العرب من زيادة شغفهم به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل او التى يعتبر فيها الشئ كونه على حال مّا من الاحوال * وان فردسة صدور الرجال وعرض ظهورهم لا تجدى نفعا مع عرضه * وان المعالى فى السّراة متى تلح لهم ذات تاكيم يَعُدْن سافلا * وان هذه الحقيبة مع ثقلها سوآ كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعرآ * او كانت محمولة كما هو فى الواقع فليس ثقلها الا كثقل كيس ذهب على حامله * وانها اسخن الاعضآ جميعا فى الشتآ اد لا تحتاج الى تدفئة * وابردها فى الصيف * وانها مع كونها اول ماسّ للارض عند القعود فلا تزال انعم من الخدّين * واملس من اللديدين * فلهذا كانت لذة تقبيلها للمقبّل العذرىّ اعظم من لذة تقبيل الذقن والانف والعين والجبين * وان الناس يبتذلون لها اسمآ الملوك

(ا) مواضع يتخلى فيها للبول والحاجة

والسلاطين * وذوى السيادة والمعالى وائمة الدين * وعند قوم (اقول واستغفر الله) تذال لها الاسمآء الحسنى * على ان تسبيحهم كل يوم ان يقولوا ربنا تقدّس اسمك * ألا وانها تعلم ايضا ان كثيرا من البهائم اعقل من الناس او اسعد حالاً من اصل الفطرة * فان الذكر من الحيوان غير الناطق لا يهيج على هبرتيس من اللحم فى انثاه مع احتوائهما على القبل والدبر الا فى وقت معلوم * وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا يزال هائجا عليهما مزبدا لاغما راغيا متزغما هادرا محمحما مبقبقا مقبقبا زاغدا مُلّعبا جالبا لاجبا وربما جنّ ايضا * وما ذلك الا لمجرد وَهْم انهما باهدافهما تعينانه على حسق الهدف من قُبُل والّا فما سبب هذا الجنون * نعم وتعلم ايضا ان هذا الموضع مع كونه فى حيّز الجسم الاسفل فهو موازٍ لخطّ الراس ارتفاعا * اشارةً الى ان تسفّله لا يحطّ من قدره ورفعته * حتى لو فُرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه المنزلة والاعتبار بعينه * حتى ان بعض النسآء يرين ان كشفه أَوْلَى من كشف الفم لانه اقلّ اذى منه * اذ لم يعلم الى الان ان احدا قُتل بفلتة منه فاما فَلَتات اللسان القتّالة فلا تعدّ ولا تحصى * وبنآء على ذلك كنّ يتعمّدن الخروج فى اليوم الراح وهو عندهنّ من الاعياد المباركة * وبعضهن يرين انه جدير بالحلى والزينة والتنقيش سوآء كان ظاهرا او مستورا * قال بعض الشاهبين

ياسائلى عن اى جز ء فى المليح اجملُ
لقد روى استادنا نصف الجمال الكفل

قال وذلك لاشتماله على اشكال كسرة * لانك اذا اعتبرت ذروة

الرانفة (ا) وحدها ظهر لك الشكل المخروط * واذا اعتبرتها مزدوجة بالاخرى تبيّن لك نصف دائرة او شكل هلالى * واذا نظرت من نقطة العسيب الى غاية ما يوازيها من سطح الشق الواحد بدا لك المستوى او المسطح * او منه الى ما دون ذلك قابلك المقبّب والخط المنحنى * واذا اعتبرته مع الاكباب واجهك المجوّف وهلم جرّا * وليس من سائر اعضآ البدن من الاشكال ما لهذا * قلت ما اشوق قول الشيخ ناصيف اليازجى الاديب المشهور

وتموّجت اردافها فاخو الهوى بين اضطراب الموجتين غريق *

ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد فى لغتنا هذه الجليلة * ومن قول صاحب القاموس المخدّم رباط السراويل عند اسفل رجل المراة * ان لباس نسآ العرب قديما كان كلباس نسآ الشام الان * او لعله كان خاصّا بالحواريات * غير ان قول المتنبّى * واعفّ عما فى سراويلاتها * يفيد التعميم * بناءً على تغزّله بالباديات كما اشار اليه بقوله * وفى البداوة حسن غير مجلوب * وقد تقدم * قال فى القاموس الدبر بالضم وبضمتين نقيض القبل ومن كل شى عقبه ومؤخّره — والاست والظهر * قلت اسمآء حروف هذه اللفظة لها معانٍ * وهذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضا معنى * وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها * وعددها بحساب الجمّل مزدوج اشارة الى ازدواج الجهتين * كما ان الضمتين اشارة الى الثقل والرزانة * ومادتها من اغزر المـوادّ * وهل وضعها موخر عن الموخر او متقدم عليه او اشتقاقها من قولهم جئتك دبر الشهر اى آخره او اشتقاق هذا منها خلاف * والظاهر ان الامور المعنوية الاعتبارية مشتقة من الحسّية * وبقى الخلاف فى اشتقاقها من عقب الشى * وقد ورد فى القرآن ولّوا الادبار * وانكرها المطران اثناسيوس التتونجى فى

(ا) تنبيه رايت فى كتاب ليس لابن خالويه النحوى بعد تاليف هذا الكتاب ان الرانفتين يقال لهما الصومعتان والصوفقتان * وذلك مما فات صاحب القاموس *

كتاب الحكاكه في الركاكه * واعلم ان العرب قد وضعت للدبر ما ينيف على تسعين لفظة ما بين اسم ولقب وكنية * فمن اسمآئها ما تقدم فى اثارة الرياح ومن بعض كناها امّ سُوَيد وامّ العِزْم وامّ خِنَّور * فلولا انهم انزلوها منزل الاسد والسيف والخمر فى الباس والفتك والاسكار لمّا خصّوها بذلك * لا يُرِد هنا ما قاله ذلك الاعرابى فى السنّور لعنه الله ما اكثر اسمآءه واقلّ ثمنه * فانّا نقول ان قلة ثمن الحيوان لكثرة وجوده لا يقدح فى قيمته ومنافعه * وان كثرة اسمآئه هى من حمل النظير على النظير لحصول المشابهة بينه وبين امّ امّ سويد * من جهة ان السنّور هو من الحيوانات الكثيرة النتاج * ومن طبعه اللعب والهراش وان يكن يعقبه غير مرة خدش وادمآء * وخمش واصمآء * وجمش واعمآء * وله تحمّل على المكاره والاذى حتى قيل ان له سبعة ارواح * ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة * وانه اذا شمّ رائحة شى اعجبه من الطعام تسلق اعلى جدار ودخل اضيق مكان حتى يظفر به * وانه اذا مرّت عليه يد نفّش ذنبه واخذ فى خرخره وهينمه تفصح عن رضاه باللمس * ومن طبعه ايضا النظافه والاكل خِفْوة حبآء او حوفا * فان ابيت الا المشاحّه كما هو دابك من اول هذا الكتاب بان قلت ما بال اسمآء الداهية والعجوز اذا كثيرة واسمآء الشمس والقمر قليله اذا كانت التسمية منبّه على جلالة المسمّى او نفعه * قلت اما كثرة اسمآء العجوز فباعتبار انها كانت صبية او انها تكون ذريعة لها * واما الداهية فباعتبار خشيتها * والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مِقَة * فاما الشمس والقمر فاسماؤهما كثيرة جدا غير انها لم تشتهر عندنا * وليس ذلك باول ظلم فعله الناس فى حق اللغة كما بيّنته فى كتاب آخر * ثم هذه جملة الاسمآ والصفات التى وضعت لامّ ام سويد وقد

بذلت الجهد فى استقرآئها وهى * الأبيثة الخبنداة الراجح الرجاح الرداح الدلخة البهير الشوترة العجزة العجزآ المعجزة الدهاس الدهسآ البوصآ اللفآ الركراكة الزكزاكة الوكواكة الضبرك الضناك العضنك الوركآ الوركانه الثقال الجزلة السجلآ المكفال الهركولة الموكمة الأليآ الأليانة* ومن الغريب ان صاحب القاموس ذكر الأسته والستاهى ولم يتكرم علينا بمؤنثهما فانا انبتهما هنا عن اذنه * ومن ذلك نفج الحقيبة * ذات الاهداف * ذات التاكيم * ذات الرصراص * من نسوة بلاخ * ولك ان تقول بلخآ وان لم يذكرها الفيروزابادى لا بمعنى الحمقآ * هذا ما عدا ما يشير الى هذه الغبطة والسعادة من الالفاظ اشارة صريحة نحو

الجعبآء — الضخمة الكبيرة *

الجلنبآء — السمينة وكذا الحنضبة والخضعبة والكبكابة والحونآ والوعنة *

الخدبة — الضخمة *

الدخدبة — المكتنزة

السرهبة — الجسيمة *

الطباخة — الشابة المكتنزة *

اللباخية — اللحيمة وكذا الدعكاية *

المبرندة — الكثيرة اللحم ومثلها الهدكورة *

التأدة — المكتنزة الكثيرة اللحم *

الثهمد — السمينة العظيمة *

الرجراجة — التى يترجرج عليها لحمها *

الصمعج — المرأة الضخمة التامة *

السبندح — البادن وكذا البلندح *

الدَّحُوح العظيمة *
الدُّمَّاحة الضخمة التارة *
الصَّلْدَحة العريضة *
البَيْدَخة التارّة *
المُرْمُورة الناعمة الرجراجة *
الدَّخُوص الممتلئة شحما *
الرَّضراضة الرجراجة *
البِلِز الضخمة *
الدَّجْلة الضخمة التاره *
الدُّمَحلة السمينة ومثلها الجَمُول *
الرَّبِلة العظيمة الرَّبَلات *
القِصاف العظيمة *
المُزَنَّرة الطويلة الجسيمة *
المُلَعَّظة السمينة الطويلة الجسيمة *
الهَيْكَلة العظيمة *
الصُّناكة الصُّلْبة المغصوبة اللحم *
الكِناز الكثيرة اللحم الصلبة *
المُبَزَّة المتصلبة المتشددة *
المُلَزَّزة المجتمعة الخلق الشديدة الاسر *
الخَنْضَرِف الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *
القَهْبَلِس المراة الضخمة ومثلها المُثْخَنة *
السَّخيمة الجسيمة *

الدّياصة اللحيمة القصيرة *

العانك السمينة *

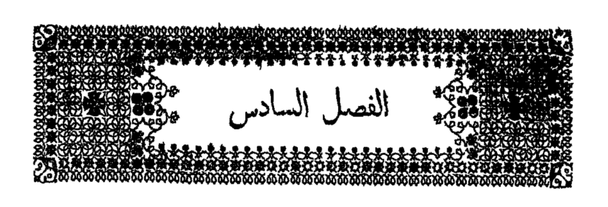
الغَبيلة الغليظة *

المألة السمينة الضخمة *

الوَرِهة ورهت المراة كثر شحمها *

وخَظِية بَظية سمينة مكتنزة *

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاوه * فهل لجناب مولانا القاضي المكرم ولاميرنا المعظم نصف هذه الاسماء والنعوت * انتهى البرهان على الخطا في استعمال هذه العادة * واقول الآن انه لما كان ما كان من الادبار المشار اليه ترضاها الفارياق في الصباح للسفر واعانه على ذلك الخرجي وامرائه ووعدوها برؤية اشياء بديعة في الجزيرة تنسيها مكاره الفراق * فرضيت بعون الله وحسن توفيقه وسافروا في سفينة النار * وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة في قلب الربّان عليها * فكان اذا سمعها تئنّ من الالم يغضب ويزمجر ويتسخّط على النساء وسفرهن * غير ان بعض الخدمة وكان جميلا حاول ان ينوب عنه فلم يتمّ له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبارة عن خمسة ايام * وهي في البرّكافية لتصبّي خمس بنات وعشر نساء متزوجات وخمس عشرة ارملة * ثم وصلوا الى معتزل الجزيرة واقاموا فيه ثلثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد ونزل كل منهم منزلا لائقا به *



الفصل السادس

ے ولىمه واىارىر مىسوّعه

واحد الفارىاق وروحىه ىطوفان فى سوارع المدىىه وهما فى رى اهل
مصر * وقد احىد هو سراوىل واسعه ىلىق علىه اسفلها من امام ومن وراء
عىد المسى * والسحىث هى ىىرىس لىعطى كمّها اد كانا ىكىسان الارض *
فجعل المارّون واصحاب الدكاكىن ىىحصون مىهما ولم ىكونوا ىعرفون روحىه
انها امراه * فكان ىعضهم ىقول ارحل هذا ام امراه وىعضهم ىىعقّىهما *
وىعضهم ىلمس اىوابهما وىحدّق فى وحوههما وىقول ما راىىا كالىوم قطّ *
سى لا هو رحل ولا امراه * فصادفهما رحل من حذاق فقهاء الانكلىر
ىقال له اسعن * فىعرّس فىهما فعرف ان الفارىاق رحل وان الفارىاقىه
امراه * فىقدّم الىهما وقال لهما هل لكما ىارحل وىامراه ان ىىعدّىا
عندى ىوم الاحد القابل * قالا افعلىا * قال ان دارى فى ىىر البحر
فى محل كذا فهلمّا الىنا فى الصباح قبل الغداء * فلما كان ىوم الاحد
ركبا فى زورق وقصدا مىرله فوحداه قد استعد للخروج * وكانّه اراد
ان ىاتى ىعض معارفه للفرحه على صىفه والظاهر انه سكر فى الطرىق او
عند اصحابه فلم ىعُد * فلما راهما قال لهما قد وحب علىّ ان اذهب فى
فضاء مصلحه * ولكن هذه روحىى وهولاء ىىاتى فاىىاىسا ىهن رىىما اعود

ونتغدى جميعا * فالا لا باس ثم فعدا مع زوجته * وكان فى المجلس شابّ من الانكليز يناغي احدى بنات الفرضى وهو آخذ بيدها * ثم جعل يبوسها بحضرة امها والزائرين * فاصفرّ وجه الفارياق واحمرّ وجه زوجته وبرقت اسرّة الام * فقالت الفاريافية لزوجها كيف يبوس البنت هذا الفتى وما يستحيى منا * فقال لها لبس البوس عند الافرنج مما يعاب * فان الزائر منهم اذا دخل بيت احد من اصحابه تعيّن عليه ان يبوس روجته وبناته جميعا ولا سيما اذا كان فى يوم عيد * على ان باس عندهم قد نرد بمعنى ما يراد بعدها ولكن هذه عادتهم * فالت ولكن هلّا يستحيى منا حال كوننا غريبيں عنه * فال اذا كان الشى مباحا كانت اباحته امام القريب والغريب على حد سوى * او لعل الرجل فد طن انّا لا نعرف هذه الصنعة فى بلادنا * قالت ما اجهل من طن هذا فان القبلة عندنا لا تكون الّا مع زفير وتنهّد ومصّ وسمّ وتغميض العيبن * فاما هذا فانى اراه يرقّ خلوًّا من احساس فعل المستحقّ بما تحت يده * فال قد يظهر لى من القاموس ان المكافحة والملاغفة والمثاعمة واللثم والفغْم والكعْم والتقبيل انما هو بوس الرجل المراة فى فمها او التقامه له بمرّة * فقالت حيّى الله العرب ائمّة القبلة والقُبلة * فان تقبيل الجبين كما يفعل هولآ لا معنى له * ولكن لمَ كان التقبيل فى غير الفم والخدّ خاليا عن اللذة التى يحسّ بها المقبّل فى هذين الموضعين * فال لان الظمآن لا يرتوى من وضع فمه على اعلى القلة او على جنبها * فالت فعلى ذكر الظمآ لمَ نصف الشعرآ الريق مرة بانه حلو ومرة بانه يروى الظمآ وهو حُلف * فال لعل ذلك من مشكلات الشعر او من معضلات النسآ * فالت فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيب العاشق شرب الرضاب

من غير الفم * قال اما عند بعض العرب فلا يبعد واما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم * بل لا يعرفون له اسما غير البصاق * قالت فعلى ذكر اختلاف الاسمآء ما يقال لهذه الامّ التى ترتاح الى رؤْية ابنتها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوّادة * قال انما القيادة فى الاصل صفة الرجل اذا كان يقود على حرمه * قالت ان وقوع هذا الامر فى شان الام اكثر منه فى شان الرجل * اذ الامّهات تنشرح صدورهن عند مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن * لان الام عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد ان العاشق لا يرى فى البنت جمالا الّا ويراه فى امّها حالة كونها هى الاصل * وانه لا يكاد يحب الفرع دون محبته لاصله * ثم تماديا فى الحديث حتى حان الظهر فاقبلت احدى بنات القرضى وبيدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت تاكل وهى واقفة * ثم تولت وجاءت اخرى وفعلت مثلها * وكان للقفيه المذكور سبع بنات وعدة صبيان * فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت الام للمدعوّين لعلكما جعتما فان وقت الغدا قد فات وزوجى ابطا * قالا ننتظره الى ان يجى * فلما صارت الخامسة اطن جرس الاكل ليجتمع المتفرقون من اهل البيت كما هى عادة ذوى العيال من الانكليز * ثم مضت ساعة واعيد اطنان الجرس * وما زالت الساعات تمضى حتى تجزت الساعة الحادية عشرة * وفى خلال ذلك كانت الام تتفقد المطبخ وتسارّ البنات كانما نزل بهن نكبة البرامكة * فقال الفارياق لزوجه ان لم نذهب الآن لن نجد بعدها زورقا ولا مبيت فى هذا القبر يصلح بنا * ثم نهضا وسبّا على صاحبة البيت وركبا فى زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فتعشيا فى بعض المطاعم عشآءً فى ضمنه غدآء * ثم لما كان بعد ايام قليلة قالت زوجة الفارياق له قد رايت فى هذا البلد

احوالا غريبة * قال ما هى قالت انى ارى الرجال هنا لا ينبت فى وجوههم الشعر ولا يستحيون * قال كيف ذلك * قالت لم ارَ فى وجه احد منهم لحيةً ولا شاربا فهل هم كلهم مرد * قال اجهلت انهم يحلقون وجوههم بالموسى فى كل يوم * قالت لاى سبب * قال حتى يعجبوا النسآ فانهن يحببن الخد النقى الناعم * قالت لا بل المراة يلذ لها من الرجل كل ما دلّ على الرجولية * وكثرة الشعر فى وجه الرجل هى كعدمه فى وجه المراة * قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب احد منهم منك فاحشة * قالت ما وقع ذلك بعد * وانما اراهم يحزّقون سراويلاتهم حتى تبدو عورتهم من ورآئها * قال وذلك مما يلذ للنسآ على مقتضى تقريرك * قالت نعم ان هذا الزىّ اقرّ لعين النسآء من زى العرب * فانه يظهر الفخذين والساقين والبطن والعجز غير ان المغالاة فى التزنيق مخلة بالادب عند من لم تتعوّد عليه وان يكن فى نفس الامر احسن وافتن * ولكن ما شان هولآء القسيسين فانى اراهم اكثر مغالاة من العامّة بتبابينهم هذه القصيرة فهذا لا يليق برتبتهم * واقبح من ذلك حلقهم شواربهم مع ان الشوارب هى زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ * فما الذى اغراهم بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نسآهم * لعمرى لو ان احدا منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بعض هولآء المخنثين المدعوّين خَوَلا الذين ينتفون شعر وجوههم ويتحففون تشبّها بالنسآ فاخزى الله كل رجل يتخنث * قال فقلت وكل امراة تتذكر * قالت نعم وكل من يتبع العادات الفاسدة * انظر العادة هنا كيف جعلت حلق الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النقص والفساد * قال صدقت ولكن اريد ان اسالك عن شى من حيث ان الكلام افضى بنا

الى ذكر ما يشوق الرجل من المراة وما يشوق المراة من الرجل * ومن حيث انى اراك قد نشمتُ فى علم هذه الفروق فقولى لى بحق السطح (وكان من عادته اذا سالها عن امر مهمّ ان يحلّفها بسرّ السطح الذى كانت تصعد عليه قبل الزواج) واصدقينى فيما تقولين * هل لذة المراة حين تنظر الى جسم الرجل كلذة الرجل حين ينظر الى جسم المراة قالت هما سيّان ولعلّ الاولى اعظم * قال فقلت كيف ذلك والرجل لا نعومة لبدنه ولا ملوسة * وقد خصّت المراة بمحاسن كثيرة خلا عنها الرجل * وذلك كرقة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والانامل وقد شبّهت بالعِسْوَدّة والاساريع والعُذْفوط والعَنَم * وكالدَسْع ولين الكَعْس والدّخيس والرواجب وتغطية الرواهش باللحم بحيث يبدو فى كل اشجع نونة * وكلطف اليدين وصغر الرجلين ورخاصتها * وامتلآ الرسغين والكعبين وسهولة المشطين * ونعومة العُرْش والعسيب * وجدل الذراعين ومكر الساقين وعطم الحماتين ودماجة الداغصتين * وضخم الوركين والماكمتين والفخذين والبتيلة والبطن * وكنحول الخصر ولطف الكتفين وانحطاط المنكب وصقل الترقوة والترائب والمفاهر * وكالعَنَط والعُطُف وصلاتة الجبين وطول الشعر * وكونها رخيمة الصوت ذات نشرخالية عن الحارّ والرَبَش والغَفَر والسُرْبة والاِسْب (١) وكون اذنها صَمْعاً حَشْرة مَشْرة تَدْمُرِيّة او مقذّذة او موَلّلة مُصْعَبّة * وما احلاها ياعينى مشنّفة * واعظم من ذلك كله وابدع بروز النهدين ونهودهما * وُجّمهما ونفجهما * وتكعّبهما ونكعثبهما * واصرئبابهما وتاوّبهما * وتقعهما وتكبّبهما * واكتيابهما وتقببهما * وتاتبهما وتزيبهما * وتدملكهما وندملقهما * وتزلّقهما وتزهلقهما * وسملكتهما وصعلكتهما * وزهلهما وتضافطهما * وتفلكهما وتدماجهما * وتمذجهما وتصعنجهما *

(١) العسودة دويبة بيضاً يشبّه بها بنان العذارى والاساريع دود بيض حمر الروس يكون فى الرمل وفى واد يعرف بظُبْى الواحد اسروع والعذفوط دويبة بيضاً ناعمة يشبه بها اصابع الجوارى والعنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراً يشبّه بها البنان المخضوب والدسع خفاً العِرق فى اللحم والكعس عظام السُلامى وعظام البراجم فى الاصابع والدخيس لحم باطن الكف والرواجب مفاصل اصول الاصابع او قصبها والرواهش عروق ظاهر الكف والعسيب ظاهر القدم وهو ايضا عظم الذنب والعرش ما بين العير والاصابع من ظهر القدم والمفاهر لحم الصدر والعَطَف طول الاشفار والحارّ شعر الانف والربش شعر الاذنين والغفر شعر العنق والقفا والسربة الشعر وسط الصدر الى البطن والداض السمن والامتلآ وان لا يكون فى الجلود نقصان *

وربوّهما ونبوتهما * وخظوّهما ورتوبهما * ونتوبهما وكعوبهما * وتموكهما ودموكهما وبزوغهما وصبوغهما * وشخوصهما ودخوصهما * ونتوّهما ونعوجهما . وتكوّفهما وتقبيهما * وتحذّيهما وتكظّيهما * وتوقّجهما وتعاجهما * وتصدرهما وتضبيرهما * وانتبارهما وتكوّزهما * وتعرّزهما وتلززهما * وتملسهما وتشرزهما * وتعلدهما وتمغدهما * وتاصصهما وتدلصهما * واجعانهما وتنشزهما * وتجبّنهما وتشزنهما * وتكتلهما وتلملمهما * وتزيّمهما وتركركهما * وارتكاكهما وتشويكهما * وترهرهما وتلوّههما * واندماجهما وانفراجهما * واقبالهما واعبالهما * وارتبازهما واكتنازهما * ونصّهما وعصّهما * ودأصهما وضنطهما * وقد قيل لهما من جملة اسماً كثيرة المرازان لاحتمال رَوْزهما باليد او الفكر * وشبّها بالرمان والقُرموط * وشبّهت حلمتاهما بالسعدان * وقد ـــ قالت قف هنا فقد اسهبت في وصفهما وفاتك احسن ما يراد منهما * قلت افيدي * قالت لو جئت بكلمة تدل على التقامهما او قفطهما لكانت خيرا من كثير من هذه الصفات * قلت ليس الذنب عليّ في ذلك فاني لم اجد هذه الدرة في القاموس * ثم قلت هذا وان المراة اذا كان في وجهها شعر ناعم او زغب ولا سيما على شفتها تستحب عند جميع الناس * فاما الاجرد منا او السناط والازطّ فمكروه عند الله والناس * قالت امّا اوّلا فلانّ المراة من حيث كانت تعلم انه لا شي في الدنيا يسدّ عندها مسدّ الرجل كان يشوقها منه ادنى شي * حتى لو نطقتُ مثلا امام امراة بالرّ بعد قولك اعوذ بالله من الشيطان لسبق وهمها الى الرجل * فعلاها على الفور الاصفرار او الاحمرار بحسب توجيهات خواطرها اليه * وكذا لو ابتدات بنطق الرّ بعد قولك بسم الله * فقلت اللهم لطفك وعصمتك * هذا فُرحان الطبع وقريحته فكيف بيانعه * ثم قالت اما الصفات

الحسنة الموجودة فى المراة دون الرجل على ما ذكرت انت وشبب به الشعرآ وتباهى به المصوّرون فعدم وجودها فيه ليس بمانع له من ان يُحبّ * لان المراة تعلم انه لا شى يقر عينها غير الرجل فوجوده على اية صفة كانت مشوّق لها كما ذكرت آنفا * الا ترى ان نسآ السودان يحببن رجالهنّ ابلغ من حبّ النسآ لبعولتهن فى بلادنا وفى غيرها * ومَثَل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادر مختلفة * ومثل آخرَ ما عنده الا كتاب واحد يطالعه * فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى اخر حتى ياتى على اخرها وما علق بذهنه منها شى * ثم يملّ من اعادة قرآتها * وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لا يجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد ان يمعن النظر فيها * ويحدّس فى معانيها * ويحفظها ويعيها ويترسمها ويتذكرها * ويتمثلها ويتدبرها * ويتحنها ويتوقمها * ويتصورها ويفلّيها ويطقّلها * وانما ضربت لك المثل بالكتب لانى اراك مبتلى بالمطالعة * وعندى امثال كثيرة غير ما ذكرت * وبعدُ فان فى الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست فى المراة * منها فردسة صدره والزّبب عليه * وارتفاع كفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشسع ذراعيه وكثرة العضل فيهما وعظم يديه وكونه قوبا شديدا جُلّدبا زَحْزُبّا سَّلبا سُنّربا عِزِرّتا عُضْلبا فُصْلبا كُنْنسا كسا قسّبا قربا قعبا هقبقبا اِصْلبا صِفتتا صِتبا صنتبا فنعانا عَلَنْكدا فِسْوَدّا أَربر مُحاسرا دَبْمرتّا سِبطرا قَبَعْسرا عُبْهرا عَشَنْررا قَوَصا صِملّا عَبنْبلا جرهامًا بُهْمة حُسَميّا شَنْبطما عُجْرما عَرِرما عَرصما عُرْدُمانا عَشَرّما فَسْحما شَرنْبنا فاهبا فِنْعاسا مُجَاجبلا ذا جهارة وجُسّة (١) * فهذه كلها يعدّها نحن النسآ محاسن فى الرجل * وفيه محاسن

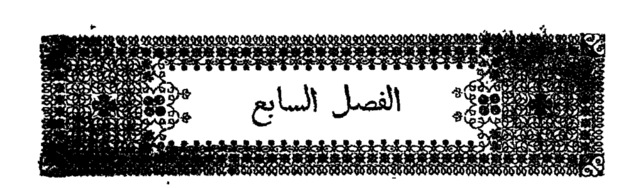
(١) سيأتى مرادف هذه الالفاظ فى اخر هذا الفصل *

اخرى اعتبارية وهى صعوده المنبر مثلا خاطبا * وركوبه الجواد وتقلده السلاح * وما احسن الرجل اذا مشى وسيفه يمسّ الارض * ثم قالت لو كنت اعرف القراة والكتابة لالّفت على الرجال والنسآ اكثر مما الّف فى جميع العلوم ذلك الشيخ الذى ذكرت لى اسمه سابقا وقد نسيته لكونه ميتا * قلت هو الامام السيوطى رحمه الله * قالت نعم اكثر من السيوطى ومن جميع السوطيين * قلت ومن المسوطيّين ايضا * قالت ولكن الذنب على من غادرنى بغير تعليم * لان العرب يزعمون ان علم القرآة مفسدة للنسآ * وان المراة اول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتابا الى عاشقها * مع انها لو خلّيت وطبعها كان لها من حيآئها وحشمتها عاضل اشدّ من الاب والزوج * بخلاف ما اذا حُظرت وحُجرت فانها لا تنفك تحاول التملّص والتفصّى مما حُصرت فيه * فمثلها كمثل المآ كلما زاد انبعاثا وجريانا زاد صفآ وانسياغا * او كمثل السائر المسرع فانه كلما زاد اسراعا زاد حسّه ببرودة الهوآ اكثر * قال فقلت فى نفسى والله لقد احسنوا لو انها تعلمت القراة والكتابة لما بقى فى شعرى بيت الّا وشطّرته وخمسته على غير ما قصدت * اللهم انقل معارفها الى ما يفيد * واكفنى شرّ المزيد *

حاشية من مرادف القوى الشديد او الصلب الشديد وما فى معناهما العُتُعُت الكُنْبث الكَنْدن المِكْلث المِلْيَث المَغِث العُضافج العَفْضج العَلّج الهُمَرّج الصَلَوْدح الصَلَنْقح الضَمْضَم الصَمَيْدح الكِرْدح الكَلْدح الدَحْوح المُجْلَنْدى الجَلْعد الجَلْمد الصَلْخد الصِمَقد

الضَهْيد العِرْبَدّ العُصّلد الأَقْود الذِفِرّ الذِمِرّ الذيمرى الرِبِرّ الزمِر
الصَمْغرِيّ الضَبير الصِبَطْر الصَبَغْطَرى العَيْزار العَشَنْزَر القَبَعْثَرى
القُناصر الكُماتر النيَزّ الجُلَبز الجُلافِر الخُراخِز التُرامِز الدَحْز
الضُبارِز العَضَمّز العِلْكز العَلَنْكز الفِيَزّ القِلِزّ الكِلَزّ الملزّز الحُمارس
الدَخْنَس الدُراهس الدُلَهْمَس المتشمّس العَتَرّس العَكَنْدَس
العَمَرّس القلمّس العُناعِس الهَكَلّس الهملّس الفُرافِص الكَيَصّ
المتحمِّط الصُبَنْطَى الضِفَطّ العملّط المعلّط الضَليع الضَنِق
الدَمَكْمك الصَمَكيك الصمُلّك العَبَنّك العَرِك الجَنَعْدَل الحُوّل
العَرَنْدل العُنْشل الكُمْتل الكُنْبل الكَنَهْدل النَبْتل البُهْصم
الدِلَظْم المِرْجم الضِرْغامة العَرْدم الفيِّم القِرْشَمّ الهَيْرم الهَبْصم *

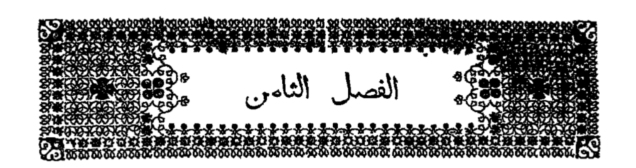




الفصل السابع

في الحُرْتة

قد كان الكلام في الفارياق حالة كونه فردا مُعْبِرا فكيف به وقد صار الان زوجا * فارى الان تركه على الحالة الزوجية اولى * لان حديثهما هذا كان في الليل فلا ينبغي التكدير عليهما فيه الى ان يصبحا ويذهب هو الى معبّرة اى موضع التعبير الذى عيّن له * ولعل الجناب الكريم ايضا متاهّب بعد حُرْتة هذه الابازير الى الفراش * فارقد هنيّا * وان حلمت ليلتك شيا فابلغه مسامع الفارياق * فانه اصبح اليوم من كبار المعبّرين



الفصل الثامن

في الاحلام

ها هو الفارياق جالسا على كرسي وامامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها صحفة من صحف الطعام * وبين اصابعه قلم طويل وبين يديه دواة فيها حبر كالزفت * وقد شرع في تفسير احلام رآها رئيس المعبر في منامه * الحلم الاول راى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند فوجد فرسا في الطريق طاعنة في السنّ ولا سرج عليها * فلما راته الفرس دنت منه ووقفت وهي تحمحم فجاوزها بعض خطًى واذا بها جرت وراءه * فلما ادركته وقفت ايضا فقال ان لهذه الفرس شانا * اني اريد ان امسك بناصيتها لانظر ماذا يكون من امرها * فلما مسّها تطاطات له كالمشيرة اليه أنِ اركب ولا تخف لعدم السرج * فركبها حيث كان قد اعيا من المشي وسار غير بعيد * واذا هو بدكان سروجي فنزل عنها واشترى لها سرجا ثم ركب وسار في مضيق حَرِج فيه اشجار كثيرة * فنشب في راسه بعض اغصان الشجر ومنعه من السير * فحاول ان يتقدم فلم يمكن له واشفق ان يهمز الفرس للاقدام فوقف يتفكر فيما عرض له وهو متعجب جدًّا * واتفق انه مدّ يده وقتئذ ليحك راسه فاذا به قد نبت له ستة قرون * اثنان من امام على كل صدغ واحدٌ

واثنان من خلف واثنان في الوسط * وكان ذلك الغصن مشتبكا بها كلّها * فتوصّل الى ان قطع الغصن من الشجرة لكنه بقى ناشبا في القرون * ثم سار وهو على هذه الحالة فكان كل من رآه يتعجّب منه ويقول انظروا هذه القرون الستة في راس هذا الرجل * وهو غير مكترث بهم * حتى اذا دخل في مازق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل صدم بعض الصخور اربعة من القرون * فانكسرت وسقطت وبقى له قرنان من امام فقط * ولكن كان احدهما يميل الى الثاني ويماسّه ثم صارا يتحاكان ويصطكان * وكلما اصطكا سُمع لهما صوت عظيم * فاقبلت الناس من بعيد تنظر اليه وتتفرج عليه * فلما ضاق بهم ذرعا وراى كثرة الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع * فابت عليه الفرس ذلك وصارت تثب وتطفر قُدُما * وكلما ركلها برجله ازدادت وثبا وتقدما * فنظر اليها كالمتعجب منها فاذا بلونها قد تغير عن اصله * فقال في نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التى ركبتها اولا * فنزل عنها ليكشف عن سنّها * فلما اراد أن يضع يده في حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة غشى عليه منها * قال فكانّ الفرس حين ابصرته مجندلا مصروعا رقّت له فجعلت تنفخ في منخربه وتلحس مواضع القرون المكسورة منه حتى افاق قليلا * فطفق يئنّ ويجأر بالدعآ الى الله لان ينجّيه مما المّ به * فاشارت اليه الفرس براسها أنِ اركب لنرجع من الطريق التى اتينا منها * فقام متجلدا وركب * فلما وصل الى ذلك الموضع الحرج نبتت فيه تلك القرون المكسورة وعادت كما كانت * فكان يلمس عليها وهو سائر * فلما امسى عليه المسآ نزل في خان ليبيت فيه ليلته تلك * وامر صاحب الخان بان يُعنَى بدابّته ويحضر له ولها عشآ * فلما انتبه صباحا وجد

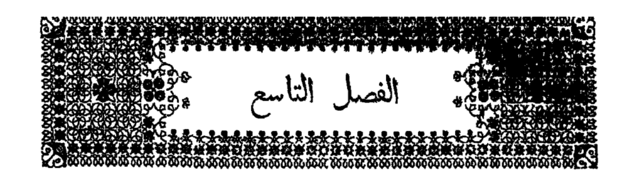
السرج قد سرق * فقال لصاحب الخان قد فقدت عندك سرج فرسي وما يتاتى لي ان اركبها بدونه * قال بل انت مبطل فيما تدعيه فانك حين قدمت كنت معروريا لها * فلجّ بينهما الخصام وتماسكا بالجيوب * فلما علم انه لا ينتفع بشي رضي من الغنيمة بالاياب * وقام الى الفرس وركبها وبقي سائرا الى المسآ فوجد خانا آخر في الطريق فبات فيه * فلما اصبح الصباح واراد ان يركب لم يجد اللجام * فجرى له مع صاحب الخان هذا ماجرى له مع ذلك * ثم بات الليلة الثالثة في محل آخر * وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب * وبقي كلما بات ليلة يفقد عضوا من اعضآ الفرس حتى بلغ مدينته ساعيا على القدم وغابت عنه الفرس بالكلية * فاما القرون فزال منها اربعة بزوال الفرس وبقي منها لانسان المقدمان *

تعبيرة

لما القى هذا الحلم الغريب على الفارياق اخذ يعبث بشاربيه على عادته ويفرك جسمه بيده ويروي ما بين عينيه * الى ان اهتدى الى تعبيره فكتب بجانبه ما صورته * هـذا ما عبّر به العبد الذليل المسمّى بالفارياق لجناب المولى المكرم السيد داهول بن غافول عن حلمه الذي رآه في منامه * ان الفرس كناية عن امراة * والمشي ولاعيآ كناية عن العروبة * والسرج كناية عن ادب المراة * واللجام عن عرضها * والمكان الحرج كناية عن الولائم والمآدب والزيارات التي يتجشمها المتزوج ويدخل فيها راسه وراس امراته * والعصن كناية عن بعض المدعوين الذين ينتسبون في الزوجة * والقرون كناية عن الحالة الزوجية التي يكون عليها

الرجل والمراة * ونبتها واضمحلالها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه * ومبيته فى الخانات كناية عن سفره بزوجته * وغياب الفرس كناية عن فقدها * وباقى الحلم مفهوم بالفحوى والله اعلم * فلما اخذ التعبير وامعن النظر فيه مليّا رجع الى الفارياق عجلا وعلى طلعته آثار الغيظ وقال * ان فى تعبيرك خطا من وجوه * الاول ان عبارتك موجزة بخلاف عادة المعبّرين * والثانى ان الفرس ليست كناية عن المراة فان المراة عندنا لا تكون دون الرجل اى تحته بل هى اعلى منه * فيجب ان يكون تعبيرك بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم * والثالث ان اللجام لا يكون كناية عن عرض المراة فان اللجام انما يوضع فى الفم وعرض المراة لا يكون فى فمها * ولكن ينبغى الآن ان ندع هذا وتاخذ فى تعبير الحلم الثانى * فاجتهد فى التحرير والاسهاب * فعسى ان تصيب وتحرز الثواب *





الفصل التاسع

في الحلم الثانى

راى صاحب المعبّر اطال الله بقاه * وعظم مقامه بين العالمين واعلاه * انه اراد يوما ان يكتب خطبة يتلوها على القوم فى يوم عيد * فاخذ القلم والقرطاس وكتب حرفا واحدا * واذا بامراته تدعوه من حجرتها ليجَوْرِبها * فترك الكتابة وحفد اليها * فلما جوربها ورجع راى ان قد ضُمّ الى ذلك الحرف حرف آخر بحبر غير حبره * فقال فى نفسه تُرَى من دخل حجرتى وخط هذا الحرف الذى ناسب ما اردت من المعنى * ثم اخذ القلم وكتب حرفا آخر واذا بامراته تدعوه لبربط لها شراك نعلها * فقام اليها وفعل ما امرته به ورجع فوجد حرفا آخر قد اضيف الى الثلثة الاولى حتى تمت به الكلمة فزاد تعجّبه من ذلك * ثم اخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامراته تدعوه ايضا ليمشطها الكُعَكُبة او والله اعلم المقدّمة * فقام ومشطها برفق ولطف ثم رجع فوجد كلمة تامة اضيفت الى كلمته متلائمة بها * فاخذ القلم وكتب كلمتين فدعته امراته ليجمّرها * فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد كلمتين تامتين * فاما تكامل له سطر دعته امراته ليعقد لها عُطّامتها * ثم رجع فوجد سطرا بجملته * حتى اذا تكامل له صفحة دعته امراته ايضا ثم رجع فوجد صفحة كاملة * وعند انتهآ الكراس وجد كراسا وقس على

ذلك الى ان كمل الكتاب * وكانت امراته قد فرغت من تفتحلها وزينتها* فحمل الكتاب اليها واخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف* وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لى ومساعدتك اياى على الباسى * فينبغى ياعزيزى ان تواطب عليها * فلما كان فى الغد فعل ما فعله امس من الكنابة والحدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له اوّلا * فزاد سرور كلّ منهما به * فلما حان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول فادهش السامعين ببلاغته واسجام عبارته ودقة معانيه * حتى اذا فرغ اخذ الناس يطرئون عليه ويقولون له ما طرق مسامعنا كلام ابلغ من كلامك قط * فقال لهم هذا يُمن الشراك فلم يفهموا * ثم رجع الى بيته مبتهجا متهللا واخبر زوجته بما جرى * فقالت له ان نصحى لك ياعزيزى ان تجتهد فى الخدمة والكنابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نقصد بها بعض البلدان البعيدة فتتلوها هناك * لانه لا يمكن لك فى هذا البلد ان تتلو خطبة الا فى يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة * وبكون من الخسران ان تبقى هذه الكتب الجليلة غير متلوّة * فقال لها الراى ما رايت * ثم انهما تجهزا للسفر الى بعض البلاد المشرقيه ومعهما تلك الكتب قد ضمّنت صناديق من خشب الساج نفيسة وانفقا عليها مبلغا جزيلا * فلما بلغا طيّتهما اكتريا لهما دارا رحيبة مطلّة على الحدائق الناضرة * وارسل مناديا ينادى فى الاسواق ان احضروا ياقوم خطبة المولى داهول بن عاقول فى يوم كذا وساعة كذا * ليسمعكم من المعانى البديعة ما لم يطرق مسامعكم قط * فحشدت اليه الناس افواجا افواجا * ولما استقروا فى المجلس صعد سلّما كان قد نصب له فيه * وفتح ذلك الكتاب الاول الذى كان اعجب به قومه واذا به ممحوّ لم يشتمل الا على الحروف التى كتبها بيده * فحاول

ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنىً ما فلم يمكن له * فنزل عن المنبر جهلا وهكذا انتبه من نومه *

التعبير

هذا ما يعبره العبد الفقير الفارياق للمولى ذاهول بن غافول * ان ما توهمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاسفار الى كلامك الذي اعجب به قومك لم يصلح في غير بلادك لارتباطه بربط العظامة والشراك * والله اعلم * فلما بلغت هذه العبارة للمشار اليه اقبل الى الفارياق وهو يخبط الارض برجله ويشمخ بانفه قائلا * هذا التعبير افسد من التعبير الاول * وهذه العبارة اخصر من تلك فلا يكاد احد يفهم ما تقول * واذا كان تعبير الاحلام غامضا مبهما كالاحلام فلا موجب لاستخدام معبرين وتكليف الناس قرآة ما لا يفهم * فقال له الفارياق هكذا جرت العادة في بلادنا التي هي معدن الاحلام ومنبت التعبير * فان روسكم لم تكتسب هذه الخاصّية الّا من روسنا * ولولا نحن لما عرفتم ان تحلموا مدة حياتكم كلها ولا حلما واحدا * قال فكانّ الرجل انتبه من غفلته وسكن من ثورته * ثم قال قد بقي عليك الان حلم واحد فهاكه *



الفصل العاشر

في الحلم الثالث

رای صاحب المعبر اطال الله مدة نيابته عن الهالجين * وحقق احلامه مع الفالجين * أن قد نصب له ذات يوم سلّم عال يشتمل على مئه درجة ليصعد اليه ويخطب القوم من اعلاه * فلما حلق لحيته وشاربيه ولبس ثيابه السلّمية ارسل من جمع القوم الى موضع معيّن * وكانوا كلهم قد علموا بذلك من قبل وسبقوه اليه * لما انه لبث ساعة ينتظر امرأته حتى تقوم من الفراش فيرعمّها ويعانقها قبل توجهه * ثم تأبّط كتابه واقبل يجرى الى ذلك المحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة * فلما بلغ الموضع وراى السلّم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من الفرح * فقال في نفسه هذه فرصة ما سمح الزمان لغيرى بمثلها * فسأردّ اليوم هولآء القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبى واخلاق كاخلاقى * ولو لم اعمل من الصالحات غير هذا لكفى * فقد كُتب اجرى عند الله * ثم تمادى في الافكار * وثمل من الاستبشار * واستقبل السلّم وهو مدهوش * وما كاد يصل اليه الّا وقد مدّ رجله منفشّحا الى اول درجة منه من دون ان يسلم على احد من الحاضرين * ثم افتتح الخطبة بقوله * الحمد لله الذى امر بنصب السلّم وارتضاه له عرشا * فسمع احد القيام هذا

لاستهلال فانكره * وقال لمن كان يليه ما اظن خطيبنا اليوم الا معتوها *
فلست اشآ ان اسمع منه اكثر من هذا ثم ولّى * فصعد الخطيب الدرجة
الثانية وقال * وجمع الناس الى هذا المحفل المبارك وكلهم فارش اذنيه
للاستماع فرشا * فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شرّ
من الاولى * فانى لا ابالى بكون السلّم عرشا او نعشا وانما اغضب لاذنى
ان افرشها ثم ولّى * وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة
ركيكة مثل هذه وينفضّ عنه شخص وهو غير منتبه لما شمله من الفرح
الذى ادهله عن رؤيتهم حتى بلغ درجة المئة وقد انفضّ الناس كلهم عنه *
فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم يرَ احدا * فقال فى نفسه قد
الفت خطبتى وجمعت لها القوم * وها هم قد تولّوا وبقيت الخطبة معى *
فمالى لا اتلوها جهرا فى هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض
وقذرها * فان لم يسمعوها هم يسمعها الله وملئكته * فانه يقال كلما بعد
الانسان عن الارض زاد تقربه الى السمآ * ولست ارى موضعا يصلح
للخطب اكثر من هذا * ولعلّ احدا من المارين يلتقط كلمة مما اقول
فتكون سببا فى خلاص نفسه ونفوس ذويه وجيرانه ومعارفه * فان لفظة
واحدة من فم واحد قد يكون فيها الموت والحياة * ومن العيب ان
اعود الى زوجتى واقول لها ان الخطبة بقيت غير متلوة * ثم انه مسح
عرقه واصلح صوته وثيابه بعد ان جعل الخطبة على الكتاب وجثا يصلى
قليلا ويدعو الله لان يلهم احدا من الناس ان يمرّ به ويسمعه * ثم قام
ناشطا مسرورا وقال * اسمعوا ياخوتى الاحبآ وانصتوا اليوم لما انا قائله
لكم * واتفق وقتئذ ان مر به رجل من الشعرآ الغاوين * فلما سمعه
يقول ذلك ولم يرَ عنده احدا وقف وقال من اطلع هذا المجنون الى راس

هذا السلم * واين اخوته الذين يخاطبهم ام عساه يكلّم الجنّ في الهوآ ان في هذا لعجبا * ثم صاح به انِ انزل يارجل ولا تعرض نفسك للهزء والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله احد * فلم ينتبه له الخطيب لانه كان شاخص البصر نحو السمآء * فاعتقد الرجل بان به لَممًا * فاراد ان ينزله باية وسيلة كانت واخذ في قطع اوتاد السلم واطنابه * فلم يشعر الا والسلم قد تقوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على راسه اى على راس الشاعر * فتهشم كل منهما وتحطم *

التعبير

لا ينبغي للخطيب ان يكون ثرثارا * وان داوم المولى الطرّاد على الثرثرة ولا يامن من ان يسقط سقطة تدق بها عنقه والله اعلم *

فكان هذا التعبير انكى له واقهر مما تقدم وذلك لنهيه عن كثرة الكلام ولوجازة العبارة * فلما كان بعد ايام جاءه برقعة فيها ما صورته * حلمت ان رجلا من اصحابي قد اهدى اليّ قنبيطا مما ينبت في سهل الاردنّ * فاتخذت منه عشآ وبتّ فرايت انى دككت اسوار مدينة في الجوّ تشبه مدينة اريحا في حصانتها ومناعتها * فكتب الفارياق بجانبه

اذا ما تعشّى القُنّبِيْط جُراضمٌ رمى الجوّ من برج استه بجُلاهق
فيفعم ثقبَي منخريه عُجاجُها فيرجع ايضا سبكها كالبنادق

فطالع امراته بذلك فقالت لعلّ الرجل قد اُلِف الان هوآء البلاد فاني اراه ابتدا يصيب * وقد ذهبت عنه تلك الحدّة التي كانت تظهر سابقا في حركاته وكلامه * فساجرّبه انا الان بنفسي في حلم رايته البارحة *

ثم اخذت رقعة وكتبت فيها * رات السيدة ورهآ زوجة السيد داهول بن غافول ان بيدها قفلا مصقولا مجلوّا ذا ثقوب كثيرة * وبيد زوجها مفتاح ذو ثقب واحد وقد صدئ * فكتب الفارياق تحته

المرء والمراة سيان في الميل الى العشق وحبّ السفاح
لكنّ ذا مفتاحه قد يهى وتلك مامون لها الانفتاح

فلما اطّلعت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالى قبل تعبيره * فما اقربه الان الى الصواب فخذ له هذه الرقعة الاخرى * فتناولها الفارياق واذا فيها * رات السيدة ورهآ ان قد كتبت على جبين زوجها عدد اثنين * فلما ابصر نفسه في المراة حاول ان يمحوهما * فبادرته وامسكت يده فلم يقدر الا على محو واحد فقط * ولكن بقى الاخر غير ظاهر ظهورا بينا * فكتب تحته

فرض على الزوج ان يكفى حليلته في كل ليل ونَفلٌ بعده يُرضى
فان تبدّل لفظ الفَرض بالرفض تبدّلت هي معنى العِرض بالعُرض

فاستحسنت البيتين جدا ثم ناولت زوجها رقعة اخرى كتبت فيها * رات السيدة ورهآ سيدة السيد داهول بن غافول انها ترى الاسود بعينها اليمنى ابيض * والابيض بعينها اليسرى اسود * فكتب تحته

رضآ الزوج صعب ايّ صعب ولا سيما اذا رات المِعَنّا
فتنظر فيك كل الحسن قبحا وتنظر فيه كل القبح حسنا

فاستطرفتهما وقالت لزوجها اراه يحسن تعبير الاحلام السائبة القصيرة *

فاحلم لى الان ياعزيزى حلما قصيرا واكتبه فى رقعة وانا اناوله اياها لننظر هل يستمر على هذه الطريقة معك او لا * فلما كان الغد جاءته برقعة فيها * رؤى فى المنام شى مطاول * ثم ظهر لعين الرآى مستديرا ثم مطاولا ثم مستديرا وهلم جرًّا * فكتب الفارياق تحته

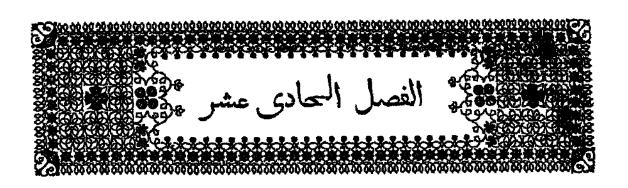
قد كنت احسب هيئة الدنيا نظير الفرج اد فى القدر يشتبهان
حتى استبانوا انها كالاست تد ويرًا فقلت تقارب الشَّبَهان

فلما اطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت اراه لا يتادّب الا معى * وانه ليشمّ الامور النسآئية شما فان هو الا زير نسآء * ولكن لا باس فى ان تجربه بحلم اخر وبعد ذلك نرى ما الذى ينبغى ان نصنعه معه * فلما كان الغد جآءه برقعة فيها * قد رايت ان يدا خطت على صدغى عدد ثلثة ثم توارت * فمددت يدى الى صدغى لاحكّه فمحت من العدد ستّين فصار الباقى واحدا ذا عوج * فكتب الفارياق تحته

تكلفنى زوجى ثلثا ولم أطق سوى صرعه والعجز من داك لا منّى
فقلبى وطرفى لا يملّان بتّةً كمُهْبلها لكنّ دلك لا يعنى

فاخذ الجواب واقبل يهرول الى امراته * فلما اطلعت عليه ضحكت وقالت انه لا يزداد معك الا جنونا وسفاهة * فينبغى الان ان تدعه حتى حين وقم انت الى الصرعة * فقاما اليها واستراح الفارياق منهما اياما *





الفصل الحادى عشر

في اصلاح البحر

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيرة ان الفارياق قدم اليها لتفسير الاحلام وانه حسن بهذا الفن جدا * وان به ملكة ايضا على اصلاح البحر * فبعث اليه ذات يوم بعض حجّابه يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم لمسألة مهمّة فلا بد من ان تبعد عليه * فلما حانت الساعة توجه الفارياق اليه وهو موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلما حكميّا جليلا يعسر عليه تعبيره * لان العظماء لا يحلمون الا الاحلام العظيمة * فهم مترهون عن خلاقهن العنسط ووهي المفساح والصرع وغير ذلك من الاحوال الجسيسد اللاثقة بالصعاليك * فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغني وصولك الى هذه الجزيرة عند الخرجي * وانه قد صانعك بكثرة احلامه وما كفاه ذلك حتى علّم زوجته ايضا ان تحلم مثله * فهل لك الان في عاطي مصلحة لدينا تحقق عنك احلامه وتسهل كسبك * قال ما هي ياسيدي * قال ان عندنا في هذه الجزيرة قوما بحرا لا يطيق احد ان يفهم منهم شيئا اذا تفوهوا ببذه بحرهم * وقد سمعت انك قادر على علاجهم فهل لك في اصلاحهم ولك عندنا المكافاة الحسنة * قال الامر الى يا سيدي ولكنّي كاهن المعبّر * قال اني باعث الان الى الخرجي

من يخبره بذلك فلا تخش منه ضيرا * قال جزاك الله خيرا * انك اهل للخير والفضل * ثم انصرف من حضرته من غير ان يرجع القهقرى * لان حكام الافرنج لا ينكرون على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل بطونهم اظهر من ظهورهم * فلما بلغ الى منزله واخبر زوجته بذلك وكانت قد ابتدأت تتهجى قالت * بورك من يوم انى رايت فيه بدكان جوهري عقدا نفيسا * وكانى رايت عليه حروفا ظهر لى انها ك س ب ا ل ب خ ر فهل يخرج منها معنى * قال يخرج منها معنى انى اشتريه لك من الدراهم التى تحصل لى من وظيفة البخر * قالت نعم فانى كنت اسمع امّى تقول لابى ان الرجل اذا بذل راس ما يتحصل بيده من الاموال فى شرآ حلى ولباس لزوجته بارك الله له فى ذنبها * اى فى ذنب الاموال لا فى ذنب امراته * قال فما الفائدة اذا من هذا البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين * قالت لزيادة جمال زوجته * قال اما انا فراضٍ بما فيك من الحسن الطبيعى فلمن هذه الزيادة * قالت هى تزيدك حبّا الىّ * وتبعث غيرك ايضا على ان يحسدوك علىّ * ويتمنّوا لو انى كنت لهم * قال اللهم اكفنى شرّ المزيد * ولكن لا بدّ من شرا العِقد * فهو اولى من انحلال العُقد * فوعدها بذلك فاتّعدت بحمد الله تعالى ولمست جيدها * فلما مضى الشهر وقبض المرتب له انجز لها وعده * فقالت هو من دراهم البخر ولكنه احسن من الندّ * لقد قسم الله بيننا اعدل قسمة خذ انت دراهم الهُلج واعطنى دراهم البخر * فقد رضيت بهم * قال فقلت لها لا تقولى بهم ولكن بها * فان بهم يرجع الى البخر * قال فهينمت بكلام لم اسمعه كله وانما سمعت من آخره قولها واى ضرر من هم * فقلت لها واى حيزبون

انت * فالتفتت الى الباب فلم ترَ احدا فقالت اين الزبون * ثم استمر الفارياق فى الوظيفتين المذكورتين معبّرا ومصلحا مدة مكّنته من حل مشاكل زوجته * واتّخذ له متاعا فاخرا وآنية حسنة وصار يدعو الناس ويصنع لهم ولائم * وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين فى خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنسآ بحضرته * وكان من جملة المدعوّين الفارياق وزوجته * فلما رات الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنسآ قالت لزوجها * هل هولآ النسآ ازواج هولآ الرجال * قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك * قالت وكيف يخاصرونهن اذًا * قال هذه عادة القوم هنا وفى سائر بلاد الافرنج * قالت وبعد المخاصرة ما يكون منهم * قال لا ادرى ولكن بعد انفضاض الناس يذهب كلّ الى منزله * قالت اشهد بالله انه ما خاصر رجل امراة الّا وباطَنَها * قال لا تسيئِ الظن انها عادة قد مشوا عليها * قالت نُعَم هى عادة ونِعْمت العادة * ولكن كيف يكون احساس المراة حين يلمسها رجل جميل فى خصرها * قال فقلت لا ادرى انما انا رجل لا امراة * قالت ولكن انا ادرى ان الخصر انما جعله الله فى الوسط مركزا للاحساس الفوقى والتحتى * ولذلك كانت النسآ عند الرقص والقرص فى اى موضع كان من اجسامهن يبدين الحركة من الخصر * ثم تنفست الصعدآ وقالت * ياليت اهلى علمونى الرقص * فما ارى فيه لانثى نقص * فقلت لو فتحتِ الصاد فى كل من المصراعين لكان بيتا مطلقا * فقالت ياللفضيحة بين الانام * اتقول هذا الكلام فى مثل هذا المقام * فلت هيت الى البيت * فقد كفانى ما سمعت الليلة وما رايت * قالت لا بد من ان ارى ختام الرقص * قال فلبثنا

الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهى سائرة * نسآ مع رجال راقصات * رجال مع نسآ راقصون * راقصات راقصون راقصون راقصات * فعلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات * قالت الرجال والنسآء والبنون والبنات * كيف — متى — اين — ثم بعد ايام ورد على الفارياق حلم مشكل فى وحش ذى قرون واذناب كثيرة وشيات وبقع شتى فى جلده * واراد صاحب المعبر ان يعرف تاويل كل قرن وسرّ كل بقعة * فعسر عليه ايتاؤه فذهب الى منزله مبتئسا متسخطا * فقالت له روجته ما بك * قال همّ ونكد * قالت ما سببه * قال كلما تخلصت من ورطة وحلت فى اخرى شرّ منها * قد كنت من قبل مداحا للسرى بما لم ارذ * ثم صرت عشير المجانين * ثم معبّر الاحلام * ثم مصلح البخر * وكل ذلك على غير ما اروم فما انكد هذه المعيشة واضيق هذه الدنيا علىّ * اليس فى الارض مندوحة عن هذا * قالت خفف عليك ياسيدى ان كل انسان فى الدنيا له نصيب من الحزن والهم * حتى المراة ايضا لا تخلو من الهمّ فدابها كل يوم ان تزجج حاجبيها * وتكحل عينيها * وتورد خدّيها * وتخفف خطو قدميها * وتنظر فى المرآة مئة مرة كيلا ترى شعرة قد انفردت عن سائر شعرها * ثم تخاطب نفسها فى المراة وتضحك وتتبسم وتُهلس وتغمز وتلوى جيدها وعطفها وتتنفس الصعدآ وغير ذلك * لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال فى عيون الناس * قال فعلت اهذا وقت الجدّ ام الهزل * انا اقول لك ان للوحش اذنابا وقرونا وشيات لا تحتمل التاويل * وانت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل * قالت ليس فى كل يوم ياتيك وحش مثل هذا وانما همّ النسآ فى كل

صباح ومسآ ضربة لازب * وحسنا بالغربة همّا وحزنا * قلت اما انت قريرة العين هنا وقد تمتّعت بالحرّية فى الخروج وحدك * وفى روّية الناس وفى روّيتهم لك بما لم تعهديه من قبل فى دولة البرقع والحبرة * قالت انما ينغصنى كونى لا استطيع ان ابلّغ اهل مصر اى النصارى منهم فبطبّهم وشاميّهم ما يراد من الزواج مما لم يعرفوه بعد * فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المراة لمرضاة الرجل فى فراشه وخدمته وخدمة بيته * فترى طلعة الرجل منهم اذا جاء منزله وواجه امراته كطلعته حين غاب عنها سوآ * وانه ليقعد بعيدا عنها قعدة المستريب المتفكّن * واذا نظر اليها فما ينظر الّا الى شعرها ليرى هل به شعث او لا * ثم هو لا يصالحه لها امام الناس اذا شعثته الريح وغيرها * ولا يلبسها ولا ياخذ بذراعها اذا تماشيا * بل قلما يمشى معها الا اذا سارت لتنظر اهلها غيرة عليها من ان يكلمها احد فى الطريق او يراها فترجع حبلى من النظر بفذّ ومن الكلام بتوأمين * فاذا حضر الطعام تعشى وهو ساكت وجم كانما ياكل سما مسموما * وربما كلفها غسل رجليه قبل النوم او تكبيسهما حتى يحبثه النعاس * وهو فى خلال ذلك يرمس ويُرضك ويتثآب ويتمطى * ثم يرقد دون عفو ولا حفر * وكلّما كان عيد لاحد مناجيف الرهبان تابّل عنها * ويلزمها ان تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدى * واحسنت ياسيدى * وربما كان ذلك السيد سيدا عملّسا * او كان من اكبر الحمقى وكانت هى رشيدة لبيبة فلا يسعها الّا ان تتمعّل له * ولا يمكنها اذا رات منه غواية ان تردّه الى طريق الصواب * فقد تقرر فى عقول النوكى المآفك ان عصابهن النسآ طاعة لله حسنة *

حتى اذا وقع منكوسا على ام راسه رجع الى امراته باللوم والتبكيت * قال قلت قد روى عن النخعى انه قال من اشراط الساعة طاعة النسآء * فقالت كانى بالافرنج قد حشروا او يحشرون الليلة * ثم استمرت تقول واقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحيى ان يتزوج ببنت لم يات عليها بعدُ نصف عمره * فاذا استقرت عنده شرع فى تربيتها وتنبيتها وتوليدها من ذى أُنُف وعاملها بالنفاق والدهان * فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهمها انه ذو صلاح وتقوى يتورّع من اللهو والسماع وعشرة الفتيان الكيّسين * وما يخطر بباله ان مغايرة السنّ بين الرجل وامراته هى من اعظم الاسباب الباعثة لها على فركه * بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هى مفعولا يقضى له بالمزية والفضل عليها * فقلت ان دعوى الفاعلية ما اراها الّا باطلا * فان المفاقمة والمباضعة والمواقعة واخوانها تدلّ على ان الفعل مشترك بين اثنين * وانما الافضلية باعتبار البادئ * قالت ليس الابتدآء متعينا على واحد دون الآخر فايّهما بدا صحّ * فلا مزية لاحدهما على صاحبه * هذا وكم من مرة لمجرد هذا الوهم يغادر الرجل امراته وحدها فى البيت ويقضى ليلته عند احد اصحابه * فيتعاطى معه المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل * فلا يقدر على الرجوع الّا اذا حمل بين اثنين كالجنازة * ثم هو لا يفرق بين ان تكون زوجته حبلى او غير حبلى * فتراه يكلمها وهى فى تلك الحالة بعين الكلام الذى كان يكلمها به من قبل * وربما دمق عليها كالضاغب فناداها بمَرْضبة * او اسمعها الضَبَعْطَى والضَبَغْطى والضَبَعْطَرى وايه ودُخْدُخ وهُجاجَيْك وهذاذيك * او كان عليها دُبُوقآء او اراقا او طاقاة او عفاقآء او

عُيابا او صُباماً * فنهاية رفقه بها وشفقته عليها انما هو ان يشترى لها جارية او يستخدم وصيفة * وليس المقصود بذلك مجرد تخفيف الشغل عنها وانما المقصود جعل الامَة او الخادمة رقيبة عليها حتى لا تخونه فى عرضه * ولا اقول فى ماله لانه لا يخرج من البيت الا بعد ان يقفل صنادبقه * مع ان الجارية لا تكون الّا ذات ضَلْع مع سيدتها عليه وان شتمتها بين يديه واهانتها * لانها لا يهمها كون سيدتها تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة * بل يهمها ان تنال عندها الطيب من الماكول والمشروب * فاذا كانت زلّة سيدتها كما يقال تحت يدها ادلّت عليها بتلك الزلة وتجرأت على ان تطلب منها ما تشآ * لا بل تتمنى ان سيدتها تكثر من العشّاق ما استطاعت * لانها تومل منهم الصلة والاحسان * ومعلوم انه كلما كثرت العشاق كثرت الصلات * وبعدُ فان من طبع النسآ فى كل زمان ومكان الارتياح الى شواغل الهوى وبواعث العشق * وان يرين اهل الدنيا كلها مسترسلين اليها ومنهمكين فيها * فالجارية التى تكون عند سيدة حرّة على فرض صحة ذلك لا تلبث ان تغاصب سيدتها حتى تغرى زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند اخرى غير حرّة * غير ان الرجال مغفلون * نعم هم مغفلون * فاما تبجّحهم بكونهم يشترون لازواجهم حليا فى ربيع يُسْرهم فذلك عائد الى خيرهم * لانهم لا يلبثون ان يسلبونهنّ اياها فى خريف عسرهم وافلاسهم * فاية امراة ترضى لنفسها بان تقعد فى بيتها كالفرس المسرج المعدّ للركوب وهى محرومة من معاشرة الناس * قال فقلت والله ما قلت كلاما احسن من هذا * وهذه اثار النجابة بدت تسطع من طباعك فحيّاك الله وبيّاك * قال

وما بيالك قلت ليس بشى * قالت ولكنها عندى حسنة للازدواج * قلت كانك تقولين انه من قبيل تزويج لفظة باخرى فيشم منه رائحة الزواج * قالت نعم الزواج سارٍ حتى فى الالفاظ * قلت ولكن بقى لى عليك اعتراض وهو انك عرّضت فى اول خطبتك هذه البليغة التى افادتنى اكثر من خطب صاحب المعبّر بانى اصلح شعرك وثيابك امام الناس * او بانه يلزمنى ان افعل ذلك وهو مما فات فكرى * قالت انك لمّا تفعله ولكن ستفعله ان شآ الله عن قريب * فانى

اراك تقدر النسآ ولا تبخسهن حقهن

وأى واحدة من عباد

الله هولآ

*



الفصل الثاني عشر

في سفر ومحاورة

ثم لما كان الغد ذهب القارياق الى المعتبر وهو موحش من بعده الوحش * فجاءه الرئيس يقول قد عنّ لي ان اسافر الى ارض الشام لاجل تغيير الهوآء * فان هوآء ذلك القطر طيب والاقامة فيه تصح وتسهل تغييرها * واني اراك مثلي ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعسى الله ان يوفق لنا اسبابه ويعود بخير * فاستاذن القارياق الحاكم في ذلك فاذن له كرما وتفضلا * فاقبل على زوجته يودعها ويقول * عهدي اليك يا زوجتي نادى ندبه ان تذكري السطيح فتعينك على حفظ العهد والوداد * وان تعتني بامر ولدي * الذي اغادر عندك معه كبدي * واذا اتاك فاسق بنأ عني فتثبتي * اي اذا قال لك غدا احد ممن حسدني عليك قد مات زوجك في البحر واكله الحوت ولم يبق في عالم الوجود سوى اسمه فلا تركني اليه * قبل ان يرد اليك كتاب مني تعتمدين عليه * قالت ولكن كيف يكتب لي اذا كان الخبر صحيحا * قال فعلت بكتابه اليك صاحب المعتبر * ولكني ارجو ان اصل سالما وتقر عيني برؤيته اهلي والملك وانا معهم بسلامك * قالت الا تعين لي مدة لارسال الكتاب * قال بعد شهرين * قالت فاذا دخرها زيرا ما اراه غير شهرين * قال نحن ... اثرون في ...

الريح فان الطبيب قال لصاحب المعبر انها اوفق من سفينة النار لما في هذه من رائحة الفحم التي تضر بالمصدورين * قالت افعل ما بدا لك ولكن احذر من ان تفيق وتهوى غيرى * قلت انما احذر من الثانية لا من الاولى * قالت لا بل منى فاحذر * قلت انما عنيت انى احذر من الهوى * قالت نعم اياك واياه فانه يزيدك ضنى * قلت ليست البلاد التي نقصدها مظنة لذلك كهذه الجزيرة * قالت النسآ والرجال في جميع البلاد سوآ * ولا سيما انك الآن في زى غريب والنسآ كلهن يتهافتن على الغريب * كما ان الرجال يتهافتون على الغريبة * قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المراة المصونة اذا دخلت بين جيشين تخرج كما دخلت * قالت نعم تدخلْ امراة وتخرج امراة * قلت واين المصونة اراك حذفتها * قالت فى زمن الطَّحْطَل * قلت وما الطحطل * قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعد * قلت من اين علمت هذه اللفظة العربية * قالت سمعتك مرة تقولها فحفظتها وهو دليل على التهافت على الغريب * ثم سكتت مفكرة ثم ضحكت * فقلت لها مم تضحكين امن الطحطل * قالت لا وانما ذكرت حكاية عن امراة سافر عنها زوجها فضحكتُ * قلت وما هى * قالت كانت امراة متزوجة برجل يريبها فى بعض احواله ولم تكن على يقين مما رابها منه * واتفق انه سافر عنها فحزنت لفراقه لكنها ظلت واجدة عليه * فجعلت مرة تدعو له واخرى تدعو عليه * وقالت ان كان بريئا فلتغتد دعواتى الصالحة والّا فيلحقه غيرها * فقلت هل فى نيّتك اذا ان تحاكيها * قالت معاذ الله ان ادعو * قلت قولى لك او عليك حتى يفهم المعنى * قالت عليك * قلت لله انت ما ارى لى من ذنبك منجى * فالتفتت الى الباب وقالت

ما جآ القدر * قلت دعيني بحقك من الزبون ومن مَن جآ فانا الان على جناح السفر * قالت سِرْ في امن الله ولا ترتَبْ فان للهزل وقتا وللجدّ وقتا وعرض المراة هو من الاخير * قلت وهذا ايضا كلام موجّه كانك تقولين انه ليس من الامور المقدّمة * قالت كلّا كن مطمئنا سوآ كان من هذا او ذاك فانك ستجدني كما فارقتني ان شا الله * قال فودّعتها والدمع هامل على جيدها وبكت هي ايضا لفراقي فانها كانت اول غيبة عنها * وكان من خلقها اذا بكت ان تبدو في طلعتها لوائح وجد شائقة * وملامح حسن رائقة * والنسآ اشوق ما يكون اذا بكين * ولكن لا يكن كلامي هذا باعثا على ضربهنّ شلّت يدا من مسّهن عن غضب * قال فتزايد بكآي لبكائها واحسست ح بلوعة الفراق * ثم اقلعنا وما كادت تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق في صدري وخطر ببالي كل ما قالته لي مصبوغا بالوساوس والهواجس * قال ومن كان جِلْس بيته لم يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاغمة منخريه لم يدر ما الم الفراق * بعد ليالي الوصل والعناق * ولا سيما اذا جرى ذلك اول مرة * فينبغي اذًا ان اصوّر لخاطر صاحبنا هذا الحلسيّ المفغومي بعض ما يقاسيه المحب من لوعة البين * عسى ان يرقّ قلبه فيدعو لجميع النائين عن احبابهم بقرب الوصل وجمع الشمل فاقول * ان الفراق طالت مدته ام قصرت قربت طيّته ام بعدت عبارة عن فصل احد المتواصلين وحرمانه من انس صاحبه * وقد تكون لوعته اشدّ من لوعة الموت * لان فراق الميت مقرون بالاسف والتحسّر * وفراق الحيّ بهما وبالغيرة ايضا * وهي في مقابلة اليأس المتسبب عن فراق الميت بل هي اشدّ مضضا منه * هذا في حق المتزوّجين المتحابّين فاما في حق الكارهين فلا اسف ولا حسرة على

كلا الحالين * ثم ان المحب المفارق اذا فارق حبيبه ورغد عيشه في غير وطنه * من طعام لذيذ ياكله او مسامرة مطربة او سماع غنآ يتلذذ بهما او روية اشيآ بديعة ووجوه ناضرة سنيعة تقرّ بها عينه * فاول ما يخطر بباله انما هو حبيبه النآى فيقول في نفسه * ألا ليته الان حاضر عندي ليشاركني في هذا النعيم * فاني احسبه اليوم محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد * فكيف يتاتّى لي ان الهو وافرح وهو محزون * وكيف يمرئني الطعام ويسوغ لي الشراب * وهو الان لعلّه نُقه عنهما وحشة واكتئابا * الى غير ذلك من الخواطر المكدرة * والافكار المحسّرة * فاما اذا قاسى جهدا ونكدا بعد فراقه فانه يقول * وَيْبا لي وويحا وويخا وويسا وويلا وويها * ان عيشي الان نكد ذميم * وحالتي موحشة وفوادي كليم * وقد جرى بيني وبين اليفي الاتفاق على ان نكون شركآ في السرآ والضرآ * والنعمآء والباسآ * واحسبه الان مفتنّا منعّما * مترّفا مترفها * بَرِثا بَرِجا بَرِغا طَرِحا * يسامره في الليل كل رهيز طريف * ويجالسه في النهار كل كيّس لبيب * ألا وكاني به اى بها تبتسم الان ابتسامة رضى واعجاب لمن اطرأ على محاسنها وجمالها فقال لها * ليتك كنت تتخذين عوذة لتردّ عنك عين الحسود * فاني لا اسمح بهذا الوجه المنير الوضّاح ان يراه كل احد من الناس * ولا بنكر ان يتشهّق عليك من ابتُلي بامراة دميمة فان العين حقّ وان جمالك فريد * فما يكون جوابها له الا ان تقول له * ما احسن عينيك فانهما تريان الشي كما هو * فامّا عينا زوجي فان عليهما غشاوة * وان من مذهبه الفاسد ان يقول ان العين اذا الفت شيا مهما كان بديعا في الحسن قلّ اشتياق النفس اليه * او كما تقول العامّة ما تملكه اليد تزهد فيه النفس * غير اني اخشى

من انك اذا اكثرت من النظر اليّ والقرب منّي لا تلبث ان تتمذهب بمذهبه فتراني على غير ما انا عليه الان * فيقول لها معاذ الله هذا كلام الجهال * فاما الصادقون مثلي في الحبّ * وهيهات مثلي * فانهم ابدا يتمثّلون بقول ابي نواس .

يزيدك وجهها حسنا　　اذا ما زدته نظرا

واني اشهد الله عليّ وهو خير الشاهدين * وملئكته المقرّبين * وانبيآءه ورسله المكرّمين * انك اذا عاشرتني العمر كلّه فلن ترى عيني بشرًا احسن منك * فتقول له هذا شان الرجال دائما من انهم يتملّقون المراة ليفتنوها ويخدعوها * فمرّة يقولون لها نبارك الخلّاق * ومرة افدي الغزال الشارد * ومرة ياسعد من كنتِ له * او طوبى لمن راى طيفك في المنام * وتارة ينظرون اليها وقد غرغرت اعينهم بالدمع * وتارة يزفرون وينحبون * كل ذلك حتى يتمكنوا منها مرة او مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون * وبسرّها بائحون * فنحن منكم على حذر * ولا يخفى علينا ما بطن منكم وما ظهر * فيقول لها معاذ الله * حاشَ لله * استغفر الله * ما شاني شان المتملّقين الملّاذين * ولا طبعي طبع الفاسقين * بل ان لساني في هواك ليقصر عن بيان ما تجنه سرائري * وما يخطر بخاطري * فياليتني اعرف لغة اعبّر بها عن فرط وجدي بك وتوقاني اليك * ولو اطّلعت على ضميري لصدّقتني وعلمت اني لست كاحد الناس وان غرامي فوق كل غرام * فاطيلي عشرتي ولو بدون وصال لتتاكد لك صحة ما اقول * فتقول له وقد فتحت لهاتها وزال ضَرَسها * وما الفائدة في ذلك فان المراة ليست نجما ترصد طلوعه وغروبه * ولا نوءا يشام ليعلم هل هو خلّب او ماطر *

ولا اجية يحاول فكها وايشاؤها * وما يهمها ان تكون اجمل من سائر النسآ وجها وانما يهمها ان تكون اشوق للرجال وافتن * فان التشويق لا يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الشمائل والمحاضرة والملاطفة والمؤانسة والغنج والدلال والاخفرار والحدقلة والترنجح والغرنقة والوكوكة والتراد * فيقول لها نعم سبحان من جمع جميع هذه الاوصاف الحميدة في ذاتك الفريدة * فكل ما فيك شائق وكل ما فيّ مشوق * فتقول له وقد ازدهر وجهها سرورا واعجابا * قد يقال ان نبض العاشق يكون مضطربًا فدعني اجس نبضك لاعلم هل ما قلته صدق او لا * فيقول لها نعم نعم خذي يدي فجسيها واجعلي يدك الاخرى على قلبي * فتفعل ذلك * فيقول دعيني اذًا افعل بك كما فعلت بي لتنكشف هذه الحقيقة لكل منا * فتجهث وتحمر عند سماعها قوله افعل بك ويضطرب نَبضها ثم تسكن وتمد له يدها * فجسها باحدى يديه ثم يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمر حملاقه واندلع لسانه * ثم يزفر زفرة طويلة ويقول

لك الله من قرموطة ملأتْ يدي   لقابضها قبض على كُرَة الارض
لأشحمها انسانُ مقلتيَ الفدا   وكل عزيزٍ من متاع ومن عَرَض

فتقول له وقد دُغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست في يده وقلبه فقط بل هي في سائر اعضائه * فينبغي على هذا ان نجس كل عضو فينا لنعلم ايها اكثر حركة وانتفاضا ونغصانا وبضا وازا ونَبْضا وأزوحا وحَبَضا * اذ لا يصح الحكم على شي الا بعد الاستقرآء والاستقصاء * فيقول لها وقد طرب وجدا وحبورا نعم نعم القول ما قلتِ * غير انه لما كان

الانسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ فى غيره ما لا يلاحظه فى نفسه * كان لا بدّ من ان يكون هذا الاستقرآ بالتخالف اى — فتبتدره قائلة قد فهمت ما عنيتَ وهو معلوم بالبديهة ومستغن عن التفسير وهذا هو الذى قصدت * فهات يدك وخذ يدى * حتى اذا جالت الايدى بالجتّ والجس * والمَتّ والمس * والنجث والنجش * والبحث والمعش * والضبث واللمش * والطمث والملش * والفحث والفتش * والقبث والمتش * والمرث والمرش * والمغث والمعش * والنبث والبيش * والنقث والنكش * والنث والنتش * قالت وقد قوى خَبَضها أَلَا هَيْتَ لك * الا هيت لك * فان قولك على اىّ الحالين صدق * فيقول لها لَبَّيْك وسَعْدَيْك لقد طالما شبحت يدى بالدعآ لان اسمع هذه الدعوة المنعشة وهذه النغمة المطربة — أَعَلى هذا كان الفراق * ام من اجل هذا حسّنت لى السفر بان قلت لى ذات ليلة انى ارى بك يارجل فتورا * فلو سافرت الى ارض طيّبة الهوآ لعاد اليك نشاطك القديم * فعدنا الى ذلك النعيم * افكانت هذه حيلة منك على تغييبى ليخلو لك الميدان فتمرحى فيه كيفما شئت وتتعاطى علم جسّ النبض وحركات الاعضآ * الم يكن لى نبض كسائر الناس فتتعلمى به هذا العلم الجليل * ام تزعمين انه ضعيف لا يصلح لان يتعلّم عليه * على انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بسببك * وعهدى به من قبل ليلة عرسنا له ضَرَبان وانتفاص وانغاض * افهكذا يفعل المتسافرون * وبمثل هذا يحون المترافقون * ايحلّ لك من الله ان تتنعّمى الان وانا فى حالة البوس والشقآ * بَطِرًا تجسّين العروق واننى عَرِق المجسّة انّ بى عُرَوآء * الم يكفِ ما كنت اقاسيه معك فى البيت حين كنت اعدو منه كادحا * وارجع اليه رازحا * وكانت همومك كلها

عليّ * ولومك كله متوجّها اليّ * فكنت انصب لراحتك * وأرق لاجماحتك (١) * والغب لتشبعي * واجهد لترتعي * وابرد لتدفأى * وافلق لتهدأى * واتهجّد لتتهجّدى * وانحل لتمغدى * فقد تبيّن الان انّنا دو امانة * ومداهنة وخيانة * واذ كنت اقول لك ان الامانة في النسآ اقل منها في الرجال * فان الرجل ابدا مشغول البال * مضعضع الاحوال * يلهيه عن اللذات كدّه ونجله * ويصرفه عن هواه رشده وعقله * والمراة لاهمّ لها الا تشويق الرجال * وفتنتهم بها في كل حال * كنت تقولين لا بل المراة اكثر حشمة وحيآ * واقلّ نهمة ورئآ * واميل طبعا الى التعفف * وابعد خلقا عن التكلّف * فان جمعنا الدهر يوما وافضنا في حديث الوفآ * والمودّة والصفآ * حججتك بما لا تقدرين معه على الجواب * واظهرت فضل الرجل على كل ذات نقاب * الخائنات الحانثات * المائنات الغادرات * فان ابيت الا الجحد والمكابرة * فالهراوة لديّ حاضرة * واليد للّطم واللكم مبادرة * فاذا امسكت بناصيتي او جببي * واذعت بين الجيران عيبي * جعلت لك من السخاب صليبا * او من الذأط نصيبا (٢) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الغيظ كل هياج * وودّ لو يطير الى بيته مع العجاج * فينقلب فرحه ترحا وصفاؤه تكديرا * قال غير ان للحزن في مبادئه فائدة * وهي ذود شوارد الامال المغررة والاماني المحالة الى مراح البصيرة والرشد * بحيث يسكن البال * عن الحوم على موارد المحال * ويستقرّ الحال * على فطم النفس عن الاحتيال * والى هذا اشرت بقولي

ورُبَّ حزن يصون القلب عن سفه كما تصون إنآ واهيا صداه
وما انتصى من لذادات الهوى عجلا سآل غاسد عدى ومبداه

(١) اجحت المراة حملت فاقربت وعظم بطنها *

(٢) يقال ذأط وذأط وزعط وطأت وذعت وذأت وذعت وزعت وزرب وسأت بمعنى خنق

قال واروق الافكار وابدعها ما يخطر في ثلثة الاحوال * الاول في مبادي الحزن * والثاني في الفراش قُبيل النوم * والثالث في بيت الخلآ * فان هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل موادّ متكاثفة تتنفس عنها الامعآ والاعفاج * كان هذا التحليل والتنفس اسفل موثرا في تحليل ما تعقّد في طبقات الدماغ العليا في وقت واحد ومكان واحد * فيكون بعض الموادّ ذاهبا سفلا وبعض الصُوَر صعدا * كالبخار الذى يصعد من الارض فيعقد سحابا ماطرا * فقد عرفت مما مرّ انه يتحصّل من الحزن من الفوائد ما لا يتحصّل من الفرح * لان الفرح يبعث على الطيش والذهول وتشتت الخواطر في اهواء النفس واوطارها المنتشرة * فهو عبارة عن تعدّد اهوآ وتفريق خواطر * والحزن عبارة عن ضمّها ولمّها * ولهذا كان جلّ العلمآء من الصعاليك المبتئسين * وقلّ من نبغ في المعارف من الاغنيآ والمترفين * الا ان يكون قد غرس في طباعهم نوع من الزهد والعزوف المقترن بالحزن * قال واحسن ما سنح لى من الخواطر انما كان عن بواعث اشجان * وخوالج احزان * اما من وحشة فراق او من خيبة وحرمان * او من حسد على علم وبراعة امّا على مال وثروة فلا * اللهمّ الا اذا كان لمصلحة كانشآ مدارس ومؤاساة محتاج * واني لاعجب من هولآ الرهبان فانهم معما هم فيه من الوحشة والحرمان فما احد منهم نبغ في علم او مأثرة * ولو كنتُ راهبا لملأت الدير نظما ونثرا والّفت على العَدَس وحده خمسين مقامة * ليت شعرى كيف يمكن لبشر اذا خلا في صومعته وراى تحتها الغياض المدهامّة والبحر الساجى والجوارى المنشآت * وعن يمينه وشماله الجبال الشامخة المكلّلة بالثلج وفوقه الرقيع الصافي وامامه القرى والمنازل * ان يقضى نهاره كله وهو يرمش

ويرضك (١) ويتثآب ويتمطّى ويملّد معدته من دون تاليف ونظم * ولا سيما ان من حسن ساكنات تلك الديار ما يشرح الصدر ويروّح عن البال * فاذا كانت هذه المناظر البهجة كلها لا تهيج هولآ النسّاك على تاليف كتاب فاىّ شي بعدها يهيجها * هذا وان كثيرا من المسجونين قد الّفوا وهم فى الضنك تآليف بديعة * يعجز عنها سكان القصور الوسيعة * فاما ما قيل عن عبد الله بن المعتز من انه كان ينظر الى اوانى داره ويشبّه بها فليس كل عبد كعبد الله * فانّا نرى الناس الان كل ما زاد نراهم قل جاهم * والحاصل ان وحشة الفراق تبعث الخاطر على ابتكار المعانى الدقيقة * وكذلك الصدّ والهجران والاعراض والمطل والعتاب والشفوف والدلال والتمنع والتعزز من طرف المحبوب * ولكن ليس محصول هذا الحاصل اغرآ الحبيب بهجر محبّة حملا له على النظم * او تعمّد الفراق بعثًا له على وصف ما يجده من الشوق واللوعة * فان احسنه ما جآت به المقادير دون تعرّض له * وها انا ابرّى نفسى عند العاشقين والمتزوجين واقول * انه اذا جرى بينكم وحشة اوجبت الفراق* او فراق اوجب الوحشة * او صدّ او هجر او لجاج * او جدال او اعتلاج * او تقافس او تفاقس (٢) او صراع بالشُغربيّة والشغربية والقرطبّى والالهاد والدهشرة والظُهاريّة والمُبّأشة والبأش والعُرّضة والنُقّض والمراسغة والتنسّف والتعرّق والاعتقال فما يكون علىّ فى ذلك من عتاب ولا ملام * انتهى كلام الفارياق وقد احسن فيه * الا انّه لم يحكِ عن نفسه انه كان عند الحزن جَزِعا خَرِعا كثير الوساوس والهواجس قليل الحيلة والتدبير غير ثابت الراى ولا مُصِتَّ على ما في نفسه * وانه لم تكد ارض الجزيرة تغيب عنه حتى طفق يشكو من النسآء ومن بطرهن عند عتاب بعولتهن

(١) ارضك عينيه غمضهما وفتحهما

(٢) تقافسا بشعورهما تواثبا وفتس فلانا جذبه بشعره سفلا وهما يتقافسان *

عنهن * فسمعه الخرجي وزوجته فقالا له ما بالك تشكو لا خوف عليك من تعبير الوحش مدة السفر كلها * واذا بلغت ارضكم ان شآ الله فلا احلم الّا الاحلام البيّنة * قال ما شكواى من الوحش ولا الجن بل من الانس * فانى سمعت اليوم كذا واوجست كذا ولعلّى ارجع واجد كذا او لا اجد كذا او لا ارجع ولا اجد البتّة * فلمّا سمعت زوجته بذلك ثارت زبانية سقر من انفها فقالت له * هل بلغ من طيشك ان تسيئ الظنّ فى النسآ المتزوجات * قال قد ظنّ فيهن ذلك من قبلى الحليم الرزين * قالت ليست هذه الخلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجى ما نخامره ريب فىّ * قال ان السبّد مشغول بالاحلام بحيث لم يبقَ فى راسه موضع لغيرها * اليس ان عالمكم بيرون يقول اُخُوَن ما تكون المراة ما اذا غاب عنها زوجها * قالت انه شاعر وان كلام الشعرآ لا يوخذ به فى الحكم على النسآء الا اذا كان نسيبا وغزلا * ثم بينما هم كذلك اذا بالريح هاجت الامواج فاضطربت السفينة ومادت اىّ ميد * فلزم كلٌ مكانه مدة اربعة ايام حتى ذهل كل من ركّابها عما وراه وقدامه * وبعد سفر اثنى عشر يوما بلغوا مدينة بيروت وهم جياع تعبون شاحبون مستئسون * والهالج يترقب اول فرصة من الدهر لهبوط الاحلام * فلما دخلوا البلد كان اول ما طرق مسامعهم من كلام اهلها الركيك قول المخبّر ان اهل الجبل قد خلعوا ربقة الطاعة لوالى مصر وتجنّدوا عليه * فكان اهل المدينة فى شغب واضطراب * وكان دُوار البحر والفراق * لم يزل يميد براس الفارياق * فصعد الى جهة الجبل ليرى اهله فلقى بظاهر المدينة عسكر الاهلين مخيما * فهوّل عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار نصف قلبه من صدره ولم يرد فاب المهوّل شيا * لكن بعض الناس

يرتاح للاذى وان لم يحصل له به فائدة * ثم لطف الله به وانقذه من القوم فبلغ منزل اهله * فلما علم قدومه عند اهل القرية اقبلوا يسلّمون عليه مثنى وثلاث ورباع * فكان ينظر اليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بعاداتهم * فان النسآء كن يأتين ويقعدن على الارض * فمنهن من كانت تقعد بين يديه القُرْفصآء او الهُبْنقة او الاربعآ او الفرشحة او البرنطة او البرقطة او القرفطة او القَعْفَزى * او تَبْنيها او احتفازا او امتعاسا او استيفازا او اقعاء كقعدة القرد وهى مشمرة قميصها فتنشق سراويلاتها عن ورّاحها * وهى عادة أَلِفنها ولا يرين فيها عيبا * واكثرهن تبدى ثدييها سوآ كانت كاعبا او هضلآ او طرطبة * ويومئذ افرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك يافارياق نحيلا * ومن قائلة وقد صرت ضئيلا * واخرى ما لسحنتك قد كاحت * وغيرها ولطلعتك قد قَبُحت — ولاسنانك قد قَلِحت — وجبهتك لَتِحت — وارنبتك فَطِحت — واساريرك أُزِحت — وبشرتك قَسَحت — وشفتك تقرّحت — وعنقك شُقُحت — وعينك لَحِجت — وقامتك تقنّحت — وشعراتك تصوّحت — وعجيزتك رَسِحت — وذقنك طُحّت — ولهجتك قُحقحت * قال فتشآمت من هذه القوافى وقلت لم يبقَ بعد تعدد هذا الحت الا ان يقلن وتلك قد نكحت * ثم قالت واحدة منهن ايه وهذه هَنَة قد زادت فيك * فقالت اخرى أُوه وهذا شي نقص منك * ثم جعلن يقلّبنه ويعرضنه كما يقلّب الشارى السلعة * وكلهن يقلن بنغمة واحدة يافارياق اين الطنبور واوقات السرور * اين ابياتك فى العقوص والطنطور * انسيت يوم كذا وليلة كذا * قال فكنت مسرورا بموانستهن وسلامة ضمائرهن عن المنكر كما هو خلق نسا تلك البلاد * فانهن لا يابين من لمس الرجال والدنو منهم وعماسة الركب دون

الوكيل. الا انه كثرت مسائلهن عليّ* وطال قعودهن بين يدي * وانا محتاج الى الراحة والانفراد * ومع ذلك فمجلس النسآ مونس على كل حال ولا سيما لمن مضى عليه في البحر اثنا عشر يوما من دون رؤيتهن * فلو نتف بعد هذا العهد الطويل لحيته وشواربه بالمسائل لما لحقه من ذلك اذى * قال واعجب من ذلك اني كنت ارى الامرآ يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد * وربما اجتزأوا بالبيض والارز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نقل * وارجلهم طاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعالهم بالقرب منه فتبقى بمرأى منهم * وترى بعض خدمهم يقوم على روسهم اى بازائها لا فوقها وفي حزامه الملعقة * وآخر في جيبه الطاس من فضة اشارة الى غنى الامير والى كونه كاحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب * وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة لهو تطربه * وقد يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوما واياما ولا يرى من امراة اصلا * حتى تعمش عيناه ويظلم فكره وتتلف نفسه وتحرض معدته * فاين هذا من مجالس الافرنج التي تزين بالمتكآت النفيسة وتفرش بالزرابي الفاخرة وتوطا بالنعال * ولا تزال الحسان مقبلات عليها مدبرات * فمن هيفآ تشرفها بوطأة * ومن عبدآ بطفرة * ومن زهرآ برونة * ومن وطبآ بحركة * ومن دهسآ باضطجاعة * فمن يصبر على هذه الحال * فياامير الناد * وواحد الامجاد * وراكب الجواد * ورامي الجريد على العباد * قل لخادمك حامل الطاس ينحّ نعليك من امامك * بل البسهما وتعال معي الى بلاد الافرنج لتنظر الامرآ منهم محاصرين لازواجهم واولادهم

سائرين بهم الى المنازه والحدائق ومواضع اللهو واللعب والطرب * ولا حرج على ازواجهم ان يبتسمن او يُملن اعناقهن او يتفرّسن او يوكوكن او يحدفلن او يحرجلن او يفرجلن او يهرجلن او يهركلن او يهبارين او يُكبِبن * ولا على اولادهم ان يطفروا ويمرحوا * حتى اذا كحلوا اعينهم بروية الكُنيف باتوا ليلتهم تلك على الوثير من الفرش مع وثائرهم * ليت شعري لمَ لا تضمّ اليك مع جملة هولآء الحقّان والوُصفآء والبسائقة والنسائقة والهبائقة والمَهَنة والمُناصف والنَصف والحَفَد والمَقاتوة والخدم والحشم الذين حولك ثلثة نفر من العازفين بآلات الطرب * ليجلوا عن خاطرك صدأ همّ الوحدة والاعتزال في كل يوم عند الاصيل او في العشآء * وأْذنْ لى في استعطافك لان تاذن لجيرانك في ان ياتوا هم ايضا ويطربوا لطربك * فيدعوا لك بتاييد دولتك * وتخلبد غبطتك * ودوام بقائك * وسمو ارتقائك * وفي ان اسالك لمَ لا تعيّن في العام عيدا لمولدك او لمولد السيدة او الاولاد المحروسين * فيكون يوم فرح وحبور لك ولجميع من ينتمي اليك * بحيث تصطنع فيه مادبة وتدعو اليها دعوة جَفَلى لا نَقَرى * أىّ خيرٍ في رمي الجريد واصابتك به كتف خويدمك العبد الحقير او ضرسه حتى تعطله عن الاكل وانت لاهٍ عن احسن الرمي واصوبه واصرده وامرقه * وانت آمن هناك من ان يقال لك بَرْحَى برحى بل يقال لك مَرْحَى مرحى * هذا ما عدا ابلام ابطك الفاخر العاطر برمي الجريد * وما الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفي حزامه الملعقة او على راسه الخوان او على صدره القصعة والباطية او بيده الغسل والتعب او على عاتقه المائدة او على عنقه القدر * وانت لا تاكل مع السيدة واولادها ولا تاخذ ولدك وتصعد على ركبتك * ولا تحمله على ظهرك ولا تساطنا

له ليثب فوق راسك * ولا تحاجره ولا تحضنه ولا تتوركه ولا تعانقه ولا تحول له خدك ليبوسك * ولا تمكنه من ان يعبث بشاربيك او يعض اصبعك او انفك ليضحك قليلا فاضحك انا كثيرا * ولا تطعمه بيدك ليعرف انك محسن اليه * ولا تاكل شيا مما يلوكه * ولا تركبه على جحش وتقود به الجحش ولا تغنّى له فى الليل ليرقد على نغمتك فيقوم فى الصباح يغنّى لك غناً اطرب من غناً الفقنّس ومعبد وابى البدّاح وسواط والعَثْعَث وخليلان وعمرو بن بانة والزّنام وممدود بن عبد الواسط الربّانى وزَلْزل وعِرْفان والجَرادتين وابنة عفزر وسلّامة وشَمُول وابن جامع السهمى وذُبَيس ورَقِيق وابن مُحْرز والمشدود وهاشم بن سليمن ودحمان الاشقر وطُوَيس وابن شريح والدلال بن عبد النعيم وابن طنبور اليمنى وحَكَم الوادى وابرهيم الموصلى * واشجى من

الرُنُم ومن صوت كل دُعْبُب غريض — الرنم المغنيات المجيدات والغريض المغنى المجيد ومثله الدعبب *

ولا تبابئه ولا تغازله * — باباه قال له بابى انت *

ولا تناغيه ولا تباغمه * — باغمه حادثه بصوت رخيم *

ولا تنادغه ولا ترأمه * — نادغه غارله ورئمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته *

ولا تنغّره ولا ترخُمه * — نغر الصبى دغدغه كنغّزه ورخمت المرأة ولدها لاعبته *

ولا تهينم له ولا ترعّمه * — رعّمه مسح رُعامه اى مخاطه غير ان صاحب القاموس خصّه بالمراة بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام الرُعْموم للمراة الناعمة فالعفو مرجو منهما على كل حال *

ولا ترزم لِرُزمته * — اررمت الناقة حنّت على ولدها والرزمة صوت الصبى *

ولا تتجنّث عليه * تجنّث عليه رثمه واحبّه وتلفف على الشي يواريه *

ولا تقرّمه ولا تسمّته * التقريم تعليم الاكل والتسميت الدعآ للعاطس (١) *

ولا تُفْدى له ولا تُضْهيه * افدى فلان رقّص ابنه واَضْهاه دهنه بالسمن ووضعه في الشمس *؛

ولا تدسّم له نونته * النونة النقرة في ذقن الصبي الصغير وكذا الفَحْصة وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين *

ولا تبدى له البجبجة * البجبجة شي يفعل عند مناغاة الصبي *

ولا الحَوْفَرَى * الحوفرى ان تلقى الصبي على اطراف رجليك فترفعه *

ولا تقول له حلَقة * قولهم للصبي اذا تجنّا حلقة اى حلق راسك حلقة بعد حلقة *

ولا بُجْباح * بجباح كلمة نسبى عن نفاد الشي وفنائه *

ولا مُحْماح * هو كقولهم بجباح ومثله حَمْحام وحمهام *

ولا كِخْ كِخ * يقال عند زجر الصبي عن تناول شي *

ولا تعنى بدنعه * دنع الصبي جُهد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذلّ ولؤم *

ولا بقّقته * صوت يصوت به الصبي او يصوت به اذا فزع *

ولا تكثرن لبأبائه ولا لبَبّته * بابا الصبي قال بابا وببّة حكاية صوته *

ولا لتغتغته ولا لنغنغه * النعتعة حكاية صوت الضحك والشعشعة عن الصبي قبل ان ىتّعر *

ولا لتأتاته ولا لدأداته * التأتاة حكاية صوت وهى اصا مسى الطفل والدأداة صوت تحريك الصبي في المهد *

ولا لذعْذعه ولا لخارسه * دعسع حكاية لفظ الطفل الرضيع وخارس الصبي حركاته *

(١) في تعريف التقريم ابهام على ان التعليم هنا يحتمل ان يكون من العلامة فيكون الاكل بمعنى الطعام ويكون المراد به ما اراده بقوله في رسم الرَشْم خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام وفي رشم رشم الطعام ختمه والّا فهو في محلّه *

ولا لإدرامه * ادرم الصبى تحركت اسنانه ليستطلع أخر *

ولا لفصيصه ولا لانتداغه * فصّ الصبيّ فصيصا اذا بكى بكاً ضعيفا وانتدغ ضحك خفيّا *

ولا تبالى بمعقاده * المعقاد خيط فيه خرزات تعلق فى عنق الصبى *

ولا بقرزحلته * من خرز الصبيان *

ولا بدرّاجته * الدراجة العجال التى يدرج عليها الصبى اذا مشى *

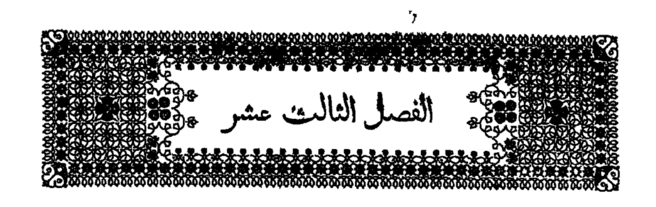
ولا بحقابه * الحقاب خيط يشد فى حقو الصبى لدفع العين *

ولا بصمّتته * الصُمتة ما أُصمت به الصبى من طعام ونحوه ومثلها السُكتة *

فبحق عبوديتى لك ياسيدى ودالّتى عليك الا ما وضعته يوما على ركبتك اوركبته على ظهرك * ثم لا باس فى ان تدعه يلعب مع اولاد من هم متسمون بشرف خدمتك فانه لم يزل بعدُ صغيرا لا يعلم هذه الفروق * ثم لا باس ايضا فى ان تسهر هذه الليلة فى حريمك المحترم مع بعض رجال قريتك وازواجهم ممن يتادبون فى المحاضرة بحضرة النسآ * فانى ارى صدر السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهو حتى يشرح بها * ولا غرو ان تستفيدا كلاكما من مسامرة رعيتكما شيا * فان راس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من راس الامير عن ان يشتمل على ارآء سديدة مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمامة منه واغلظ قذالا * وكيف ترجو ان تكون السيدة وبناتها ذوات رشد ودراية وهن مقصورات فى الدار العامرة * ام كيف ترضى لهن وحاشاك الجهل والغباوة * وانتم ياسادتى الحكام والمشايخ والكبرآ والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا باهلكم وازواجكم مع اهل جيرانكم * (ولكن المطارنة ليس لهم ازواج

لتنزههم عن الزواج) وان ترفعوا فرق المذاهب من بينكم فذلك ادعى
لكم الى الحظ والسرور * انما الدنيا النسآ انما الدنيا البنون * اعلموا رحمكم
الله ان الاجتماع بالنسآ لا يخل بحرف من الحب * اعلموا هداكم الله ان
فرق الارآء في الاديان لا يمنع من الالفة والمحالفة * اعلموا اصلحكم الله
ان في حمل الانسان ولده على ظهره وتطوقه برجليه اللطيفتين للذة اعظم
من لذة تطويل الجيب وتوسيع الاكمام وتكوير العمامة ومن وقوف الخدمة
وايديهم على صدورهم * اعلموا فقهكم الله ان العرب لم تخص حركات
الطفل باسماء الا وهي تريد ان تلاحظوها وتتنبهوا لها * حتى انها وضعت
لحدثه حرفين غريبين في التركيب لا ثالث لهما في اللغة كلها وهما
الصَّصَصُ والقَقَقُ * اعلموا وفقكم الله ان مستر ومسيو وهر وسنبور انعم
منكم بالا واحسن حالا * اعلموا نصركم الله ان الفارياق رجع الان الى
بيروت واني انا العبد الحقير كاتب سيرته مفكر في اسآ مقامة تسر
العزب منكم والمتزوج معا *

(حاشية اظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فراح كلامي معهم في الريح
(تنبيه قد اطلت الكلام في هذا الفصل المؤذن بالفراق لمقابل
فصل الزواج)



الفصل الثالث عشر

في مقامة مقيمة

حدس الهارس بن هشام قال * سوّل لي الخنّاس * (اعوذ بالله من هذا الافتتاح) الذي يوسوس في صدور الناس * كل غميس وعمناس * ان تزوجت امراة خرّاجة ولّاجة * هيّاجة نبّاجة * برغامة معذامة * لوّامة رطّامة * خُبعة طُلَعة * خَليعة جلِعة * تجاوب ولا سؤال * وتبارز ولا قتال * وتقترح عليّ اشيا يعجز عنها الدينار * وترميني في مهالك دونها النار * فكان دابي ان اصبر مرة عليها عذيرا * واخرى ان اشكو اليها فلا تزداد الا سرّة ونفورا * ولا ينجع العتب فيها نقيرا * فقلت تالله لأُجفرنّ عنها واوهم ان بي حفورا * او لاضربن في الارض لاعلم هل ارى لها نظيرا * فاخترت الراي النابي * بعد التعوذ بالمثاني * وخرجت من بيتي كئيبا مبتئسا * ساخطا على جميع النسا * فبينا انا في بعض الطريق * اذ مرّ بي سِرْب منهن يخطر بالثوب الصفيق * والحلى ذي البربق * وقد ارجت الارجآ بطيبهن العتق * فرايت من بينهن الهيفآ والبدين * والغرّآ الزهرآ ضرة حور العِين * ومهنّدة العنّين * فتاقت نفسي الى وصالهن * وتبلبل بالى بجمالهن * ونسيت ما لقيت من لكاعى في البيت * وقلت ليتكنّ لي او تنفع ليت * ثم انشدت

ارى للنسآ الماسيات حلاوة   فهل هن حلوات كذا في المقاصير
ولست ارى في الفتى ان سئت وان   اقامت سوى مقت وكره وتمرير
اراها بعيني حيث كانت بعينها   فهل ذو عمى غيري يراها من الحور

فابتدرت الى واحدة منهن لها عنق كعنق الغزال * وحاجب كالهلال * وقالت خفف عنك فما انت وحدك في الرجال * ان زوجي قد قال *

افكر في لئامة طبع زوجي   فاكره كل انثى في النسآء
واحسب انهن مغايرات   لها فاحسبهن على السوآ

ثم التفتت الى اخرى وجبينها يلمع كالصباح * ولحظها يدمي كالصفاح * وقالت اسمع ما قاله زوجي فيّ * ولا تك من فارقيّ *

تخوض زوجي في كل الفنون وما   تخشى خطآء ولا ردّا مع الطرفا
تكون غالطة في كل مسئلة   وليس تغلط يوما ان تقول كفى

ثم تقدمت الى اخرى وحبب عرقها كاللآلى * وحالك فرعها كالليالى * وقالت دونك ما نظمه فيّ بعلي * وانظر هل يصدق ذلك في مثلي *

تودّ زوجي سخطا انني   عبد مخبلبق لمرضاتها
وان تسهب حاجة ام تَذَل   اكون خلافا لحاجاتها

ثم دنت منى اخرى وهي تهتز عجبا ودلالا * وتبسم عن سنب ما راى الناظر له مثالا * وقالت هاك ما استدنبه كفصحى من اول البلد * آذن منها بالسرور والوله *

لزوجي حالته اعتدائي ... ن المستندس والنتم والهبا

فكيف يُتاح لى اشباعها وهـــى تصرخ كل وقت هات هات
فامّا أن تصعّق لى اداة والّا فارتكاب الترّهـــات

ثم اقبلت علىّ الخامسة * وهى من الخفر كالظبية الكانسة * وقالت انشدك ما قال فىّ شيخى فى الليلة السادسة * وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة فاننى اقول زوجى دون ها
اذ لا ارى التانيث فى اخلاقها بل الفحول فى العراك دونها

ثم تقدمت السادسة * باشّة آنسة * وقالت اروِ هذين البيتين * عن حليلى الذى اعتاد قول المين * وهما

تراقبنى زوجى عليلا وسالما نهارا وليلا نائيا وقريبا
فصرت اذا عانقت فى النوم طيف من احبّ اراها بالوصيد رقيبا

ثم دلفت السابعة * وكانت ذات حقيبة سابغة وطلعة رائعة * وقالت وفى معناهما قال زوجى المفترى * واجترا علىّ بما لم يكن رجل على امرأته بجترى * وذلك قوله

تعار زوجى علىّ حتى اذا راتنى مرضت تمرض
فما راتنى فى حالة ما الّا وكانت لها تَعَرّض

ثم انبرت الثامنة * وهى على ما ظهر لى رافه زاهقة * وقالت قد سمعت زوجى يتغنى بهذين البيتين * بعد اسبوعين * وهو مطرق الى الارض كمن فقد العين * ويُبشر بالحَبن * وهما

تـودّ زوجی ان لی　　شانیـن من مفاضحها
هَنَ حمارٍ قـازحـــا　　وقـرن ثـور نـاطحماً

ثم استقبلتنی التاسعه * وهی تفترّعن لالئْ ناصعه * وقالت ونحوهما ما قاله فیّ ابو ولدی * وقد حفظه کثیرا فی بلدی وفی غیر بلدی *

ان زارنی عالم اوجاهل بدرت　　زوجی الیه وخاضت معه فی الجُدَل
فان تجده خبیرًا بالبعال تقل　　کل العلوم انطوت فی صدر ذا الرجل

ثم تصدت لی العاشرة * وهی ذات قامة معتدلة وعین جائرة * وقالت واقطع من ذلك * ما ینشده رجلی فی المنازل والمسالك * وهو قوله

ان یزرنی یوما فتی ذو صلاح　　افسدته زوجی فراح خلیعا
او خلیع مستهتَر اطمعته　　وعلیه غارت وحامت ولوعا

ثم دعتنی الحادیة عشرة * وهی متمایلة مسبکرّة * وقالت ان زوجی السیّئ الظن * قد جازف الکلام فیّ بما لاح فی باله وعنّ * فقال

تری زوجی الرجال فتتّقیهم　　ولیس الامر عن حبّ الصلاح
ولکن خوف ان یغشی علیها　　من القرم الشدید الی السفاح

ثم مالت الیّ الثانیة عشرة * وکانت قصیرة حادرة * تارة حارة * وقالت عَقما وعقرا * عن مثل زوجی الهرّا * فانه هجا النسآ طرّا * اذ قال

لیس العُشاق من النسآ سجیّة　　لکنه سبب الی الافســاد
کالضرس تقلعه لیسلم غیره　　وعلی الذی باب حولك ناد

فقلت لا جرم لاقصدنّ منتاب هولآ الشعرآ * ولاتخذنهم لى عشرآ * فعسى ان آنس منهم رشدا * واجد عند نارهم هدى * فان من كلامهم لحِكَما * ومن اُمّهم لاَمَما * وكان من عادتهم ان ينفردوا عن القوم * فى كل يوم * ويتذاكروا امور الدنيا من العصر الى المسآ * ولا سيما امور النسآ * فاستقصيت عن محشدهم * ودُللت على مقصدهم * فاذا هم بجملتهم قاعدون على دكة عند البحر * وقد ضربوا لهم سرادقا يقيهم من الحر * فسرت اليهم * وسلّمت عليهم * وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمُتّ اليكم بالوداد * وقد بلغه من كلامكم ما وخّاه اليكم عن رشاد * قالوا مرحبا بالقادم * وان يكن غير منادم * فلما استقر بى المجلس * انبرى واحد منهم ينبس * قال * لا بدّ لى من ان انهى ما شرعت فيه * وظهر لكم مكنونه وخافيه * نَعَم لمن خُلق هذا الكون الّا لهن * واىّ رجل ما ناله مِحالهن * وعنّاه وصالهن * ومنّاه مُحالهن * فهن المتمتعات بدرز الدنيا ونعيمها * ولذاتها وطعومها * وحليها وجواهرها * وتحفها ونوادرها * يقترحن علينا الممكن والمحال * ويكلفننا امورا دونها دق اعناق الرجال * لكل عضو من اعضائهن حلّى يزينه * وربما اتخذن له اثنين وثلثة ولا ترينه * ثم ابتسم كاشرا عن نابه * واستمر فى خطابه * وبكل جارحة منا جراح منهن لا توسى * وحزازات لا تنسَى * يتهالك فى حبّهن المالك والمملوك * وسوآ فى الحاجة اليهن الغنى والصعلوك * وانهن يرمين الرجال فى مهالك * ومضايق ومرابك * ليكفوهن موّنة الاطيببين * ويغيروهن بعرض البين * فيخوضون البحار * ويقتحمون القفار * ويعرضون انفسهم لحدّ السيف * ولحرّ الصيف * وبرد الشتا * وذلّ الاحتيآ * ودهمات الاعدآ * ودغمات الاُردآ * ومقاساة الظما والسغب * ومعاداة الشقا والتعب *

ومداراة الرقيب * ومباراة المعيب * والاغضاء عن السيئ * والافضاء الى الحين * وطالما قفل احدهم الى بيته فوجد فيه قفل عرض ممسوحا * وسر امره مفضوحا * فراى في موضعه ضيرنا وزيونا * وقريبا وغريبا * وكثيرا ما آب وقد نثر شدقه * او وقصت عنقه * او كسرت ساقه * او إئتفى جلاله * او ضاع ماله * وساءت حاله * فاول ما تبتدره به من الكلام * قولها له قبل السلام * اين الطرفة * وكم من تحلى وتحفة * ولو انك كسوتها حلة بوران * واسكنتها قصر غمدان * واطعمتها افخر الالوان * وسقيتها من الرحيق من يد الولدان * وطربتها بالعيدان * ونزهتها في رياض الجنان * وحملتها على الاكتاف * وواليت عليها الالطاف * لما رايتها عنك راضية * ولا لحاجتك قاضية * والويل لك ان ناهزت الخمسين * وعجزت عن التمويه * او بدا الشيب في عارضك عند الاربعين * او اصابك مرض في بعض السنين * وهي عند ذلك تستثني وتمضي * وتمضي من يرضى ومن يابى * فتغادرك في الفراش مسهوكا * وتلازم السماك وتشير منه الى من يلبيها وشيكا * ان اغتنم من الدهر هذه الفرصة * فما من دونها غصة * اذ هو في الفراش لا يعقل ولا يعي * ولا يبصر من يكون معي * ثم تاتي اليه فتقول اوص يا رجل فقد ازف رحيلك * وحفك طبيبك وخليلك * وملك عائدك ومثلك * وانت خبير باذا الحلة * فان لي نعيما في الاجهار عليه حلة * وانها اذا رامت ان تحدث في كل يوم حلة * الفت وراء الباب عيدا قعولا * معاودا وعمولا * فيسليها الله عمره تعبها * ومنتها لذة سعة نطقي اوام عيبها * فحلالي الرجل فاذا لا يزال تحروقه مسعولا * فكلا يرمه معتولا * او يحسي انقاضا وتوبوذا * او عصري دريم ان تحدث . دلك * فكم يقال ان الرجل والمراة في الكقل داذل

المعارم سيان * وفى المكلف لحمل المغارم عديلان * فهل فيكم من مجيب * عن هذا الامر المريب * فتصدى له الذى هجا النسآ جميعا * وقال دونك الجواب سريعا * فكن له سميعا * وللحق مطيعا * انى انما هجوت النسآ لا من حيث انهن اسعد منا واسلم آفات * او اقدر على اللذات * وافوز بالمسرات * بل من حيث انهن خلقن لنا فتنة وضلالا * وعذابا ونكالا * فما قلته فيهن فقد قلته عن حسد * وما اقوله الان فهو عن تحرّ ورشد * ان المراة ما دامت فى بيت ابويها عانسا * لا تزال محظورة لا ترى لها اليفا ولا مؤانسا * واخوها اذ ذاك يرتع ويلعب * ويلهو ويطرب * ويسافر ويتغرب * يالف من يالف ويصحب من يصحب * وكلما زاد مرحا * زاد ابوه ابتهاجا به وفرحا * فاذا تزوجت صارت تحت حظر بعلها * وصار هو مالك ناصيتها وولىّ فعلها * فلا تكاد تخرج من بيتها الا باذنه * ولا تاتى امرا الا اذا استوثقت فيه من أمنه * فان قال لها لك ان تفعليه * كان كالممتنّ عليها بتراث ابيه * وان قال لن تفعلى * رجعت وعبرتها كالوَلِى * وبنار حسرتها تصطلى * ثم ان عليها ان تتملقه اذا سخط مخافة بطشه * وان تقوم بخدمة رحله وحفشه * وتطبخ له كل يوم ما يقترح عليها * وتجدّد له من قديم متاعه ما يلقيه اليها * وتحفظ نَضَده * وتقوّم اوده * وتربّى ولده * فكم ليلة تبيت تداريه فيها وهو يملا المكان غطيطا * وجخيفا ونحيطا * فهى التى ترضعه وتفطمه وترشّحه وتسرهده * وترعاه وتتعهده * وتوفظه وترقده * وتلعّبه وتلهّيه * وتعلّله وتراضيه * وتوانسه وتسلّيه * وتجالسه وتمنّيه * وتنظفه وتمشطه * وتمرّصه وتحوّطه * وتمسّيه وتحمله * وتستدرجه وتنقله * وتغسله وتلبسه * وتعطره وتطوسه * وتدفئه وتُلْبِئه * أَلْبأه اطعمه اللِبا لاول اللبن

وتداد نه وتُهَدِنه * الداداة التحريك والتسكين والاهدآ التسكين *

وتزقزقه وتباغمه * الزقزقة الترقيص كالزهزقة والمباغمة تقدم ذكرها *

وتربّته وتهمهمه * التربيت ضرب اليد على جنب الصبي قليلا لينام والهمهمة تنويم المراة الطفل بصوتها *

وتهدهده وترعّمه * هدهد الصبي حركه لينام والترعيم تقدم ذكره *

وتداعبه وتطايبه * وتدندن له وتقاربه * قاربه ناغاه بكلام حسن *

وتهدّنه وتصربه * هدّن الصبي ارضاه والصرب عقد بطن الصبي ليسمن *

وتدغره وتصبّبه * الدغر رفع المراة لهاة الصبي باصبعها وصبّب الصبي اطعمه الصبيبة * وهي سمن ورُبّ يجعل له في عكّة *

وتدرّبه وتذرّبه * التذريب حمل المراة طفلها حتى يقضي حاجته *

وتقرّمه وتجوربه * التقريم تقدم شرحه وجوربه البسه الجورب *

وتجلسه وتنسّسه * نسّس الصبي قال له إسْ اس ليبول او يتغوّط * قلت والقياس ان يقال ايسه *

وتعوّذه وتنجّسه * التنجيس تقدّم ذكره في الفصل السادس عشر من الكتاب الاول *

وتقمّطه وترسّعه * رسع الصبي شد في يده او رجله خرزا لدفع العين *

وتزينه وتزهنعه * هذا ولو لم يكن للمراة من غصّة في الاجل غير الحبل لكفى * وذلك لمقاساتها بعده اذا كان من بعلها * ما لا يقدره غير مثلها * ولافتضاحها به من غيره * على فرض عدم شعورها بضيره * فقد قالت العلمآ ان وضع المراة جنينها من غير حليلها غير ذي الم * لكنما يعقبه بعض السَدَم * ثم ان المراة ممنيذ ما عدا ذلك باحوال عسيره * واخطار كثيره * وذلك

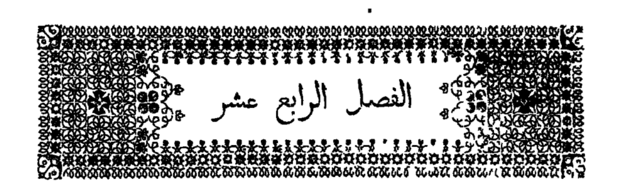
كاجمالها وحِبتها وعيّفتها وأَفلها وتوجيبها وكاحشاشها ودحاقها * واسقاطها
وازلاقها * قبل الوضع وبعده (١) * وكنفاسها مدّة * هي برزخ بين الموت
والحيوة وعِدّة * وكالقرو الذي ياتيها في كل شهر * وغير مرة يمنيها بالبُهر *
لانه اذا تاخّر عن وقته اضنى ظهرها * وان قلّ او كثر اضنك صدرها *
واذهب صبرها * وكوحمها وتنزّيها وتانّفها شهوات في مدة الحبل كثيرة *
لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريرة * وهي ح جائشة النفس
ضَستها * وجاشيّتها ولقستها * واهية القوى * واهنة الشَّوى * وغير ذلك
من العلل والاحوال * التي سلمت منها الرجال * ومَن نظر بعين الرشد
والانصاف * لم يتمحّل للخلاف * قال الهارس فكانّ الخصم انكسرت
شوكته * وفترت سَوْرته * فعارض بالموارَبه * ثم خشي المشاغبه * فقام
احدهم وقال حسبنا ياقوم ما سمعنا * ودَعُوا الفصل اذا ما رجعنا * ثم انفضّوا
والادلة معتلّة * والعقدة غير منحلة * فقلت عسى ان اصادف من عنده
بذلك الخبر اليقين * واكفى مونة السوال والتخمين * فقد رايت الاثنين
كفرسي رهان * وفارسي علم وبيان * بيد اني اخالهما قد نطقا عن الهوى * ولم
يتحرّيا الصدق الذي ينبغي لمن حدث وروى * واذا بالفارياق *
يهرول في بعض الاسواق * وبيده زنبيل يودعه من الماكول ما حسن
اعتنبه وراق * فامسكت من فرحي بالزنبيل * وقلت الدليل الدليل *
قال هو جوع بُرقوع * يرقوع بركوع * لا ينبغي ان يقام عليه دليل ولا
برهان * ولا بيّنة ولا شاهدان * وان القاضي نفسه لاَجوع الناس الى
اللمّجة * واستهم الى الغمجة * وان شئت فقل الى العنجة * فقلت
انما الدليل على تلك * ولك الامان على ما في زنبيلك من الملك *
قال ما خطبك * وممّ كربك * افي حديث النسآ كنت تخوض مع

(١) الاجال ان ينزل لبن المراة من غير حبل * والحش وجع ياخذ النفسآ بعد الولادة * والعيفة هي ان تلد المراة فيحصر لبنها في ثديها فترضعه جارتها المرة والمرتين * والافل ذهاب لبن المرضع * والتوجيب انعقاد اللبا في الضرع * والاحشاش يبس الولد في البطن * والدحاق ان تخرج رحم الناقة بعد ولادها * والتترب غثيان الحبلى *

الخائضين * وتحرض مع الحارضين * قلت بلى لامر ما جدع قصيرٌ انفه * وللمقدور غادر لاليف إلفه * ثم اخبرته بما جرى لي في البيت ومع النسآ وعند الشعرآ * وقلت افدني الجواب بغير مِرآ * فاطرق ساعه * وقال هاكه على قدر الاستطاعه * فان الجوع قد ابدى فيّ خراعه * ولم يغادر بي للشعر خواطر صدّاعه * وهو

تكافأ الزوجان في اللذّات	واستويا في أرَب الحياة
قومي اقعدي مِثلُ لهاتِ هاتِ	وطاوعي نـدٌّ لآتِ ات
والمرء في الصبى على النزّات	اقدر او اجرا من الفتـاة
لانها كثيرة العِلّات	غير القروء سآء من شكاة
حتى اذا ما قيل كهلٌ عات	دار لها الدَّور الى ميقات
غايته الستون للشطّات	وبعدها غدًا من الرُفات
نعم يسوء المرء بيس الثات	ضعفٌ له اذ ذاك في الاداة
لكن لها من اعظم العضّات	المجرضات جرَض الممات
ان تبتّعها ياتي من اللِّدات	وهي تريده فتى الأرّات
كلٌ له سهمٌ من الهنات	مُوَرَّبٌ حتى الى الممات

ثم عدا بزنبيله * وجعل يتحوّفه ويعيث في قليله * قال فصَدَعني بالحق أيّ صدع * وعلمت انه غير ذي صلع * فملت الى موادعة زوجتي * وتسكين هَوَجي ونوجتي * فاتيت منزلي * فوجدتها دآئبة في عملي * فاكببت على عناقها معانقة المشتاق * وانباتها بما قاله الشاعران والفارياق * فقالت جزاه الله عني خيرا * ولا اراه في غربته ضيرا * ثم اقمنا على الوفاق * وتعاهدنا على حفظ الرواق *



الفصل الرابع عشر

في جوع دَيْقوع دُهْقُوع

لما رأى الخرجي ان سكناه في بيروت لا تصلح لجسمه ولا لراسه عزم على الشخوص منها الى الجبل * فأُلقِي في روعه ان يسكن في دير للروم * فسار بزوجته وبالفارياق فاقاموا في قرية تحت الدير يومين * وكان يانس بالفارياق بعض الحسان منها ويواكلنه * فلما علمت احداهن انه صاعد في الغد الى الدير طفقت تبكي * فكانما ظنت انه نوى الرهبانية * فظهر له انها خالفت عادة النسآء لانهن يحببن الرهبان اكثر من العامة * فان فتنة النساك العباد تتوقف على رَوْم وكيد ابلغ وهو مما يلذّ للنسآء او بالعكس * حتى اذا رأينهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن جميع ضروب الحب ولا يفوتهنّ منه شيء * والحاصل ان الفارياق بُكي على فراقه هذه ثاني مرة في عمره حتى صار يُحسب في عداد المحبوبين * وانه ذهب في الغد الى الدير واتخذ له فيه صومعة بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة باعِرٍ بايٍ (الذين ليس لابوابهم اغلاق * قلت وهو بنآء غريب) وكان ذلك الدير مثابا لجميع اهل القرى المحيطة به * فانهم كانوا يودعون فيه امتعتهم خوفا من هجوم العساكر المصرية عليهم * لانّ الدير حَرَم آمن *

وكانوا اذا جاوا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن حملتها صومعة الفارياق * فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها تفسير حلم او غيره تلقفوها وقراوها * فمنهم من كان يفهم منها قدر ما يدور به لسانه * وآخر قدر ما يدور به راسه * وآخر قدر ما يدور به جسمه كله فبوليه ظهره ويخرج * ومنهم قدر ما تدور به يده فيرفعها ليبطش بالكاتب والمكتوب معا * ومنهم من كان يسخر منها ويقول انما هي اضغاث احلام * ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت الحرب ولم يجد منهم من استحسنها * وكان يدخل ايضا مع هولآء الدامتين دامتات فيهن من يجب تلقيها باهلا وسهلا ومرحبا * وفيهن من تجدر بواحد من ذلك فقط * وفيهن من تجدر باثنين متواترة * وفيهن من لا تصلح لشي * وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا حُمل بعضه على بعض * الا الجوع الذى تسبّب عن تعطيل الطرق فانه كان لا يطاق * مع ان الفارياق كان قد خرج من عنآ سفر البحر الذى مناه بالصيام اياما متوالية * فكان لا بدّ له من اللمج * فمن ثم كان يذهب الى القرية وينادى يامن عندها دجاجة للبيع فتبيعني اياها * فكان بعض النسآ يجبنه هذه الدجاجة السارحة مع الدجاج فى الحقل اريد بيعها * وان اردتها فاسعَ اليها واقبضها بيدك * فكان يسعى ورآء الدجاج ويطفر معها على الجدران * وان ساعده الحظ على كسر ساق احداها او اعيانها قبض عليها * وكان عند جريه ورآها يجرى معه خاطره فيقول فى نفسه * انا اجرى الان ورآء دجاجة فهل زوجتي تجرى فى الجربوزة ورآء دبش * وينبغى لى ان اقف قليلا عند هذا الجرى واقول * قد ذكرت سالفا ان الفارياق كان ذا هرج ونزق وحرج * فكان من طبعه اذا غاب عن اهله ان لا

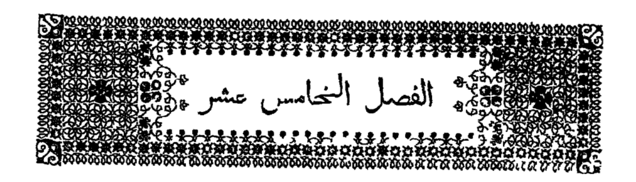
يزال يقابل حاله بحالهم بالمقابلة الاطّرادية وبالمقابلة الأَمتيّة * مثال الاولى قوله انا اجرى ورآء دجاجة فهل زوجتى تجرى ورآء ديش * وقوله مثلا وهو لابس هل هى فى هذا الوقت عريانة * وفى حالة كونه قائما هل هى الان مضطجعة * وقس على ذلك * ومثال الثانية انا اجرى الان ورآء دجاجة فهل يجرى ورآها ديش * على ان خبز الدير والقرى ... كان مخلوطا بالزؤان * فكان الفارياق اذا اكل منه خيّل له انه لم يزل فى السفينة عرضة للتنانين * ويتاكد عنده ذلك بدخول احد الرهبان عليه وهو على تلك الحالة * فلما ضاق بها ذرعا نظم ابياتا وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان يظن ان عنده غناً * وهى

ليت شعرى ماذا يفيد البيان	مع خوآء البطون والتبيان
وفنون البديع من غير اُكل	تستشيط اللهَى بها واللسان
هاك الف استعارة برغيف	وبحسّ تخس تفتاران
ايها المعربون هبّوا فما من	صرب زيد عمرا يرص الخوان
اين اين الكباب والرز والبر	عل تصغو من فيضهن الجفان
دهبت دولة الطبيخ وجآت	نوبة الجوع امّها لبنان
بالها من معرة بعث الدبنا	ر ما ان يعبا به انسان
لبس بيع ولا سرآ بارض	قد قضى عيسها وعاش الزوان
طال مكثى فى الديرحتى كانى	راهب لا ترضى به الرهبان
اد راونى وحولى الكتب والاقـ	ـلام ممّا عنه نهى المطران
انا فى وحشة من الانس وحدى	لا ترانى فلانة وفلان
عيشة لو اريتها فى منام	ما شجتنى من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بارغفة لا زوان فيها ومعها حداد النبيان

وصلتنى الابيات يافرقيان   انما نحن فى الدنيا رهبان
ما عندنا طعام كما تشتهى   ولا نبيذ ولا نسوان

فهرول اليه الفارياق ليعاتبه على تغيير اسمه * فراى فى الدير احدى نسآ الامرآ كانت قد جآت الى الدير استئمانا من العساكر * فلما رآه قال له قد شفع الخبز ياسيدى فى وزن البيتين ولكن لمَ غيّرت اسمى * ثم تذكّر السيّدة فقال وقلت ايضا انكم رهبان وما عندكم نسوان * وها انا ارى عندكم سيدة زهرآء قد ملأت الطنفسة شحما ولحما * قال انما غيّرت اسمك لاجل القافية وهو جائز للشعرآء * واما قولى ما عندنا نسوان اى ليس لنا ازواج * ولكن لا ننكر ان عندنا نسآ غيرنا يزرننا احيانا للبركة * قال من ايكم يحصل ذلك * فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته الى الاركيلة المعروفة فلبث عندها ساعة شفعت فى تغيير اسمه ايضا وآب الى صومعته راضيا * فوجد رئيس المعبّر قد تعكبش فى راسه غصن من اغصان الحلم الاول فزاده خبالا * فكان يقول اذا سمع صوت الطبول من خيام العسكر واذا ابصر بريق سلاحهم * ألَا تسمعون طبل الشيطان * يضرب به بعض الرهبان * الا تبصرون قرون الشيطان * كيف تتقد منها النيران * اذ تحتك بها النسوان * والسيدة روجته غير مكترثة بصراخه ولا بتخييم العسكر قرب الدير لان حب الغصن لم يدع فى قلبها موضعا لغيره * ثم منّ الله تعالى باصلاح الحال فسارت العساكر من البلاد وامنت الطرق والمسالك وسكن صاحب المعبّر * فراى ان يذهب الى مدينة دمشق ويمرّ ببعلبك ليرى قلعتها العجيبة * واكتروا لهم خيلا وبغالا وعزموا على السفر *



في السفر من الدير

ركب كل من الفارياق والقس بغلا وكلّ من السيدة وزوجها فرسا *
واتبع السهم ركب وساروا يقصدون دمشق * حتى اذا كانوا في بعض
الطريق اجفل بغل الفارياق لوهم خطر له فقمص به وشمص * فالقاه عن
ظهره فوقع على وركه على صخر فقام يجمع مع الجامعين * فجزع عليه
صاحب المعتر اشفاقا من تعطيل مصلحة العسر * وشمتت به زوجته اذ
كانت تحسبه رضيا عليها وعلى عصبها * وكذا مساءة الرجل قد تكون
مسرة المرأة * وهنا ينبغي ان نضيف الى معلوماتك الواسعة هذه القصة *
وهي انه لا شيء من انواع السفر اشق من الركوب على هذه البغال العاتية *
وانها بلا سرج ولا لجم ولا ركب * وقد جعل لها هؤلاء المكارية الجهمى
بدل اللجم حبالا تتصل بسلاسل من حديد جافية * يمسك الراكب
بيده سلسلة فاذا شرد البغل وثبت يد الممسك بها عن كبحه * والعادة
انه متى شرد بغل شرد سائر البغال * ثم اجفل بغل القس فمال عن ظهره
وتعلقت رجلاه بحبل فتدلّى راسه يخط على الارض * فذهب ما عند
السيدة من قليل الصبر عنه * ولم يقدر احد على رد البغل * فكانت ترى
عينها في جهة وقلبها في جهة اخرى * وكرهتها اكثر * وصغر اصغر *

وجف ما جف * وقف ما قف * وابتلّ ما ابتل * وانحل ما انحل *
واقشعرّ ما اقشعر * وازبأرّ ما ازبأر * وتنغّض ما تنغض * وانتفض
ما انتفض * وتنضنض ما تنضنض * وتلمظ ما تلمظ * وتلطلط ما تلطلط *
وضجم ما ضجم * وشخم ما شخم * وغدت تتململ وتتلوّى * وتتقلب
وتتحوى * ودخل في راسها اول مرة في عمرها مُنيةُ أن تكون رجلاً
لتجيره * ثم هوّن الله الصعب ووقف البغل فاستوى عليه الغص
وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والفارياق على رمق * فذهب وتفيّا
في ظل شجرة فهبّ به النسيم فنام فقام منهوكا * ثم ركبوا وبلغوا دمشق
وهو مريض فاكترى غرفة في خان وبقي اياما لا يقدر على الخروج *
فلما نقه توجّه الى منزل اهل زوجته وعرّفهم بحاله ففرحوا به * ثم عاودته
الحمّى ثم افاق فراى ان يذهب الى الحمام ليغتسل فلمّا رجع رجعت
اليه * واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فاغمي عليه فيه فوقع وقد دخل
راسه في شق المرحاض فجعل يصرخ ويقول * لَا انّ راسي في الشق *
لا ان الشق في راسي * فبادروا اليه فراوه على تلك الحالة * فمنهم
من ضحك منه ومنهم من رقّ له * ثم عوفي قليلا فبدا له ولصاحبه
السفر * ولكن لا بدّ لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارهقه
واعسره حتى يصف لنا محاسن نسائها اذ هو لا يحسن شيا غيره *
واما الكلام على خواصّ نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها
وعلى الامور السياسية فليس من شانه * قال دخلت دمشق وبي
حمّى صحبتني من بعلبك * وما كدت انقه حتى سافرت منها فلا استطيع
وصف نسائها الا وصفا سقيما * فان رغبتم فيه اقول * اني لما دخلتها
نزلت في خان يسمى خان فارس * فعشق لي صاحب الخان عجوزا

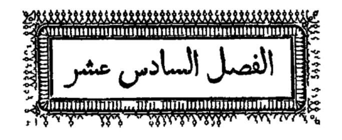
لخدمتي فلحظت من طبّها وشمّطها اى خلطها الكلام اللين بالشديد ان للعجائز يدا طويلة فى المعاملات النسائية * اعنى انهن يدخلن الديار بحيلة انهن يبعن للنسآ ثيابا ليكتسين بها * فيخرجن من عندهن وقد تعاهدن على تعريتهن راسا * فهن السبب الاقرب والذريعة الوثقى فى الجمع بين العاشق والمعشوق * فاما نسآ المسلمين فقد ظهر لى فى بادى الراى انهن اجمل من نسآ النصارى * كما ان الرجال من المسلمين اجمل من النصارى وافصح لهجة وكذا هم فى سائر البلاد الاسلامية * ولون النسآ عموما البياض المشرب بالحمرة * والغالب عليهن الطول والشطاط * غير ان هذا الازار الابيض الذى يتزرن به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كحبر نسآ مصر * وكلاهما مخفٍ لمحاسن القد ولعلهن يلبسن ذلك عمدا لتامن الرجال فتنتهن * فلهنّ الشكر عليه * ولكن ما هذه المغازلة والانلاع * وما هذا التبهكن والتبدح * افليس للقلب عينان يبصر بهما ما ورآ ذلك الازار * ايخفى الشمس غيمٌ وهى لولاه لم يمكن لعين ان تراها * فاما زيهن فى الديار فاشوق وافتن ما يكون * قال وقد ظهر لى ايضا وانا موعوك بالحمّى بعد ان خرجت من الخان وشممت رائحة الزائرات من النصارى انهن موانسات حلوات الحديث والشمائل مناطيق * حتى اعتقدت ان شفاى يكون بذلك * ولولا انى خشيت من التبجيل بالاستغنآ عن الطبيب ولا سيما ان ابى كان قد توفى بدمشق فالقى فى روعى انى الحق به لما احتجت الى علاج آسٍ * وحين كنت اسارق النظر اليهن وانا على الوسادة كنت المح فى صدورهن حين يتنفس شبا يربو وينبو * ثم رايت بعض اعيان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه فى الكلام * وهم من

الهيبة والوقار بمكان * فلا ادري ما الذي حسّن للمطران جرمانوس فرحات حتى قال في ديوانه

فكانني حلب برقة طبعها وكان طبعك بالغلاظة جلّق

ولهذا القائل لاحق ان يقول الحلبي شلبي * والشامي شومي * مع ان اهل الشام ارق طبعا من اهل حلب وازكى اخلاقا واطلق لسانا ويدا وحيا واوفر سخاء وكرما * والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبي شرفها بقدمه وكانت مثوى لبعض الصحابة واصبحت وصيدا للكعبة وما زالت من ذلك العهد منزلا للحاج * فان النصارى فيها يتبوأون داخلها الديار الرحيبة والمنازل الفسيحة * بخلاف النصارى في حلب فانهم لا يمكّنون من السكنى الّا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا للبيع والشرا * هذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التي يكثر وقوعها بحلب * وعن هذه الحبّة المشؤمة المتسببة عن مآئها * حتى انها كثيرا ما تشوّه وجه من يصاب بها * فهل مراد المطران ان يقول ان نصارى حلب وحدهم ارق طبعا * ام يصحّ ان نبخس الناس حقوقهم لاجل السجع والتجنيس * فيقال مثلا الجاثليق هَنْدَليق * والمطران فَطْران * والقسيس لهّيس * والراهب ناهب * والسوقي بوقي * والخرجي دُرْجي * واما اللغة فليس لعمري من مناسبة بين فصاحة اهل دمشق وركاكة اهل حلب * لان حلب لما كانت متاخمة لبلاد الترك دخل في كلام اهلها كثير من الالفاظ العجمية * كقولهم انجق بيكفي يخرجون الجيم في انجق مخرج الجيم التركية * ويتقلّنه اي يستعمله * وخوش خبو وما اشبه ذلك * ما عدا لكنتهم ولخلختهم في نطق الالفاظ العربية * ثم ان الفارياق سافر هو وصاحبه

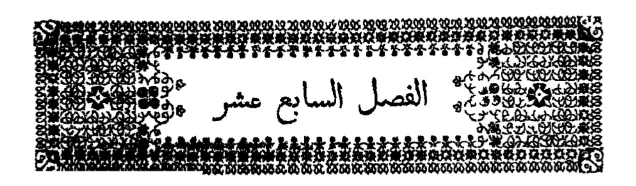
الى بيروت ومنها الى يافا * فدعاهما ورتانَ السفينة نائب قنصل الانكليز بها (هو غير الخواجا اسعد الخياط اللبيب البارع) ليشربوا عنده المآء بالسكر المعروف بالشربات * مما اشتهر ايضا بهذا الاسم عند المولفين من الافرنج واستعملوه فى كتبهم لا فى ديارهم * فساروا معه فاحضر لكل منهم كاسا تليق به بحسب ضخامة جثته * فلما فرغت الدعوة اقلعوا الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة واقاموا فى معتزلها * فبعث الفارياق الى زوجته يخبرها بوصوله ويستدعيها للاعتزال معه * فقالت انا لا احب الاعتزال ولا الكسل * ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفارياق من الم السفر استروح منها رائحة النسآ *



الفصل السادس عشر

فى النشوة

هى رائحة امّ دَفار * استوى فيها ما دبّ وطار * وسالك فى البحار * وتفصلها فى العنوان فهل انت ذو استذكار *



الفصل السابع عشر

في الحض على التعري

ثم دخلا البلد ورجع الفارياق الى التعبير واصلاح البخر * وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبّر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم تنصّر وانه شاعر مفلق ذو شهرة بين علمآء فارس * فسار ومعه الفارياق ليسلّما عليه في المعتزل واذا به جعنوش حتروش حزقّة أَلْحَى * فلما دخل البلد اقام في المعبّر فراى الرئيس بادي بدي ان يحلق لحيته * فجيء بالحلاق واعمل فيها الموسى فلما انتهى الى شاربيه سترهما الشاعر بيديه * فاقبل اليه صاحب المعبر وبيده كتاب ليحجّه منه على لزوم حلق الشوارب * فدار بينهما البحث والجدال حتى رضي الرئيس بنصف الشعائر * فلما كان ذات يوم من الايام المشئومة ذهب الفارياق الى المعبر فوجد الرئيس قد تعرّى من ثيابه بالكلية * وجعل يطوف في الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتدآء به ويقول * ياايها الناس ما جعلت الثياب الّا لستر العورة * ولا عورة لمن كان طاهرا بريّئا من الذنوب والمعاصي * فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبرآءة لم يكن له حاجة بالثياب * فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعرّي قالت له ان النسآء لا عصمة لهن الّا في الليل ولا بدّ لهن من الستر نهارا * فرآه

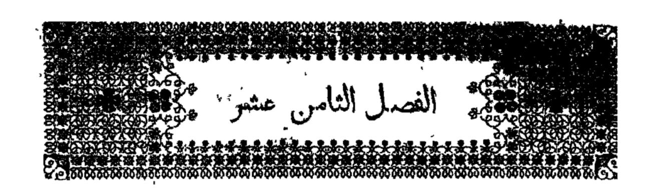
العجمي على تلك الحالة فسال الفارياق قائلا مابال صاحبنا قد غيّر اليوم زيّه الاسود وتردّى بهذا الزيّ الاحمر * قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الاحمر * ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم * فخافت الزوجة ان يتلافيا في مازق وينشب ما بينهما الجدال او الجلاد * فرغبت الى الفارياق في ان يضم اليه العجمي * وكان الغصن قد قدم اليها في اثناء ذلك من الديار الشامية وهو مترجم عن جنى شهى * وجذع قوى * فبوّأته عندها مقاما كريما * وحاولت ان يخلو لها معه المعبّر خلوّا مستديما * ولو بدوام لمم بعلها * وفقد اهلها * فاقام الغصن في ارغد عيش واهنا حال * وظلت هي معه اشغل من ذات النحيين في اصفى بال * وظل زوجها يحض على التعرى * وانه من شعار المتزكى المتبرّى * ولبث العجمي في منزل الفارياق * وانما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت عليه * فلما كان ذات ليلة وقد راى عند روجة الفارياق نسآ حسانا انحلّت عقدة لسانه ونطق بكلام دلّ على انه لم يتنصّر عن هدى * وانما اضطره الى ذلك ابو عَمْرة * ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم الغرام في قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفاريافية * فاحسّ به زوجها فبادره بحبل وهو لا يستطيع دفاعا عن نفسه * فلما كان الغد شاور زوجته في امره * فقالت اظن ان هذا العجمي انما جنّ لعدم الزواج وكذا سائر المجانين * الا ترى انه لما راى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم * قال فقلت ما ارى الحق معك هذه المرة * فان صاحبنا الحرجي جنّ من بعد الزواج * قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلّا بالاحلام * ولما تزوج لم يودّ الزواج حقه فاختصّ الحق منه فليعتبر به غيره * قلت من اين علمت هذا * قالت ان المزوج لا ينبغي له ان يكون فضوليا يتعرض لغير ما

هو فيه * قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق * قالت لا تعطيل فانى لا امنعهم عن العمل بل عن فضول الكلام * واللهج بالاحلام * فان التمحّل لعلم خرق العادات * اجهد من التحمّل لعمل عادات الخرق * ألا ولو كان الامر الىّ لداويت المجانين كلهم بالنسآ ومن النسآ وعن النسآ * قلت اكل حروف الجرّ للنسآ * قالت نعم كل الجرّ فى النسآ * قلت قد حذفت الحروف * قالت بل هى باقية * قلت دعينى من المطارحة وافتينى فى امر هذا المجنون * قالت ردّه الى المعبّر وانى اكره طول مكثه عندنا مخافة ان احبل فياتى الولد على شكله * قلت ما مدخل الجنون فى الجنين * قالت او ليس الاولاد ياتون بيضا صباحا ووالدوهم قباح * فلو لم يكن لعين الامّ من فاعلية عند توحّمها لما كان ذلك * قلت هذا راى يودى الى الكفر والمحال * اما الكفر فلانك تزعمين ان للمراة مشاركة فى خلق الانسان * واما المحال فلانّ المراة لو كان ابها فاعلية فى ذلك لاشبهت الاولاد آبآهم او لجآوا كلهم صباحا * قالت اما جواب الكفر فلا ينكر ان يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية فى المراة وهو مسبب الاسباب * بمعنى ان القوة الوجية التى اودعها فيها الخالق القدير تكون موثرة فى كونية الولد * واما جواب المحال فلان المراة ابدا تشتهى ان ياتى ولدها على غير هيئة ابيه * وما تراه منهم مشبها اباه فالغالب انه البكر * قلت كثر الله من امثالك ما كانك قرات الكلام الّا على الاشعرى * قالت نعم الكلام هنا فى الاشعرى لا فى الجميش ولا السميص * قلت المجنون المجنون * ودعينى من المحون * فقد كدت تلحقيننى به بكلامك هذا المعصود * قالت متى كنت تكره العصد * وهو لك شايق التصد * اما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر

ودعه هنالك من غير ان تخبر به احدا * قال فانطلقت به وادخلته فى احدى الحجر وقفلت عليه الباب * فلما جاع طفق يعالج الباب ليخرج فسمعه الخادم فاخرجه * فتوصلت زوجة صاحب المعبر فى ان رجعته من حيث جآ وعزمت على السفر بزوجها الى بلادها * وناب عنه آخر من بلاده فى المصالح التعبيرية ولكن لم تطل مدته لاسباب ياتى بيانها * وقبل ايرادها ينبغى ان نختم هذا الفصل بما نظمه الفارياق حين كان رئيس المعبر يحض على التعرّى وهو

الا تريد صاح ان نجنّا ... ونخلع اليوم الثياب عنّا
ولا ننام ليلنا ان جنّا ... ولا نسيى بالنسآ الظنّا
ولا نرى متى يجى حنا ... وان يغب نقل مريض منّا
وان اتانا فاسق وزنّا ... نركبه الخيل فلا يعنّى
ونجعل الزوج له مجنّا ... نقيه من كل معنّ عنّا
ولا نبالى ان راينا قرنا ... قد طنّ فى اصداغنا ورنّا
فقد رايت العقل يضنى الطّنّا ... ويحرم الحرّ الذى تمنى
ولن ينال الحظ مطمئنا ... الا الذى باح بما اكنّا
مه ايها الشيخ الذى اسنّا ... ما انت والعنآ والاغنا
تدخل فى مضايق وتعنى ... وما نبالى لو لقيت وهنا
ماذا لقيت من نذير جنّا ... ومن طواف ههنا وهنّا
وافيتنا فى شهر نحس اخنى ... على المحبين فقلنا اِنّا
لم تخل دار بتّ فيها معنا ... من حادث غارة سوء شنّا
سنكوك كل دى عيال ما ... اوردتهم من كل رزء فنّا

فمن مجانين ابانوا الهنّا ومن مصاب بالحمام أُطْنى
ومن عليل دنف قد انّا حتى رثى الصدّ له وحَنّا
قدك اتّئد اوقدت فينا الحزنا وقد شجنت المصر همّا شجنا
فاظعن هداك الله وارحل عنا من قبل ان تقطع عنه الظِّعنا
وتنصب الماَ وتنفى اليمنا عن بلد من قبل كان امنا
واختر بغير ذا المكان كنّا تاوى اليه مستريحا طَمْنا
فما عليك ان اصبت غبنا ثُمّ ودَعّا او لقيت زُبْنا
او كنت تاتى هَذَرا وأَفْنا وتنظر القبيح منك حسنا
بحيث لا تبصر يوما قِرنا وكاشحا اخفى عليك ضغنا
كما اصبت ههنا خُبُنّا اصدأ منك الضرس ثم السنّا
لو استطاع لقراك سجنا تصبح فيد للرزايا رهنا
شيطانه عليك قد تجنى يقول من تبغك قد استّا
جعلت فى دار الصلوة فرنا دخانه عمّ واعمى الرعنا
وقال قوم تُفْلِه اصنّا ولكنه يبلغ ضرّا منا
فليبغ فى دار سواها خدنا وما علينا ان سخا او ضنّا
اوان بكى من شومه او غنّى او اخلص الدعا لنا او لعنا
اوخار من جوع وذلّ وهنا او قال صرنا بعد ما قد كنّا
انك يامغرور لم تعشقنا ولم تعرّبنا ولم تَشْقنا
فلا جزاك الله خيرا عنا



الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرغ الفارياق من تعبير الاحلام كُلّف ان يترجم كتاباً لِلُجنة في بلاد الانكليز * فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها * واتفق وقتئذ ان سافر المطران اتناسيوس الحلبي التتونجي مولف كتاب الحكاكة في الركاكة الى تلك البلاد في بعض مصالح ترنمية * فتعرف باللجنة المذكورة وافادهم ان لغة الفارياق فاسدة راسا * وذلك لخلوها مما اشترطه على المترجمين والمعربين في كتابه المذكور * وان النصارى يحبّون الكلام المسلَّط المعسطل * وانه قد ربا في هذه الصنعة مذ عهد طويل وربّى فيها كثيرين في مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لاسفار الكنيسة منهجا يخالف اسفار الورى ويغاير
وان لفي اللفظ الركيك تبرّكا ويُمنا لقوم عنهم العار ظاهر
وان غناءَ اللحن في القول عندهم لكا للحن في الايقاع والاصل ظاهر
وان نسبة المولى الى الله منكرٌ ومن ولّوا الادبار كلّ يحاذر
وان تكاة جمع متّكئٍ اتى وان مُصونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشهر وفي مَلَك لا في ملاك كبائر

وان عبيدًا لا عبادا مضافةً الى الله اولى ما لذا الحكم ناكر
وان عذابا كالركاكات جمعه وان لم يرادف باقي الشي سائر
وما واعظيها قيل بل موعظينها ومن قال ادّوا دون ودّوا مكابر
ومن ردّ قل ان شئت صوغ اسم فاعل مُردّ كذا قال النصارى الاواخر
ويظهر يُلغيه يبان نظيره وصرنا بَنيْنا بالتذكر كائر
وجمع مُصَنّق للاله مسبّح وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب ونعت المثنى باللذى متواتر
واثبات ياء الامر من ناقص كما حكاه له قس الشوير المعاصر
واثبات نون الرفع في الفعل بعد كي وأن مستفيض هكذا نص زاجر
ومن بعد يعطي نصب نائب فاعل وحوبا وحذف الفا في الشرط دائر

وطلب من اللجنة المذكور ان يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذي مرّ ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والّا فلا * فلما راوه ذا لحية ولا سيما انه متحلّ بحِلاَ مطران والمطران عندهم لا يكون الّا عالما فاضلا اعتقدوا فيه الفضل والعلم وفوضوا اليه العمل * ولهذا السبب خاصة بطل المعتبر ولم يبق للفارياق لا مرتّبه من وظيفة اصلاح البخر * وهنا ينبغي ان يلاحظ ان الانكليز اشدّ الناس حرصا على الالقاب * فاذا زارهم احد من البلاد الاجنبية متصفا بلقب امير او شيخ او مطران حظي عندهم الحظوة التامة * ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية * اما لقب المطران فهو عندهم من الالقاب التي تغني صاحبها عن توصية وتنويه * اذ ترجمة هذه اللفظة تجري لديهم مجرى قولهم رئيس اساقفة * ومن حصل على هذه الدرجة منهم حصل على دخل اربعة آلاف ذهب من الليرة * واما طول

اللحية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والنباهة كما يتبين من حكاية المامون مع الفقيه علويه * ولكن عادة العجم غير عادة العرب * ثم ان الفارياق لمّا آن وقت بطالته من اصلاح البخر وهو ثلثة اشهر الصيف فى كل سنة عزم على ان يسافر الى تونس * فركب فى سفينةٍ رئيسها من اهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والخرجيين مرة * ومرة بينهم وبين الفلاسفة * وبعد سفر اثنى عشر يوما كلها خطر وعناً بلغوا حلق الواد * فكان بعض الملاحين يقول فى اثناء الطريق انه انما وقع لهم ذلك بخلاف العادة لكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الرّبّانيين * فانهم لا يسافرون فيه اصلا اما احتراما له او تشاؤما منه * لكن الفارياق كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعه * وان نيّة سفره سواً كانت قريبة او غير قريبة لا يبلغ اليها الّا فى مدة اثنى عشر يوما * وانما كتم ذلك عنهم * قال اما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت * غير انها طيبة الهوآ والماكول والمشروب كثيرة الفواكه * واهلها طيّبون خيّرون يكرمون الضيف ويحبون الغريب * وفيها من المغنّين والعازفين بالات الطرب كثير ومعظمهم من اليهود * ونساوهم حسان سمان بيض دعج برغم النصارى القائلين ان الله لعنهم ومسخهم بعد صلبهم سيدنا عيسى عم ونزع منهم كل حسن باطنى وظاهرى * غير انى اظن ان القسيسين اذا نظروا يهودية جزلة بضّة ربحلة يبدّعون صاحب هذا المذهب ويفنّدونه * وانما يقول ذلك منهم من كان لرق النصرانيات ولم يرَ غيرهنّ * ومعلوم ان النفس ترغب فى الحاضر الموجود عن الغائب المفقود * او لعلهم يريدون ان المسخ انما نزل بالرجال دون النسآء فليُسْألوا * وان كثيرا من هولآء الغر الممسوخات غير بعدات عن العَصن والهصر * ومن عادتهن

ان يمشين غير متبرقعات مكشوفات السوق * ثم لما ازف رحيل الفارياق من المدينة قال له بعض معارفه من اهلها لو مدحت واليها المعظم * فانه اكرم من اعطى وانعم * واكثر الناس ارتياحا الى الجود والمعروف * قال قد نويت الان السفر فلم يعد ممكنا لى غيره * ثم رجع الى الجزيرة وكان من جملة الركاب الذين رجعوا معه رجلان نمساويان احدهما ابن احد التجار الاغنياء والآخر من قواد عسكر البابا * وكان هذا قد اخذ من الفارياق واحدة من هذه النبخات الدقاق فردها عليه بعد يومين * فلما استقر الفارياق بمنزله خطر بباله ان ينظم قصيدة فى مدح جناب المولى المشار اليه * فانشا قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه ثمّ من المحاسن ولكن من دون تعرّض لذكر محاسن نساء اليهود * فلم يشعر بعد ايام الا والمولى المشار اليه بعث له بهدية من الماس تضن بها الملوك على ندمائهم * ومعها كتاب من ناموسه المعظم ووزيره المفخم مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحبّ الذى رعى المودة شانه * والكمال سجية قام بها عمله ولسانه *
« الاديب الاريب * الآخذ من كل فنّ اوفر نصيب * حسن الاخلاق *
« والحائز فى مضمار البلاغة قصب السباق * البارع الفارياق * لا
« زالت محاسنه نيّرة الاشراق * وبلاغته كواكب آفاق * اما بعد فان
« ولى نعمتنا ومولانا وسيدنا المشير احمد باشا باى امير الايالة التونسية *
لا زالت بوجوده محمية * بلغ لرفيع جنابه من ادابكم * قصيدة تحلّى
« بها شعركم * وانضح بها فخركم * ويدوم بها ذكركم * فلله در منشيها *
« ومبدعها وموشيها * حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها * والقت
« لديه مقاليدها ونواصيها * والمولى ابده الله حسن لديه موقع خطابكم *

» وانني على بلاغتكم وآدابكم * ووجه لكم من حضرته العلية حُكة تتذكر
» بها وداده * وابالنه وبلاده * فاقبلها من افضاله * ومن نزر نواله * والله
» يحرسكم بعين عنايته * ويسبل عليكم ستر عاقبته * وكتبه الفقير الى
» ربه تعالى مصطفى خزنه دار الدولة التونسية في الرابع والعشرين من
» ذى الحجة الحرام سنة ۱۲۵۷ * »

وفي اثناء ذلك قدم المطران التتونجي الى الجزيرة فبلغ الفارياق قدومه ولم
يكن عرف ما افتأت عليه به عند الانكليز فذهب ليسلّم عليه وادبه الى
وليمة اعدّها له * واقام المطران في بعض المنازل يشتغل بترجمة ذلك
الكتاب الذى زاحم الفارياق عليه * وظل الفارياق ينتابه حينا بعد
حين وهو غير موجس منه شيا * فلما كان بعد ايام ثارت في الجوّ
حاصب ومتشغزبة ومنسبة منشبة ونكباء وهُبوبة وحُرجوج وجُجُوجاة ودرّوج
وسُهُوج وشجوجاة وبارح وسُاخة وخِنذيذ وصَرْصَر ومشتكرة واعاصير
ومعتكرة وهُبارّية ورواسم وزوابع وزعزعان وهَيْرع وجُفْجف ورُفْزاف
ومسفسفة ومُسنفة وعواصف وخُرّقا وزخْلِق وزهلق وسُهوق وحاشكة
وساهكة ورُعْليل وطَيْسل وعُباهل وسُهام وسُفون ووَرْهآ وميلاه وسافيآ * ثم جآ
على عقبها روائح هنبيّة صُماحية زنخية سنحية إفاخيّة عَبّاديّة خُجَرية ذفرية
عداريد امدرية امثرية خُنازية طُفاسيّة حُطاطيّة عفاطيـة عُفطانيـة شباطية
داصفيّة زُهمُنية خبرافية صَلّية خَيْعامية صُنمية فنمية عجانية لخنية نَجْوية
مختلطة بطُمْطمانية ولُخلخانية ورُتّية ولعلغانية وفلقلانية وكسكسية وكشكشية *
واذا بالمطران المربور قد غاص في بلوعة فوهآ في تعريب ذلك الكتاب *
ولما كان جاهلا بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لا بد من
نسلع هذه الروائح الخبيثة منزل الفارياق * فان مدير المطبعة كان

من اصحابه فكلّفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط في الترجمة * وح عرف سبب قدوم المطران ومكايده * فصرّ بعض هبّات كريهة من تلك الروائح وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر الجواب * ثم اتفق بعد مدة ان قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامى باشا المفخم المشهور بالمناقب الحميدة * وكان للفارياق دالّة عليه فسار اليه ليهنئه بقدومه * فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة الاعتزال فاخبر زوجته بذلك * فقالت له كم مرة اقول لا خير في الاعتزال * قال لا باس به اذا كان مع اميرفان شرف الاسم يكفى * قالت لا يغنى الاسم عن الفعل شيا * قال فقلت بل اجتزا به كثير * قالت أَمَع جارٍ له * قلت لا ادرى * قالت لو كان الاسم يغنى لكانت المراة تكتب على موضع من جسمها لفظة ابر * قلت اعوّض ما يمضى * قالت ولا فأمض على العوض * قلت ما اعجل النسآ * قالت وما احبّهن للابطآ * قلت قد كنت اودّ لو ان الله خلقنى امراة او انه يصيرنى امراة فاما الان فلا اريد اذ لا صبر للنسآ كالرجال * ومن يعش فى هذه الدنيا فلا بد وان يكون صبورا * قالت لو لم تكن النسآ اصبر من الرجال ما كنّ يعمّرن فى الارض اكثر منهم على ما يلحقهن من اوجاع الحبل والولادة * قلت ليس هذا هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لا تطول حياته على الارض بخلاف الطالح * قالت هل فى الرجال صلاح وما من فساد الا والرجال مخترعوه * هل تفسد الاناث فى الاناث ما تفسده الذكور فى الذكور * وهل يفسد النسآ غير الرجال * ومن ذا الذى ينصبّاهن ويتالفهن ويتنقشهن ويغازلهن ويغويهن بالمال والوداد والوفآ غيرهم * حتى اذا استوثق احدكم باحدنا واحرز سرّها ذهب فى الحال وباح به *

وربما سكر مع بعض معارفه او تساكر فافتخر امامهم بافشآ ما يجب كتمانه وبهتك ما يلزم صونه * ألا وانّ الرجل منكم ليعتمد على ما خصّه الله به من القوة والباس فيعتقد ان له الفضل على المراة في كل شي * ولو كان الفخر بالقوة لكان الفيل افضل من الانسان * نعم انّا ليسرّنا ان نرى الرجل شيظما ابّدا ولكن لا يليق به والحالة هذه ان ياتي امراته الضعيفة المسكينة فيعاملها بالخيعرة والدغمرة والدنقرة والزنترة والزنخرة والزمجرة والزنهرة والشنزرة والشنصرة والشنظرة والشمصرة والعجهرة والغذمرة والغشمرة والغيثرة والخزربة والخطلبة والخظلبة والدحقبة والدعربة والدنحبة والزغدبة والسقلبة والشغزبة والشهجبة والصرخبة والصعنبة والطغربة والعثلبة والعصلبة والعسلبة والقحطبة والقرطبة والنيربة * ثم اذا ذهب الى اخرى اوهمها انه اسيرها وعانيها وقنّها ورقيقها وقُينها وفُنّورها وماهنها وفُنّجلها ومملوكها وذليل حبّها ودنف غرامها وعميد عشقها وصريع هيامها ومبت هواها وشهيد حبّها * وان الله تعالى لم يخلقه في الدنيا الّا لمرضاتها * قال فقلت اذا كان الرجل مخطئا في ذلك فالمراة غير بريئة ايضا لتصديقها اياه وانقيادها له * قالت انما تصدّقه من صفآ سريرتها وسلامة صدرها * فان الصادق لا يرتاب في كلام غيره وان الكريم ينخدع * ولو ان الناس سمعوا مثلا بان امراة متزوجة تحب غير زوجها لانكروا عليها ذلك كل الانكار * واستفظعوه غاية الاستفظاع * فتطلّ له الطول وتزمر الزمور وتكتب الكتب * ولا يبقى في البلد احد الا ويروى عنها حكاية او نزهة * فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير زوجته فانهم يحملون فعله على وجه مرضي ويعتذرون عنه بقولهم ان امراته غير راضة * او انها حُصّد مِعاص * او مبراص او منشاص * او حذنفرة

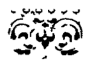
او غبوق * او زخاخة خقوق * او فتغاً غقوق * او رتقاء غفوف * او نجاخة فشوش * او منخار خضون * او خواً انجى * او بخراً رهوى * او مخرة ضحياً * او ضهواً ضهياً * او هرعة رفغاً * او سلقلق او متكا * او قشور او مصواً * او ناسعة شقاً * او مهلوسة او لصاء * او لثية او لخجم * او خيفق ذات عفلق او قلذم * او حق وعفل او دقناً * او ميقاب او فجواً * او لقوة او خثواء * او قنشورة او ذناً * او قرثع اوسلتا * او خرور او قعماء * او عائط او شرماء * او عنبلة او لخواء * او مجيأة او رمصة وغير ذلك من العيوب ولا يرون في فعله هذا سماجة * مع ان للمراة اسبابا تحملها على الشطح اكثر من اسباب الرجل * قلت تفضلي بذكرها كي اجانبها * قالت اولها ما اذا لم يقم الرجل بوفاً حق زوجته * وهو حق الزواج الذي من اجله تترك اباها وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها * قلت اللهم لطفك وعصمتك ثم ماذا * قالت ومنها اهماله امورها وقلة اهتمامه بما فيه راحتها وانشراح صدرها وتطييب خاطرها * وتلهيتها وتسليتها وترويتها وتحليتها وتدفئتها وتطريتها وتاسيتها وتقويتها وتمشيتها وتغديتها وتمريتها وتمنيتها وتمليتها وتهنئتها وتوقيتها * قلت نعم وتعريتها وتمذيتها وتمريتها وتنديتها وتنصيتها وتمسيتها وتنجيتها * قالت نعم كل هذا واكثر حالة كونها اسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة لاموره * وهو يطوف في البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق الى سوق * حتى اذا جاً منزله انطرح كالمغشي عليه وقال ان الشغل جهده والجهد شغله واذ عرض له كذا وجرى عليه كذا * مع انه هو الذي تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا * ومنها رقة فؤاد المراة والشفقة التي فطرها عليها البارئ تعالى * ولا يمكن لها ان تتداول

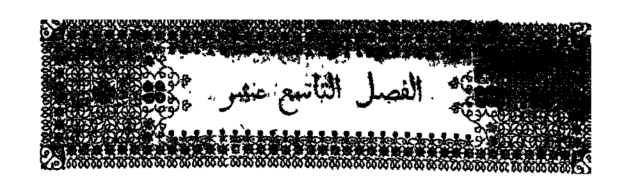
رجلا من مودته لها لا بالوداد او عن تملقه اليها لا بالميل اليه والاقبال عليه * وناهيك ما فى الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة * قلت واعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معانى الكَيس * قال فى القاموس الكَيس خلاف الحمق والجماع والطبّ والجود والعقل والغلبة بالكياسة * وبين السِرّ والسرور والبسط والشرح والبُضع والبضاعة والشعور والمشاعرة واللمح والقمط * وخصوصا بين ابى اَدّراس وابى ادريس دامت الفتهما فى اللفظ والمعنى * فقهقهت وقالت شرّف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين * قلت ولكن قد يلازم ذلك احيانا ما يسوء او ما لا يليق * نحو ازّ فانه بمعنى جامع ورمى بالسلح * وجخّ رمى ببوله ومسح جاريته * ومعط جامع ونتف الشعر وحبق * وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه بضعة * ومنخ جامع وبسلحه رمى * وملخ جامع وجذب الشى قبضا او عضا وتردد فى الباطل * وملق جامع وضرب بالعصا * وجظّ جامع وطرد وصرع وبالعصة كطّه * وخجّ جامع وبسلحه رمى * ولخب جامع وفلانا لطمه * ومتر جامع وبسلحه رمى * وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط واصاب جلده * وعصد جامع ولوى وفلانا اكرهه على الامر * وصفن جامع وبغائطه رمى * ومحص جامع وضرب * ومشن جامع وخدش * واَسوَى احدث وخزى وفى المراة اوعب * وكذا حنأ وحطأ وحلأ ونجأ ورطأ وزكأ ولنأ وغير ذلك مما لا يحصى * قالت كل صعب فى جنب ذلك يهون * ولا بدّ لجانى العسل من ان تابره النحل * ثم انى فهمت من فحوى كلامك ان هذه الافعال فى لغتنا الشريفة اكثر من ان تعدّ * وان اكثر المعانى قد وضع له فيها الفاظ كثيرة تسميها العلماء ارادفة على ما ذكرت

لى سابقا * قلت لم اقل لك هذا وانما قلت مترادفة * وان هذا الفعل
بخصوصه له اكثر من مايتى لفظة * فكل لفظ دل على دفع او نهز او ضغط
او ادخال دل عليه ايضا * قالت فهل تستطيع ان تذكر لى حرفا يدل
بالخصوص على الامتناع عن النسآ عفةً وتقوى * قلت لم يمرّ بى حرف
بهذا المعنى والّا لحفظته فانى مُوْلَع بحفظ الحروف النسائية * والظاهر
ان العرب لم تكن تعرف ذلك * غير ان تَبتّل وبَكُمَ يدلّان عليه فى احد
معانيهما * قالت فى احد لا يغنى شيا * ثم استمرت تقول ومنها وهو
مستفيض عند اكثر النسآ ان المراة اذا احسّت باعراض زوجها عنها او
بفدوره او بالجفوة لها مع تحبّبها اليه واقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا
هلوبا بعيجا عروبا متبعّلة رعلببا آنسة باهشة متبشبشة متهشهشة ذات
رشرشة ومشمشة ونشنشة ووشوشة مدربخة واركة منصعة واكعة مصوصا حارقة
ان لم اقل عُلُوفا وغيرَ عاذمة مالت الى غيره لتُغيره وترده الى قديم محبتها *
فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امراته الا اذا راى الناس
يحبونها * فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبته هو * وهذا يسمى عندنا دغدغة
وزغزغة وسغسغة * فاما عيوب الرجل فهى لعمرى اكثر من عيوب المراة
ولو لم يكن به غير الزمالقية لكفى * وهل والحالة هذه يجب حلّ عقدهما
او يجوز او يمتنع اقوالٌ * فالنصارى على منعه مع انهم يقولون ان المقصود
من الزواج بالذات الانتاج وحفظ النسل * والطبائعيون والفلاسفة على
وجوبه اخذا بهذا القول عينه ومراعاة لادآ حق المراة الواجب على الرجل وهو
امر طبيعيّ لا بد منه ولا محيص عنه * وبقى الجوار فى عهدة غريمى الزواج *
ان شآآ بقيا على ما هما عليه والّا افترقا وهو الاصلح * ولعمرى ان المراة التى
ترتضى بان تقيم مع زوجها من دون قضآ حقها لجديرة بان يعتقد لها

عيد في راس كل سنة * أليس ان استاذك صاحب القاموس الذي تستشهد
بكلامه في كل مشكل نسوانى قد قال الرجل م والكثير الجماع * فاذا كان
الزوج غير رجل فانّى يحل له ان يحوز عنده امراة لا يودى لها حقها * ايحل
لرجل ان يقنى دابة اذا لم يقدر على علفها * استغفر الله عن هذا التشبيه * او
لصاحب ارض ان يغادر ارضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية * افلا
يجب ح على الحاكم الشرعي ان يشتريها منه ويولّي عليها من يتعهدها
ويستغلّها * واذا كان للانتاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمراة بل
جلّ اركانه مختص بها ومتوقف عليها فلمَ لا يكون الطلاق مشتركا بينهما
ايضا اذا افتضت الاسباب ذلك * اذ الطلاق عندى من غير سبب
ان هو الّا بَطَر وسفه * وافبح من ذلك ان روسآ النصارى ياذنون في مثل
هذه الحال في فراق الزوجين * ولكن لا ياذنون لهما في الزواج وان
يكن دآء الرجل عضالا لا يرجى له علاج في مدة انفصاله عن زوجته *
فايّ حكمة في ذلك واى ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات *
فلعلّما ياتى من بنيها من يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهبا او
مطرانا * وعسى ان ياتى من بناتها من تتحمّس بالوساوس والهواجس
والاحلام فتصير راهبة * هذا وقد ورد في التوراة حكاية عن البارى تعالى
انه قال تكاثروا واملأوا الارض على مبالغة ٥٥ * فان مَلْ الارض بشرًا يوجب
خرابها لا عمرانها * وقال ماربولس ان المراة تخاص نفسها بتربيتها البنين
الصالحين * فهل تعليق الزوج والزوجة عن الزواج مطابق لنصّ هذين
الحكمين * انظر الى اهل هذه الجزيرة فانك تجد اكثر الرجال منفصلين
عن ازواجهم وعائشين بالسفاح * وقسيسوهم مصرّون على ان ذلك اوفق
من الزواج الشرعي * مع ان القسيسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم

غير متزوجين * ايصح ترئيس روسآ على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزة * فقلت لله درّك من اين لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك الامرد والمحلوق اللحية عند قدومنا هذه الجزيرة * قالت ربّ شرارة اضرمت اتونا * انى كنت اعرف من نفسى انى لا البث ان ان انبغ فى هذا * وذلك لكثرة ما كنت ارى واسمع عن المتزوجين من الخلاف والمعاسرة * والشكو والمنافرة * لا سيما وقد رايت الان بلدا غير بلدى وناسا غير ناسى * واختبرت عادات جديدة واحوالا غريبة * فتوقجت تلك الشرارة التى كانت مودعة فى خاطرى تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها نكبآ الاحوال المتغايرة والشؤون المتباينة * ولا سيما فى ليلة الرقص التى لا تنسى * ومذ ج خطر ببالى ان املى عليك كتابا فى حقوق الرجال والنسآ ولا بد من الشروع فيه * قال سافعل ذلك ان شآ الله ولكن الامير ينتظر قدومى عليه فى المعتزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشآ الكتاب * قالت قد تشقيت الان قليلا بما قلته فاذهب اليه وارجو ان لا تعاودنى هذه الاهتقاعة الا وانت هنا * فاستغاث واستوزع * واستعاذ واسترجع * ثم ذهب الى الامير المشار اليه وبعد ان قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوفا باكرام الامير وانعامه *





الفصل التاسع عشر

في عجائب شتى

بُلْعبيس حذنْبذى * علْمِصّ خُزَعْبله * فِلْق فليق عِبْرة * أذْب بُطيْط فتْكِر * عجَب فُنْك ضُحْك بُهْر * هِتْرهُكْر إدّ بُجْر * زَوْل عَيْثَى بُجْل طِمّ أفْت غُرْو فُرِيّ * ان الانسان لا يعرف نفسه * هذه سيّدتى الرسحا المسحا الرقعا الرفغا الرصعا المودا المصلا المزوا العصلا الجخرا الزلّا القعوا النقوا الثطّا الفنّيا الجعوا الجبّا المزلاج الكروا العصوب المِنْداص الفاحسة تتخذ المرافد والحشايا وكبّة قطن تنفج به قميصها عن ثدييها لتوهم الناس انها دهساء وطباء * ولكن من اين جاءتك ياسيدتى هذه الحلية المباركة وهذا اللحم القَدِى * ونحن نرى ذراعيك كاليراعة او كعود الشُكاعَى * وعنقك كالعصا ويديك كالمشط ووجهك كالصابونة التى غسل بها القصّار ثياب القَديديين والفَدّادين والداجّ والداجَة * ونرائبك كالقفص وكتفيك موّلتين مهلهلتين مرققتين مدققتين محدّدنين مقدّدنين مسربطتين مسمرطتين * فكيف غلطت فيك الطبيعة وسمّنتك فى هذين الموضعين الكريمين وعميت عن الباقى * وهذه سيدتى البُلْقوطة الدُعْشوقة الزُلَنْقطة الجُخْنبرة الربازاة الجَعْبرة الحُرنْقفة الدِنّامة الزِفْيان العَشَبة الحُدُحّة الزُحنة الصِرزّة الزوِنّة البُهْترة الجَبّاعة القُمْهزِيَة القَهْقَزِيّة البُهْصُلة الدَرّاحة القُفُنْزعة

القُنْبِصة الفَنْبَل القنسل القَعْنَبة القُنْبُعة القَزمة القُذْعملة الحَبَنْطاة الدَوْدَرى القُرْزحة الكَتْة القلّى الجِلْبِز الزَعْنِقة القُنْبُصة القِرْزَحْلة الحُرَقة اذا مشت تطفر وتثب وتُهطع وتتالع وتعسج وتُهبع وتتطالل وتشرئب وتصلهبّ وتشمعلّ وتترقص وتزمهلّ * وتحسب ان الناظرين لا يشبعونها باعينهم * ولا يفترونها ولا يذرعونها بخواطرهم * ولا يدرون ايّ فراش يليق بها * وهذه سيدتى السودا المسحّمة المدلهمّة المطرخمّة الفاحمة القاتمة القاحة الدهماء المدهامّة الحَمّاء المبرطِمة الدلماء المدلامّة السحماء الدجناء الدخناء الحُفَدْلَس تطلى وجهها بالحُمْرة والغُمرة والغمنة والحَوَر والرَيْنة * ثم تصعّر خدها للناس وتنظر اليهم شزرا * وتتيه عليهم دلالا وكبرا * فاذا حاولوا ان يروا موضعا آخر من جسمها ادارت لهم ذلك الموضع المطلىّ المحمّر * المنقش المزوّر * وجعلته شافعا فى سائر اعضائها * واوهمتهم ان المغطّى منها اشد بياضا من المكشوف وان لونها فى الليل يكون ازهى منه فى النهار * ولا سيما عند الخلوة * فانه يزداد بهاء وجلوة * وربما حكت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت فى الغداة لم يكن لها وقت لاصلاح شانها * فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهى لا تدرى كيف خرجت * وهذه سيدتى العجوز المتهدّمة * القَحلة الشَهْربة * الطَهْمل اللّجبة * العَفَنْليل الصهصليق * الجلفزير الشفشليق * الخَنْظير السمسليق * الدردبيس الطرطبيس * الشَلْمَق الجحْرط * الشُمَلق الجحْرط * الحِزْبِش اللِطْلط * الهَيْعَرون الكُحكح * الهِرشَفّة الجلبح * ذات القنثلة والسغثلة * والنعثلة والنغظلة (١) * لم تزل حَشْوَرة عِرهاة تتفتّى وتتصبّى وتحزق ثوبها من عند خصرها * وتُهلس اذا جلس اليها فتى فى وكرها * وهذه سيدتى الجميله البصه العرآ * السنيعه الغضه الغرآ * الصبيحه الزهرآ *

(١) اسماء العجوز اكثر من ان تعدّ

الهيهر الغيدآ * الخضلة الدعجآ * الخريدة الموقونة العجزآ * الرشوف الشنبآ * الخنبة الذلفآ * السلمة الكاعب * المصقولة الترائب * الحلوة الابتسام * الرخيمة الكلام * التى تسكر بمغازلتها * وتفتن بمباعلتها * وتصبى فواد من لم يصبُ عمرَه * وتتبله وتتيّمه * وتعبّده وتهيّمه * وان اخذ منها حذره * واستحضر رشده وصبره * ودينه وحجره * تراها تمشى والخفر قد نكس راسها وغضّ طرفها فاذهلها عن ان تحسن خطوها * وتبدى زهوها * وليس بها شى من التغنج والتصرج والتبرّج والتغوّج والتحلّج والتدبّج والتخفج والتدعلج والتدحرج والتبغنج والترجرج والتزجج والتسرج والشموج والتنفج * مع انها لو دخلت على حضرة الملك لقام لها احتفالا * وناولها الميحار والمخصرة اجلالا * وانشدها

فديتك من مملّكة علينا يحق لتحتها تحت الخلافه
خذى تاجى بادنى لثمة من ملاغم فيك او ادنى ارتشافه

او على حضرة ناموسه المفخم * ووزيره المكرم * لدهش عن شغله اكبارا لها واعظاما * والقى اليها الخاتم استسلاما * وانشدها

اليك الفصل فى كل الامور على اسرى امير او وزير
فما الدستور الّا دسّ تَوْر اليك فهل سبيل للشغور

واو دخلت مجلس قاصى القصاه * لاهدى اليها الكنزوالدر وما ملكت يداه * وانسد

لها علىّ فى الهوى حطان لا للذكر
وان لى سؤلين بها دا وذاك وطرى

ولو دخلت على طبيب يعالج تبتآ لوصف له مس رانفتها * وشم سالفتها * وانشد

دهن السقنقور والترياق للعلل رضاب فيك وللعتين ذى الفحل
حتى اذا لم يدع فى الريق من وشل ارشفته الخمر نعم الخمر من بدلِ

ولو خطرت على منجم لرمى الاسطرلاب من يده حيرة وذهولا * وبلبلة وغفولا * وانشد

لسنا نرى الا جمالك فى الضحى فهو المنير بجنح ليل اظلما
قد بلبل الفلكىّ منك مقلك فعليك تقويم الذى ما قوّما

او على فيلسوف لذهبت معه حكمته سدى * ولم يجد للصبر عنها رشدا * وانشد

من حكاك الجسمين تقتدح النار كذا مذهب الذى قد تفلسف
وهى دعوى فان جسمى اذا احتك بهذى اسال ماء فانزف

او على مهندس لاشكلت عليه الاشكال * وتبلبل منه البال * وانشد

يفدى المكعّبَ منك كل مكعب ومحدّب ومقعر فى العالم
ياليت ذا الشكل الهلالى الذى فيك استقرّ على عمودى القائم

او على منطقىّ لخرج عن القياس * وخبط فى الالتباس * وانشد

على اللديدين منى ساقها وضعت ياحسن ذلك موضوعا ومحمولا
اصبحت تالبها ابغى مقدّمها اذ كان كل سرور فيه مأمولا

او على نحوىّ لما ميّز الفاعل من المفعول * وراى ان معرفة ذلك من الفضول * وانشد

رويدك انني ما جئت نكرا   لديك وليس لى ذنب فيذكر
برئت من النحاة وحق ربى   لقولهم بتغليب المذكر

او على عروضى لتقطع فواده * وكثر زحافه واسناده * وانشد

هددتني ياذات كل ملاحة   وتركت قلبى بالغرام يعلّل
ارعى النجوم الليل فيك واننى   مستفعل مستفعل مستفعل

او على شاعر لدلع لسانه تلزّجا * ثم تلمظ وتمطق ثم عض بنانه قسحا * وانشد

كم تاه صبّ بفرط العجب والتيه   لكن حياوك تاليهى وتوليهى
ان يولنى منك تجنيسى مجانسة   احمدت توريتى واخترت توجيهى

ألا ولو انها مسحت على عنق كل منّى ومنك ايها القارى لاغناهما عن الحُضَض * ومصح ما بهما من الورم والنُفّاخ والنَفْطة والغُدَد والعُقَد والقَمَد والقَفَد والحَثَر والعُجَر والعاذور والبُجَر والجُدَر والغبر والكُعَر والشَعَر والزَوَر والحَبَر والقَصَر والنَعَفة والسَلَع *والنَكَف والغَبَب والغَلَب والذِرْبة والتروّد والحَصَل والمَقْط والقَسْط والتشنّج والتحجّن والتغضّف والتغضّن والتصعفر والتقبض والقَفَص والرَذَن والتشنّن والكَنَع والتكربش والتكمش والإشخاص والقَرَه والقَله والنَأى والجَما والحَزْوة والتنبّج والذُباح والرَثْية والضَواة والزرّة والخَضَعة والشاكّة والاِذْل والإِجْل والجِدل والصُمْغة والقروح والخُرّاج والدمّل والعِنَبة والبثور والثاليل والخنازير والالتواء والهَنَع والحُبُون والنَدْب والعَثَم والوَكْس والحَبَط والأُجور والنَدَم والعَرَب والعاذِر والأثَر والطُلَيا والعَلَب والعَصَب والقوباء والجَرْو والدُغام والحَدْس والجَلَف والحَشَفة والحَفْث والفُطُوف والرَزَف والكَدْم والنُسُوف والغَلْصمة والحَوْلق والحُلاق والفَرَك والكُتاف والهَبَض والخُناق *

وهذه سيدتى الزُنُمْردة العَنجرد الدُلَعُوس لالقة السلقة المافاع الجَفنس الحنفس العنفص الملثع السلفع الهَرُوم المُهَضْهِصة الشَنْطيان البنظيان البَهْرج الطِّلْبِف المُسْجِل الظِّلْى الفانكة المنمّلة المِعْباح المزعاج المِعنّة الخَطّالة الخالجة الرّادة الزلزة المِخناث الهَلُوك المتهالكة المتهتكة المسهرة الباغزة الحوّاسة العواسة الدِرْدِم الدَرْدَب المتوهجة المتلعجة اللّفوت العَجينة المقفاطّة الجَلُوط الخروط الخِلطة الجليع الجَلِعة الخريع الجالعة الشَبِقة الشِنّيقة المعقاص المعقاص الجُنبثة البِظْريرة البِظرير الدمرآ القاشِرة الجِلبّانة العنقفيز السُحْلوت السُلْخوت الهَمَرى النعّارة الهيعرة الهيرعة الهَوْزورة الزاغية السِعْوة الساعية الخَيْتروع الخيتعور العسوس الضَنوط المماجِن النَجّأة الملألئة النَروب القَعِرة المستعربة المستضربة المستنخبة القفخة الوَذاح المُدربخة المُردة الصامد المستعقدة الفخذآ الثامدة المستدرة المستذرة المستضورة المستطيرة المستطرة السَفرة القَعِرة القُرور الهَوِسة المِبْلاس المنعظة الكَرِعة الواكعة التَبْعَى المختلعة القَمِعة الهَكِعة الهقعة المتهقعة الضَبِعة الظالع الوَتِغة الهينغ المستولغة المَراغة الصارف الحَلِقيّة المستحلقة المستودقة الحارقة الشبقة المتفككة المداركة المفلّكة المستجعلة المستوبلة المُبّذِم المُدقم المُبلم المُهدم القَطِمة الهَدِمة العَظِمة المستحرمة العَيْلم المتوسّنة المستأتية الحانية المتسدّاة التى قد علم كل واحد من اهل البلد حين تخطر فى اسواقه وشوارعه وازقته ودروبه وردوبه انها تدعوهم بعينيها وبجميع جوارحها الى التمشير الى القِراب الى الإسغار الى الافلعقان الى الاشمعطاط الى الاشمئداد الى الإفضآ الى الاقنعآ الى الكفاح الى العِراص الى النلشبع الى الدهفشة الى النشنشة الى الهُكاع الاالسباع الى النسّط الى الحصحصة الى الاسرآ الى

[illegible] الى [illegible]
[illegible] الى العَرب الى [illegible] الى البك الى [illegible]
والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى البزجل الى [illegible] الى
الزَعب الى الخَوق الى الدعم الى الرّطم الى الكَوس الى الاقعاط
الى الوَمس الى الدَحظ الى الدعمظة الى السَغم الى الاكسال الى الاطمار
الى الغَفق الى الخفق الى الوَجس الى الافهار الى الظَلم الى التداؤم الى
التسنّي الى التقمقم الى التجبيه الى الابراك الى التدبيخ الى
الانبطاح الى الانسراح الى الانشداخ الى التنوخ الى الدربخة الى
البيشرة الى المَشق الى السَلق الى الصَلق الى السلقاة الى المَزد الى
الحَرش الى الشِقيّة الى المحارقة الى الكَشر الى النَخب الى التفنشخ الى
الظهارية الى الترفغ الى التفشغ الى الفشاغ الى المُزنّعة الى القرفطة الى القرفصة
الى الكابوس الى البَحط الى لَحّ العرفجة الى التكويذ الى الشَفر الى التشفير
الى التدليص الى التفخيذ الى التحييص الى الحَسَف الى التلجيف الى دحّ دح
الى أرّ ار الى ارّ ازالى باظ باط تقعد في مجلس رئيسة بنات النَقرى ونطفق
تعيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن
ويتحلين ثم يخرجن ويمشين الخيلآ * ولكن أنسيتِ ياسيدتي يوم قلت
لشيخك ما احد يعشق الّا ويتغيّر لونه عند ذكر معشوقه * فقال لكِ
ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصرّ على
انكاره * فقلت له حتى نجرّبه لو انك ذكرت لي اسم —— ثم انتبهتِ
وسكتِّ * فقال لك وقد طنّ قرن دماغه اسم مَن * فضحكتِ وقلت لا
ادري * ويوم خرج بك ليفرّج عنك الهمّ في يوم راح فخرجت وقد كشفت
نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاهر واللعوة وهو لا يدري لغفلته *

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحى وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الّا انت وما انت الا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمك * وغداة كتبك رقعة دعوت فيها من شاقك * وصبحوة تاخرت * وعشية تعطرت * وساعة استهترت * وفَيْنةُ قرمت * وليلة اوهمت وجنجمت * وفُتّة همت وهمهمت وهينمت * وتوة تزبرجت وتعلّمت * وتُفِئة أُرْنمت * وفَيئة زممت وسلّمت * وجِينة استحرمت حتى دُعمت * الم تكن هذه القوافى كلها مكافئة لنطرجارنك من الشبّاك * وهذا المطران اتناسيوس التتونجى قد صار الان مترجما معربا كاتبا منشئا * وهو اضبق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جرّ عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مضايق الحرف كلها سوآء * وتعنّى وتعمّل * ولُهْوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفيّش وتحرّش * وقرمش وفسفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص وثمثم * وتورّه وضهبا * وانهأ ونيّأ * وتكسّس وتربّب * وتسفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وتابّب * وتصوّك وتزنج * وتندخ وتزنج * ومردل وافجس * ومرطل وغطرس * وتفيهق وتشدق * وعفك وبنك * وخرق وحزق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعطم فى نفسه من المتشمة (١) اليس فى الكون من مرآة وزجنجل وسجنجل وعِنَاس ومِنظار ووذيلة ولجّة ومارية ورَلَقذ ومُذيّد او رجاجة او صنبجه فتنظر سيداتى هولآء فيها وجوههن وما هنّ عليه من الاحوال * اليس فى السرق من سيبويه فيصفع * اما فى الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الوزغة * كبو بطن الانسان

(١) المتشمة امراة وشمت استها ليكون احسن لها وفى المثل هو اعطم فى نفسه من المتشمة *

انه عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقيه ولم يتفقه * نعم انه لا يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل * فمتى قرا كتب العلمآ ولم يفهمها عرف حدّ ما وصل اليه من العلم * عبر ان المطران اتناسيوس التتونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع البلدان الّا فيها لم يطالع شيا من مولفات العلمآ * فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه باب النجاسات * ومن العروض الوتد المتحرك * ومن البديع ردّ العجز على الصدر * هذا حدّ ما عرفه وتبجح به فى مدرسة عين تراز حين كان قيّم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلّاق * وتشهيره هناك وتجريسه فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذ سنين كثيرة * وتسبّبه فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنّين ومغنيات من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان اداه اليهم واشتراطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذى كان سببا فى تخسير رئيسى هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال قائل هنا انك ايها المولف قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

بالنسآ * فقد تجاوزت ابن ابى عتيق وابن حجاج * قلت الحامل على ذلك امران * احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثانى انى قصدت تشويق القارئين ممن ملأوا حيطان ديارهم من قصب النبغ الى شرآ كتاب فى اللغة * فياقارئا وياسامعا * ويارافقا ويامعاسا * قل للمتعنت ان من كان فى فيه مرارة لم يستطيب الحلاوة * وبعد فانى اترامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى الفاحسة وسيدتى المسخمة * واطلب منهن العفو عن

طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان

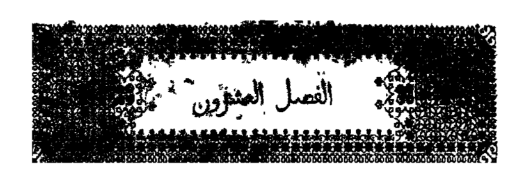
ابيت هذه الليلة

وهن على

عصاب

*





الفصل العشرون

في سرقة مطرانية

لما رجع الفارياق من عند الامير المشار اليه اخبر زوجته بما احسن به اليه وبانه وعده بوظيفة حسنة في مصر * فقالت انا اسبقك اذًا وانت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى اهلي فدعني اسافر اليهم * قال لا باس فلما ازف الفراق اخذ يودعها ويقول * اذكري يازوجتي ان لك في الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك * فقالت من لي بهذا * قال فقلت اىّ هذا تعنين * قالت انما أعنيك * قلت بل المتبادر غيري * قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم انتم العرب * وما زال دابكم نبش ما في صدور النسآ من الاسرار * وفقس ما في يوافيخهن من الافكار * ومواخذتهن بالدثّ والوهم * ومعاملتهن بالحدس والقَسْم * ومعالجتهن بالهجس والزعم * والرضخ والرجم * والتذقح واللَغم * والرسيس والوغم * بدل العُمْس والعَسم * والجلهزة والرأم * والحزم والوزم * والحمش والفغم * والضم والدعم (1) ولو ان الله تعالى يواخذ العباد باللغو مثلكم لما بقي على وجه الارض من بشر * قلت اكثر هذه المشاحنات ناشئ عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها * قالت ليتها كانت ضيقة * قلت وهذا ايضا من ذاك * قالت وكذا ذاك في هذا * قلت وكذلك

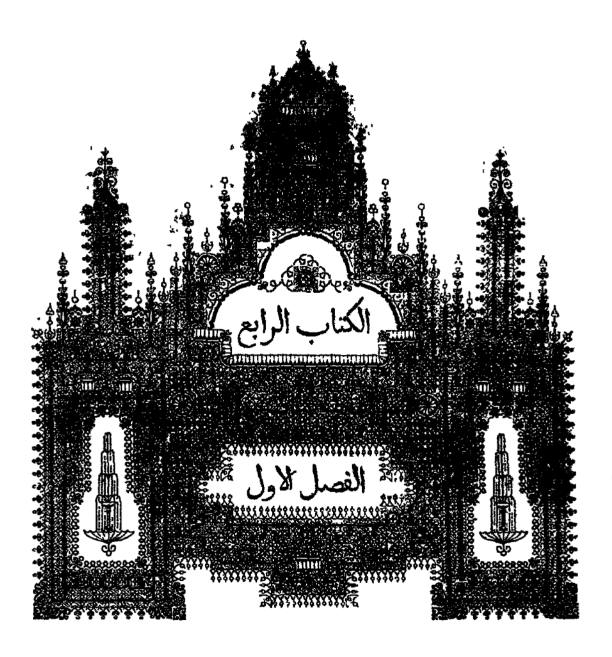
(1) الدث الرحم من الخبر والقسم ان يقع في قلبك الشي فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضخ خبر تسمعه ولا تستيقنه والتذقح له تجرم وتجني عليه ما لم يذنبه والوغم واللغم بمعنى وهو الاخبار بالشي لا عن يقين والرسيس خبر لم يصح والعمس ان ترى انك لا تعرف الامر وانت تعرفه ونحوه الجلهزة والعسم انطباق الاجفان بعضها على بعض والورم فضآ الدين والحمش المغازلة والملاعبة والفغم التقبيل والدعم ما بعده

عليه * قالت وتحته ايضا فالاولى اذًا السكوت * قلت ليس عند ذلك *
قالت انتم الرجال كلكم منخاريّون فُطاطيون رفشيون * قلت من
اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الى الوهم والقسم * قلت بل
فلنعد الى الوداع * قالت نعم اني اسافر وليس لي من آسف عليه *
قلت هل انا في جملة غير المأسوف عليهم * قال ما انت كاحد
الناس * قلت وهذا ايضًا كلام مبهم السمت برجل * قالت في احد
المعنيين * قلت هل بقي لك عليّ شي * قالت جُمْعَةُ * قلت اعندك
حساب ذلك في دفتر * قالت نعم قد غرّنا تالحزكم في الشعر
ياشعرآء فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف *
قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت
واين حق الادب * قالت في مجالس العلمآ لا في مجالع النسآ *
قلت ذلك يفضي الى الانبنات * قالت وهذا الى الانبتات *
قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم الان ولا
دعه الى ان تاتي مصر * قلت كيف يتاتى وزم اعوام * في ساعات
و ايام * واشفق ان احين وعليّ ذُبابة * قالت اذا كنت لم تخش
ن الدَين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت
اسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلي * قالت وانت انسيتَ
اكرة لكوني لم ارَ لي مثلا * قلت اذكري السطح واصفحي *
لت ليس الصفح الا من دكر السطح * قلت اني اردت السطح
ديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال في الامثال لا بركة الا في
ديم * قالت يقال في الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق
ي قلبك صغو * قالت ياحبذا الصغو * قلت اذا كان بمعنى
شوق اليّ * قالت نعم هي من الالفاظ العربية التي تعلمتها

منك كالعقيّون والفِطَحل والحُبْرة * قلت لعلك انست من العقيون العقيان ومن الفطحل الفحل ومن الحبرة الحِبَرة * قالت لا تانس الحِبَرة بالحِبَرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعوة * قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد فى النهى عن ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر فى ارض سباخ * قالت وذلك قَراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * فالت لا يمرؤ الطعام ما دام فى الحلق ولا يسوغ المآء الا اذا مرّ على الزلقوم * ثم توادعا بعد مباراة الذمم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزلة كئيبا مستوحشا * لانها كانت كثيرًا مّا تدله على الرشاد وتنهج له الراى السديد * ثم لم يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم * ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شاكم كل ذى خيشوم * فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق * فبدا لهم ان يسدّوا مسامّ المطران عن اخراج ذلك الخبث * وان يحضروا اليهم الفارياق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان الفارياق الّف فى احوال اهل الجزيرة كتابا وعاب عليهم فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتعطيسهم اجراس الكنائس فى مآء المعمودية * واطلاق اسمآء القديسين عليها * وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا * وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه * فاتفق ان زاره المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف خط مولفه * فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

مصلح السخر وكتب عليها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أولا* الا ان الرئس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين في خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المؤلف * وكان المطران قد فرّ من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الجو من روائحه * ولو بقي بعد ذلك لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقضاء تلك المصلحة اعني ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها بما استقر عليه الراي * واشار عليها بالرجوع اذ كان يرجو انه يبقى في بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب * غير انه جرت العادة في بلاد الافرنج بان مدرسي اللغات في مدارسهم الجامعة لا يكونون الّا منهم وان كانوا جاهلين * وبعد ان رجعت الفارياقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان يوعي القاموس والاشموني في صندوقه * وها انا منطلق لقضاء حاجة لا بدّ منها * فاسمحوا لي ان استريح قليلا *


تم الكتاب الثالث



في اطلاق بحر

-ooooo-

من لم يسافر في البحار ويقاسِ فيه الانوآ والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة في الرحق قدرها * فينبغي لك ايها القاري البرّيّ ان تتصور في بالك كلما اعوزك المآ القراح واللحم الغضيض والفاكهة الطريّة والبقول الخَضِلة والخبز الليّن ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان سفينتهم لا تزال تميد بهم وتنقلب وتصعد وتهبط * فدون كل لقمة يسترطونها غصة * وفي كل رقدة يرفدونها مغصة * وانه متى وضع بين يديك لون واحد من الطعام فلا تفكر الّا فيه * واعتقد ان غيرك يغتذى بمثله في تلك الساعة بل باقلّ منه * فبذلك يحصل لك التاسّي والتسلي *

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامرآ وصروح الوزرآ وفكرت فيما ياكلون ويشربون فانك لا ريب تتعب نفسك وتعنّيها لغير فائدة * ولكن اتحسب ان المعتّقة التى يشربها الامير الذ من المآ الذى تشربه انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالتك او عن يمينك وشمالك * وولدك الصغير على ركبتك * تارة يغنى لك * وتارة يناولك بيده اللطيفة ما سالت عنه امّه * واذا خرجت شيعاك الى الباب واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انظف متّكا فى الدار * فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة حتى ترى بعينيك ما لم تره فى بلدك * وتسمع باذنيك ما لم تسمعه * وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا * ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحقك على تعلم كلام الخَنى منهم اوّلا * او تستحلى الاسمآ من اجل المسمّيات * فان كل لغة فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يُحمَد وما يذمّ * فأُجلّك عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا اسمآ بعض الاعضآ وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغى لك حين تدخل بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمخاطب * اى الاماكن التى يخطب فيها العلمآ فى كل الفنون والعلوم * فمنها ما هو معدّ للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

الى بلدك فاجتهد فى ان تولف رحلة تشهرها بين اهل بلادك لينتفعوا بها ولكن من دون قصد التكسب ببيعها * ويا ليتك تشارك بعض اصحابك من الاغنيآ فى انشآ مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال والنسآ والاولاد ولكل صنف من الناس على حدته * حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم من الحقوق * سوآ كانت تلك الكتب عربية او معرّبة * ولكن احذر من ان تخلط فى نقلك عن العجم الطيب بالخبيث والصحيح بالمعتل * فان المدن الغنآ تكثر فيها الرذائل كما تكثر الفضائل * نعم ان من هولآ الناس لمن يابى ان يرى احدا وهو على الطعام * واذا اضطر الى روّيته وهو على تلك الحالة فلا يدعوه للّوس شى مما بين يديه * لكن منهم من يدعوك الى صرحه فى الريف فتقيم فيه الاسبوع والاسبوعين وانت الآمر الناهى * وان منهم لمن يبخل عليك برد التحية * واذا دخلت دار صديق منهم وكان فى المجلس جماعة من اصدقائه لم يعرفوك من قبل فما احد منهم يتحلحل لك فى القيام ولا يعبا بك ولا يلتفت اليك * لكن منهم من اذا عرفك اهتم بامرك فى حضورك وغيابك على حد سوى * واذا ائتمنته على سرّ كتمه لك طول حياته * وان منهم لمن ينبزك بالالقاب اول ما يقع نظره على شاربيك ولحيتك او على عمامتك او يجذبك من ذيلك من ورآ * ولكن منهم من يتهافت على معرفة الغريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان اليه ويرى اجارته وحمايته فرضا عليه متحتما * وان منهم لمن يسخر منك اذا راك تلحن فى لغته * ولكن منهم من يحرص على ان يعلمك اياها مجانا اما بنفسه او بواسطة زوجته وبناته * وعلى ان يعيرك ما يفيدك من كتب وغيرها ويرشدك الى ما فيه صلاح امرك وتوفيقك * وان منهم

لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكلح فى وجهك وينظر
اليك شزرا * لكن منهم من ينزلك فى بلده منزلة ضيف يجب اكرامه
واحترامه والذبّ عنه بحيث لا تفصل عنه وفى قلبك ادنى ألم من اهله *
وان منهم لمن يستخرك ان تترجم له او تعلمه ثم لا يقول لك احسنت
يامترجم او يامعلم * لكن منهم من لا يستحلّ ان يكلمك من دون ان
يودّى اليك اجرة فتح فمك وضم شفتيك * وان منهم لمن اذا اضطر
الى ان يدعوك الى طعامه ثم راك قد سعلت سعلة او مخطت مخطة
او فنخرت فنخرة قال لزوجته ألا انّ ضيفنا مريض * فلا ينبغى ان تكثرى له من
الطعام * فتقوم عن المائدة متضورا ويمتنّ هو عليك بين معارفه بانه
صنع لك وليمة فى عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخا *
لكن منهم من اذا عرف انك مقيم فى احدى قرى بلاده حيث لا بيع
ولا شرآ ولا شى ينال من البقول والاثمار بعث اليك من مباقله وحدائقه
ما سدّ فاك عن الشكوى * كما كان مستر دراموند يبعث الى الفارياق
حين قدر الله عليه بالسكنى فى بعض تلك القرى فكانت شكواه منها
نسمع مع دوى الريح * ليت شعرى اليس وجود مئة كتاب بدارك
ى الاقل خيرا من وجود كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا اركيلة * مع
ن ثمن المئة كتاب لا يوازى ثمن ثلث قطع من الكهربا * اليس وجود
طبعة فى بلادك اولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفرآ السمورية
هذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر * فان الانسان اذا نظر الى الحلى
يستفيد منه شيا لا لبدنه ولا لراسه * وغاية فرحه به انما هو الشهر الذى
شراه فيه فاذا مضت عليه اشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه
يسرّه من وجوده سوى بيعه * فاما الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون

زادت قيمته وكثرت منافعه * اوليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية واداب
الناس زينة لك بين اخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر *
اليس تعليم اهلك وذويك شيا من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة
من كتب الطب يكسبك عند الله اجرا ويومنك من مضار كثيرة تتطرق اليهم
لجهلهم بها * فان قلت انه ليس عندنا كتب فى العربية تصلح للنسآ *
قلت هب ما قلته حقا ولكن اليس عند الافرنج كتب مختصة بالنسآ
والاولاد يولّفها الرجال الفاضلون المهذّبون * فلمَ تشترى من الافرنج
الخزّ والمتاع ولا تشترى منهم العلم والحكمة والاداب * ثم انك مهما
بالغت فى ان تبرقع زوجتك عن روية الدنيا فلن تستطيع ان تخفيها
عن قلبها * فان المراة حيثما كانت وكيفما كانت هى بنت الدنيا وامّها
واختها وضرّتها * لا تقل لى ان المراة اذا كانت شريرة لا يصلحها
الكتاب بل يزيدها شرّة * واذا كانت صالحة فما بها من حاجة اليه *
فانى اقول ان المراة كانت اولا بنتا قبل ان صارت امراة * وان الرجل
كان من قبل ولدًا * ولا ينكر احد ان التعليم على صغر * كالنقر فى الحجر *
وانك اذا ربّيت ولدك فى العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون
على ما ربّيتهم عليه * وتكون قد اديّت ما فرضه الله عليك من تاديبهم *
فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رخى مطمئن * فلم
يبق لك الا ان تقول ان ابى لم يعلمنى وكذا جدى لم يعلم ابى وانى بهما
اقتدى * فاقول لك ان الدنيا فى عهد المرحومين جدك وابيك لم
تكن كما هى الان * اذ لم يكن فى عصرهما سفن النار ودروب الحديد
التى تقرب البعيد * وتجدد العهيد * وتصل المقطوع * وتبذل الممنوع *
ولم تكن تلزم الانسان فى ذلك الوقت ان يتعلم لغات كثيرة * فكان

كل من يقول خوش كلدى صفا كلدى يقال فيه انه يصلح لان يكون ترجمانا في باب همايون * وكل من كان يكتب خطا دون خطي هذا الذي سودت به هذا الكتاب * لا الذى تقراه الان فاني برئ من هذه الحروف * كان يقال عنه انه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشى ديوان * فاما الان فهيهات * هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس * وبعضهم يقول الى ارض لا ينبت فيها القمح ولا البقول * ولا يوجد فيها من الماكول الا اللحم والقلقاس * وبعضهم يقول اني اخاف عليك ان تفقد فيها رئتك لعدم الهوآ * وبعضهم يقول امعاك لعدم الاكل * وبعضهم صدرك او عضوا آخر غيره * فلما سار اليها وجد الشمس شمسا والهوآ هوآ * والمآ مآ * والرجال رجالا والنسآ نسآ * والديار ماهولة والمدن معمورة * والارض محروثة اريضة * كثيرة الصُوى والاعلام * خضلة الغياض والرُبَض والاجام * ناضرة المروج * زاهية الحقول * غضة البقول * فلو انه سمع لاولئك الناس لفاته روية ذلك اجمع * فان خشيت ان تفوتك هناك لذة الاركيلة ولذة تكبيس الرجلين قبل الرقاد * فاعلم ان ما ترى هناك من العجائب ينسيك هذا النعيم * ويلهيك عمّا الفته في مقامك الكريم * كيف ترضى لنفسك ان تفارق هذه الدنيا ولم تَرها وانت قادر على ذلك * وقد قال ابو الطيب المتنبي

ولم أرَ في عيوب الناس شيا　　كنقص القادرين على التمام

ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تتشوق الى علم ما يفكر فيه غيرك * فلعل تحت قبعة افكارا ومعاني لم تخطر بما تحت طربوشك *

[illegible]

[illegible] الرز [illegible] * [illegible]

[illegible] ثلثين سنة ولم تولف شيا يفيد اهل بلادك * فما ارى [illegible]
الا دفاتر بيع وشرآ وفناديق دخل وخرج * ورسائل فاسدة المعانى ركيكة
الالفاظ تنظر فيها فى كل صباح ومسآ * فاما اذا قصدت السفر [illegible]
التفاخر فقط بان تقول مثلا فى مجلس زارك فيه اصحابك الكرمآ *
واقرانك العظما * قد رايت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة
الواسعة ودیارها الرحيبة ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها
المطهمة ونساها الرائعة وعساكرها الجرارة * واكلت فيها فى اليوم الاول
كذا وشربت فى اليوم الثانى كذا * ثم ذهبنا بعد ذلك الى بعض الملاهى
ثم الى احدى الملهيات * وبت معها على فراش وطى * وكان قبالة السرير
مرآة كبيرة فى طول الفراش وعرضه فكنت ارى نفسى فيها كما كنت فى
الفراش * ثم قمت فى الصباح وجاتنا خادمة صبيحة بصبوح او فطور *
ثم عدت الى محلى فوجدت فيه فلانا ينتظرنى وكان ذلك نحو الساعة
الحادية عشرة اى قبل الظهر بساعة * فتوجهنا معا الى البستان المسمى
بالبستان السلطانى * وبينما نحن نمشى فيه وننظر الى الشجر الباسقة
والزهور المدبجة اذا بالفتاة التى بت عندها تماشى رجلا يغازلها * فلما
راتنى تبسّمت وسلمت علىّ * وكانّ سلامها لم يسؤ الرجل فانه نزع
لى قبّعته فعجبت جدا من عدم غيرته * اذ لو كانت الفتاة عندى
لحجتها عن النور * فذلك كله يسمى فى العربية هُذُرا وهُرآء وهُفْتا وهَرْجا
وهَلْجا وسَقَطا وهَيْشا ووَتْغا وخَطَلا واخلاً ولَخى وطَفانيين وهَذَيانا وثرثرة
وفرفرة وحذرمة وهبرمة وهثرمة وخزربة وخطلبة وغيذرة وشمرجة ونفرجة

وهمرجة وثغثغة وفقفقة ولقلقة ووقوقة وهتمنة وفي المتعارف عند
العامة فشارا وعلكا * اذ لا فائدة فيه لاحد من الناس * بخلاف ما اذا
قلت لهم ان العيسانى من الرجال هناك اذا حضر مجلسا فيه نسآ لا
يغمز احداهن بعينه ولا يتبظرم ولا يبتهر (١) * ولا يقول لها انه
يزور النسآ المحصنات بعلم بعولتهن وبغير علمهم وياكل عندهن ويشرب *
ثم يخلو بهن فى مضاجعهن ويرجع الى منزله مسرورا * وكاىّ من مرة
وضع يده فى جيبه فوجد فيه كيسا ملآن من الدنانير او كاغد حوالة على
بعض الصيارفة * وانه اذا مرّ فى الاسواق تتهافت على رويته البنات من
الرواشن والشبابيك والكُوى والسهآء والأجلآء * فمنهن من تشير اليه بيدها
او براسها * ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها *
ومنهن من ترميه بوردة * واخرى ببافة من المنشور او برقعة
فيها شعر * او انه يقول بحضرتهن قد انحلّت تكّتى او حكّنى
رفغى لكون حشو سراويلى غليظا * او يحك اُسته او يرطل عيارهٔ *
او يتمطى ويتمتى ويتمطط ويتمدّد ويتمطّل ويتمتأ ويتمتّت ويتماى
ويتنَطّط ويتمعط ويتمغط ويتبسط ويتباْط * بل انما يكلمهن متادبا محتشما
غاضّ الطرف خافض الصوت * ويسال كبيرتهن عما طالعت يومها ذاك
من الاخبار والحكايات والنوادر الادبية * وانه شرعَ فى تاليف كتاب
مفيد يشتمل على ذكر اثار الاقدمين واخبارهم * ثم يلقى على صغيرتهن
احجية ادبية ليلهيها بها وبمثل ذلك يدخل مكرما ويخرج محمودا *
وبخلاف ما اذا قلت لهم ايضا ان التاجر المثرى هناك لا يتختم بخواتم
الماس والزمرّد * ولا يتحلى بسلاسل الذهب * ولا يقتنى النادر من
الاثاث والماعون والفرش * بل انما ينفق امواله فى سبل البر والاثابة

(١) يبترم ... احمق وعليه ... فيتكلم ويشير به في وجوه الناس وابتهر ادعى كذبا وقال فجرت ولم يفجر

الملهوفين وامداد للارامل واليتامى * وفى انشآ المدارس والمستشفيات * وفى تصليح الطرق وتحسين المدينة وازالة للاوساخ والعفونات منها * وفى ان يربى ولده بالادب والعلم والفضائل * فترى منهم من سنّه اثنتا عشرة سنة يكلّمك بما يكلّمك به من سنّه منا اثنتا عشرة سنة بعد العشرين * وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فقلت ان لكل انسان عندهم ممن لا يعدّ من الاغنيآ والفقرآ خزانة كتب نفيسة فى كل فن وعلم * وما من بيت الا وفيه اضبارة من صحف * وان الرجل منهم اخبر بالبلاد الاجنبية من اهلها * وان اكثر فلاحيهم يقراون ويكتبون ويطالعون الوقائع اليومية ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين الرجل وامراته * وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة عشر مليونا فى العام * وما يدفع عليها لخزنة الدولة على طبع اجازتها يبلغ اكثر من خمسين الف ليرة * وانها لو عرّبت نسخة واحدة منها لجات اكثر من مائتى صفحة * وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحا على المائدة مع زوجته واولاده يقبّل كلّا منهم ويسالهم عن صحتهم * ويفيدهم بعض نصائح وتنبيهات تكون لهم إماما فى ذلك اليوم * وانهم يكلمونه وهم مبتهجون فرحون ويرون حضوره فيهم سلوانا * وانهم لا يخالفون له امرا ولا يستثقلون منه تكليفا * وهم مع ذلك يُدلّون عليه بالبنوّة ويهابونه للابوّة * فهذا وامثاله اصلحك الله ينبغى ان تتشنّف به مسامع اصحابك الكرام * عسى ان ينشطوا الى انشآ مدرسة او ترجمة كتاب او لارسال ولدهم الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحمودة والمناقب الكريمة * واياك باسيدى من ان تميل قبل هذا كله الى ان تاخذ عن بعضهم الخصال الذميمة كالطيش والنزق والبخل والفسق والكبر ومد الرجلين فى وجه جليسك *

فقد ذكرت لك آنفا ان البلاد التي تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل ايضًا * وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب * غير انه ينبغي لكل منا ان لا يزال بجد ويسعى في طريق الكمال وفي تهذيب اخلاقه وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة * وكما ان لذة الحواس لا يشعر بها الانسان الا في مقدّم جسمه دون موخره كذلك ينبغي لكل ذي جسم من الحيوان الناطق ان يعتمد على التقدّم في المعارف والدرايه * والمحامد الى الغايه * وكنت اود لو ان احدا من اهل بلادنا نقل فضيلة او مأثرة عن هولآء الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار والروايات * و بودي لو تستحيل اصناف الماس والزمرذ والياقوت والدهنج والشذر والدر والعقيان والكهربا والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها معدودة من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع *





الفصل الثانى

فى وداع

لما حان سفر الفارياق اخذ يودع زوجته بعد ان اوعى القاموس والاشمونى فى صندوقه ويقول * اذكرى يازوجتى انّا عشنا معا برهة طويلة من الدهر * قالت ما اذكر الا هذا * قال فقلت أَذِكْرُ ناكرٍ ام شاكرٍ * قالت نصف من هذا ونصف من ذاك * قلت برجعنا النحت الى الاول * قالت او يرجع الاول الى النحت * قلت ایّ اوّل اضمرتِ * قالت ما لك ولتاويل المضمر * قلت حسبى ان تُبيّنى لى حقيقة ذلك * قالت اذا فكرت فى انك لى ولغيرى كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين * قلت انك كنت نهيتِنى عن المعاملة بالقَسْم وها انت الان تاتينه * قالت بل هو ياتينى * قلت أَما فى فيك لفظة لا * قالت ان لفظتها كانت نَعَم * قلت ان لا من المراة إلى * قالت وان نعم نعم * قلت اجعلت هذا دابك * قالت ودابت فى هذا الجَعل * قلت هذا لا يليق بذات ولد * قالت ولا تلد من لا تليق * قلت من مادة واحدة * قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة احوجت الى اختلاف الصور * قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الاشكال * قالت لا اشكال فى كيفية الاشكال فان واحدا منها يغنى عن الجميع * وانما الكلام على رسم

الكمية * قلت ما الحد * قالت في الجد الهزل وفي الهزل الجد * قلت ارايتك لو اقمت نائبا عني في ذاك مدة غيابي * فضحكت وقالت على ما احبّ انا ام على ما تحب انت * قلت بل على ما تحبين انت * قالت لا يرضى الرجل بذلك الا اذا كان غير ذي غيرة ولا يكون غير ذي غيرة الا اذا كره امراته وكلف بغيرها فانت اذًا كَلِف بغيري * قلت ما لنا بالكَلِف ولا بالظَرِف * لكن الرجل اذا كان شديد الحبّ لامراته ودّ لو انه يرضيها في كل شي * على ان الغيرة لا تكون دائما عن المحبة كما نصّوا عليه * فان بعض النسآء يغرن على ازواجهن عن كراهية لهم واعنات * مثال ذلك اذا منعت المراة زوجها عن الخروج الى بستان او ملهى او حمّام مع عدة رجال متزوجين * وهي تعلم انهم في هذه المواضع لا يمكنهم الاجتماع بالنسآ فهي انما تفعل ذلك تحكما عليه ومنعا له من ذكر النسآ مع اصحابه والتلذذ بما لا يضيرها * وكذا اذا حظرته عن النظر من شباكه الى شارع او روضة حيث يكثر تردّد النسآ * وكذا الحكم على الرجل لو فعل ذلك بامراته * فهذا عند الناس يعدّ غيرة لكنه في الواقع بغضة * او ربما كان آخر الغيرة اول البغض كما ان افراط الضحك هو اول البكآء * وكيف كان فان الرجل لا يمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح لها التلذذ بما شآت وبمن احبّت * قالت ايفعل ذلك احد في الدنيا * قلت نعم يفعله كثير في بلاد غير بعيدة عنا * قالت بابي هم ولكن ما شان النسآ ايفعلن ذلك ايضا لازواجهن * قلت لا بدّ حتى يعتدل الميزان * قالت اما انا فلا ارضى بهذا الاعتدال فالميل عندي احسن * قلت وكذا هو عندي في بعض الاحوال * قالت ولاحوال البعض * قلت فلنعد الى السفر اني اسافر اليوم * قالت نعم الى بلاد فيها البيض الحسان * قلت

اتعنيهم ام تعنيهن * قالت اعنى نوعا ويعنينى آخر* قلت ولمَ يعنيك وانتن المطلوبات فى كل حال ولذلك يقال للمراة غانية * قال فى القاموس الغانية المراة التى تطلَب ولا تطلب * قالت ما احسن كلامه هنا لولا انه قال قبل ذلك العوانى النسآ لانهن يُظلَمن فلا ينتصرن * غير ان هذه النقطة شفعت في تلك * قلت حبكن التنقيط داب قديم * قالت مثل داب الرجال فى التحريف * وكيف كان فان مطلوبيّتنا هى اصل العنآ * فان المطلوبة لا تكون الاّ ذات العرض والاحصان * فويل لها ان خانت محصنها * وويل لها ان حرمت طالبها وباتت تلك الليلة مشغولة البال بحرمانه وخيبته وبكونها صارت سببا فى ارقه وجزعه وحسرته * والطالبة تعود غير مطلوبة * قلت ليست اخلاق الرجال فى ذلك سوآ * قالت انما اعنى الرجال الذين يطلبون ويكلفون بمن يطلبونه لا اولئك الطَرِفين المتنقبن المسافحين الذين دابهم التذوّق والتنقل من مطلوب الى آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سواهم * ولكن هيهات هل فى الرجال من يقيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم * لعمرى لو كانت النسآ تطلب الرجال طلب الرجال للنسآ لما رايت فيهم غير مفتون * قلت هل فى النسآ من تقيم على الوداد ولا تجنح عنه كل يوم الف مرة* هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفآ وعلى النسآ بالحيدعية * قالت مَن كتب هذه الكتب اليس الرجال هم الذين لفّقوها * قلت ولكن من بعد التحرّى والتجربة * قالت مَن بات الحَكَم وحده يفلج * قلت بل اوردوا على ذلك شواهد وكفى بما ورد عن سيدنا سليمن برهانا ودليلا * فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحا فاما بين النسآ فلم اجد صالحة * قالت ان سيدنا سليمن وان يكن قد اوتى من

الحكمة ما لم يونثه غيره غير ان افراطه في النسآ شوش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة * ألا ترى ان بائع المسك لطول استلاهه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة * واما ايراد الادلة من الرجال على النسآ دون ايراد ادلة النسآ على الرجال فمحض ظلم وبطر * قلت نعم كان الأَوْلَى مناصفة هذا الايراد ولكن سبحان الله انتن تنتهسن الرجال في كل شي ثم تتهافتن عليهم * قالت لولا اضطرار الاحوال * لما شغلن بذلك الابوال * قال فضحكت وقلت اي جمع هذا * قالت قسته على غيره * قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه * قالت لا فرق * قلت بل كله فرق فان اللغة لا توخذ بالقياس * ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر * ولا بين تذكير حقيقة التانيث وتانيث ما هو غير مقابل بمثله * قالت وهذا ايضا من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون ياتون امرا مستقيما * قلت قد رجعت الى لومهم * قالت والله لقد حرت في الرجال * قلت والله لقد حرتُ في النسآ * ولكن فلنعد الى الوداع اني اعاهدك على ان لا اخونك * قالت بل تخونني على عهد * قلت ما يحملك على سوء الظن بي * قالت اني ارى الرجال اذا كانوا في بلاد لم يُعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش * ألا ترى الى هولآ العربآ الذين ياتون الى هذه الجزيرة كيف يتهتكون في العهر والفجور * فاول ما يضع احدهم قدمه على الارض يسال عن الماخور * ولا سيما هولآ الشاميين ولا سيما النصارى منهم ولا سيما الذين ألموا بعلم شي من احوال الافرنج ولغاتهم فانهم يخرجون من المراكب كالزنابير اللاسعة من هنا وهناك * قلت لعلهم كانوا في بلادهم كذلك * قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك * قلت لو كانوا

فاسدين بالطبع * قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فاول ما يستنشقون رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم * ولذلك تراهم ابدا يتلمظون بذكر بلاد الافرنج وعاداتهم واحوالهم * مع انك اذا سالت احدا منهم عن طعامهم قال لا يستطيبه * او عن الحانهم قال لا تطربه * او عن كرمائهم قال لم تادبه * او عن حماماتهم قال لم تعجبه * او عن هوائهم قال لم يلائمه * او عن مائهم قال لم يسغ له * فيكون لهجهم بذكر بلادهم وتنويههم بمحاسنها انما سببه الفحش * وانت من يضمن لى طبعك عن الفساد وقد اسمعك كل يوم تهينم بذكر الرجراجة والرصراصة والبضباضة والفضفاضة والرِبحلة والرعبوب والعطبول * وهى لعمرى الفاظ تسيل لعاب الحصور وتشهّى الناسك * قلت ان هو الا كلام * قالت اول الحرب كلام * قلت اتريبن اعدّى عن هذه الصنعة الشائقة * والحرفة العائقة * قالت ان لم تتصور ذاتا بعينها عند الوصف فلا باس * قلت ان لم اتصور ذاتا لم يخطر ببالى شى * قالت اذن هو حرام * قلت ما كفارته * قالت تصورك اياى لا غير * قلت ولكن انت خالية عن بعض الصفات التى لا بدّ من ذكرها * قالت اذا كان الرجل يحب امراته راى فيها الحسن كله ويطرمن كل شعرة منها امراة جميلة * كما انه اذا احب امراة غيرها احب لاجلها بلادها وهواها وماها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم * قلت أوَ كذلك المراة اذا احبت رجلا * قالت هو فى النسآ اكثر لانهن اوفر حبا ووجدا * قلت ما سبب ذلك * قالت لان الرجال يتشاغلون بما ليس يعنيهم * فترى واحدا منهم يطلب الولاية وآخر السيادة وآخر البحث فى الادبان وفى ما غمض من الفلسفيات والعاويات * والنسآ لا شى يشغلهن من ذلك * قلت لبيك تشاغلات مثلهم * قالت انت

لى فلبين فى شغلنا * قلت افتنظرين فىّ الحسن كله كما زعمت *
قالت أحسِن فيك النظر * قلت فلنعد الى الوداع لا بل فلنعد الى التشاغل *
فانى اريد ان انهى هذه المسالة قبل ان افصل من هنا والّا فتكون لى
شاغل الطريق وربما افسدت شغلى عند القوم فارجع باللوم عليك وعلى
سائر النسآء * قالت اعلم ان المراة تعلم من نفسها انها زينة هذا الكون *
كما ان جميع ما فيه انما خلق لزينتها لا لزينة الرجل * لا لكونه مستغنيا
عنها بذاته او لكونها هى مفتقرة اليها لتحلو بها فى عين الناظر واذن السامع *
بل لعدم جدارة الرجل بها * فان الزينة نوع من الاخذ والتلقّى
والاستيعاب والزيادة وهى احوال انسبُ بالمراة منها بالرجل * وبنآء على
هذا اى على ان جميع ما فى الكون خُلِق لها بعضه بالتخصيص وبعضه
بالتفصيل والايثار * كان من بعض اعتقادها ان نوع الرجل ايضا مخلوق
لها * لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من
وجهين * احدهما انها لا تطيق ذلك لان سرّية ذلك اليهودى (على ما
ذكر فى الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطق اهل قرية واحدة
(هى جبعة) على قلتهم ليلة واحدة * بل ماتت فى الصباح وسيدها
يحسبها نائمة * وهذه الحكاية ذُكِرت رَدْعًا للنسآ * والثانى انه اذا ثبت
لامراة حق فى حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقى * ولكن
بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتتعرف ما عندهم * فتتلهّى
من واحد بتمليقة ومن آخر باطرآءة ومن غيره بمغازله ومن آخر بمطارحه
وما اشبه ذلك * مما لا يمنعها من محبة روجها والكلف به * لا بل —
قال فقلت انتّى هذه اللابلية فانى اراها ترجمة لداهية من دواهى النسآ
وعنوانا على مكسدة من مكايدهن * فضحكت وقالت ربّما دلّك على

*

الراى الظنون * غير انى اخشى من ان تاخذك لبيانها شفشفة ورعدة فتتاخر من السفر * أو ان تظن ان هذا دابى معك * معاذ الله * انى لم اخُنْك بصُمْد ولا بغيره * وانما علمت ما علمت من النسآ لان النسآ لا يكتم بعضهن عن بعض شيا من امور العشق واحوال الرجال * قلت أَوجِزى فقد قلقت وفرقت وعرقت * قالت اعلم ان بعض النسآ لا يتحرّجن من وصال غير بعولتهن لسببين * الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم * فانهم يعودونهن اوّلا على ما يعجزون عن ادائه اليهن آخرا * ولا يخفى ان من النسآ المُدقِم وهى التى تلتهم كل شى * ومنهن الشفيرة وهى القانعة من البعال بايسره * ومنهن الصامد وهى التى تتخذ خليلين * ومنهن البِطْماع وهى التى تُطمع ولا تمكّن * ومنهن المَرْيَم وهى التى تحب حديث الرجال ولا تفجر وهو خُلقى * قال فقلت اللهم امين * قالت واللاعة وهى التى تغازلك ولا تمكنك * والسبب الثانى لاستطلاع احوال الرجال واختبار الابتع منهم وغير الابتع لمجرد العلم كيلا يفوتهن حال من احوالهم * ومنهن مَن تعتقد ان زوجها يخونها عند كل فرصة تسنح له * لما تقرر فى عقول النسآ ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهن ومباغمتهن * فهى على هذا لا تجد سبيلا للشطح الا وتزق فيه * اعتقاد انها اخذت بثارها جُزْما اى قبل وقته الموقوت * ومع ذلك فلا يحلن عن محبة بعولتهن * بل ربما كان ذلك الشطح ادعى لزيادة حبّهن لهم * قلت لا متعنى الله بحب ناشى عن مدفمية ولا صمد * ولكن كيف يكون هذا التخليط ادعى الى زيادة الحبّ والمراة اذا ذاقت البكبك والعُجارم والقازح والكُباس لم تقتنع بعد ذلك بزوجها حالة كونه لا يحول عن الصفة التى فطر عليها * وكذا الرجل ايضا اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعَضُوص

والاكبس فانه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة * فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمراة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها فى افراد قليلة من النسآء * فان معظمهن على خلاف ذلك * فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفته بزوجته وضراوته عليها وحالة كون مسّ احدهما للاخر لا يحدث فى جسم الماسّ والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخيّة * يمكن له معها المماتنة والامعان والوقوف * بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته او لفرط مراوحة المراة اياه على العمل * او لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته الصفتان المذكورتان * فاللذة معه جلّها ناشى عن التصور * اى عن تصور كونه غير زوجها * كما ان نغصها مع زوجها جلّه ناشى عن تصور كونه غير غريب * والّا فالواقع ان اللذة فى الحلال اقوى * غير ان التصور له موقع يقرب من الفعل * وبيانه لو اعتقد رجل مثلا ان امراة غير امراته تبيت معه ثم باتت معه امراته بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عم * لوجد امراته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التى تصورها فى غيرها * وكذا شان المراة * فبنآ على ما تقدم من اعتقاد المراة بان جميع ما فى الكون من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما * غير انه اذا كان لها خاصّ قريبا منها تناول ذلك الخاصّ متناول العام * حتى انه كثيرا ما يتخطى فكرها واحدا منهم بخصوصه * ويتجاذبه اثنان او ثلثة حتى تذهل عن الشاغل والاشغل * وهو فى الواقع تحوّف من اللذه كمن يريد ان يسرب من ثلث قلل نصعها على فـ ـه فى وقـ واحد * قلت كلامك هذا نظر الى قول الشاعر

اذا بتّ مشغول الفواد بما ترى من الغيد عيني والجمال مفرّق
اركّب في وهمي محيّا يشوقني على قامة اولى به ثم اشبق

ولكن قد نهيتني آنفا في التغزل عن تصوّر ذات بخصوصها وقلت انه حرام فهلّا قلت بحرميّة هذا ايضا * قالت انما حرميّة ذاك لكونه ذاهبا في الكلام سدى وسرفا * على ان الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى * فاما في الفعل من قبل النسآ فانه ينشا عنه صباحة الاولاد * ولذلك ترى انف بعضهم كانف زيد وفمه كفم عمرو وعينيه كعيني بكر * وهو ايضا جواب لمن قال ان في روْية الرجل نسآ كثيرة مصلحة تعود على امراته لاكتسابه منهن التمشير عند الاياب * بخلاف خروج المراة فان التمشير ملازم لها * فاما هولآ الحمقى الزاعمون ان تصوّر الرجل موثر في توزيع الولد فيلزمهم ان لا يروا امراة اصلا غير نسآئهم * لئلا تاتي ذريتهم كلها اناثا او في الاقل خناثا * وذلك لمناعفة التصوّرين من قبل الاب والام * ألا وانّ امراة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيّل لجديرة بان تكون قِبْلة كل مطرئ * وان لا يفكر زوجها الا فيها * قلت مقتضى كلامك ان النسآ المتصورات عن روْية العموم لا لذة لهن مع الخصوص * قالت اما بالنسبة الى ناظرة العموم فلا * واما بالنسبة الى العدم فنعم * فان المآ مهما يكن سخنا يطفي النار * قلت وبالعكس اى ان النار مهما تكن باردة تسخن المآ * قالت يصح العكس لكن الطرد اولى * قلت الى كم قسم تنقسم اللذة * قالت الى خمسة اقسام * الاول تصورها قبل الوقوع * الثاني ذكرها قبله * الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين * الرابع تصورها بعد الوقوع * الخامس ذكرها بعده * وكون لذة التصور

قبل الوقوع اقوى او بعده اقوالٌ * فذهب بعض الى ان الاولى اقوى * لان
الفعل لمّا كان غير حاصل كان الفكر فيه اجول وامعن فلا يقف على حدّ *
وزعم آخرون ان الحصول يهيّئ للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد
عليها فى قياس ما يترقب من الاعادة والتكرير * وكما حصل [illegible] فى
وقتى التصور حصل ايضا فيه وفى الذكر * والعبرة بحدّة التصوّر ودُرب
اللسان * فاما اصلح الازمنة لها فالصيف عند النسآ والشتآ عند الرجال *
فاما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم اهل التثليث *
قلت ومنهم المعتزلة والمعطِّلون * فالت هولآ لا خير فيهم * وما هم جديرون
بان يعدّوا مع الناس * قلت ما شان من يتزوج اثنتين وثلاثا * قالت
هو امر مغاير للطبع * قلت كيف وقد كانت سنّة الانبيآء * قالت هل
نحن نبحث الان فى الاديان او نتكلم فى الطبيعيات * الا ترى ان
الذكور من الحيوانات التى قُدِّر لها ان تعيش مع اناث كثيرة قُدِّر لها ايضا
القدرة على كفايتهن كالديك والعصفور مثلا * وغيرها انما يعيش مع واحدة
ويكتفى بها * ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلث لم يكن اهلا لان
يحوزهن * وبعدُ فلاىّ سبب حُظرت المراة عن ان تتزوج ثلثة رجال *
قلت ان فى كثرة النسآ للرجل الواحد كثرة النسل التى يتوقف عليها عمران
الدنيا * وذلك مفقود فى كثرة الرجال للمراة الواحدة * على انى قرات
فى بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل مستعملة عند بعض الهمج * قالت
مه مه اهولآ هم الهمج وانتم المتمدنون الكيّسون * فاما دعواك بتكاثر
النسل فى كثرة النسآ فهل سكان الارض الان قليلون * الم تضق بهم البسيطة
وتثقل بهم بطونها ويمزّق اديمها * فما الموجب الى هذا الاكثار سوى البطر
والنهم * قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعد الى الوداع * انى مسافر

عنك اليوم وتأويل عندك فوادي حتى اذا زارك احد أحسّ به * قالت كيف تحس وما فوادك معك * والناس يخصّون القلب بالحسّ والشعور * والحزن والسرور * قلت ان حسي براسي * قالت من اي جهة * قلت من الجانب الاعلى من الراس * قالت نَعَم الشي الى جنسه اميل * ولكن اين تتركه * قلت على العتبة كيلا يخطوها احد * قالت فاذا طفر فوقها * قلت في الفراش * قالت فان يكن في غيرة * قلت فيك * قالت ذلك احسن مقرّا * اني اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من ايام السطح الى الان * ولكن حين احسّ واشعر من هنا بانك تبدلت السطح بالشطح اقابلك بفعل مثل فعلك والبادي اظلم * قلت انك كثيرة الوساوس شديدة الغيرة * فلعل شعورك يكون عن وسواس * قالت بل الاولى ان الوسواس يكون عن الشعور * قلت دار ما بيننا الدور * قالت حاولْ اذًا فكّه * قلت هو فرض فلا بدّ من قضائه * قالت وقضاً لا بدّ من فرضه * قلت ايعقَد به العهد * قالت اذا عُهد به العقد * قلت لا ارضى بهذه الصفة * قالت ومن لي بوصف هذا الرضى * قلت هل كان العقد في الشرط * قالت وهل كان الشرط بلا عقد * قلت مَثَلنا مثل ذلك المجنون * قالت لولا المجنون ما جمعنا الزواج * قلت اكثر الناس على هذا * قالت اكثر الناس مجانين * فقلت الحمد لله رب العالمين *





الفصل الثالث

في استرحامات شتى

من كان من طبعه المين والافترآ او من كان جاهلا بالنسآ ارتاب في هذا الوداع ونسبه الى ترقيش الشعرآ ومبالغاتهم * ولكن اىّ منكر على من جعلت دابها وديدنها وشنشنتها ونشنشتها ومُهوآنها وهُذيرباها وأُهجورتها وفَعِلتها ومُطِرتها المحاضرة والمفاكهة والمساقطة والمطارحة والمحارزة والمجارزة وسرعة الجواب * بل كثيرا ما كان يجتمع بالفارياق اثنان او ثلثة من اصحابه فاذا خاضوا في حديث انتدبت لهم وجارتهم فيه وعارضتهم ومانتتهم * فكل فصيح ان تعارضه لم يُبِن وكل بليغ ان تساجله يرتك * وقد علم بالتجربة ان جواب المراة اسرع من جواب الرجل * وان المشتغل بالعلم يكون ابطا جوابا من غير المشتغل به * لانه لا يقدم على ذلك الا بعد الفكر والروية * على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المراة المبينة من غير قرآة البيان هي دون الاصل بمراحل * فاني لم اقدر في نقل الكلام على نقل الحركات التي كانت تبدو منها * وعلى ان اصوّر للمطالع عيونا تغازل وحواجب تشير * وانفا يرمع * وشفاها تزمع * وخدودا تتورد * وجيدا يلوى * ويدا تومئ * ونَفَسا يربو ويخفت * وصوتا يخفض وينبر * وزد عليه مسح الماق اشارة الى الاستعبار * وتوالي الزفرات

رمزا الى الحزن والانبهار * والتبلّد ايذانا بالاسف * والتنقل من جنب الى جنب اعلانا بالجزع واللهف * وغير ذلك مما يزيد الكلام قوة وبلاغة * وهذه ثاني مرة ندّمتني على جهلي صناعة التصوير * والمرة الاولى كانت في الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكري الحسان على اختلاف جمالهن * ويمكن اني اندم مرة ثالثة * وهنا ينبغي ان اقف على قدمي منتصبا واستميح الاجازة من ذوي الامر والنهي لان اقول * انه قد جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليز بان لا يدعوا احدا يدخل بلادهم او يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم او لوكلائهم المعروفين بالقناصل قدرا من الدراهم بحسب خصب ممالكهم ومحلها * وذلك بدعوى ان المسافر اذا نزل بلادهم ساعة او ساعتين فلا بدّ وان يرى قصورهم الفسيحة وعساكرهم المنصورة او خيلهم النجيبة ومراكبهم الفاخرة * فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهي * اذ ليس يدخلها احد من دون غرامة * فان اعترض احد بقوله انّا في الملهى نسمع اصوات المغنين والمغنيات وآلات الطرب * ونرى الانوار المزدهرة والاشكال المتنوعة ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة * ونضحك حين يضحكن * ونطرب حين يرقصن * ونشغف حبّا حين يغازلن * فاما في روًيه احدى مدنكم فانّا لا نرى شيا من ذلك * بل انما ندخل لكي يغبننا تجّاركم * فتكون فائدتنا في الدخول بالنسبة الى فائدتهم في الدخل قليلة * قالوا قد يعنق وقت قدومكم بلادنا ان تكون عساكرنا قد شرعت في العزف بآلات الطرب فهذا في مقابلة الطرب في الملهى * اما النسآ فانّا ناذن لكم في التمتّع بكل من اعجبتكم فاجروا ورآء من شئتم بحيث يكون النقد على الحافر * ومع ذلك فلا ينبغي ان تنشد مدائننا التي تشرفت بحضرتنا

ببعض الملاهى * ولا سيما ان هذه سنّة قديمة قد مشت عليها اسلافنا
طاب ثراهم * وتقادمت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكنا
تغييرها * فان الملك اذا امر بشي صار ذلك الشى سنّة وحُكما * ويشهد
لذلك قول صاحب الزبور ان يد الرب على قلب الملك * بمعنى ان
الملك لا يفكر فى شى الّا ويد الله عاصمة له فيه * هكذا شرح هذه الاية
العلمآ الربانيّون فى بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب * وبعدُ فان
الملك اذا اخذ فى تغيير العادات وتبديل السنن فربما افضى ذلك
الى تغييره * فيكون مَثَله كالديك الذى يبحث فى الارض عن حبة قمح
فيثير التراب على راسه * وصُغُر ذلك تشبيها * فالاولى اذًا اقرار كل شى
فى محله * ثم لا فرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنيا او فقيرا * صالحا
بارّا او لصّا فاجرا * رجلا كان او امراة * فكلهم ملترمون باداَ الغرامة
وتحمل الغبن — ولكن ياسيدى ومولاى انا امراة معسرة قد اضطررت الى
المرور بمدينتك السعيدة * لان زُويجى المُسيكين كان قد قدم الى بلادكم
الملكية ليدير مصلحة فقضى عليه الله تعالى بالوفاة * فتركت صِبْيِذ لى
فى البُيَيت يتضورون جوعا وجئت لارى زويجى المويت حالة كونه
لا يرانى * ومع ذلك فانى أعدّ من الحسان اللآى يحق لهنّ من امثالك
العناية والالطاف * فكيف التزم بالغرامة فضلا عن نفقة السفر وفَقْد
زويجى الذى كان لى سندا — ارجعى من حيث جئت فما هذا وقت
الاسترحام * لان القواعد التى تقرر فى دفاتر الملوك لا تقبل التبديل ولا
التحريف ولا يستثنى منها شى — وانا ايضا ياموِلاى رُجَيل فقيّر قد
رمانى الدهر بصروفه لامر شآه الله * فوافيت بلادكم طمعا فى تحصيل
وُظَيِّفة تقوم بأَوَدى * وما انا من ذوى التعاوى والفتن ولا من الناحثين

في سياسات الملوك واياالاتهم * فقصارى منيتى تحصيل المعيشة * على انى اعرف شيا لا يعرفه اهل بلادكم العامرة فربما كان مقامى فيها مفيدا لدولتكم السعيدة * ولو صدر الامر العالى بامتحانى واختبارى فيما ادّعيه لاكرمتم مثواى فضلا عن الرخصة لى فى الدخول بغير غرامة — ياطائف ياعسس يازِبْنية ياجلواز ياشرطىّ ياعُون ياذِبّىّ يامِسحَل يافارع يافَيْلَع ياتُورور ياثُورور ياثُؤثور ياثُؤثور ياأُترور ياترتور اودع هذا السجن * ان هو الّا جاسوس قدم يتجسّس بلادنا * فتّشوه عسى ان تجدوا معه اوراقا تكشف لنا عن خبره — وانا كذلك يامولاى وسيدى غُلَيِّم مُسَيْكين قد جئت لانظر ابى اد بلغنى انه كان قادما من سفره فدخل بلادكم فاصابه هواوها الحميد بمرض شديد منعه من الحركة * فلما علمت امّى بمرضه وهى مريضه ايضا مما شملها من الحزن والكرب لطول غيابه بعثتنى اليه لعلى اخدمه وامرّضه فيطيب خاطره برويتى ويخف ما به * فان رؤية الاب ابنه حال مرضه تقوم له مقام الدوآء — ما نحن بمربّى الاولاد ولا بلادنا مكتب لهم حتى ياتوا اليها ويخرجوا منها من دون غرامة * ادهب وكن رجلا باداثها على الفور — وانا ايضا ياعنادى وملاذى * وثمالى ومعاذى * وملجاى وملتحدى * وسندى ومعتمدى * وركنى وركنى * وعزّى وامنى * رجل من الشعرآ الادبآ كنت قد مدحت بعض امرائنا الكرام بقصيدة فاجازنى عليها مئة دينار * فاشتريت بنصفها موٓنة لعيالى * ووفيت بربعها ما كنت استدنته لكسوتهم وبقى معى ربع * واذ سمعت بمحاسن مملكتكم الحصينه البهية البهيجة وبما فيها من التحف والطُرف التى لا توجد فى بلادنا * رمت ان اسرّح ناظرى وانره خاطرى فى هذا النعيم اياما قلائل * عسى ان تخطر ببالى عند رويته معانى بديعة ما

سبقني اليها احد فاصوغ منها بادئ بدئ مديحا بليغا في جنابك الرفيع * ومقامك السنيع * وانشر الثنا عليك في جميع الاقطار * في الليل والنهار * واجيد وصف مكارمك في الاسفار — ما اكثر الشعرا الغاوين العاوين في بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم * اما ان تدفع الغرامة واما ان ترجع على عقبك واما ان نؤويك الى دار المجانين * ولكن هيهات ان تشرف مسامع المسترحم الحقير من سيده الجليل الخطير بمثل هذه الاجوبة السلبية * فان السلب من مقام الكبير منّة * وانما الغالب ان يكون جوابه برغم الانف او بالقفد * او باللكم على الخرطوم * او بهتم سن * او ببقر بطن * او باطنان ساق * او بانقاض ظهر * ولهذا لما عزم الفارياق على السفر وكان ممن لا يستغني عن احد اعضائه التمس من خمسة قناصل ان يشرفوا جوازه بختومهم * فختم عليه كل من قنصل نابلي وليكورنه ومدينة اخرى في مملكة البابا وقنصل جينوى وفرنسا * لان سفينة النار تمرّ على مراسي هذه المدن كلها وترسي فيها بعض ساعات * اما مدينة نابلي فهي مشهورة بكثرة ما فيها من العجلات والمراكب والحدائق والغياض * واما ليكورنه فبطيب هوائها وارتفاع بنائها وكذلك مدينة جينوى * قال وهي عندي احسن منهما * وانحس ما يكون مدينة البابا اذ ليس عليها رونق المُلك ولا الملكوت وما بها شي يقرّ العين * فلما وصل الفارياق الى مرسيلية أُخذ صندوقه الى ديوان المكس واشير اليه ان يتبعه * ثم طلب منه المكّاسون ان يفتحوه ليفتشوه فظن انهم يريدون ان يفتشوا في كراريسه ليعلموا ما فيها فقال * انا ما هجوت سلطانكم ولا مطرانكم فلمَ تفتشون في كراريسي * فلم يفهمه احد منهم وهو لم يفهم احدا * فلما فرغوا اشاروا اليه ان اقفل صندوقك فثلج صدره * ثم انبرى

واحد منهم يمسح بيديه على جنبه قطن انه يتمسح به اى يتبرك لكونه وجد كراريسه بخط غريب * لكنه علمَ من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه ليعلموا هل كان مدّخرا سيا من التبغ والمسكر * ثم سافر من مرسيليه الى باريس ففتش ايضا هو وصندوقه فى ديوان مكسها * فكانّ مكّاسى هذه المدينه كانوا يحسبون ان رفاقهم فى تلك قد ناموا عن قيام الليل * فبال الشيطان فى آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما فى الصندوق * او انهم يرتشون كسائر اصحاب الوظائف * فاقام فى باريس ثلثه ايام فى دار سفارة الدوله العليه وفيها حظى بتقبيل ايدى الوزيرين المعظمين والمشيرين المفخمين رشيد باشا وسامى باشا * ثم سافر من باريس الى لندن وسياتى الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين * ثم من لندن الى قريه فى بلاد الفلاحين وفيها القى العصا وعندها افق انا ايضا *





الفصل الرابع

في شروط الرواية

لم يمض على الفارياق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التي قضاها في تلك القرية * لان قرى بلاد الانكليز ليس فيها من محل لهو واجتماع وانس وحظ البتة * وانما اللهو والحظ في المدن الكبيرة * وفضلا عن ذلك فليس في القرى شي يباع للماكول والمشروب سوى ما لا احتفال به * ومن كان عنده دجاجة او طرفة بعث بها الى احدى المدن القريبة * فمن شآ ان ينقطع عن الدنيا او يترهّب فعليه بها * اما النسآ هناك ففيهن من تشفي من القمه بل تمني بالقرم * الا ان الغريب محروم منهن * اذ كل ذات ظلف ملازمة لفحلها فليس من سائب مبهَل الا العجائز * ثم بعد مضي شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشئومة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر القسوسة وعلم الكلام * فان جل قسيسي الانكليز يمضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة * وفي هاتين المدينتين ايضا سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم * ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور * فاكترى الفارياق فيها مسكنين في دار كما هي العادة ومكث يترجم بقية

الكتاب الذى مرّت الاشارة اليه سابقا * وكان فى تلك الدار جارية دعجآ
كاعب وكذا سائر الوصائف غالبا * فكان الفارياق يراها كل ليلة تطلع
الى غرفة احد السكّان ثم بعد هنيهة ليست باطول من قولك عمت مساء
يسمع لها نغمة ابغافية * وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل
فى الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكترث بطلوعها ولا بنزولها * فاذا
جآت فى الصباح لتصلح فراش الفارياق حملق فيها وحدّق فلم يرَ فيها
علامة تدل على انها كانت هى صاحبة النغمة * فيظن ان ذلك كان وهمًا
منه نشا عن اللهج بالايغاف * فاذا جآ الليل عادت النغمة وعاد اليقين *
فاذا كان الصباح عادت الحملقة وعاد التصاون وعاد الشك والحيرة
وهلم جرا * حتى كاد ذلك يشوش عقل الفارياق ويفسد عليه الترجمة التى
طالما كان يخشى عليها الخلل والفساد من قضبة ما نسائية * وهنا ينبغى
ان اقرفص واقول * ان هذه المزيّة السنّوربة اى الاكل خفوة وان يكن
وجودها ملحوظا فى النسآ على الاعمّ الا انها فى نسآ الانكليز على الاخصّ *
فان المتّصفة منهن بما اتصفت به السيدة المدقم فى فصل حدنبدى
تتظاهر فى النهار بصفات الورع والتقوى والنفوربة والقذورية وتنظر
الى تبعها نظر المتجاهل * وتوهم النافد انها متبتلة معتزلة للرجال * وربما
حفظت احاديث دينية وروايات نسكية تلقيها على الناس فيعظمونها
ويعتقدون فيها الصلاح * واذا دخلتَ بيتها وجدت على مائدتها التوراة
والانجيل وكتبا اخرى فى العبادة والزهد * وربما وسّخت الظاهر من
ورقها لتوهم انها كثيرة الدراسة لها * ولا يمكن للرجل ان يذكر بين
يديها اسم عضو من اعضائه * فتكون لذة هولآء على مقتضى قاعدة

الفارياقية غير تامة وذلك لخلوها عن ركن الذكر * وعنها ايضا ان ذكر اللذة لا بد من ان يكون مطابقا للواقع * فان كان الوقوع مثلا من ذى مقام ليلاً ذُكرت فيه لِذات مقام * وان يكن من دونٍ صباحًا ذكرت فيه لدون من النسآ * وقس على ذلك سائر التباين فى الاوقات والاشخاص * اللهمّ الا ان خشى فوات الفرصة * اى اذا حصلت مثلًا ليلًا ولم يمكن ذكرها فى الليل فيصح الذكر فى الفجر او الصباح * او ان حصلت من ذى مقام ولم يتهيّا وجود نظيره فيصح ذكرها لدون ولا تعسد لذة الذكر بذلك * فاما على فرض كونها لم تجد احدا من هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها * وذلك بان تدخل راسها فى زير فارغ او فى بئر او جبّ او قبوة ونحو ذلك مما له صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مرّ لها * حتى اذا رجع الصدى قام لها مقام السديم الكليم * فاما اذا بقى الذكر فى صدرها فيخشى عليها من الصِدارة والذُباح * ويشترط ايضا عندها ان تكون الرواية مطابقة للفعل * فللنبرة نبرة * وللهمر همزة * وللحركة حركة * وللسكون سكون * وللمد مدّ * وللهذّ هذ * وللترخيم ترخيم * وللترسّل ترسل * وان يبلّغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية بلغتنا هذه الشريفة * وان يكون فى العينين مغازلة * وفى اللعم فيضان * وفى اللسان بلّة * وفى اليدين تلقح * وبما تقرّر علمتَ من ان هذه الخلة المذكورة الموجودة فى نسآء الانكليز اخلال بشروط اللذة * ويمكن ان يقال ان لذة التصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام لدنيين * او انهن يضعن رؤسهن فى جابية ونحوها * وعن الفارياق

ان الجمال في النسآ على اختلاف انواعه له نطق ونِدآ ودعآ واشارة ورمز * فمنه ما يقول لناظره لست ابالى بالمراود * ومنه ما يقول: الا اغتنم الآن الفرصة — للتاخير آفات — لن ترانى من الكثير ملولا — لا يغرنّك الشفوف — هيتَ لك — مَن لى به الساعة — ما ارى كفايتى عند احد — ان دوآء الشقّ ان تحوصه — اين اين المشبع — اين ابن الّغز — اين ابن بنى اذلغ — لدىّ يذل الصعب — بعد جهدك لا تلام — لكل مجتهد نصيب — من اطعم اشبع — من ذاق عرف — من مسّ هرف — من سبق فقد ربح — العود احمد — من عدّ عاد — من وصل وُصل * ومنه ما يشير انِ استعمل الحيلة — تلطف في الزيارة — كن من الجار على حذر — من تانّى نال ما تمنى — بكِر بكور الغراب وغير ذلك * فجمال نسآ الانكليز هو مما عنوانه اين ابن الغز * اين اين المشبع * لدىّ يذل الصعب * فانك ترى المراة منهن تمشى وهى صُفُوح منزّة سامدة مساندة شاردة معبّدة شامرة نافرة جافلة جامزة آبزة نافزة ناقزة معترة ساربة عاسجة طامحة جامحة شامخة خانفة مشمّة شافنة مُهْطعة مُرْشقة متتالعة هابعة متعاطفة متطلقة مخرنطمة مسحنفرة مجلوّذة مجلوّظة مذلعبّة مجرهدّة مرمّدة مشمعدّة مصمعدّة مسبئرّة مسبكرّة مسمهرّة مشفترّة مسجئرّة مسجهرّة متمهلّة متمثلّة مشمعلة مصمئلّة مقلهفّة مزلئمّة * ومع ان القدرة الخالقية قد خصتهن بالآء الايا سابغة ضافية على ما روت الرواة * فانهن يتخذن لها المرافد ويعظّمنها بها تعظيما يوفى المستوفز بحبث يقف كالجانه الحبران * فلا يتماسك عن ان تصطك ساقاه

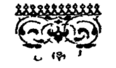
تعجبا واعظاما لهذا التعظيم * وان تحترق اسنانه ويندلع لسانه * وتنضنض لهاته * وتلتوي عنقه * وتنتفخ اوداجه * ويحمرّ حلاقه * ويُغان على قلبه ويُظَنَّى * وتاخذه القشعريرة والرعدة والأفكل والهزّة والاضطراب والرجفان والنغشان والغشيان والغميان والفَشْيان والنُحَوآء والدُوار والمَيدان واللّبَم والاختلاج والترنّح والارتعاج والارتعاش والارتهاش والرَعّس والارتعاس والترأد والترجيد والأصِيص والبَصيص والكصيص والأَرَض والعُسوم والنِقّيضَى والقِلّ والإرْزيز والزَمَع والزقرفة والشفشفة والصَعْفة والقرقفة والقفقفة * وتهيج به الاخلاط الاربعة فيطلب كلّ خلط عظّامة * وتنهال عليه الخواطر والوساوس * وتتجاذبه عوامل الاماني * وتجرضه مجرضات النِزّة * وتطفره خوالج الشهوة * ويميل به مميل التشوق والتلهف على حد قول الشاعر

علمتك الباذل المعروف فانبعثت   اليك بي واجفات الشوق والامل

فيبقى حائرا بائرا مبهوتا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا ذاهلا * بحيث اذا رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظّامة او ما عُظّم بها * وكان الفارياق اذا خرج وابصر هذه الروابي الخصيبة عاد الى ماواه وفي راسه الف معنى يشغله * فمما انشده في بعض هذه الفتن

يا للعجاب وكلّ عُجْب فليقل يا للعجاب
ما ان يرى في ذا المكان سوى المرافد من روابي
كلا ولا من غوطة   من دون ديباك الجناب
كلا ولا قرموطة   تشرى سوى كعب الكعاب

من كل دات تبهكس تدعو الحصور الى الدهاب
السوق تقدم بى وحوق العحر من علم تاى بى
مادا تقول الساس عتّس حار عن ملأ الوطاب
ام كنى تصعق معده العربى عن فحو العقاب
من لى تصسور فأسرعه بمشرفه الحساب
من لى تعته مرقد فى ليلى من دى العاب
من لى تحت الشه من دى الالانا فى مآتى
هدا لعمرك سان دى قطم وهدا الداب داتى





في فصل النساء

وكما ان نسآ تلك البلاد اختصصن بهذه المزية كذلك اختصت رجالها بالطافهم الغريب بعد معرفتهم له * فاما قبل المعرفة فانه اذا حيّى احدا منهم فما يكون جوابه الا الشزر والشصر * ولهذا لما سمع احد طلّاب العربية منهم بوجود الفارياق وكان قد قُرئ عليه حسبه ونشبه اتى لبزوره * وطلب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرما معززا * وكان مقامه بعيدا عن كمبريج * فاجابه الفارياق الى ذلك لان اهل المدينة على كثرة المدارس عندهم والمعالم هم اشدّ الناس نفورا من الغريب * ولا سيما اذا كان مخالفا لهم في الزيّ * فكانوا يسخرون من قبعته الحمرآ حتى كان كثيرا ما يقنبع في غرفته ولا يخرج منها الا ليلا * وقال في ذلك

رمتني النوى في كمبريج ملازما لبيتي نهارا أن تراني اوباش
فتعبت بي حتى اذا الليل جنّني خرجت على أمن كاني خفّاش

ولان الكلاب ايضا كانت تنشم فروته وتلازمه * فقال فيها

ولي فروة تاتي الكلاب تشمّها ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها
تهرّ على تمريق جلدي وجلدها كاني من ابائها قد صنعتها

ولان أهل الدار التى نزل فيها كانوا يتاركونه فى طعامه ولا يشركونه فى لحمهم وشحمهم * فقال فيهم

ولى عيلة فى كمبريج خفيّة   تواكلنى من حيث ليس عيان
فعهدى باسم الآكلات فلانة   وعهدى باسم الآكلين فلان

ولانه لم يقدر على ان يجرّد الى احدى تلك القبب *   فقال فيها

وما نفع الوثير من الحشايا   وليس عليه وَثْر اذ تنهش
وما نفع الشعار بلا شعار   وحسن الحفش ان لم يُلْفَ حفش
وما نفع الحياة بغير حىّ   فنعشك دونه ما عشت نعش

فسارا فى سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد الفارياق يدخل حجرته التى اعدت له حتى رقشها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل   ربا به والشدىّ قد رجفت
لو لم يكن غير تلك فائدة   لنا به دون اتّوه لكفت

الاتو الاستقامة فى السير والسرعة

ثم لما قام فى الغد راى المنزل بعيدا عن الدار * فاستعاذ بالله واسترجع واضبّ على ما نفسه * لان هذه الشكوى ليس لها عند هولآ القوم اذن واعية * حتى انه لما شكا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد ايام قد فرط منك بالامس كلام فقلت انى مشتاق الى امراتى * وكان كالاولى ان تقول الى اولادى * فقال له الفارياق ما المانع من ان يذكر الرجل امراته كما يذكر ولده * ولولا المراة لم يكن الولد بل لولا المراة لم يكن شئ فى الدنيا لا دين ولا غيره * قال مه مه قد افحشت * قال ارعنى لما اقول * لولا بنت فرعون لم ينج موسى من الغرق * ولولا موسى

لم تكن التوراة * ولولا المراة لم يمكن ليوشع ان يدخل ارض الموعد ويستولى عليها * ولولا المراة ما حظى ابرهيم عند ملك مصر ونال منه الصلات والهدايا فتمهّد لليهود النزول الى مصر من بعده * ولولا المراة لم ينجُ داود من يد شاول حين اضمر قتله وان كان ذلك قد تمّ بحيلة وضع صنم فى فراشه * ولولا داود لم يكن الزبور * نعم ولولا المراة اعنى زوجة نابال ما تقوى داود على اعدآئه * ولولا حيلة بت شبع على داود لم يملك سليمن ابنه ولم يبنَ هيكل الله باورشليم * ولولا المراة لم يولد سيدنا عيسى ولم يذع خبر انبعاثه * ولولا المراة لم يستتبّ مذهب الانكليز كما هو اليوم * هذا وان المصوّرين عندكم يصوّرون الملئكة بصورة النسآء * والشعرآء عندكم ما زالوا يتغزلون فى المراة ولولاها لم ينبغ شاعر * قال إن اراك الا هائجا على النسآ وكانّ العرب كلهم على هذه الصفة * قال نعم انا راموزهم وقِطاطهم وكل من ينطق بالضاد يكلف بالضاد * فاطرق مليّا ثم قال لعلكم ارشد ممن عدل الى الميم * فقد بلغنى ان فى بلادكم قوما ميميّين يعدلون عن سوآ السبيل الى مضايق ذميمة وهو اقبح ما يكون * واقبح من ذلك ان بعض المولفين من العرب قد الفوا فى ذلك كتبا وتمحّلوا لايراد ادلّة على تفضيل الحرفة الميمية * قال نعم ومن جملتها كتاب عثرت به فى خزانة كتب كمبريج ورايت مكتوبا عليه عنوانه بالانكليزية كتاب فى حقوق الزواج * فكانّ شاريه لم يفهم مضمونه * ومن اسخف ما ورد من الادلة على ذلك قول بعضهم

انا لست اجزم باللواط ولا الزنا   لكن اقول مقال من قد حررا

ان اللذاذة كلها فى اقذر !!   جارين فاختر ان عرفت الاقذرا

وسبب تاليف هذه الكتب من مثل هولآ العناولة اذا للعنّينية فان النسا

يعرضهن عمّن يبتلى بذلك منهم لانجمل لان النفقة على المراة اكثر * او لقصر اليد من مهورهن او لفساد آخر * اما سليم الطبع فلا يميل عن هذا المذهب اصلا * ثم ان الفارياق لبث عند صاحبه مدة فى خلالها أدب الى مآدب فاخرة عند بعض الاعيان * ومن عادتهم فى الولائم ان تقعد النسآ على المائدة مكشوفات الاذرع والصدور بحيث يمكن للناظر ان يرى المفاهر واللبان والبادلة والبهو * واذا تطالل واشرأب وكان حسن الاطلاع راى اللعوة ايضا اى آية الحلم * وهى من جملة العادات التى تحمد من وجه وتذم من وجه آخر * حيث كان هذا الكشف مطردا للصبايا والعجائز بل العجائز عند الافرنج ولا سيما الانكليز يكتشفن ويتفتّين ويتعيّلن اكثر من الصبايا * ثم قلّت الدعوات وكثر قلق الفارياق لان من نظر الى سحنته مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى * فراى الرجوع الى كمبريج اوفق * فسافر اليها فوجد القبب قد رَبَت نحو ثلثة قراريط * وذلك اما لبعد عهده بها او لكون زيادة قرصة البرد اوجبت ذلك * وهنا ينبغى ذكر فائدة وهى ان كمبريج واكسفورد لما كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفا وكان جلّ الطلبة فيها من الاعنيآ وفى كلّ منهما نحو الفى طالب * كانت البنات الحسان من قرى الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لترويج ما عندهن من الصبى والجمال * فترى فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر ما لا تراه فى سائر المدن * غير انه لكل سافطة لافطة * فلهذا كانت مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد اهل البلد نظر الهرّة التى يوخذ منها جراؤها * فمن ثم ترحّل الفارياق عن هولآ السنانير وهرّاتهم * لا سيما وقد ورد فى الامثال اذا دخلتَ ارض الحُصَيب فهرول واقام فى لندن نحو شهر *

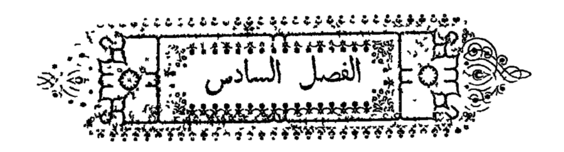
وصف لندن او لندره عن الفارياق

ها هي ذات السنه والدلال * الخاطره على الفحول من الرحال * تسطر اليهم سررا * وتجرّ اذيالها وسالها جرا * كما قلت من قصيده

قامت تجرّ من الدلال ذيولا حرّا اصاب الى العميد نحولا

وهي لا ترى لها من شبهم كفوا * وتخلس منهم سحرته وهروا * الا واذكرى ان شبهم الاقوى الاقدر * الاسرى الاسر * الاسرع الاعسر * الافرس الافسر * الاصرع الاعصر * الاسرد الادسر * الارسف الاسفر * الابرر الاربر * الذى اذا صمّ زفر * واذا سمّ نحر * واذا هم زأر * او شمر ندر * واذا راى طللا زقر * او ذات ذهكر دهسر * اذكرى ان شبهم عرسا ذا عرام * وهلم واوام * ومعارله وعام * ودناعد وكعام * وتمسر وانكماس * واندساس فى الاعساس * علام تمالك واذب عرصد كبرا * وبعدك فسحدس كلا ما هرا * الم تعلمى ان الملك يقدون * وعلى الك سعوّدون * كم من صعب رصداه * وتحكم ارصاده * ... * ... وترم اسعداه * وحا ... اسوقسه * وسل اسكـ ... * ... * وكم من سعته آ ... وهى ماكوّ * ... * الا لا ... السطاط الى السطط * والعرى الى السحط * والعسط الى العط * ...

الشعر * الى انكار القدر * وتفليج الثنايا * الى ألَت المزايا * وتورد الخدين * الى احتقار اللجين * وتفليك الكُعب * الى التيه والعجب * وبضاضة البشرة * الى النهم والشره * وفعومة الساعدين * الى عنجرة الشفتين * وجدل الساقين * الى الاستنكاف من مِصّ لناقد عين * وعميد غين * يكفتهما ويتطوق بهما * او بعتّم بهما على زَنبهما * وينزه زغبهما عن الحلت والنتف * والحصّ والحقّ * ومن مسّ السقف * ألا ولا يصلنّك الجاهض من ورآ * الى الازدرآ * ولا النافج من امام * الى منع التحية والسلام * ان لدينا من البِزْر والفُقّاع * مايروى كل مقّاع * ويسكر كل ذات قناع * ومن الشِوآ * ما يزيل الخَوآ * ومن الدينار * ما ينفث فى عقد الازار * فيحلها حلّا * ويبلّها بلّا * فمن البلّ بَلَل * ومن الحَلّ حُلَل * فبحق من اولاك هذه المحاسن * فتنة كل سامع ومعاين * الّا ما احسنت فى عشاقك الظنّ * واقللت لهم من هذا التزليق والفتّن * فكلهم الى وصالك حنّ * ومن صلفك أنّ * وبعدُ * فان هى الّا مرّة * فان احمدت اللقآ فاجعليها عادة وانت على كل حال حرّة * والا فما اكثر طرق هذه المدينة وما اطولها * وما اوفر القادمين اليها * وما اوسع حوانيتها وساحاتها * وندحاتها وباحاتها * وحدائقها وغياضها * ومماشيها ورياضها * وما ابهج ملاهيها وملاعبها * واجرى عجلاتها ومراكبها * وما ارحب كنائسها * وما احفل مجالسها * وما اعمر مساكنها * وامخر سفائنها * فاجرى فيها حيث يعجبك من هنا ومن هنا * كل امرء يسعى ليدرك الهنا *



الفصل السادس

في محاورة

وبعد ان فرغ الفارياق من عمله في هذه المدينة العاصمة بالعواني سافر الى باريس فاقام فيها ثلثة ايام لا تكفي لمعرفة وصفها * فلهذا نضرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا * ثم سافر منها الى مرسلية ومنها الى الجزيرة * واتاح له الله بفضله العميم ان راى زوجته في نفس الدار التي غادرها فيها * وقد كان يظن انها طارت مع عنقآ مغرب او مع الغُنْجول وبَنَى بها هذه المرة السادسة * فان المرة الثانية كانت بعد قدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامي باشا المفخم والخامسة بعد رجوعها من مصر * ثم انشد

مَن يُرد في زوجة ينكح ازواجا عديده
فليَغب عنها زمانا يلقها عِرسا جديده

فقالت لكن المراة لا ترى من زوجها بعد اياب عِرسا جديدا * قال قلت انما هو من مخالفتهن الرجال في كل شي * قالت نعم ولولا هذا الخلاف ما حصل الوفاق * قال كيف يكون عن الخلاف وفاق * قالت كما

ان المراة خُلقت مخالفة للرجل فى الخَلق كذلك كان خلافها له فى الخُلق * وكلٌّ من هذين الخلافين باعث له على شدة الكلف بها والحرص عليها * ألا ترى ان المراة اذا كانت تفعل كل ما يريد زوجها ان تفعله كانت كالآلة بين يديه فلا يكترث بها ولا يقبل عليها * لاعتقاد انها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه زيادة على حركة يده فى الآلة * بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد بامرها فانه ج يعلق بها ويداريها * قلت هذا غير ما عُهد عند الناس * قالت بل هو معهود عند النسآ من القديم * ولذلك تراهن جميعهن متحليات بهذه الحلية * قلت ولكن اذا كثر الخلاف وطال * اورث التقاطع والملال * قالت ان عينى المراة لا تبرحان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعى القطع والوصل * والّا استطال احدهما على الآخر فوقع ما قلت * قلت بل فى دوام الوصل دوام الوفاق * قالت لا بل هو باعث على السآمة والضجر * فان الانسان مطبوع على ذلك * قلت اى سآمة من وصل الحبيب * قالت السآمة غالبة على الانسان فى كل شى بحيث يودّ تبديل حالته الحسنى بحالة سُوْأى * قلت اوَ قد سئمتِ من حالتك هذه * قالت نم جُلبت عن السآمة * قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين * قالت نعم ان العين تقرّ بشى ريثما يعنّ لها آخر فتطّرف اليه * قلت وما شان القلب قالت هو متقلّب ومتحيّر معها * قلت فما شان العميان * قالت ان لهم فى بصائرهم عيونا اشد حملقة من العين الباصرة * قلت مَن اسرعُ الناسِ تقلّبَ قلبٍ * قالت اكثرهم فكرا فان العجماوات انبت واصبر من الناس اذ ليس لها فكر * قلت فاذًا ينشا عن النفع ضرّ * قالت نعم كما انه ينشا عن الضر نفع * قلت اى

نفع فى المرض * قالت سكون العقل والدم والفكر عن الهوى والشهوات *
قلت اى نفع فى الفقر * قالت الكف عن الشراهة والسرف المهلكين *
فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون
لقلتهما * قلت اى نفع فى الزواج بامراة دميمة * قالت كفّ رجل
جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك * على انها لا
تعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشرٰاهون من بعض * قلت اى نفع فى
دمامة الاولاد * قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن اللهو الى
العلم واقبلوا على تحسين خُلقهم ليشفع فى خَلقهم * قلت واى نفع من
مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر
الاعلى * قالت اشعاره بان الحيوانية المطلقة اقوى فيه من الحيوانية
المقيّدة * ولذلك كان اول ما يشيب فيه راسه الذى هو محلّ الناطقية *
واقوى ما يحسّ منه باللذة اسفله * قلت وما نتيجة ذلك قالت اقلاله
من الفكر * قلت وما الفائدة فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم يملأ
بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه * قالت هو من النوع الاول * قلت
كانك تقولين ان الرجل لم يخلق الّا لاجل المراة * قالت نعم كما ان
المراة لم تخلق الا للرجل * قلت اى نفع فى تحتّت الاسنان * قالت
الاكل على هيْنة فيمروٗ الطعام * قلت اى نفع فى تعميش العينين *
قالت عدم روية الحسان ليلاً فانهن اروع فيه وافتن * قلت اى نفع
فى العَرَج * قالت الراحة من الجرى وراّ القرصافة الزقزاقة * قلت اى
نفع فى السدّة * قالت الذهول عن العَبقة * قلت وفى الصمم * قالت
عن الرُمُم * قلت وفى الجهل * قالت توفر الصحة للبدن والراحة للبال *
فان الجاهل لا يفكر فى الامور الدقيقة المتعبة * واذا نام اخذه النوم

واذا طَعِم شيا امرأه * لا كدابك في الهينمة اناآ الليل واطراف النهار فما اسمع منك الا تعديد قوافي * وذكر نؤي واثافي * ودوارس عوافي * وظعائن خوافي * واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت الصفحة تلو الصحفة * فتاكل لقمة * وتقرا فقرة * وتكرع من الشراب كرعة وتتلو أُسطورة * ولذلك — قلت قد فهمت من هذا الاكتفاآ عدم الاكتفاآ * ولكن كثرة القرآة ينشا عنها كثرة التصوّر الباعثة على كثرة التشوّق * قالت ولكن كثرة التشوق ينشا عنها الترويلية او الزمالقية والمقصود الجمّادية اللَّجكية * وقد طالما احوج وجود الاولى الى البحث عن وجود الثانية * ولكن دعنا من هذه الملاحك والمغامس * كيف وجدت مدينة لندن * قلت رايت فيها النساآ اكثر من الرجال واجمل * قالت لو دهبت اليها امراة لرأت بعكس ذلك فان نساآ الانكليز في هذه الجزيرة لسن حسانا والحسن كله في الرجال * قلت هولا نخبة البلاد انتقتهم الدولة حسانا ليخيفوا العدو في الحرب * قالت بل الامر بالعكس فان الجميل لا يخيف وان يكن عدوا وانما القبيح هو الذي يخيف * ألا ترى انهم يقولون رجل باسل ومتبسّل اي شجاع وهو في الاصل الكريه المنظر * قلت وقد قالوا ايضا راعه بمعنى اعجبه واخافه * قالت المعنى واحد فانه ماخوذ من الرُوع اي القلب فروية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح * ثم قالت وكيف رايت دكاكينها واسواقها * قلت اما الدكاكين فملآنة من الخز والحرير والتحف البديعة * قالت هل مَن هو فيها كما هو فيها * قلت فيها نساآ بيض حسان * قالت انا اسالك عن شي وانت تخبرني عن غيره * قد عرفت انك زائغ البصر فلن اسالك بعدُ عن

الناس وما اسال الّا عينى * هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا ترون فى جنسكم حسنا * قلت هى مثل خصلتكن معاشر النسآ فى انكن لا ترين فى جنسكن جمالا قد تكافأنا * قالت كيف تكافأنا وبيننا خلآ * قلت كل آت قريب * قالت وكل قريب آت * قلت لا ارضى بهذه الكلية بل قولى بعض القريب * قالت اذا ساغ البعض لم يُغَصّ بالكل * ثم قالت اخبرنى عن الاسواق * فقلت طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الانوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامراة اصلا * حتى كانّ الضباب ينجلى بها فى الليل ايضا * قالت هو من بعض المنافع الضارّة * الا ليت لى جُدًّا فانظر مرة محاسن هذا المصر من قبل ان اقضى * قلت لا تقنطى فانى ارجو ان نسافر اليها جميعا بعد مدة * قالت حقّق الله لنا هذه الامنية * فلما امسى المسآ بات كل منهما ثملا بذكر لندن على ما مال اليه خاطره فقامت فى الغداة تقول * قد رايت لندن فى المنام واذا برجالها اكثر من نسآئها * وطرقها واسعة كما قلت كثيرة الانوار * ولكن يمكن للرجال فيها ان ينفرد بامراة * وكانك انما تقوّلت هذا لكيلا اسيء فيك الظن * ولكن ما كنت لاصدقك من بعد ان تحققت انك غير امين فى الرواية الاولى * ثم بعد محاورة طويلة باتا تلك الليلة على اسم لندن * فاصبحت تقول * قد حلمت انى اشتريت من احسن دكاكينها ثوب ديباج احمر احمر احمر * قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون واهل لندن لا يحبّونه لا فى الحرير ولا فى الآديم * قالت ما سبب ذلك * قلت لان الحمرة فى الناس تكون عن كثرة الدم * وكثرة الدم مظنة لكثرة الاكل والشرب * وهى دليل على الرغب والنهم *

وانما يحبون اليلق لامهق * وكذلك العرب يحبون هذا اللون فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقاناة البياض بصفرة　　غذاها نمير الحيّ غير محلّل

فقالت ان كان هذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النسآ عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشر والبَتَع والكَرَع * فيوهمهم ذلك عجزهم عن كفايتهن * وان يكن من النسآ وقد نطقن به فما هو الا مواربة ومغالطة * فان لانسان بالطبع يحب اللون لاحمر كما يشاهد ذلك فى لاطفال * وناهيك ان الدم الذى هو عنصر الحياة احمر * قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو فى ذلك اللون الذى يرغب فيه اهل لندن * قالت فهذا هو السبب اذًا * لان قد حصحص الحق وبان * اما انا فعلى مذهبى لن احول عنه * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فقلت بودى لو كنت احمر احمر احمر حتى تحبينى وان كنت احمق احمق احمق * قالت وما انتفاعك بالمحبة اذا كنت احمق * وانما يعود النفع لى فى تركك اياى مع لاحمر * قلت اتزعمين ان العلم يمنع المراة عن اجرآ ما تضمره وان الحمق يمكنها منه * قالت لا والله بل ربما كان فى الحمق لها اكثر * فان الاحمق يلازم امراته ويظل محملقا فيها والعالم يحملق فى كراريسه * وكيفما كان فلم ارَ اسفه ممّن يحرّج على امراته ويلازمها * فان الرجل كلما اعنت المراة ونكنك عليها بالملازمة والكنكنة زادت هى فى تماديها فلا يردها شى عما ارادته سوى حشمتها وحيائها * واكثر الرجال حمقا وسخافة من ادا اوحس من زوجته الميل الى شخص قال لها تزهيدا فيه * ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لا يبالى بما يقول و يفعل *

فاذا حضر مجلس ذوى الادب فاول ما يفوه به قوله قد راودت فلانة وخلبتها وفتنتها * وقد عشقتنى وعشقتها * كانه اى الزوج يحذرها من الاسترسال الى هواه مخافة ان تنفضح بين الناس * او ان يقول لها ان فلانا ورع تقىّ يتقى مغازلة النسآ اتقآ الافاعى * كانه يقول لها انك ان تعرّضت له فى الهوى جبهك وندهك وفضحك * فقد تقرر فى عقول الرجال ان كل امر من امور الدنيا والاخرة يشين عرض المراة ويهتك حجابها * مع انه لا شى يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه مسرف مشط فى حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه اذى * فهى والحالة هذه تزيد حرصا على فتنته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع اسرافه فى محبتها * قال فقلت نعم ان كيد النسآ كان عظيما *





الفصل السابع

في الطباق والتنظير

لانسان كما قالت الفارياقية مجبول على السآمة والملل * ومتى ظفر بالعرض * استحوذ عليه الغرض * وما دام الرجل المتزوج جلس بيته ويسمع من زوجته هات واشتر وجدّد واصلح ودّ لو انه يكون عزبا ولو راهبا في صومعة * فاذا تغرب عنها وراى الرجال يمشون مع النسآ سوآ كن حليلات او خليلات أنِف من الصومعة * وهاج به الشوق الى ان يكون له امراة يماشيها مثل اولئك وان كان مشيهم وقتئذ للتحاكم والتخاصم لدى جناب القاضي * فينبغي للزوج الملازم لكِنّه والحالة هذه ان لا يزال متصوّرا انه غريب في ارض بعيدة عند اناس يخدعونه ويعبنونه ويهجونه بمرافدهم * او ان زوجته قد سافرت عنه الى اناس يعاقرونها المدام * ويرفدونها على فرش من ريش النعام * ويغازلونها فتغزلهم * ويباعلونها فتبعلهم * فاذا فعل ذلك هانت عليه نغمات هات واشتر * وهذا جدول عن الفارياق بيّن فيه الاحوال التي يقول فيها المتزوج

ياليت ما عندي امراة	وياليت عندي امراة
اذا تزبرقت وتربرجت وتزلقت	اذا سار وحده الى المنابة والمحافل
وتبرجت وتعطرت وتبغنجت وقالت	والمحاشد والملاهي والمراقص
له قم بنا الى المثابة والمحافل	وراى النسآ فيها متزبرقات
والمحاشد والملاهي والمراقص *	متزبرجات الخ *

اذا خرج معها وقد نفجت صدرها واحكمت مرفدها ثم طفقت تتبارى وتوكوك وتمبس وتنزوزك وتميل عنقها وراسها *

اذا سار وحده وراى من قد نفجت صدرها واحكمت مرفدها ثم غدت تتبازى وتوكوك الخ *

اذا مشى معها فرايت نقطة ماآ في الطريق فشمرت عن ساقيها لتبدو حاثاهما *

اذا مشى وحده فراى من شمرت عن ساقيها عند رويتها نقطة ماآ في الطريق الخ *

اذا سار معها في يوم ذى ريح وعمدت الى كشف الثوب عن صدرها وعجزها *

اذا سار وحده في يوم ذى ريح وابصر من عمدت الى كشف الثوب عن صدرها *

اذا جعلت دابها ان توقع مندبلها او تربط شراك نعليها ثم تكبّ فتبدى عجيزتها *

اذا سار وحده فراى من تكب لتربط سراك نعليها او تلتقط منديلها فتبدى عجيزتها *

اذا جعلت شيا في فمها تلوكه وهي ماشية توهم من يعجبها من الفتيان انها تسر بقبلة او اذا غمزت احدا ورمزت وامرت *

اذا ابصر من تلوك شيا وهي ماشية وحسب ذلك اشارة اليه بقبلة ثم غدت تغمر وترمز وتلمز وتابز وتنغر وتنفز *

اذا صادفت رجلا من معارفها في الطريق فطفقت تعانقه على طول غيابه عنها ثم امسكت يده وعصرتها عصرا شديدا *

اذا راى امراة تعانق رجلا على طول غيابه عنها ثم اخذت يده وعصرتها عصرا شديدا حتى احمر العاصر واصفر المعصور او بالعكس *

اذا [illegible] فيها ديباج نفيس فجعلت تسالها فن سعره وعمن يبيعه *

اذا لقى [illegible] احبابهما الاخرى وتلك [illegible] تشير بيدها اللطيفة الى [illegible] *

اذا صادفت احدا فى الطريق فاشارت اليه ان اتبعنا فاخذ يمشى عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها وجعلت جل الكلام مع الزبون *

اذا وجد رجلا بين امراتين [illegible]ار امراة بين رجلين ففى الحالة الاولى طلبا للمرازمة وفى الثانية ثقة بالكفاية لان طعام اثنين يشبع ثلثة *

اذا رجعا الى البيت وصرحت له او عرضت بشرآ الديباج ولم يكن عنده دراهم تكفى *

اذا رجع الى البيت وراى ان عنده مالا وليس من تلبس الديباج وتجلس الى جانبه *

اذا قالت له وهما على المائدة لتغصه ما اجمل فلانا الذى ماشانا وما الطفه وابره واتره واطره واحره وادره *

اذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر ويقول فى نفسه ما اجمل فلانة التى رايتها تمشى مع فلان وما الطفها واترها واطرها وادرها *

اذا بات تلك الليلة وهو تعب موجع الراس حتى اذا اغفى قليلا احس بحركة منها فى جنبه فقضى دينه متكارها *

اذا بات تلك الليلة وهومستريح ناشط ثم احس بحركة منه فمد يده فجات على الحائط او على مسمار او وتد فدميت *

اذا سكن منزلا وكان جاره الادنى منه فتى جميلا فجعل يتردد عليه بعلة الجارية *

اذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة جميلة ولم يمكن له ان يمت اليها بوسيلة الجارية *

اذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو ويئن فلزمت هي الشباك وهي تمكو وتحنّ *

اذا جآ وقت الصيف ففتر وفدر وجفر وحَصِر واسترخت عروقه فاثر ان يبيت وحده *

اذا عنّ له سفر لا بدّ منه ولم يمكن له مصاحبة زوجته *

اذا غاب عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تغيره به وتكيده وتقهره *

اذا قرا في الكتب ان النسآ كلهن خائنات وان عقولهن في فروجهن *

اذا ركبه الضَفَف فلم يقدر على كفاية عائلته ولم تكن امراته جميلة لتنفعه *

اذا جآ من محترفه وقابلته امراته بالصخب والمشارزة والنقار والضجيج والجؤار *

اذا غاب عن بيته ورجع فوجد فراشه

اذا راى جاره مريضا في الفراش يشكو ويئن وزوجته بجنبه تحنّ وتهنّ *

اذا جآ وقت الشتآ فاشتدّ واستد وامتد واحتد ونبضت عروقه فالوان يبيت مع من تنفخ في وجهه *

اذا راى جاره قد سافر وترك زوجته خبعة طلعة راغية ثاغية *

اذا غاب رجل عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تصبّره به وتسلّيه وتمنّيه

اذا سمع عن امراة انها لم تخن زوجها وانها ردّت في حبه هدايا عشاق كثيرين *

اذا راى امراة جميلة تماشي ولدا لها صغيرا بريعًا فيقع في الارض فتنهضه بيدها فيبكي فلبلا حتى يحمر حذاه *

اذا راى جاره قد اتى من محترفه فسمع له ولزوجته زَنَلا وزَجَلا وهمسا وركزا ومباغمة ثم رَفَثا *

اذا رجع الى بيته فاترا بوطر ووجد فرشه

سقوطها . وشعر امراته مشتّتا بعد ان كانت اصلحتها قبل خروجه *

موصوفا وليس من الملاءة بشعرها ولحمائم راى فى جملة ذخائره خصلة شعر *

اذا رآها تسارّ الخادم او الخادمة وتانس بهما وتتساهل معهما وتحسن اليهما *

اذا راى امراة لا تسارّ الخادم ولا الخادمة ولا تبتسم لهما ولا تخلو باحد منهما *

اذا رآها تتوقف فى المشى كلّما مرّ بها جميل بدعوى ضيق نعلها او غيره *

اذا راى امراة تماشى زوجها وطرفها اليه ولا يرعجها من يمرّ بها كائنا ما كان *

اذا اضطجعت حتى ينظرها من هو اعلى منها او اسفل واشوق ما تكون المراة ما اذا اضطجعت على جنبها *

اذا راى امراة قد اضطرّت الى الاضطجاع وابت ذلك حيآ وحشمة سوآ كان ذلك فى حضور زوجها او فى غيابه *

اذا كانت ذات هوى وصلع مع جيل بخصوصه ولا تزال تلهج بذكره *

اذا كانت المراة غير ذات ميل وجذل مع احد وعندها ان زوجها يغنيها عن غيره *

اذا غاب عن بيته ثم رجع فلم يجد امراته او اذا قرع الباب فلم تفتح له فى الحال *

اذا راى جاره كلما رجع الى منزله وجد امراته مقبلة على الشغل ولا يكاد يطرق الباب الا ويُفتَح له *

اذا سمعت آلات الطرب فغدت تترنح وتترقص وتقول آه اوه ابد *

اذا سمع امراة تقول وقد سمعت آلات الطرب ان صوت ابنها الصغير اشجى منها *

اذا كانت تسهب مع الفتيان فى الكلام وتضحك معهم حتى تقول طيخ طيخ وعيناها اذ ذاك مغازلتان ووجنتاها محمرّتان *

اذا راى امراة تكلم الحاضرين كلّا بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ طيخ ولا يبدو فى سحنتها احمرار ولا اصفرار *

اذا كتبت على قميصها حروفا انكرها او راى فى شفتيها اثر العض والكعام *

اذا سمع ان امراة تكتب على قميصها اسم زوجها ولم يُرَ فى شفتيها او خدّيها اثر ما قط *

اذا سمعها تذكر اسمآ رجال فى المنام او اذا تحالمت فذكرت ما كان يعجبه ويرضيه *

اذا بلغه ان جاره يكاعم امراته ويشامرها فلا تحلم له ولا يحلم لها *

اذا رآها تكره ولدها وتلهى عنه وعن امور البيت بزينتها وتبرجها *

اذا راى امراة تحب ولدها وتحمله ولا تلهى عنه ولا عن بيتها *

اذا قعدت بالشباك لتخيط شيا فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة حتى جآ عملها فاسدا فاضطرت الى فتقه واصلاحه *

اذا راى امراة تخيط لزوجها او لولدها شيا من غير ان تتخلل الدرزات نظرات وزفرات فجآ عملها محكما من اول وهلة *

اذا وضعت القدر على النار لتطبخ شيا ثم شرعت فى الغنآ حتى تهوست فنسيت القدر والطبيخ فتشيّط *

اذا راى امراة تضع القدر على النار ولا تلهى عنها فياتى الطعام قديا مشهيا معينا على الباه والرفاد *

اذا تمنت ان تكون فى المواضع

اذا كانت تبعد عن المنابه ولا

التي يكثر فيها تردد الرجال كفندق
وخان ونحوهما *
اذا كانت تصرّح او تعرّض لزوجها
بانها تحب السمان الطوال من
الرجال مثلا وهو ليس منهم *
اذا كانت تعيب على زوجها انه غير
متصف بالمِلْثية ولا بالقُمُدّية *
اذا وافى منزله وقت الغدا او العشآ
ساغبا لاغبا فلم يجد شيا ياكله لان
زوجته لهيت عن الغدآ بتصلبح
ثيابها وتغيير زيّها وعن العشآ بلبسها
وجلوسها بالشباك لتنظر وينظرها
المارّون *
وما اشبه ذلك *

تشتهي ان تدخل في زحام ليقرصها
واحد ويغمزها آخر *
اذا كانت المراة تقول امام زوجها
او غيره بانها لا تحب الطوال من
الرجال حالة كون زوجها قصيرا *
اذا كانت امراة مفسّلة تعفّفا وشكت
من ملنيّة زوجها وقمدّيته *
اذا وافى منزله وقت الغدآ او العشآ
فوجد على مائدته كل ما تشتهيه
النفس فاكل وشرب وطاب نفسه
ثم راى من شباكه جارته تلبس
ثيابها وتنظر الى ما ورائها لتعلم هل
الثوب والعجيرة هما كشنّ وطبقة اولا *
وما اشبه ذلك *



الفصل الثامن

في سفر معجّل وقسوم عجّمي رفل

وظل الفارياق معالجا للشعر وقد ضاق بهم ذرعا * اذ لم يحصل من علاجهم فائدة فاصبح يحاول التملص من هذه الحرفة ولا سيما انه كان مطبوعا على الملل والجزع * واتفق في غضون ذلك ان سافر الى فرنسا المولى المعظم * احمد باشا باي والي ايالة تونس المفخم * وفرّق على فقرآء مرسلية وباريس وغيرهما اموالا جزيلة شاع ذكرها ثم رجع الى مقامه * فراى الفارياق ان يهنئه بقصيدة فنظم القصيدة وبعث بها على يد من بلّغها لجنابه * فلم يشعر بعد ايام الّا وُربّان سفينة حربية يطرق بابه * فلما دخل واستقر به المجلس قال للفارياق قد بلغت قصيدتك لجناب سيدنا الاكرم * وقد امرني ان احملك اليه في البارجة * فلما سمع ذلك استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمري ما كنت احسب ان الدهر يترك للشعر سوقا ينفق فيه * ولكن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يعقه عنه الشعر ولا غيره * الا فاخبري بافاربة المهراق * واسلفي فما يضربني اليوم اسلاق * وقحّي ما استطعت ان تقحّي * وصرّخي وصيّحي وتحي * هذا يوم نعق فيه المكشش * ونشق فيه من وهن * ونشوق به ذو الذدن * ويقار العين * هذا يوم تستحسن فيه الترويح * ويُلعب

[illegible] وتقسم الجلهوبة والسوهلق * وتجنب السفرنيم ثم
الخفلق * علمى فاتخذى مذ اليوم ظهرا * فانى ارى فى الزند إيرا *
فقال الربّان وقد استعجم عليه الكلام ما هذه اللغة التى تتكلمون بها
لعمر الله ما فهمت شيا مما قلتم * اهذا اللسان تحمل فى راسك الى
تونس * وبهذه الالفاظ تخاطب سيدنا واهل الفضل من رجال دولته *
قال لا وانما هذه لغة اصطلحنا عليها فلا نستعملها الا نادرا * فقال
الربّان ينبغي ان تتاهّب الى السفر ولك ان تستصحب ايضا عائلتك
اذا شئت * فان سيدنا اكرم الناس لا يسوءه ذلك * فتاهب الفارياق
هو وعائلته وركبوا فى السفينة وبعد مسير اثنى عشر يوما والريح مخالفة
كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق الواد * فامر المولى المشار اليه بنزولهم
فى دار امير البحر * وهنا ينبغى ان نلاحظ مزية الكرم التى خص الله تعالى
بها جيل العرب دون سائر الاجيال * وذلك ان استدعآ المولى الموما اليه
لم يكن لجميع من دبّ ودرج بمنزل الفارياق بل كان خاصّا به وحده *
الا انه لما بلغ مسامعه الكريمة قدوم مادحه باهله لم يستأ من ذلك ولم
يقل ما اقلّ ادب هذا المدعو وما اصفق وجهه لقدومه علينا مزويا * ولم
يقل لربّانه قد خالفت القوانين السياسيّة والاوامر الملوكية فلننزعنّ عن
كتفيك هدّاب منصبك حتى تكون عبرة لمن اعتبر * بل بقى الربان
متشرفا بهدّابه * والفارياق متمتعا باهدابه * وبوّئ اكرم مبوّأ فى دار
امير البحر واجرى عليه الرزق الكريم * والحبر العميم * ولو ان احد اعيان
الافرنج دعا شخصا واتاه ذلك الشخص ومعه غير نفسه لجبهه عند اللقآ
بل لم يكن ليلقاه قط * لا بل نساوهنّ لما كنّ يدعون الفاريافية كن
يقلن لها انك انت المدعوة فقط اشارة الى عدم ازوائها بخادمتها

وطفلها * وليت شعرى اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحضار شاعر ولغمره اياه بالمال والهدايا النفيسة * فلعمرى ان مادح ملوكهم لا جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتفنيده * مع انهم اشد الخلق حرصا على ان يشكرهم الناس ويمدحوهم * ولكنهم يانفون من ان يمدحهم شاعر يريد نوالهم * فلمن هذا المال الذى يدّخرونه * ولآية داهية من الدواهى يُعتدونه * وهم الطاعمون الكاسون * الحاسون اللاسون * ام يخشون ان يلمّ بهم صفف او قشف * ام يحسبون ان صلة الشاعر من السرف * ولهذا اى لكون الكرم مزية خاصة بالعرب لم ينبغ فى امة من الامم شعرآ مجيدون مفلقون كشعرائهم على اختلاف الامكنة والازمنة * وذلك من زمن الجاهلية الى انقراض الخلفآ والدولة العربية * فان اليونانيين يفتخرون بشاعر واحد وهو اوميرس (Homère) * والرومانيين بفرجيل (Virgilius) والطليانيين بطاسو (Tasso) والنمساويين بشلر Schiller والفرنسيس براسين ومولييـر (Racine et Molière) والانكليز بشكسبير وملطون وبيرون (Shakspeare, Milton et Byron) * فاما شعرآ العرب المبرّزون على جميع هولاء فاكثر من ان يُعدّوا * بل ربما كان ينبغ فى عهد واحد فى زمن الخلفآ مائتا شاعر كلهم بارع فائق * وذلك لان اللُّهى كما قال نفتح اللّها * على انه لا مناسبة بين الشعر العربى وشعرهم * لانهم لا يلتزمون فيه الروىّ والقافية وليس عندهم قصيدة واحدة على قافية واحدة ولا محسنات بديعية مع كثرة الضرورات التى يحشّون بها كلامهم * فنظمهم فى الحقيقة اقل كلفة من نثرنا المسجّع * وما احد من شعرآ الافرنج استحق ان يكون نديما لملكه * فغاية ما يصلون اليه من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخّص لهم فى انشاد

شعرهم في بعض الملاهي * فاىّ هوانٍ يلحق جناب الملك المعظم من اتخاذه الشاعر نديما وكليما * ام يقال ان شعرآ الافرنج كثيرون بحيث لا يمكن للملك ان يختار واحدا منهم على غيره * أروني اين هم هولآ الكثيرون على خرنته السعيدة * كم في بلاد الانكليز الان من ناثر * وكم في بلاد فرانسا من ناظم * وهنا ينبغي ايضا ان اضيف ملاحظة اخرى فاقول * انه قلما ينسغ شاعر عربي او عجمي ويعجب الناس جميعا * فان من الشعرآء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار المعنى * وبعضهم يعنى بالمعاني دون الالفاظ * وبعضهم يتحرّى اللفظ الرقيق والعبارات المنسجمة * وبعضهم الغزل وغير ذلك * ولا تكاد تجتمع هذه المزايا كلها في شاعر واحد او تجتمع عليها اخلاق الناس كلهم * فان من كان من بنى نَظَرى ذَبَّ الرياد شَجِما لَجِما مُمْحَضعا متصندلا زِبْر النسآ وخِلْبهن وشِيْعهن ونِسّاهن وحِدْثهن وطِلْحهن وطِلْبهن وجدنهنّ وعُلّهن ورُنُّوهن وخُرْقوصهن (١) فاقحا اياهن حيث سرن * وكارزا لهن ايان برزن * لا تهمه الحماسة ولا منازلة الاقران * فعنده ان قول امرء القيس

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له   بشق وتحتى شقها لم تحوّل

احسن من قول عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته   بمهند صافى الحديدة مِخذم

ومن يكن عِزْوا او عَزِها او حصورا او عِنْولا مُقْطَعا او متأبدا او عُنْكُشا عِتْبلا او صَيْقما صمكمكا كُبُكآ ليس به حصنة الى العَبْهرة العجنجرة * والعياذ بالله من ذلك * صرف ذهنه الى الزهديات والحكميات * انتهى

ثم ان الفارياق انتقل الى المدينة وهناك تعرف بجماعة

(١) الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزنبور او القراد تلصق بالناس او اصغر من الجُعَل تنقب الاسافي وتدخل في فروج الجوارى *

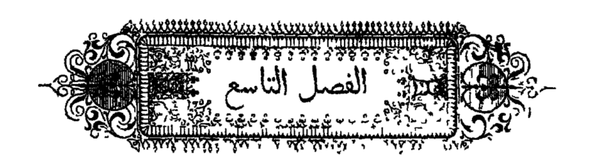
من اهل الفضل والادب * منهم من ادبه ومنهم من اترفه * وهناك حظى بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلات الوافرة * وساله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفرنساوية * قال لا ياسيدى ما غنيت بها * فانى ما كدت اتعلم لسان الانكليز حتى نسيت من اعنى قدر ما تعلمته منه * فقد قُدّر على راسى ان يسع قدرا معلوما من العلم فمتى زاد من جهة نقص من اخرى * فلما اخبر زوجته بذلك قالت له * الم اقل لك غير مرة عَدِّ عن الغزل بالنسآ وتعلم هذه اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك * ماذا تريد من الغزل وعندك زافنة * قال فقلت نعم ورافنة * ثم قالت ماذا يفيدك وصف العِين بالحَور * ولست منهن تقضى الدهر من وطر * اليس ورآك منى رقيب قريب * قلت بلى والله انى ما خلوت قط بامراة فى الحلم الا ورايتك وراها * حتى كثيرا ما شاهدتك تمزقين ثوبها وتنتفين شعرها ثم تتبوّاين مكانها وترسلينها فارغة * فقالت الحمد لله على ان القى رُعبى فى قلبك فى اليقظة والمنام * قلت قد بدا لى ان انتقل من التغزل بالنسآ الى هجوهن فعسى ان انتقل بذلك الى حال احسن * قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلنى فى الجملة * ولكن قف قف لا تذكر النسآ لا فى النسيب ولا فى الهجآ * فانك اول ما تذكر اسمهن يدور راسك وينبض فيك العرق القديم * كلّا ثم كلا * قلت ولكن فى مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امراة * فقالت وقد اتقدت عيناها من الغيظ مَن هذه الفاعلة الصانعة * قلت هو اسم عربى * قالت آه هو من ضلالك القديم * ولو كان اسما عجميا لقمت الان واحرقت ديوانك هذا الذى هو علىّ اشد من الضرة

لانك تصرف فيه نصف الليالي * فقلت لكن هذا النصف ليس بمانع من كله * قالت لكن ذاك الكل حق لي وضعفي مثله * قلت صدقت ما خُلق الليل الا للنسآ وما خلقن هن الا لليل * قالت سلّمتُ بالاولى ولا اسلّم بالثانية * فان النسآ خلقن للنهار ايضا * قلت نعم ولكل ساعة منه وليس للرجل همّ في الدنيا غير امرأته * قالت الاولى ان تقول اهتمام * قلت في كل اهتمام همّ * قالت هذا عند الرجال من قبلهم وليس كذلك عند النسآ * قلت هو من خفة عقولهن وثقل نهمهنّ فان اللذة تذهلهن عن الدين والدنيا معا * قالت بل هن يجمعن بين الثلثة في مكان واحد وآن واحد * واما انتم فمتى كلفتم بواحدة منها اشغلتم الاخرى * وهذه من المزايا التي مزّانا بها الباري تعالى عليكم * ألا ترى ان المرأة اذا سمعت مثلا خطيبا جميلا يخطب في الناس ويزهدهم في الدنيا تلذذت بكلامه وشغفت حبا بجماله وبكت زهدا في العالم * قلت بودي لو كانت النسآ يخطبن على المنابر كالرجال * قالت اذا لابكينهم دما * ولكن هيهات فان الرجال من اثرتهم استبدّوا بجميع الامور المعاشية والمعادية وبمراتب العزّ والجاه * وحرموا النسآ من ان يشاركنهم فيها * فما كان ابهج الكون واعمره لو كانت النسآ تتولى هذه الرتب * وكما ان الدنيا مؤنثة وكذا السمآ والارض والجنة والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة والسعادة والحظوة والغبطة والعزة والنعمة والرفاهية والأبّهة والعظمة والخطابة والفصاحة والبلاغة والسماحة والشجاعة والفضيلة والمروة والحقيقة والملة والشريعة والايالة والولاية والزعامة والرئاسة والحكومة والسياسة والنقابة والنكابة والعرافة والامارة والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة * واخص ذلك المحبة واللذة والشهوة *

فما كان اجدرها بان تشرف بالنسآ * قلت قد نسيت العفة والحصانة * قالت لم تخطر لى ببال والّا لذكرتها * قلت ولكن البعال مذكر * قالت اين انت من المباعلة * قلت والهكهكة * قالت وما الهكهكة * قلت مضاعف هكّ هكّ اى هَنَى هنى اى طحز طحز اى فعل فعل * قالت هى احسن مما تقدم * قلت فقولى اذا اخيرًا والا فهو كفر وخمج * قالت على النسآ لا حرج فان منهن الفرج * قلت نَعَم الفَرَج اذا ابصرن ذا فرج * قالت والارج * قلت والمَرَج * قالت وهن احق بذى بَرَج * قلت وبمن نيرج * قالت الجمع بينهما بلج * قلت والثانى عند تعذر الاول هو الافلج * قالت وبه اللسان الهج * ثم عزما على الرجوع فسفرهما المولى المشار اليه فى سفينة النار

*





الفصل التاسع

في الهيئة والاشكال

وبعد ان وصل الفارياق الى منزله جاءه بعض معارفه وسأله عن سفره * واسرّ اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نساء اليهود في تونس ما رأى حسانا * وانه ان يكن قد أُنزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى فانه انما نزل بالرجال فقط * فقالت امرأته من وراء الباب قد سمعت ما تقول بل المسخ وقع على النساء * قال حيث قد سمعت نجوانا ولا يخفى عليك مني خافية فضمي نفسك الينا لنخوض في هذا الحديث المستحب * قالت اجل انه ما يخفى عن اذني همهمة * ولا عن عيني سمسمة * ثم انها تصدرت في المجلس وقالت * قد اعجبني من زيّ الرجال في تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم * قال فقلت بل زي النساء اعجب واشوق * فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب ما يغطيها ومع ذلك فالسراويل تخفي خصورهم وما يليها * فاما النساء فسوقهن بادية ولا شيء يستر حقائبهن * فترى المرأة تمشي في اوان الحرّ وثوبها ينبئ عما تحته من مكتّب ومقبّب * ومقعب ومقوّب * ومكعّب ومكعثب * فقالت بودي لو كان زيّ النساء كهيئة اجسامهن * فان هذا يكون فاحشا من وجههن * لان المتزيية بد ان

كانت ركراكة عندلة لفآ كانت فتنة للناس وعطّلت عباد الله عن اعمالهم * وان كانت دردحة او رسحآ كانت وبآء على الناس واجحرتهم في بيوتهم تطيّرا منها * قالت ما سبب كون الرجال في هذا البلد يتزيّون بزى كهيئة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محظور من رؤيتهم * افكل ما تفعله الرجال يسوغ وما تفعله النسآ يُغضّ به * لعمرى ان هذا الزى احسن من زى رجال بلادنا * فانك ترى من له سراويل منهم يمشى ويفحج كالشاة للحلب * وكثيرا ما تلتف عليه من قدام ومن خلف فتعوقه عن المشى فضلا عن الجرى * ولو انه كان مثلا في محترفه وقال له قائل قد زارك اليوم في منزلك فتى غسّانى فرهد * ولمّا لم يجدك لبث ينتظرك وها هو الان هناك * وقد احتفلت به زوجتك وهشّت اليه وبشت وهى التى نبّطته وامرت الخادمة بان تمرض او تتمارض حتى تنفى عنك الشبهة * اذ لو بعثتها اليك وخلا لهما المكان لرابك امرهما واعتقدت ان زيارته لها انما كانت عن موعد * وانها هى المقصود بهذه الزيارة لا التشوق الى روية سحنتك * وغير ذلك من الكلام الذى يفور به الدم وينتفخ منه الحملاق * فكيف يمكن له والحالة هذه ان يحفد الى منزله وبين فخذيه ما يذهب به هنا وهناك * ثم ضحكت وقالت نعم وترى منهم من له جبة يمشى ويكنس الارض باذيالها فيلصق بها كل ما فى الارض من النجاسة والقذر * حتى اذا وافى بيته ملأه بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجته منها ما يرد الطرف عنها وان كانت عَبِقة * لان الرائحة الخبيثة تغلب على الرائحة الطيبة كما يقال * وفضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها كثير من هذه التى تلبسها الافرنج الى خصورهم * وليس للرجل اذا لبسها

من هيئة ولا شارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره * وما
خلق الله الانسان على هذه الصورة الا واراد ان تكون ظاهرة كما هى *
قلت قد رايت الافرنج فى بلادهم صيفا وشتآء فاذا هم يسترون ادبارهم
بهذه الجبب المزنقة * ولا يمشى احد منهم فى الخارج ظاهر الدبر كما
يمشى هولآء القوم القليلو الحيآء فى هذه الجزيرة * قالت والبطون والافخاذ *
قلت ظاهرة * قالت قد شفع هذا فى ذاك فاما سترهما معا فشنيع *
لعمرى ان الناس لم يهتدوا الى الآن الى زىّ حسن يوافق هيئة الجسم
ويلائم للعمل وبه شارة * فان هذه البرنيطة لا تعجبنى وليست ملائمة
للوجه لا فى النسآء ولا فى الرجال * لانها اشبه بالقفة او الزنبيل او
الغِرْطالة او السلّة او العَيْبة او العِكْم او المرجونة او الجوالق او الخُرْبة
او اللِّبد او الجُرْجة او الغَفْر او الجُقّ او القَفْعة او الجُلّة او القَشْع
او المُدارة او القَلْع او الكِنْف او القُنْبع او المِخْرف او القِبْع او الزكيبة
او الجِوآء او القَوْصَرّة او القَوْد او التلّيسة او الوَفيعة او الجِلْف او الخَصَفة
او الدَوْخلّة او السَفَط او الحَفْص او المِيْضَنة او الصُنّوت * وهذه العمائم
دونها فى القبح * وهذه الحَبَر التى تلبسها نسآء مصر لا حسن فيها فضلا
عن غلائها * واقبح من ذلك كله هذا الحزام الذى تتحزّم به الرجال فانه
يملأ الخصر والصدر ويمنع الطعام عن الهضم * واقبح منه هذا الشريط
الذى يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن
سريانه فى الارجل * وليس فى زى نسآء الافرنج حسن الا كونه ملائما
للمرافق * وقد طالما كنت مشغولة البال بهذا وحاولت ان اخترع زيا يكون
فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما امكن
فلم يفتح الله علىّ الى الآن * وعسى ان يتحه لى ذلك عن قريب فاكون

معدودة من جملة المستنبطين فى هذا العصر * قلت وهل لم يخطر ببالك الاقتصاد قط فى استنباطك * قالت لا فان خير المال ما انفق على المراة * قلت بل على هذه الخزانة واشرت الى سهوة الكتب * قالت اوْ تعانق الكتاب فى ليلك وتشاعره * قلت ان الرجل حين يشاعر زوجته ليلًا لا تكون متزينة باللباس والحلى بل تكون عريانة عند قوم * وفُرجا او متفضّلة او هِلّا عند اخرين * فيصدق عليها ما قيل   شعر

يتفخّل الانسان جل نهاره   حتى يفوز بعادة فى ليله
فاذا استقرا فى الفراش بدت له   جهواً مثل البس تحت ذُيَيلهِ

قالت بل فى تبرّج المراة وزينتها نهارا تشويق وتهييج لزوجها ليلاً * قلت نعم ولجارها ايضا * قالت بل ولنفسها كذلك * قلت ما فهمت هذا المعنى البديع هل المراة اذا نظرت الى زينتها تكرع * قالت لا شك فان الزينة حُسْن وكل حُسن فانما يذكِر بالحُسن * حتى لو نظرتْ جوادا مطهّما او متاعا نفيسا او شيا آخر من زينة السماوات والارض لكان اول ما يخطر ببالها شخصا متصفا بالجمال * قلت فهو اذًا تصور مطلق غير معيّن * قالت ان كان الاشوق فى العيان * فهو الاسبق الى الاذهان * والا فاى كائن كان * قلت وعلى فرض حضور الزوج وشرط كونه عليه مسحة من الجمال * فهل له خطور بالبال * قالت اذا وُفّق الى التمليق والتعريب فقد يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة * قلت قد لمحت الى هذا المعنى سابقا وفهمته حق فهمه * ولكن اسالك سوال متحرّ غير ذى ضَلع ولا صَغا * هلّا يجب على المراة ان تقدم زوجها فى الذكر والتصوّر من حيث ان له المزيد والتفيد * وحالة كونه

نبخها واباها وحليلها ونقّاحها وكميعها وكفيحها وضجيعها وعقيدها وعهيدها واكيلها وشريبها وجليسها وسميرها وحليفها وعشيرها واليفها ونجيّها وضمينها ووليّها وكفيلها وكليمها وعنيقها ونديمها وخليطها وعميلها وشريكها وخليلها * قالت نعم ورقيبها وسبيبها وشعيبها وعقيبها وغضيبها وكليبها ولتيبها ووثيبها وحيصها وخصيمها ولريمها وزحيمها وبيزها ولقيسها وفقيسها وفقيسها وجاسوسها وعاسوسها وجاروسها ونافوسها وفانوسها وكابوسها وناطورها وناقورها * قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دَلّ المراة ودَلالها تدللها على زوجها تريه جِراَة عليه فى تغنّج وتشكّل كانها تخالفه وما بها خلاف * وقال ايضا تبعّلت المراة اطاعت بعلها او تزينت له * وفى موضع آخر تقيّأت تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه (انتهى) فهذا دليل على ان حركات المراة كلها ينبغى ان يكون مقصودا بها الروج لا غير * قالت لا غرو ان يكون صاحبك قد قيّد هذه الحركات بالزواج تفرّدا بها من عنده * او انه تابع بعض اهل اللغة المشفشفين على ذلك * فان الرجال دابهم ان يدّعوا ان المراة لم تخلق الّا لارضآ زوجها وتعليله وتمليقه * وان اللغة انما وضعوها استبدادا منهم عن النسآ وافتئاتا كما هو دابهم فى غير ذلك * مع ان اللغة انثى ولو كانت من وضع النسآ وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بدّ له من ماهية انثوية لكُنّ وضعن الفاظا تدل على من لا يفكر فى غير امراته * وعلى قصر طرف الرجل عن النظر الى سواها * وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها * وعلى الباسه اياها ونضوها من ثيابها * وعلى تمشيطه شعرها واحرازه مُراطة منه للنظر اليها اذا غاب عنها ساعة ما * وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها * وعلى من يرى زوجته احسن النسآ * ومن يريد حبه لها بازدياد رؤيته لغيرها *

او على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى او يُغشَى عليه او يكبّ على وجهه او ياخذه الدُوار او الهيضة * وعلى من يتخذ صورتها فيعمّ بها حيطانه وكتبه ومتاعه * فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية واخرى مكبّة * وبعد فقد تركنا لكم اللغة تتصرفون فيها كيفما شئتم فلمَ لا تتركون لنا خواطرنا وافكارنا وهي ليست من الحركة ولا السكون * فاما دعواك بالمزية والقفية فاني اخبرك خبر من لا يجمجم عليك رئآء او حبآ * انه لا مزية للرجل على المراة في شي * اذ ليس من قفبة للرجل الا وللمراة مثلها * فاما كفالته اياها فينبغي ان اقول لك هنا دقيقةً قلّ من تنبه لها * وهي انه قد يجتمع مثلا شخصان في شركة او دعوة او زواج ويكون قد تقرر في بال احدهما ان له منّة على صاحبه * وذاك الممنون عليه يعتقد باطنا وظاهرا انه مظلوم * مثال الزواج ما اذا كانت البنت قبل زواجها تهوى شابا ولم يمكنها ان تتزوج به فتزوجت آخر * فرات من افعاله واطواره ما انكرته * فيخطر ببالها ذلك الذى فاتها فتقول في نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق * فلو اني تزوجت به لكنت الان في اهنا عيش * وزوجها يظن اذ ذاك انه اسدى اليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد ان فاتها خليلها الاول * فكان ينبغي للرجال والنسآ ان يمعنوا النظر في احوال الزواج قبل ان يرتبقوا فبه * وعلى الرجل ان لا يتزوج من كانت تهوى آخر قبله * وعلى المراة ان لا تتزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والاملاق * او من كان يهوى اخرى وهو عزب * ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذى قدّم راس المال من عنده والقى عبءْ المصلحة على رفيقه * فكل منهما يحسب انه ذو منة على شريكه * ومثال الدعوة ما اذا دعاك احد الى الغدآ في العصر وكانت عادتك ان تتغدى في

الظهر * او اذا قدّم لك من الطعام ما تعافه * فقد ركز فى طبع كل
انسان ان يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره * او اذا تكرم عليك
وقت الغدآ بقُدَيرة وكُسَيرة وجُرَيعة غير عالم ان المادوب تكبر معدته عند
الآدب وتتسع امعآوه * او اذا دعاك الى منزله وكان بعيدا عن المدينة
فلزمك ان تكترى مركبا بما يساوى غدائين وعشائين عنده * او اذا كنت
مثلا عند احد اكابر الافرنج لمصلحة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات
من غير اكل فامر خادمه بان يقدم لك لهنة من الخبز ومن هذا الجبن
المُخنّى * وبك اذ ذاك قَرَمٌ الى اكل دماغه * فايّكما والحالة هذه الممنّ
والممتن عليه * او ان يكون احد فى خدمة امير فالمخدوم يعتقد ان خادمه
ممنون له لكونه ياخذ ماله * والخادم يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه
ياخذ منه شبابه وصحته * او ان يكون احد قد زار صديقا له ليسامره
وبالمزور همّ وقلق * فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على
صاحبه وقس على ذلك المعلّم والمتعلم والمادح والممدوح والمغنّى والمغنّى
له * فمن ثم لا ينبغى للرجل ان يحسب ان مجرّد اطعامه المراة والباسه
اياها منة منه عليها * فان حقوق المراة اكثر من ان تذكر * قلت قد
لحنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى اى الرجال احب الى النسآ *
قالت ان اقل لك تعربد * قلت قولى لا باس فانما هو بساط حديث
نُشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره * قالت يوم النشر اذًا * فاعلم ان
الكاعب من النسآ تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسانا * والمُعصر
تحب الشبّان بالشرط المذكور * وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها
ارفق واعشق * ولكن ذلك لا يسمّى محبة لانه يؤول الى نفع نفسها * ومن
شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستمتاع * ولكن * هيهات فان كل محب

اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ برادف الفائدة * فقول القائل انا احب فلانة حقيقة معناه انا استفيد منها * فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين ومن جاوزهما فى السنّ قليلا بالشرط المذكور * واما النَصَف فتحب الثلثة والكهل ايضا بذلك الشرط * واما العجوز فتحب الجميع * قلت ما قولك فى الشوارب * قالت هى زينة الفم كما ان الحواجب هى زينة العيون * قلت وفى اللحى * قالت حلى الشيوخ * قلت وفى العارضين * قالت بخ بخ هما زينة الناظر والمنظور اليه * قلت اى حسن فيهما وخصوصا مع حلق الشاربين * قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر * او الورق للغصن * او القطيفة للثوب * او السياج للحديقة * او الهالة للقمر * وبينما هما فى الكلام واذا بطارق بطرق الباب * ففتح له واذا برجل معه كتاب من اللجنة المذكورة سابقا يتضمن استدعاء الفارياق واهله اليهم * فلما طالع زوجته بذلك كادت تطير فرحا وسرورا * وقالت ما ابرك صباح هذا اليوم وما ايمن شمسه * ثم قامت الى الصندوق فاوعت فيه لوازم السفر ما عدا القاموس * فقال لها الفارياق رُوَيدك فان دون هذا السفر امورا كثيرة * فاقغنعرت وقالت اذكرها لى جُملةً حتى اَلِيَ بنفسى حُلّها * قال اطمئنى واصبرى فانك قد شوّشت عقلى بكلامك الاخير * واعوذ بالله من ان يكون سببا فى فساد ترجمة الكتاب * فتركه واشتغلت بامرها * وانا كذلك اتركه الى وسواسه فى العارضين اذ ليس علىّ ان اشاركه فيه *



الفصل العاشر

في سفر وتفسر

من جملة ما لزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط * وهو ان يصحب الفارياق عن الجزيرة عامين واذا رجع بُوطْو في وظيفته الاولى * فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب * وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط * فوجد كل شي ناجزا للسفر لان زوجته لم تكن في تلك المدة تهمل شيا * فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بختم القناصل واداء الغرامة الختمية الحتمية * الا انه بقي غير مختوم عليه من قنصل ليكورنه * فلما بلغوا مرساها اراد الفارياق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس * فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل في الجزيرة * قال لا بل تعطيّ هنا ضعفين فابى وعزم على الرجوع الى السفينة * فرآه وزوجته رجل يدير زورقا فلما علم بقصيتهما قال لهما انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منكما هذا المكّاس الحرامي * فركبا في زورقه وعرج بهما من مكان خفيّ حتى دخلا البلد * ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسيلية ثم سافرا الى باريس * وفيها اجتمع بمسيو دُ لامرتين الشاعر المشهور في اللغة الفرنساوية * واقاما فيها اياما تحوّفت من الكيس جانبا * (فائدة اذا كنت في بلاد فرنسا

فلا تنزل خانًا للانكليز واذا كنت في بلاد هولآ فلا تنزل خانًا لاولئك.

ثم سافرا الى لندن المحلوم بها * فلما رات المدينة وما فيها من التحف العجيبة * والرغائب الغريبه * ومن الانوار المزدهرة * والحوانيت النضرة * قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليقظة * نعمَ الدار هي مقاما * وحبذا العيش فيها دواما * غير اني رايت من نسآئها امرا بِدْعا * قال فقلت الحمد لله على انك بدأت بالنسآ فهو من جدّ طالع الكتاب الذي يراد ترجمته * ولكن ايّ بدع هو * قالت كنت اسمعك تحكي عن بعض الائمة ان عقول النسآ في فروجهن * وقد ارى نسآ هذه الدنيا الصغرى عقولهن في ادبارهن * قلت فسّري فاني لم افهم ما اردت * قالت اذا كانت المراة توقع نفسها بين تهاتر الصنعة والفطرة مع الاستهتار * اي انها تفخم شيا بالصنعة وهو في الخلقة غير عظيم المقدار * وتهيج الناس على اكباره والفضل كله للنجار * اي اذا كانت تقول بلسان الحال ان لديّ عنصر عِصار كالإعصار * لا يجدي معه الاعتصار * وطبلا فيه زمّارة لكل زمّار * وصفّارة في حالتي الشبع والصُفار * ودنًّا مِقعارا * يحتاج الى صِمام اذ قد ملئ الى الأصمار * وزَوْرآ تستدعي بالريار * وخَرتًا حريّا بالدِسار * ونَهْرا او دَحْلا ينحجر فيه النخاذر ايّ انحجار * وحشّة ذات اكوار واوكار * ووَزَبًا باوي اليه من ليس له وجار * ووأبة موْئبة في الليل والنهار * ونُقرة ذات تنقير ونقر على ابتدار * وصرّة فرث ذات صرير وصِرار * وانقوعة اشتملت على صلّة ولا سيما عند الإهجار * وعَزْلآ لو انحلّ وكاؤها لمَنَت بالدمار * ووَطْبا لو فُشّ لاكفهرّ منه الجو ايّ اكفهرار * وكيْرا يتطاير من نفخه الشِرار * وهَيْفًا اذا هبّت في الصيف فالناس الفرار الفرار * اي اذا كانت خلقت وما تارَبها احد فاتخذت لها تِرْبا ورآها * ليغني غَنآها * اي اذا جعلت دابها

كله فى تسنيم المسطح * وتقبيب المفلطح * اى اذا استحمقت الناظرين
اليها * واشارت اليهم ان عندى قعيدة او نضيدة يقعد عليها * اى اذا
رمزت اليهم ان الركاز * تحت الجُراز * اى اذا استحقبت المصادغ ثم
جعلت تمشى وتنظر الى حقيبتها وتعجب منها وتزهى بها وتنافس فيها
وتحرص عليها وترتاح لها وتشوّق اليها * فوجدت اخرى تفخرها فى ذلك
ثم وجدت هذه ايضا من غلبتها فى الاستحقاب فاجدر ان يقال ان عقولهن
فى الحقائب * هذا معنى ما قالته والجراز عبرت عنه بالقرع * والترب
بالردف والحقيبة بالعِدل * ولفظة اى فى الاصل * قلت هذه عادة لهن
فلا تشاحنى فى العادات فان لنسآئنا ايضا عادات كثيرة مكروهة فى هذه
البلاد * وذلك كالتكحيل والتزجيج والتخضيب والتحنئة واليرنئة والثمغ
والتسيير والتوقيف والاعتماس والترقن والترنّس والتقفز والتطريف والوشم
والتنوّر والامتهاش والحَمش والتحفّى والنمص والحَلت والاستعانة
والتفريب والضِباق والفَرم والإلهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعقص
الشعر وتقليم الاظفار وتدريمها * وكشف الصدر وتحريك الخصر لمن
فرصت او فررت او مُرصت اومررت او غمزت * والحقى به ايضا العُقر
وبيضة العقر والاخفاض والاهتجان وغير ذلك * قال فما كدت اتمّ كلامى
هذا الوجيز حتى استشاطت غيظا واحرنفشت * ثم قالت لقد اَسلك
الى التهلكة مقولك * وفضحك عندى وعند الناس فضولك * من اين علمت
انهن لا يغنجن * اذا خُاجن * ولا يرفصن * اذا فُرصن * ولا يستعملن
الضياق والفرم * اذا كان الفَلْهم ذا لَهم * او اذا كان فَوّابا * ذا بقبقة
مقبقبا * او اذا كان العفلق * يسمع له جَلَنْبَلَق * والخُنُق * احب الى الهُقُق *
اولا انك حرّدت منهن ذلك * قلت هذا امر شائع مستفيض ثُنّة مشهور

منوّه به ذو دالة وبُثلة وتشريرلا يخفى على احد * فهو كقول القائل السمآ فوقنا والارض تحتنا وهو عند النحاة ليس بكلام اقتضبيين مما لا يصح ان يسمى كلاما * قالت ما لي وللكلام انما غضبي عن الفعل * انك عندي قوال * وعند غيري فعّال * ما هذه صفة المتزوجين * ما هذا شان المحصنين * ياالعجب انت لا تستحي ان تطلب * وانا استحي ان أطلَب * الا ليت قاضيا يقضي بين الرجل وامراته حتى يبين للناس كافّة مَن الظالم والمظلوم منا * قلت فقولي اذًا ليت قاضية * لان القاضي من حيث كونه والحمد لله ذكرا يحكم للرجل على المراة * قالت بل الامر بعكس ذلك فان القاضي لا يرى الحق الا للمراة على الرجل ولا سيما اذا جأشت اليه واجهشت وكذا كل رجل الا امراة نفسه * قلت لله درك من امراة خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير باحوال النسآ * اني على مذهب سيدنا القاضي * فاني حين كنت احضر خصام رجل وامراة وارى الرجل منتوف اللحية مخرّق الجيب ما كنت لانظر الى المراة الا نظر المبرّى * ولا سيما اذا اجهشت فكنت اودّ لو افديها بروحي * ولكن رويدك لا تربشّري ولا تَزمخرّي * ولا تجذنرّي ولا تحظّري * ولا تحزئرّي ولا تقدحرّي * اني لم يبق لي الان الا النظر واما التفديد فلا حكم لي اليوم على نفسي * ولكن اخبريني ما هذه الخصلة الغريبة فيكن معاشر النسآ * انكن تبكين وتضحكين اين ستتن من اي شي كان * ونحن معاشر الرجال لا نبكي الا ممكن ولا نضحك الا لكنّ ومن اجلكن * قالت سبب ذلك هو كون النسآ ارق طبعا * واكرم خلقا * وادق فهما والطف تخيّلا * وارأف قلبا واحنى فوادا * والين جانبا واسرع سمعا وبطرا * وانفذ فكرا واعجل تاثرا * واحق يدا واعلق

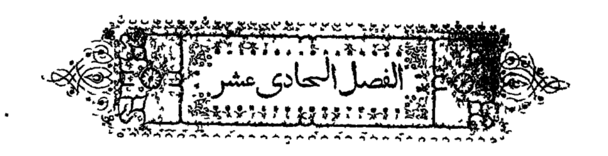
بالدنيا والدين * واقبل للتلقين * وابدر الى الرسيس * والقف للعلق النفيس * قلت مهلا مهلا * قالت واروق بالا * قلت وبعالا * قالت وابلغ جِيَلا * قلت وتململا * قالت واوفى صلة * قلت وغربلة * قالت واعجل الطافا * قلت وايغافا * قالت واكثر ترفقا * قلت وشبقا * قالت واوفر كرما * قلت وغلما * قالت واطول حبّا * قلت وقنبا * قالت وابقى وجدا * قلت وزردا وعصدا * قالت واشهى عتابا * قلت وقرابا * قالت وابدع شمطا * قلت ولمظا * قالت وارخم منطقا * قلت وحَمَقا * قالت واسبق شعورا * قلت وشغورا * قالت واحلى تحدثا * قلت ورفثا * قالت واغرب رُتَلا * قلت وعَفَلا * ثم قلت قد كان حديثك اولا في الحقائب بما يذهب بصبر ايوب * وينزّي المشمود والمنجوف والمنجوب * والان اخذت في تفضيل النسآ على عادتك وفى تعداد محاسنهن وستنتهين الى كشف المغطّى منهن * فهل تريدين ان اقدم على صاحبنا مجنونا او ذا لمم فتفسد ترجمة الكتاب * قالت ان كنت تجنّ هنا فلا يكون لك في السبت فرصعة كما في الشام * فان المجانين الذين هم في بيوتهم هناك اكثر من الذين هم في اديار الرهبان * قلت لعل ذلك هو الذى اغراك بهذا التشويق المعذّب * فكفّي عن هذا الحديث الملهب المُحَرب * بحق من اعطاك هذا اللسان الذَرِب * وتاهّبي للاشخاص الى من يكون عنده شغلى * قالت اليس هو بلندن * قلت لا بل هو في الريف * قالت ويلى على الريف وعلى الفلاحين * من يطيق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج * فان الفلاحين في جميع البلاد سوآ * قلت ثم ننتقل من هنالك الى مدينة غاصّة بالرجال * قالت فيها رجال بلا نسآ * قلت بل فيها نسآ وانما هن طلبات

بالنسبة الى كثرة الرجال * فقال ان القليل من النسآء كثير * ثم انهما سافرا فى غد ذلك اليوم واذ كانا سائرين فى درب الحديد ذكر المنبّه اسم القرية التى كانا يقصدانها فلم ينتبه الفارياق لاشتغال باله بتلك المساجلة * حتى اذا سارا طويلا وسال احد السكوت عن رُحلته قال له قد فاتتك * فخرج ح وهو آسف على غفلته عن تذكير المنبّه * وما بلغوا القرية الا بعد مشى مسافة طويلة وتعب كثير *

تنبيه دروب الحديد فى بلاد الانكليز مثل خطوط الكف يسير فيها
المسافر الى اى موضع شا طولا وعرضا
شرقا وغربا

*





الفصل الحادي عشر

في ترجمة ونصيحة

ثم لبثا في تلك الجزيرة وشرعت الفارياقية في تعلم لسان القوم * فقال لها زوجها ذات يوم اني اريد ان انصح لك في امر يختص بتعلم هذه اللغة الجليلة * قالت هات ما عندك فهي لعمري اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعي * قال ومن قلبي ايضا * قالت قل * قال من شان المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا بادئ بدء ما يؤول الى جسم الانسان من العروق والعضلات والربلات الى آخره * قالت قد لحنت ما تعنيه فما هذه نصيحة * قال فقلت سبحان الله خُلق الانسان من عَجَل * انما اريد ان اقول لك ان من شاء ان يتعلم هذه اللغة ينبغي له اولا ان يبتدي باسماء من في السماوات لا بمن على الارض * فان القوم يتظاهرون بالتقوى والصلاح * حتى ان البغيّ منهم تجأر وهي متلبسة بالدعاء مرة وبالرفث اخرى * قالت وقد قلقت أَوَهنا بغايا * قلت لا فان اهل القرى الصغيرة في هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح * ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون التورّع * فلا ينبغي الان والحالة هذه ان تسالي عن اسماء الربلات * وستعرفين ذلك كله بعد قليل * بل لا اريد عندي في اثناء تعرفه دون معرّف ونحفظ

دون تحفظ وذلك بطريق الافتحار او الالهام * فان لقلّك وحدّة ذهنك وقوة قريحتك يسهّل عليك كل امر عسير * قالت لعمرى لو كان مثل هذا الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارخص ما يكون * اناشدك الله كم بلغت من السنين * قلت ما هذا الاستفهام عقب هذا الكلام * قالت اى فصل هذا الذى نحن فيه * قلت فصل الخريف * قالت فالذنب اذًا على الفصل * قلت اتزعمينني قد خرفت * قالت والّا فما هذا القول الذى زجرت به وتحسبه نصيحة * قلت فافعلى ما بدا لك فلقد وعظت من لم يتّعظ وزجرت من لم ينزجر * ثم لما مضت ايام جآت ذات غداة تقول للفارياق * اَلا ما احسن هذه اللغة موقعا فى السمع والخاطر وما اخفّها على اللسان * فلقد حفظت اليوم منها بيتى شعر من دون تكلّف غير انى لم افهم معناهما * فهل لك ان توقفنى عليه * قال اهلا بك اليه ان شئت الان فابرقى حتى امطر * قالت اى لُقَعة انت ما عنيت الا المعنى قال فقلت وما المعنى الّا ما عنيت وانى اعلم عين اليقين انك لم تضمرى غيره * ولكن انشدينى ما حفظت فقالت

Up up up thou art wanted,
She is weary and tormented,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted.

اب اب اب طاوٌ آرت وانٖتِد   شِى ار وِيرى انْد طرمانتِد
دُو هَرْ جستِس شِى از هَنتِد   بى هر هُزبَنْد شِى هَز فانتِد

فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امراه عليه * ولكن لست ادرى اية امراة هى فيقول ما معناه

تبغى لكاعى سَدّ سمّيها معا   اذ يفتح التانى لسدّ الاول
كالاذن ان حكت تهيّج احتها   وتظل صائحة اذا لم تفعل

فتمعّر وجهها غيظا وقالت ما هو الّا تقوّل منك * فانكم معاشر الرجال ابدا لهجون بالسدّ * فقلت كما انكن معاشر النسآ ابدا لهجات بالفتح * قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس فى اشعارهم هُجر وفحش كما فى اشعار العرب * قلت اليست اجسامنا واجسامهم سوآ * قالت الكلام هنا على الكلام لا على الاجسام * قلت من اين ياتى الفحش الا من الاجسام * فحيثما وجد الجسم وجد منه الفعل * وحيثما وجد الفعل وجد عنه القول * هذا دِين سويفت مع انه كان فى درجة هى دون درجة الاسقف فقد الّف مقالة طويلة فى الاست * وكذا استرن فانه كان قسيسا والّف فى المجون * فاما جون كليلاند فانه الّف كتابا فى اخبار فاجرة اسمها فنى هِل جآء فيه من الفحش والمجون بما فاق به ابن حجّاج وابن ابى عيق وابن صريع الدلآ ومولف كتاب الف ليلة وليلة * ممّا ذكره عن فحش اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ماخورًا جمعوا فيه عدة زوانى * وكان بعضهم يفجر ببعضهن بمراى من الباقى مناوبة * واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان ربلى الفرنساوى المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة * قالت الم تقل لى آنفا انهم متلبّسون بالورع والتقوى * قلت بلى ولم ازل اقول غير ان هذا اللبس قد جرى عندهم مجرى العاده * فان الملبّس عليه يعلم ما انطوى عليه الملبّس * ليت شعرى لو ان احدا لبس مثلاً عشرة اثواب ليوهم الناس ان ليس له قُبُل ولا دبر افيخفى علم ذلك عن الناظر * قالت لا فاذًا هم مدهونون بالدِهان * قلت نعم هذا النوع يسمى فى هذه الارض كشبرا * فتاوّهت وقالت ويلى على المداهنين * كيف اطيق عشرتهم وانا كسائر اهل البلاد المشرقية مبسوطة النفس واللسان * لا اكتم ما فى

صدري عن عشيري * قلت اياك وذلك * وانما ينبغي لك التكتم والتحرر دائما * واياك ايضا والاهزاق فان ضحك القوم إهْمات وعَتّ واهلاس واهناف وإرْتآء وانتداغ وارتاك وزقزقة وهرنفة وانتاغ وهنبصة * والا فكوني من التاعيات * قالت كيف تامرني ان اكون من الطاغبات * وانت لا تزال تشكو من النسآ طرّا حتى من العادلات * قلت بل المراد ان تغالبي الضحك يقال تغت الجارية — فابتدرتني وقالت يكفي يكفي ما اريد ان تذكر لي الجارية ولا الجارة * قلت نعم واكلهم دأج وتدلّس وتوجّس وهَمّس ومَدّش وتبرّص وهرمزة ومَطّع وتذوّق وتطعّم وتغذّم * وشربهم غنثرة ولُماظ وترشّف وتزحّن وتزبّح وترنّح وتنغنح وترمق ونمقق وتمرّز وتمزّز وتمصص * ومتى تكلمت يجب ان تغضي طرفك وتخفضي صوتك وتبدي غاية ما يكون من الترزّن والتوقر * والتحرر والتحذر * والتظرّف والتكيّس * والتلطف والتنطس * والتادب والتخضع * والتعرف والتخشع * والتخفر والتقزز * والتعوّذ والتعزز * والتنزه والتقرش * والتمنع والتجهّش * والتنسك والتنقع * والتاوّه والتنطع * والتحوّب والتذمم * والتحرج والتأثّم * والتحنث والتحشم * والتدلس والتكتم * والتحنث والتانق * والتودد والتملق * والتحسب والتحري * والتوفي والتحشي * والتوخي والتحمي * والتبرّي والتذكي * والتحذلق والتحصي * والتوقي والتحمي * والتصلف والتكلف * والتاسف والتلهف * والتحسف والتحنف * والتعفف والتانف * والتخيف والتحوف * والتنطّف والتنطف * فقالت ويك ويك ما هذا العُلك اتيت بي الى هذه البلاد لتسكنني وتصوغ مني امراة اخرى * قلت فديتك فاسمعي ولا يكن كلامك في هذا الفصل من السنة الا إخفاسا اي قليلا * وفي الفصل القابل تزيدين

عشرين في المسند * وان حدثك رجل او امراة وجب عليك ان تستحسني المحدث وتحبذيه عند ختام كل جملة * وتوّمني له وتهيمني اى تقولى له آمين آمين بَسَلا بسلا * وتنعميد اى تقولى نعم نعم * وتبجّليه اى تقولى بَجَل بجل * وتوجّليه اى تقولى أَجَل اجل * وتبسّليه اى تقولى بَسَل بسل * ولا يسعى لك في يوم الاحد ان تطبخى شيا وانما ناكل مما فضل من يوم السبت باردا كما تفعل اليهود * لان الطعام السخن يسخن الدم ويهيج الحرارة * ولان سيدنا موسى رجم رجلا وُجد يجمع حطبا في السبت * ولا ينبغي لك الحركة في يوم الاحد اية حركة كانت أَلَحنت ذلك * قالت لحنت * قلت ولا ترفعى فيه الستائر عن الشبابيك لئلّا تراك الناس فيكون ذلك باعثا ايضا على الحركة * الحنت هذا ايضا * قالت قد لحنته وزكنته * وفهمته ولقنته * وعلمته ودريته * وادركته ووعيته * ولكن ما سببه وهذا اليوم عندنا يوم الفرح والسرور * والتزاور والحبور * قلت انهم يموتون فيه لكون سيدنا عيسى أُنشر فيه من الموت * ثم ان عليك ان لا تتعنى من ذكر يوم السبت اى الاحد * فان المسمّى قد يعتبر بعتبر اسمه * وذلك بان تقولى مثلا ما كان اشرف السبت الماضى وما احلاه * من لى بالسبت القابل حتى احلو فيه مع ربّى * يا ليت كل يوم قد ساعة من ساعات السبت * ألا ان يوم السبت ليوم عظيم * مهيب كريم * جليل وسيم * كيف كان الناس يعيشون ولا سبت لهم * كم من سبت في السنة * وكم في ساعات السبت من دقائق * وكم في دقائق السبت من ثوانى * ألا ما ابهى شمس السبت وقمره * وغلسه وسحره * وابكاره واظهاره * وبكره وازهاره * واذا انكرت فعلة من فعلاتهم فاياك واِن تذكريها لهم * واطرئى ما امكن على عاداتهم واطوارهم

ومعـالمهم ومشاعرهم ومآكلهم ومشاربهم ومآدبهم وملابسهم * وعلى طول اطفارهم واظفارهنّ وعلى عظم مرافدهن وعلى تفتيـل سوالـفهن * وعلى المـنفش من شعرهـن اعنـي على قُذُلهن * وعلى كشف ادبارهم للاصطلآ * وكلما رايت شيا في بيوتهم من اثاث وغيره فاستحسنيه واعجبي به فقولي وانت مدهوشة * آه ما احسن هذا * آه ما اجمل ذاك * آه ما ابهى هولآ * اه ما املح تلك * ألا ما اذكى مراحيضكم * واشذى بواليعكم * وانقى مرافقكم * وآنق مثاعبكم * وانظف اعتابكم ووُصُدكم * وابهج نَفَقكم وسَرَبكم * فهذه هي الذريعة التي يتذرع بها الغربآ هنا لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم * واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا بها * ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند احد اكابرهم ان تاكلي هنا من قبل ان تذهبي * فان المدعوّين لا ياكلون عند آدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى ياكلوا * وكما ان ادب الآدب عندنا ان يعصب ضيفه على الاكل ويحلفه براسه ولحيته وشواربه ان ياكل فخذ دجاجة او ست كُبَيبات او يلقمه اياها في فمه * كذلك كان ادب الآدب عندهم ان يراعي حركات فم الآكل ويديه ليعلم هل هو سرطم او ذو لَقْف ونقف * وكلما تحرك فم او يد على المائدة — قال فابتدرتني وقالت وخصر * قلت وكفل بل اي عضو كان * وجب عليك ان تقولي لذى العضو المتحرك انت مشكور على ذلك * انت ممدوح * انت محمود * انت مفضل * انت محسن * انت بَرّ * انت ذو منّة وما اشبه ذلك مما يوذن بضعة المادوب ولُمده وحقارته وهُوانه وذلّه وخساسته وهُطْرته وكُفْره (١) وتسكسكه * في مقابلة رفعة الآدب وعظمته وجلاله وابهته وشرفه وكرمه وبذخه وعزّته * والحذر الحذر من ان تمدّي يدك الى زجاجة الخمر او الى جفنة الطعام فتاخذي منهما ما شئت * فان

(١) الهُطْرة تذلّل الفقير للغني والكُفر تعظيم الفارسي ملكه *

ذلك يكون انتهاكاً لحرمة المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها *
وانما ينبغي ان تنتظري من كرم الآداب ان يوعز اليك في ذلك *
واذا قُدّم لك بُضيعة من ارنب قد خنق مذ شهر وعلّق في الهوآ حتى
انتن فاثني على الارض التي نشا فيها جنس هذا الحيوان النفيس وعلى
خانقه وطابخه * واذا رايت شيخا ذا وقار وهيبة يخدم عجوزه فلا
تنكري ذلك كما انكره بعض الشعرآ المفركين بقوله

ورُبّ عجوز تحاكي السّعالي تُشير وتنهى وتامر امرا
يقابلها شيخها بآمتثال ويسعى لخدمتها مستمرّا
وتقعد تحكي كلاما سخيفا ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بداري كلب وهـرّ وللهرّ ذعر اذا الكلب هَرّا
ويرقبني الهرّ ان كنت اكل يُمنَى ليمنى ويُسرَى ليسرى
وبنتيَ ليزَى تؤاسيه مما لديها فمنها يلازم حِجرا
وقد كان عندي من قبلُ جروٌ تلوّن بطنا وصدرا وظهرا
وكنت عليه لفي غاية الحر ص اسقيه ملء كؤوسيَ دَرّا
فحاَت عريزة قوم البنا فرامته مني والعين شُكرى
وكان ينام على فخذيّ ويلحس رُفغي اذا ما اسبطرّا
وكان فلان اتانيَ عام كذا بجُرَيّ فما عاش شهرا
وتسال ان تنسَ تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا
الى ان قال* فاما النسآ فمما اختصص به اكل ما اشبه التين نحرا
وياكلن والراح منهن بالجلد مستترات ويمضغن سرّا
وتسمع للشاى قرقرة من معاهن تحكي هنا قرّ قرّا
وتاخذ في صحنها بالمشكّة قدرا من اللحم يشبه ظفرا
فتعلكه برهة من زمان لتمرأ من بعد ان يتهرّا

وزوج المضيف تقول له خذ عزيزى مما امامك وُذْرا
فيشكرها ويقول لقد كثر الفضل منك علىّ ودرّا
وتجلس تقسم اكل الضيوف فتعطيك من ذاك نزرا فنزرا
وفى كل نزر تنال تطاطى ٭ راسك رغما وتشكر شكرا
وان يك لونان قالت لك اختر نصيبك مما هنّا وتحرّا
كان لم يجز بين ذينك جمع كانك ناكح اختين تُشرى

فقالت هذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالذائقة عندهم شيا ولو كان المنّ والسلوى ٭ قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة ٭ وفضائل كثيرة ٭ ليست فى غيرهم من الافرنج ٭ منها انجاز الوعد وصدق الوفآ فى الحضرة والغيبة ٭ وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة حرمته اى اكرامه لا انهم يعفّون عن زوجته ٭ قالت لا تتكلف التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة ٭ قلت ومنها انهم قليلو الكلام كثيرو الفعل ٭ حسنو المعاطاة للامور بالترتيب والسياسة ٭ والرشد والكياسة ٭ ومن ياتِ الى بلادهم فلا يسال عن جَواز ولا اجازة ٭ ولا يهمّه ان كان جاره قاضى القضاة او وزير الوزرآ او شرطيا او جلوازا ٭ ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مثابة فيها بعض الشرطة فيرهقوه بكلام ونحوه مما يكون سببا فى سجنه او غرامته ٭ فكل الناس فى الحقوق البشرية عندهم متساوون ٭ هذا وانهم يحبّون الغريب ما خلا اوباشهم ٭ ويشفقون على الفقير ويغيثون المحتاج ٭ ويكرمون ذوى السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوى العلم ٭ ويعينون على ادراك العلوم والمعارف فى البلاد الاجنبية ٭ وعندهم جمعيات منعقدة لاجرآ كل نفع وخير ٭ وازالة كل شر وضير ٭ وكثير من الاطبآ هنا يداوون المرضى مجانا ما عدا المستشفيات المبنية فى كل

قطر وصقع من بلادهم * ومن ينزل نزلا لديهم او يستاجر غرفة فى منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به وتحفه وترفه وتمرضه * وتدعوه الى مسامرتها ومجالستها من غير ان يستآء زوجها لذلك * واذا اتفق وقتئذ ان زارها بعض معارفها تعرّفهم به وتنوّه باسمه * وانه اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصّى ودعاه الى منزله وجعل اسمه نَبَهًا عند اخوانه ومعارفه * ولا يدع شيا فى وسعه الا ويبذله لراحته ورفاهيته ونحله له الود والنصح حاضرا وغائبا * فرُقعة وَصاةٍ بيد صاحبها تفيزه عندهم باب وام واهل واخوان * وفى الجملة فان كفّة محامدهم ترجح كفة مذامّهم * وليس الكامل الا الله وحده سبحانه وتعالى * وليس شى من هذه المزايا الحميدة موجودا فى غيرهم من الافرنج لان غيرهم متّاحون ملثيّون مراوغون * ذوو ايادى مغلولة والسنة مطلقة * فهم ليسوا كاصحابنا فى الرشد والاستقامة ولا مثلنا فى الانس والكرم * قالت قد فهمت هذا كله فينبغى ان نعود الى تفسير البيتين بشرط ان لا تاتى بشى من عندك فانى اعرف تزيّدك فى الكلام * قلت كانك تقولين انى ذو فضول غير فعول كما ذكرت ذلك غير مرة * قالت اذا كنت قد الفته فما يضرك الان والّا فعدّها فلتة * قلت دونك تفسيرهما من دون تزتّب

قم عجلا قم سؤلى عندك وابلغ اربا منها جهدك
فلقد ضجرت ولها بعل يبغى ان يعسلها بعدك

فقالت انت قلت ان الشاعر يشكو من امراة وها هو يشكو من نفسه * وليس المراة بملومة على ضجرها فى مثل هذه الحال * قلت لمثلك تلقى مقاليد الشرح * قالت ومنه يرجى تخفيف الترح *



الفصل الثانى عشر

في خواطر فلسفية

ثم لما مضت مدة على الغاربانية في بلاد الفلاحين حيث لا انيس للغريب ولا حظ غير خضرة الارض على صبرها وصافي صدرها وعونها السآمة والقلق * فقالت لزوجها ذات يوم * يا للعجب من هذه الدنيا ومن احوالها * واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشي على ظهرها * كيف تمر عليه الليالي والايام والاماني تغره * والآمال تشغله وتعلله * وكلما جرى وراءها ليدركها تقدمته وبعدت عنه كظله * وكل يوم يحسب انه في يومه اعقل منه في امسه * وان غده يكون خيرا من يومه * قد كنت احسب ونحن في الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا * وانعم بالا * فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اشقى خلق الله * انظر الى اهل هذه القرى التي حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم وبين الهمج * يذهب الفلاح منهم في الغداة الى الكد والتعب ثم يأتي بيته مساء فلا يرى احدا من خلق الله ولا يراه احد * فيرقد في العشاء ثم يبكر لما كان فيه وهلم جرا * فهو كالآلة التي تدور مدارا محتتنا فلا في دورانها لها حظ وفوز ولا في وقفها راحة * فاذا جاء يوم الاحد وهو يوم الفرح واللهو في جميع الاقطار لم يكن له حظ سوى الذهاب

الى الكنيسة * فيمكث فيها ساعتين كالصنم يتثآب ساعة ويرقد اخرى
ثم يعود الى بيته * فليس عندهم مثابة ولا موضع للسَمَر والطرب * وليست
ايضا عيشة المتمولين في الريف بانعم من عيشة الفلاحين اذ لا
يعرفون من المطاعم غير الشِوآ وهذا الفلفاس * ولكن هيهات اين المتمولون
في القرى * فانك لا ترى فيها مثريا الا القسيس وخوليّ الارض وهو الذى
يضمن المزارع والحقول من مالكيها * وهما ايضا بمثابة الفلاحين *
ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطفت فى اسواق المدن وعاينت
ما فيها من الصنائع البديعة والتحف العجيبة والالات الظريفة والفرش
النفيس والثياب الفاخرة والاوانى المحكمة ولا سيما مدينة لندن * علمت
ان صناعها هم القائمون بالدنيا وهم منها محرومون * فان داب الصانع
كداب الفلاح من جهة انه يشقى ويكدّ النهار كله ولا حظّ له فى الليل
سوى اغماض عينيه * فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا
ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها * والمترفون فيها
لا يحسنون عمل شى وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام * واذا كان
الناس عباد الله فى ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم
الواحد باختلاف ما فيه من الاعضآ الجليلة والحقيرة فلمَ لا يجرى العدل
بينهم كما يجرى بين الاعضآ * فان الانسان اذا اكل شيا او لبس شيا
فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله * ام يزعم المثرون اذا وسّعوا على
هولآ الصناك الصعاليك * ونفّسوا عنهم الكرب الذى يكابدونه من جهد
المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على اهمال
شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعا * فما بال
دى الدولة اذا تولى المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلّده عملا

ويرقيه مرتبة ولا يخاف ان يفسد عمله بكثرة ما يعطيه * لا بل ان الفقير اذا كفاه والِيْهِ او سيّده المونة وهو شى بالنسبة اليه هيّن فانه يودى ما ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس * ويدعو له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبيت الليالى شابحا يديه بالدعآ عليه * لتيقّنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواه ذاهب فى تسمين غيره * وفى حمله على البطر والعتو واقتنآ ما لا تلزم قنيته من الخيول المطهمة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد * فباكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعآ الفقير عليه * ام يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقرآ لخدمتهم فقط * لعمرى ان حاجة الغنى الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغنىّ * ام يانفون من النظر من مقامهم الرفيع السامى الى ذوى الضعة والخمول خشية ان يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم * كمن ارتقى شرفا باذخا وتحته هوّة عظيمة فهو يابى من ان يتطاطا وينظر اليها لئلا يلحقه من ذلك دوار او غثيان فيهبط من شرفه * ليت شعرى هل جرّب الاغنيآ حينا من الدهر ان يسعدوا الشقى بمالهم وينعشوه برفدهم * ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة * وانما هو محض وَهْم دخل فى رؤسهم مع الرجبوق فخرج هذا ولم يخرج ذاك * الّا فليمكّنوه من ان يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هى عليه شهرا واحدا فى عمره فى الاقل او يوما فى العام حتى يموت راضيا قرير العين * واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطّله فخوفهم من فساد نيته لفقره ومن كراهته اياهم أَوْلَى * لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة * الا ترى الى هولآ الالوف من البنات اللاى يجرين فى اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من

الثياب * كيف يتهافتن على الرائح والغادى رجآ ان ينلن ما يتقوّتن به ويتجمّلن به من الثياب * ولا سيما هولآ النواشى اللاى لم يبلغن بعدُ من العمر خمس عشرة سنة * فهذا لعمرى الاهتجان بعينه * فكيف يعيبون علينا هذه العادة فى بلادنا وهى مستعملة عندنا على وجه الحلال وعندهم بالحرام * فلو كنّ مكفيات المؤنة لما فعلن ذلك * لان البنت فى هذا الحدّ من السنّ لا تكرع الى الرجال * ولا تضبع للبعال * ولا سيما فى البلاد الباردة * ولَسَلِم من كيدهن وتهافتهن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم شرههم اليهن مضارّ كثيرة * وما عدا ذلك فان هولآ البنات الحسان لو كانت الدولة واهل الكنيسة يُعنَون بتجهيزهن مما يقدرهن على الزواج الشرعى بعد تربيتهن وتهذيبهن * لكُنّ يلدن الاولاد الصباح فيزيّنّ المملكة باثمار ارحامهن كما تقول التوراة * بخلاف ما اذا بقين على حالة السفاح فما يتولد منهن الا الخبائث والرذائل * فهن كالشجرة الناضرة التى فضلا عن كونها لا تثمر تُلْثَى بالسمّ الناقع لمن تذوّقها * وكم لعمرى من بنت حملت اوّل مرّة من مبادى شوطها فى ميدان العهر * ثم اسقطت جنينها خوف الفقر * وان منهن لمن تلد فى طرق المدينة فى ليالى الشتآ الباردة لعدم ماوًى لها * او انها تبيت مع بنت اخرى على فراش واحد وهى عادة مستفيضة فى لندن * وذلك لعدم قدرتها على ان تستقلّ بفراش وكِنٍّ خاصّ بها * فلا تامن والحالة هذه من ان يلحقها اذى من ضجيعتها ليلًا * نعم ان اولاد الزنا ياتون فى الغالب شباطمة جبابرة كيفتاح الجلعادى الذى حلّ عليه روح الرب فانقذ اسرائيل من بنى عمون * وكولِيَم الفاتح الذى فتح هذه البلاد اى بلاد الانكليز * الا ان النفع الاكثرى مع الاقتصاد والاعتدال * احق

بالمراعاة والعدم من النفع الابدي مع الاسواق والأزغال (1)
الهن بعاب صاحب ارض اربعة بعادرها بورًا ومتمرعا للوحوش * او
صاحب اشجار مثمرة بتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لهم كل متعكد *
نعم لا ننكر ان وجود الغنى والفقر في الدنيا لا بد منه
والتسبيع * ولولا ذلك لوقف الكل عن الحركة وتعطلت
افادة المتكلمين * الا ان الكلام هنا في الفقر الذي لا يقال فيه انه
حسن مؤدٍّ الى السرة والبطر * لا في الفقر المدقع الذي يلقي الهموم
والاحزان الدائمة في قلب صاحبه * فيفضي به مرة الى الاسحار ومرة
الى الاغراق او الخنق كما شاع فعل ذلك في هذه البلاد * الس من
العار على الرجال في هذه الارض ارض العلوم والصنائع والمدن والتحضر
انهم لا يتزوجون المرأة الا اذا كان عندها الجهازان * واقبح من ذلك ان
الكبرآ هنا لا يتزوجون من حب ل من طمع في زيادة المال * فان
من كان دخله مثلاً مائة دينار في كل يوم يريد ان يتزوج من دخلها
مائة دينار ايضا تماما * ولو كان بعضه وبعض لم يصح * ولذلك فكثيرا
ما ترى شابا جميلا قد تزوج عجوزا شوهآ * وهيهات فان الرجال هنا
اكثرهم مفاليس * اي لا يتزوجون الا اذا دخلوا في حيز الكهول *
فيقضون شبابهم في السفاح ومن حب البلس الى الاربعين في البحث
عمن عندها جدة وغنى * وبقي الحملة الفقيرة كاسدة وبا عليهم من
الاضافة من عار * مع ان مراعاة الولد في حق الزوجة من اعظم الاسباب
الباعثة على الزواج على ما ذهب اليه الربانيون * وان تكن تربية الولد
تتم بمرة واحدة في مدة سبعة اشهر * اعني ان اولاد الصوف الشوها لا
يكونون عند الحاجة اصحآ كاولاد الغيد الحسان * وفضلا عن ذلك فان من

تزوج وهو في الستين سنة مثلا امراة في سن ثماني عشرة فمتى بلغ الخمسين وكانت امراته بعدُ لَفُوتا متلعجة كان له من ولده رقيب عليها * فلاى شي زيادة المال لمن اغناه الله بفضله * ومن يكن له في كل يوم مائة دينار فما الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون * فان من لم يكتف بهذا القدر لم يكفه ملء الارض ذهبا * هذا وان المراة اذا كانت غنية فلا بدّ وان يتبع غناها عنآ * لانها تتعمّد ج الولائم والمآدب والمحافل وان تزور وان تزار * وان تتخذ لها من الخدّام من تقرعيها بترارته وبضاعته * وكلما اختلج منها عضو تمارضت وتُوحّمت على السفر او الارافة * وهناك حالة كون زوجها فائر الدماغ بالامور السياسية او البواعث المالية في مقره تحلو بمن تخلو * وتلهو بمن تلهو * وبيد خادمها من الدينار ما يعمى عينه ويصمّ اذنه ويقطع لسانه * اليس هولآ الاغنيآ يُمنَون بالامراض والادوآ كالفقرآ * اليس الموت يفاجئهم وهم في غمرة لذاتهم منهمكون * وان كثيرا منهم لسرفهم ورُغبهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم في الشهوات يموت عن غير ولد * او انه اذا رزق ولدا يعيش ما عاش ضاويا نحيفا شقوة له وكمدا على ابويه * وقد قال احد مولفيهم ان من ترى من اولاد الاعيان والامرآء هنا تارا قويا فانما هو من الفاح بعض الحشم * وترى اولاد الفلاحين صباحا اقويآ يلهمون الرطب واليابس * ولعمرى لو لم يكن لهم هذا الحرآء من الله تعالى اى رؤية اولادهم حولهم معافين محبّبين لكانوا في عداد الموتى * كيف بُنى هذا العالم على الفساد * كيف يشقى فيه الف رجل بل الفان لسعد رجل واحد * واىّ رجل * فقد يكون له قلب ولا رحمة * ويدان ولا عمل * وراس ولا رشد ولا نهد * وكيف نقع هذا في هذه البلاد التى

ضربت بعدلها الامثال * لا جرم ان فلاحي بلادنا اسعد من هولا
الناس * بل التجار هنا اشقياء على غناهم وثروتهم * فان احدهم يقضي
النهار كله وهزيعًا من الليل واقفا على قدميه * وقد سالت واحدا مرة
فقلت له لمَ لا تقعد على كرسي وعندك كراسي كثيرة * فقال لي انما
للذين يشرفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا * فاذا قعدت مثلهم
منهم ... يوم الاحد فيلبثون خدري الابدان والافكار * سدوى
البصائر والابصار * فاين هذا من التاجر عندنا يعقف احدى رجليه
على الاخرى بعض ساعات على اريكته * ثم اذا حان العصر كبّب جبته
وراءه وذهب الى بعض المنارة وهو يمشي الخيلاء * فان كان التمدن
والعلم قد سبّب هذا فالجهل اذًا سعادة * غير ان الفلاحين هنا في غاية
الجهل زيادة على بؤسهم * ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكدّ
والترقح وليس عندهم مدارس * قد كنت اظن انهم جميعا يحسنون
القراءة والكتابة فاذا هم لا يحسنون النطق بلغتهم * فاني اقرا في الكتاب
شيا واسمعه منهم مخالفا لحقيقة استعماله * وناهيك ان اكثرهم لا يعرف
اسم بلادنا ولا جنسنا * وقد قيل لاحدهم مرّة ان الملك امر بتسفير خيل
في سفن لحرب العدو * فقال اني اعجب كيف يقاتل الناس في
البحر على الخيل * وكانّي بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها
دونهم * او يظنون ان الرجال في غير البلاد ياكلون نساءهم او ياكلونهن
اكلا * او انهم يتقوّتون بالجذور والبقول * ولو انهم عرفوا احوال الامم
وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اضعاف ما
لنا مع شدة بردهم ومنكر هوائهم ودكنة جوّهم لما وفي ذلك لهم * وان
غناء الصنعة عندهم لا يقوم مقام غناء الطبيعة عندنا من طيب الهواء والماء

وصفآ الجو وزكا الارض وعذوها ومرائتها ولذة المطعوم والمشروب والتنزه في الرياض والحدائق * والاكل عند المياه الجارية تحت الاشجار الناصرة * والتردد على الحمامات والسهر في السمر واستماع آلات الطرب * يعرف ذلك منهم من زار بلادنا وألف حطنا ونعيمنا * غير ان اللبيب من استخرج من كل ضر نفعا * واعتبر بكل ما جرى عليه فاستفاد وارعوى * قد تعلمت الان مما لقيت من الوحشة والتقشف في بلادهم كيف اعيش في بلادنا ان رجعت اليها سالمة * وكيف ان الطخطخة والقرقرة والهزر والكركرة والتجلق والهوهرة والاغراب والكدكدة والأهي والهزرفة والانراق والزغربة وطيخ طيخ وعبط عيط وتغ تغ وهاه هاه لأفرج للهم عن القلب من اواني موضونة ومباني مرصونة * فخير البلاد ما الفت هواها والفيت فيها مخلصا لك وده * وكيف يكون خلوص الود من دون كشف السرائر * وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من دون اطلاق اللسان في ميدان الكلام * والقوم هنا يتكتمون ويرون ان في ذكر الانسان ما يحس به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا * انما مثلي كمثل الثعلب الذي كان يسمع لطبل تضربه اغصان شجرة صوتا عظيما * فلما اتاه وعالجه حتى شقه وجده فارغا * لا جرم لا عدت املك خاطري سمعي * او كراكب البحر وهو ظمآن يرى الما حوله ولا يمكنه ان يروي غليله منه * اني ارى وجه الارض هنا اخضر ولكن لا شي من هذه الخضرة يبسط الوجه عند الاكل * اذ ما به من الطعم شي * لان كل ما ينبت عندهم فانما تغصب الارض تنبيته غصبا من افراط الدمل * فلو كان احد هنا من اللاطة لسالناه عن طعم بقولهم ما هو * هذا عدا خلطهم الماكول والمشروب وغشهم وافسادهم ما من الله تعالى

به عليهم سائغا طيبا * وناهيك ان الخبز الذى هو قوام هذا البدن لا طعم له * فانهم يخمرونه برغوة نبات ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه بعد الاختمار خفقا * فماذا يفيد القائل قوله انى كنت فى بلاد الافرنج وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد * بل ذكر ذلك له فيما بعد غصة * الى مصر الى الشام * الى تونس ذا العام * فهناك تلقى من يزورك او تزوره * وهناك تلقى البشر دون تصلف والفضل دون توقف وتكلف * الى آخر ما ذكرت لى من النائف والنافف * لا يطيب العيش للانسان الا اذا كان يتكلم بلغته * ليس العيش بطول الليالى ولا بكثرة الايام ولا برؤية ارض خضراً ولا بمشاهدة ادوات وآلات * وانما هو باغتنام انس الاحباب * وعشرة ذوى الآداب * الذين تصفو منهم السرائر فى الحضرة والغياب * وتخلص لك مودتهم فى الابتعاد والاقتراب * انما الدنيا مفاكهه * قال فقلت ومناكهه * قالت ومنادمه * قلت ومسامه * قالت وملآمه * قلت ومطاعمه * قالت وملاينه * قلت وملاسنه * قالت ومطايبه * قلت ومراصبه * قالت ومخادنه * قلت ومحاصنه * قالت ومرآمه * قلت ومفاغمه * قالت وملاطفه * قلت وملاغفه * قالت ومخالعه * قلت ومعانقه * قالت ومحاضره * قلت ومخاصره * قالت ومباغمه * قلت ومكاعمه * قالت ومعاشره * قلت ومشاعره * قالت ومؤانسه * قلت وملامسه * قالت ومساجله * قلت ومباعله * قالت ومخالطه * قلت ومحارطه * قالت ومطارحه * قلت ومسارحه * قالت ومجارزه * قلت ومراهزه * قالت ومداعبه * قلت ومراعبه * وهنا كان ختام الملاعبه *



الفصل الثالث عشر

في حامد مهمة

حدس الهارس بن هنام فال * كنت سمعت كثيرا من البسا * حتى كدت أُمَنّى بالنّسا * فمن قائل ان المحص اطيب عيشا من العزب * واسلم عاقبة من المراجحة على سهل دونه مزب * او المكايدة للَّوب واللهب * او التعرّض للحبسة والعطب * وانه كلما صدى قلبه من الكرب * حلاه بابتسامة من زوجة عن سبب * وارتشافه من رضاب كالضرب * وسماع نامة تغني عن آلات الطرب * ومدام داب حبب * فان مما خصّ الله تعالى به المراة من المزايا * وفضلها به من السجايا * ان صوتها الرخيم لا يمرّ على سامعه بكمد * ولا يبدو معه همّ وكمد * فاول ما حرك شفتيها * تسكن القلوب اليها * وعند معارلة عيشها * يهال المسرات على من هو بين يديها * فتخنس وتمحّس * وتنفس وتنعس * وتدركل وتدرقل * وتسحّل وتدوقل * وتحسل وتدربل (١) وحين تمشي في بيتها مبتذحة * تقول لها الاقدار قد بات من معراج مرجة * ان شئت رفعنا روحك الى فرق العرالد * لتنعم بالك باحسن حالة * وان شئت نقاه عندك الالمه * لم تغنينا في ذاك حوبائه * وان شئت ان يرتّس له السفر * عاما او اكثر * الى طَرَح

(١) خنس رقص ووثب وصفق وبرا ومشى ولعب وحدب وضحك * والمحص شدة النكاح وشدة الاكل * والتخنيس اروم الدب الصغير * ودردل رقص وعجن وحسر وخوة دركل وتحسل رقص رقص الزنج *

نفوة أمن او خطر * فانت لدينا اكرم من نهى وامر * فما عليك الّا نضنضة لسان * او اشارة بنان * وحسبنا بطرفة عين من بيان * قال وان الزوج متّعه الله باحصانه * وهنّاه بحضرة بستانه * وجنى تفاحه ورمانه * وزاده من آلائه واحسانه * يحبث بحضرة زوجته باللذات كلما حلا * ان يقضى شيئا من وطر اشتهى [illegible] سوى شآ دأبه وحبّ * وان ارى الّا انبة فانية طوع له كما احبّ * وان له منها منزها (ولكن غير بعيد عن المآ) تغيب فيه الاتراح * وتطلع منه الافراح * وبشائر النجاح * وسرا تُزَفّ به الدنيا اليه بمعرض بشر وبهذى كُشر * ان التوى عليه امر قوّمته بمهارتها * وسددته باشارتها * وانها اذا تدعّبت عليه وتقيّات * وتبعّلت له وفيّات * زاده الله نصرة ونعيما * وزادك صبرا وجموما * خُيّل له انه مَلَك الدنيا بجذافيرها * وفاز بجميع لذاتها وحبورها * وانه قد قام مقام العاهل الاعظم * خليفة بارى الامم * فلو راى وقتئذ قاضى القضاة مارّا على بغلته * حسبه من اتباعه وخدمته * ولو راى كافها او وافها * لانف من ان يكلمهما مشافها * فبعث مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثانى وصيفة * وقال لهما ان لدىّ لكل فاتح قاهر ولاية شربغة * ولكل سائل شاكر وظيفة * ولو ان امرءا اغلظ له وحاشاه فى الكلام * وسفه فبادره بالتقريع والملام * او راى والعياذ بالله ان يمس له قذالا * ويسومه عليه قَفْدا واذلالا * فزع الى زوجته اعزّها الله فنفت عنه كل كرب * وامّنته من كل رعب * وردّت عليه جمّره من جمرها * وصدارته من صدرها * وقالت له لا تخش من كيده وغلّه * فانما يدفع كل استحقاق بمثله * فرجع الى ما كان عليه من الانفة والفخار * والعزّ والذرار * حتى لو راى قَفْلا

او ردفا * لهاَ بنفسه عن ان ينظر اليهما نظر الاكفاَ * فهو الرائع المفنّق * المترف المتملّق * لاكل وتلقاءه من درر الثنايا ومرجان الفم * ما يخيّل اليه ان الكامخ خير مطعم * والمسيخ اهنأ مغنم * وان الاجاج والزعاق * اشهى من مدام الاغتباق * ألا ولو انه بات معها على فرش حشوه سنطابا * وماسّ منها زعابة لكان له من اوطأ الحشايا * فكل ضرّ معها يستحيل الى فَنَع ونفع * وكل شَظَف بقربها فهو قصوف ورُتَع * ومن قائل لا بل عيش العزب اهنا * وللّذات اجنى * فان السيدات يحسبنه في كل وقت ذا جموم * وعندهن ان نبّة واحدة منه تنفي جميع الهموم * اذ ليس له من تلزّه كل ليلة للعظال * وتورّفه هريعا من الليل على مثل ذي الحال * ليتذكر دائما انه محصن ذات قرطق وخلخال * فهو على هذا محبّب عند البنات * محروص عليه من السيدات المتزوجات * مشار اليه بالبنان من الارامل الهائجات * وانه اذا رجع الى منزله رجع ويده خفيفة * وراىقته نظيفة * فلا من تقول له هات * او تلومه على ما فات * ولا من تستوحيه عن المستقبل * وتستفتيه في مصالح المَهْبل * ولا من تزجره عند قَبْق غيرها له وحاجة اليها بحَقّ حَقّ * او تنجفه قبل مفارقته اياها ايّ نجف * او تقول اذ سُراف سراف * والّا فالارهاف (١) * ولا من يبكي بين يديه * وهو حاجر عن كفالته كما يحق عليه * فتراه ابد الدهر مبّاحا مفراحا * معرضا للنسآ متاحا * سرّاحا سدّاحا * رفيقا بالمحجّ منهن مساحا * وقد قيل في الامثال السائرة سير العَجاج * في كل فُجاج * من لم يكن ذا زوجة كان ذا ازواج * قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع * وحركته اسرع * وكلامه انجع * واناؤه اترع * ونغمه ارخم * وتبسمه اصرم * ونهزته اقوى *

(١) القَبْق صوت الدجاجة اذا دعت للسفاد وحَلْج الديك نشر جناحيه ومشيه الى انثاه للسفاد وحق حب زحير للديك والدجاج والنجف منع التيس حتى لا يقدر على السفاد وذلك بان يشد جلد بين بطنه وقضيبه وذلك الجلد يسمى الحياء ونزف ماء البئر نزحه كله وازهف الشي سرّا وعاد احمهر والسرء اعرى — والحجر زاد فسد ويكذب ويم *

ومَزّته اروى * وسنانه اذلق * وسهمه اخسق * ونشره اعبق * وحبه اعلق * وطعمته اطيب واوفر * ومادته اسكب واغزر * وقد نسوا ان تبعّق حوصه في غير سِقّي واحد هو عين السبب في تنكيز نزّه ونبزّته * وتفتير شُرزه ولزّته * الى غير ذلك مما لا يليق ان تقابل به مومسة ولا حُصان * ولا يوصو به دالف ولا تَيقّان * قال الهارس فلما تراجح المذهبان * وتكافح المطلبان * قلت في نفسي من لنا اليوم بالفارياق * فيفتينا في هذا الامر الرّباق * فانه اعلق بالنسآ من الريبة * واعرف باحوالهن من ذي شيبة وشبيبة * فلقد ذاق منهن الحلو والمرّ * ولقي من حبهن النفع والضر * فلو كان حاضرا لدينا * لَجَلا عنا ما التبس علينا * فسرت الى بعض اصحابي * لاطلعه على ما بي * فما كدت اقرع الباب * حتى هوى اليّ وبيده كتاب * ثم قال بشرى بشرى * فهذا كتاب من الفارياق بلغني امس ولم يحوِ الا شعرا * فتلقفته من يده فاذا فيه * اما بعد فان

القرطبان هو الذي … يقرو البلاد بعِرسه
وبها الحسان الغيد يستنشين نفحة فلسه
من كل ذات تدهكر … شحاذ نابي ضرسه
شدّاد رخو فقاره … نعّاشه من تعسه
وبها الفحول الهائجو … ن الى تسدّي عُنسه
والى اشتفاف جميع ما … في قعبه او عُسّه
ولربما نبزوه بالاد … ساف اقبح رجسه
حتى يعود وما له … آسٍ لمعضل ألسه
ان اللبيب من استشا … رمنجّذا في لُبْسه
لا سيّما شان الزوا … ج وحمل فادح وَقسه

من شاقه تمويهه ومذاق لذة رُغسه
فليبعلن في قَتّة كي يستبد بجلسه
حيث السفاح مغصّص من يشرئبّ للحسه
ان الغريب اضرّ من متهتك في جنسه
أوْ لا ففي حال العزو بة وهو مالك رأسه
صون لدرهمه وحر مته وراحة نفسه
بل من تزوج يومه خير له من امسه
اذ كان في حال التعزّ ب موحشا من انسه
لكن بشرط نفوره عن ريبة في حِدسه
فالبضعَ ثم البضعَ لا تتشاغلن عن قَتّه
ما ان يضر ختام ما قد طاب نافع رَتّه
لكنما بجب التحرّ ز من بواعث نحسه

قال الهارس فلما تصفحت الابيات * وزكنت ما فيها من الاشارات * قلت لله دره ما افصله لامور النسآ باطما ونائرا * وما احوجنا الى استفتائه فيهن غائبا وحاضرا * لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مسكل الزواج * فكانه راى كل امر دونه فانما صوانه الاعفاج * ثم انصرفت مثنيا عليه * وقد زاد تشوقي اليه *

---

١ حاسية صغا الهارس مع الفارياق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته فانها مصطربة العبارة * ولبس من شاني التدليس على القارى فقد صار بيننا صحبة طويلة من اول هذا الكتاب * فليتسبّد لذلك)



الفصل الرابع عشر

في رثاء ولد

قد غُرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كثرتهم وبرغم عيوبهم * وان يراهم احسن الناس * وان يحسد كل من يفوقه في المحامد والمكارم الا اباه وابنه * ومتى شاخ الرجل وضعف عن التمتع بلذات الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعا بها * ولا لذة للمتزوج اعظم من ان يبيت مع امراته على فراش واحد وبينهما ولد له صغير لا يورّقه بكائه وصراخه ولا يبلّه ببلبله * كما انه لا شيء اوجع لقلبه من ان يراه مريضا غير قادر على الشكوى بلسانه ليعلم ما ينبغي ان يداوى به * بل الاطبآ انفسهم يحارون في مداواة الاطفال وقلّما يصيبون الغرض * وكان الاولى ان يعيّن لعلاجهم اطبآ اختصوا بمزاولة ذلك عهدا طويلا * وان ينوّه بمن نبغ منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع * ويجب على الوالد اول ما يرى ولده قد مرض ان يتعهده ويراعي احواله وما طرا عليه ويثبت ذلك في كتاب ليخبر الطبيب به اخبارا مبينا * فربما اغنى ذلك عن كثير من الدوآ الذي يجازف به الاطبآ احيانا لامتحان حال المريض * ومن اهمّ ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام * لان الطفل لما كان لا يدري حدّ الشبع الذي يعوق عدة الراشد كان اكثر

اسباب مرضه من الاكل * فليس من الحنوّ والشفقة ان تطعم الام ولدها كل ما يشتهيه * وانما الاولى ان يلهّى عنه باشياآ من اللعب والصور المنقشة والالات المزوقة وما اشبه ذلك * وما احلى الولد يطلب شيا من ابيه وقد حمّر الخجل وجنته او عض الوجل طرفه * وما احبّه وهو مطوق عنق والده او والدته بيديه اللطيفتين ويقول انى اريد هذا الشي لآكله * ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهيه * ويبكى لاجل ما لا ضرر فيه * ولعمرى ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى دموعه لغير تاديب كان بمعزل عن الابوة * وينبغى ان يدرّب الطفل على الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقاآ الارضاع قليلا * فان الطعام يغذّيه ويقوّيه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته * بل ربما مناها طول ارضاعها اياه بمرض ولم يفده شيا كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر الناس ذرّية * ولا ينبغى ان ترضعه وهى غضبى او مذعورة مضطربة او مريضة * ثم انه ما دام الرجل عزبا او كان لم يربّ ولدا قط لم يشعر حق الشعور بالحنو على اولاد غيره * بل لم يقدر والديه اللذين ربّياه حق قدرهما الا بعد ان يصير هو والدًا مربّيا * والامّهات اللاى يرضعن اولادهن يكُنّ بالضرورة احنّ فوادا عليهم من اللاى يستاجرن لهم المراضع * ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر * وربّ امّ وطفل حيل بينهما كما تفرّق ارواح وابدان * لم يتمالك ان يذرف الدمع لوعة وتحسرا * وكذا لو قرا قصصا فيها فجع الاباآ بقتل اولادهم الصغار الابرئآ كقتل اطفال مدين بامر موسى على ما ذكر فى الفصل الحادى والثلثين من سفر العدد * سوآء كان ابوا الطفل مومنين او كافرين * ومن لم يكن قد تحلّى بصفة الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يابُنىّ او باولدى فلا تشق بكلامه ولا تعول على

دعائه * لانه لا يعلم معزة البنوّة الا من كان ذا ابوّة * وكان الفارياق
ممن اذاقه الله حلواء البنين ثم تجرّع مع ذلك مرارة الثكل * فقد كان
له ولد بلغ سنتين وكأنّه كان قد سُبك فى قالب الحسن والجمال فجاء
لم يَعْدُه شى مما تقر به العين * وكان على صغر سنه ينظر نظر المميز
بين المؤنس والموحش ويالف من تملق له ولو باشارة * فكان ابوه
اذا رنا اليه ينسى فى الحال جميع اشجانه وهمومه * ولكن لم يلبث ان
يغشاه عارض من الكابة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر
اللامّة * ويرى نفسه انه غير جدير بان يتملى بتلك الطلعة الناضرة *
وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه ويغنى له * حتى أَلِفه
الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل
وحده على انفراد * الى ان قدر الله ربّ الموت والحياة ان اخذ الصبىّ
سعال فى تلك القرية * ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى
البلاد من انه لا يوجد فيها اطباء مهرة وكان لا بدّ من مشاورة طبيب
على اية صفة كان * استشار ابواه احد المتطببين هناك * فاشار عليهما
بان يتداركاه بالاستحمام بالماء السخن الا راسه * فعملا بوصيته اياما *
ولم يزدد الصبى الا سقاما * حتى كان اذا انزل فى الماء بعدها يُغشَى
عليه ويُرَى فوق قلبه لطخة حمراء كالدم على شكل القلب * ثم اشتد به
الداء حتى احتبس السعال فى صدره وخفت صوته * وكان يعاوده مع ذلك
الرعدة والهزّة * وبقى فى حالة النزع ستة ايام بلياليها وهو يئن انينا
ضعيفا وينظر الى والديه كالشاكى لهما مما يقاسيه * واستحال الورد من
خديه عبهرا * وغارت عيناه النجلاوان * ولم يعد شى من الغذاء والدواء
يسوغ فى حلقه الا تكلفا * وكان الفارياق فى خلال ذلك يذرف

العبرات ويجأر بالدعآ الى الله ويقول * ربّ اصرف هذا العذاب عن ابنى الىّ ان كان ذلك يرضيك * انى لا مأربَ لى فى الحياة من بعده ولا طاقة لى على مشاهدته فى هذا النزع الاليم * فأمِتْنى قبله ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه * آه عظمت ساعةً * وان كان لا بدّ من نفوذ قضائك به فتوفّه الان * ولعل الفارياق هو اوّل والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنوّ * فان روءْية الطفل يغرغر سنة ايام مما لا يطاق * وبعد ان تُوفّى الولد * وابقى فى قلوب والديه الحسرة والكمد * استوحشا من مقامهما اذ كان كل شى فيه يذكرهما فقده ويزيد فى لوعتهما * فنقلا منه الى لندرة على حين غفلة وقد وضعاه فى صندوق فلما دفناه واستقرا فى منزل قال ابوه يرثيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جارِ والذكر ما وارلك تربٌ وارِ

يا راحلا عن مهجة غادرتها تصلى من الحسرات كل اوار

حطأً وهمتُ فاين بعدك مهجتى ما فى حشاى سوى لهيب النار

وَقَفا اقلّ الجسمَ منى قادحا فكأنّه وِقر من الاوقار

ما كان ضرّ الدهر لو ابقاك لى عينا على الآثار والاذكار

ما بعد فقدك رائعى او رائقى شى من الظلمات والانوار

سيان ان جنّ الظلام علىّ او طلع الصباح وانت عنى سار

يا بئس ذاك الليل اذ لم يبقَ لى من مطمع فيه الى الاسحار

ارّقتنى من قبله ستا وفيه حُرمْت غمضى واستطبتُ شِعارى

أبُنىّ ما يجدى التصبّر قولهم حكم المنيّة فى البرية جار

كلّا ولا بى قرّ بعدك من حمى ما هذه الدنيا بدار قرار

كم قد حملتك فوق راحى اذ غدو ... ت وزحت ثمّت خرت خير محار

ولكم سهرت الليل من جزع فما ... اغنى بكاى عليك او اسهارى

ولكم جأرت لبرء دائك ضارعا ... ولغير نفع كان طول جؤارى

ولكم حضنتك فى الحنادس خوف ان ... يطرا عليك من الحوادث طارى

وجمال وجهك لى يخيّل اننى ... فى روضة أُنُف ضحاً نهـــار

ان لم يصوّرك المصوّر لى فقد ... صُوّرتَ بالمأثور من اشعارى

او ان يكن واراك لحد ضيّق ... فالارض عندى اليوم اضيق دار

او ان تكن عنى حُجبتَ فانما ... بُقِيَتْ حِلاك خوالج الافكار

لا انسينّك او احين فما اتى ... حين علىّ خلا من استذكار

ولارثينّك ما بقيت وان أمُت ... فليتلونّ رثاك عنى القارى

ياحسرةً عُدم التصبّر بعدها ... عَدَمَ التبصّر فى احتمال خَسارى

كثر المعاين لى وقلّ معاونى ... وكوت حشاى شماتة الزوّار

فرويتُ بيتا قاله من ذاق ما ... قد ذقت من نكل ووحشة جار

جاورت اعدآى وجاور ربّـه ... شتان بين جواره وجوارى

يافجعة نزلت فحطّم كاهلى ... تأويلها وادان قصم فقارى

فى ليلة فارقت فيها ناظرى ... ابدا وفارقنى على اجبـار

لا غرو ان يك قد سرى جنح الدجى ... عن ناظرىّ فكل نجم سـار

قد كنت اطمع ان يعيش مهنّأً ... بعدى ويبلغ اطول الاعمـار

ووددت لو ان ذقت حتفى قبله ... لكن خيار الله غير خيـارى

وشددته بيدىّ رغمًا ليته ... هو كان وشدّنى على ايثارى

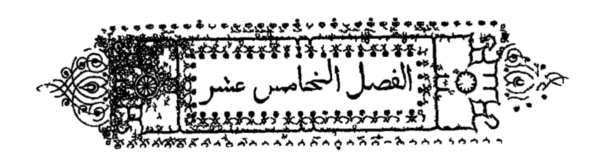
عينى اليه ربّ وما لى حيلة ... بالبيت من نظرنى انظـار

قصرت يدى عن كف ما اوْدى به ... ان الفتور حطمه الاقصار

لهفي عليه وطرفه لي يشتكي اذ كان لم يقدر على الإخبار
لهفي عليه على السرير موسّدًا ولو استطعت لكان فوق يساري
لكنّ ادنى اللمس كان يزيده المًا فكان يؤوّه من اشعاري
ويئنّ انّه مستجير واجفا كالطير قُرّ فبات دون قَرار
حتى خشيت الدمع يولم جسمه لمّا عليه همى كوَدْق جار
يارعشة اودت به قد اورثت قلبي الوجوب ولوعة التذكار
ليت النفوس اقرّ عيني بعد ان سخنت بنفض فيه ذي اقرار
لهفي عليه في الظلام معانقي وكوايَ من شفق اليم غِرار
لهفي عليه والغناء ينيمه واذا سكتّ صبا الى الاكثار
لهفي عليه وهو ياخذ من يدي وبعيد ما يعطوه لاستغزار
لهفي عليه وهو لائكُ رُدْنه بلآلئٍ وضّاحة ودراري
يايومَ انشبت المنيّةُ فيه طَفلاً لا يطيق عوالق الاظفار
ياخطّةَ عالت فسوّت بين حتفي والحياة الى مدى مقدار
قد كان يحلو العش حين يلوح لي والآن مرّ فصار ذا امرار
لا البعد يسليني ولا طول المدى وتخالف الاعصار والامصار
ما تنقضي الحسرات او اقضي اسًى فبذا عليّ حرى قضاءٌ الباري
كلّا ولا تطفي اواري عبرتي ولئن هَمت في الصبّ كالامطار
فالنار الّا نار ثكل تنطفي والماء لا الدّمع ضدّ النار
ياليت راهي العيش يوما راجعٌ وفداء مربوب ابوه الهاري
فاكون فاديَ عمر نجليَ لاقيا حتفي لقاء القانع المختار
داريتُ ما لا ضير فيه لاجاه فاليوم لست لما بضير اداري
ان المنية والاماني بعده سيّان مستويان في استشاري

فلتفعل الايام بي ما تشتهي ما بعد هذا الخطب من اضرار
ولتذهب الامال عني انني لم يبق لي في العيش من اوطار
من ذاق ثكلا مثل ثكلي فاجعا فليُقصرنّ اليوم عن إصْباري
وليبكينّ معي ويحملني على فرط البكآء بمدمع مِدرار
ما هدّ ركنُ الصبر مثلُ الثكل او حَسْم المطا كحسامه البتار
الطفل يقضي مرة لكنما يقضي ابوه قبله بمرار
تعروه في نزع ابنه وخفوته ادوار حَيْن ايما ادوار
هيهات مَن قد اسبهت اطواره في فقده اوطاره اطواري
او انّ في سوء الاسى لي اسوة او ان في طول الحياة قُصاري
لن ينفع الانسان شيا حرصه كلٌّ الى اَجَل على مقدار
الموت غاية كل حيّ يستوي فيه ذوو الايسار والاعسار
والسابقون يضمهم يوم مع المتاخرين الى نرًى منهار
لكن يوم الطفل افجع حيث لم يعرف له مضمار سعي دار
ما لذّ طعمَ العيش الا من عدا ه الثكل لا من كان ذا ايسار
فالرزء في الاموال مثل الشعر نر زأه فينبت خِلفة الاطوار
فليَهْنِ من عاشت بنوه عيشه وليَصفُ موردُه عن الاكدار
بعض الرزايا قد يساغ وبعضها يبقى سماً يسحي مدى الاعمار

- ------ -



الفصل الخامس عشر

في الحداد

ثم لمّا لم تكن بدّ للفارياق من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤومة سافر باهله الى كمبريج * وبقوا مدة طويلة يمسون ويصبحون ما بين خطيئة ومشيئة * لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او بالعكس * ثم تراخت عقدة الحزن قليلا عن العيون لا عن القلوب * لان العين لا تطاوعان القلب دائما * كيف وقد قيل وضعفان يغلبان قويا * فاستعمل كل منهما اوّلا الصاصاة والوصوصة والبصبصة والبصبص والتحصحص والبصبص والوَبَص والبصير والتقبّح * ثم اللوح واللمح والشفد والخزر والتخازر والشطور والمخاوزة والمخاوصة والملاوصة والتحسّن والعرضة والرّنو والتحدل والزرّ والانماص والانحط والالنفات والدنفسة والنساوس والمعاصبة والمحاوبة * ثم كالانسام والنظر والشفو والصرّو والاحلاّ والتحاسد والرّنّ والشعر والمعاينة والمشاهدة والرؤية والنعي والشاوه والدهي * ثم الرارأة والالالاء والاءرنو والاستو والتحديج والتحسو والانحط والتحدم والتحديم والاتحدم والتحديج والتحملقة والعسحرة واللتّ والاعرو والاحص والاءعاق والارعاق والوروزة والحرر والطفسد والاآر والتحملة والطرفسة والربهرة والسدقد والاسو والتحصص

والتفصيص والتهصيص والارشاق والرثام والبرشمة والبرهمة والجرسمة * ثم الشخوص والطمس والحمم والاشصاء والتطاول والتطالل والاشرئباب والاسلنطاء والاشتياف والاستيضاح والاستشراف والاهطاع والتدنيق والترميق والحثء والحتش والصدء والاسجاد والتامل والتكلئة والتفرس والتطلع والرنو والترني * ثم تصالحت العيون والقلوب * فغدت تلك تترجم عن هذه والكمد مع ذلك مخيم في اطرافها * غير ان الانسان خلق من نطفة امشاج وركب من عدة اخلاط وجواهر واعراض مختلفة * فهو لا يزال ابد الدهر ماشحا هذا في ذاك وخالطا جدا بهزل وفرحا بترح * فتراه ساعة قانطا واخرى كاسفا * واونة مفراحا واخرى مبتئسا * ويوما طربا شبقا ويوما او بعض يوم عزها * فهو بشر خلقنا وغول خلقا * واكثر ما ترى منه غمالجته هذه في امر النسآء * فانه ان تزوج بمليحة قال ليتني كنت تزوجت بقبيحة وسلمت من ضبرنية معارفي وجيراني * وان تزوج قبيحة قال ليتني تملحت بمليحة لاكون ذا وجاهة ونباهة * وان كانت امراته بيضآء قال ليتها كانت سمرآء * فان السمر اخف حركة واسخن في الشتآء * وان كانت سمرآء قال ليتها بيضآء فان البيض ارطب ابدانا في الصيف * وان كانت كمكامة مكتنزة قال ليتها كانت ممشوقة هيفآء * فان الهيف اقل مونة * وان سافر عنها قال ليتها هي التي سافرت وبالعكس * الا في مدة وضعها فانه لا يتمنى ان تكون في موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكن حصره * اذ اخفى شي من المراة انما هو بحر لا يمكن البلوغ الى قعره * والحاصل ان للقلب شوونا كثيرة واحوالا متباينة لا يزال يتقلب بها * او لا تزال هي تتقلب به * وعلى كل فتسمية فلبا دال عليه * ويستثنى

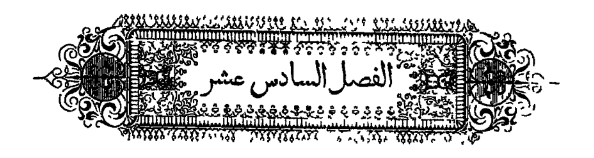
من هذه القاعدة شي واحد وهو ثبات الانسان في كل حال وشان * واصراره
في كل زمان ومكان * على تفضيل نفسه على غيره * فلو كان فاجرا حسب
ان لا برّ عند الله الا برّه * وان كان فظّا غليظا راى كل كيّس ربيز
دونه * وان كان بخيلا ظن ان كل حرف يفوه به هو منّة كبرى * وان
كان دميما ذميما لم ير اللوم الا على نظر الناظرين له * وكما ان عين الانسان
تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة
بعيوب الخلق كافة الا عيب نفسه * ولو طاف الدنيا باسرها لما
راى فيها من المحاسن ما في مدينته او قريته * ثم ليس من المحاسن
في بلدته ما في بيته * ولكن ليست هي في احد من اهله كما هي
فيه * فتحصّل من ذلك انه افضل من العالم كله * ولو انه كان شاعرا
او بالحري شعرورا لا يحسن الا الاطرآ على بخيل او التغزل بهند ودعد *
ثم راى علمآء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوي
شقة خمسمائة فرسخ في يوم واحد * لحسب ان شعره انفع من ذلك
والزم * ولو كان مغنّيا او لاعبا بآلة من آلات الطرب وراى جارا له
طبيبا نطاسيا يداوي في كل يوم خمسين عليلا ويبرئهم باذن الله
لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع * ولم يخطر بباله قط ان الانسان
يمكنه ان يعمّر في الارض دهرا طويلا من دون سماع غنآ او عزف بآلة *
فمتى يتعلم الانسان ان يعرف نفسه * وان يفرق بين الحق والباطل *
وان لا يخلط الحزن الكامن في القلب بالتحديق والحملقة * واقبح
من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره ايضا يفعل كذلك
فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره * ومثله قباحة شان من
تلبس الحداد على ميت لها وهي في خلال ذلك يردهيها الرنآ وتستحفها

ذكر الذكران * وترتاح الى رؤية غير اللون الاسود وتطربها نعمة القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك * وانك جديرة بان تنفعنى على منصة وتامرى وتنهى الوصائف من حولك او بالحرى الوُصفاَ * وان لا تتناولى شيا بيدك هذه الوحصة * وان لا تحرجى من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة * وان لك فى كل مكان عشاقا كثيرين بحيث لا تعدمين فى كل وقت من يحوطك ويخدمك ويلاطفك وينسيك حزنك * وغير ذلك من الكلام الذى هو انتهاك لحرمة كلّ من الموت والميّت * قال الفارياق قد رايت كثيرا من النسآ الحوادّ فى بلاد الانكليز وغيرها وهن اكثر حفة وطربا وازدهآ وضحكا من العروس وامّها * ولم ار بينهن من كانت تنظر الى ثيابها السود اذا ضحكت لتتذكر ان كركرتها فى غير محلها * اما فى امر الزوج فربما يطلب لهن الحليم عذرا بان يقول مثلا * لعل زوجها كان يحزنها فى الليالى الحالكة فتوديها بالسواد انما هو لتتذكر سوء افعاله معها فى سواد تلك الليالى * او ان ايامها معه كانت كلها سودا كالليالى * فاما فى امر الولد والاب وغيره فلا عذر لمن احدّت وهى مزارتة مهرقة * ثم ان المحدّ عند الافرنج مطلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة العروس * اذ الفحول يتزاحمون على تسليتها وتلهيتها لعلمهم بما تحت ذلك السواد * وبان هذه العادة هى من جملة العادات التى خالف استعمالُها وضعها * والظاهر ان لفظة المُحدّ فى لغتنا هذه الشريفة مشتقة من حدّ السكين واحدّها وحددها اى مسحها بحجر او مبرد فحدّت تحدّ * فكانّ لابسة الحداد تحدّ شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة والانكسار وهو اشوق ما يكون فى النسآء * ويؤيّده ان صنفا من الثياب السود يُسمّى إسْبادا * وهذا الحرف يجى ايضا بمعنى حلق الشعر

كالسُبّد وانت بتمام المعنى ادرى * وتسمى ايضا سِلابا والسليب هو
المستلب العقل * فكانّ المراة اذا تسلّبت اى احدّت ولبست السِلاب
سلبت عقل ناظرها * واول ما يقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لها او
فى نفسه * فديتك * بابى انت وامى * لله انت * وقاك الله * وهبنى
الله فداك * ان شئت ان اكون اول من توسّل لمحو هذا الحزن من
صدرك فعلت * فانى انا أقْدَر منك على تحمل المكاره * فالقِ علىّ
هذا الهمّ القادح وكونى انت مهنّاة مسرورة * ان لدى آلة طرب عظيمة
وحزعبيلات كثيرة تفرّج عنك هذا الكرب * فلو زرتنى مرة او سمحت
لى بان ازورك لم يَعُد يخطر ببالك شى من الاشجان * انك رخصة رعبوبة
وارى هذا الخطب قاسيا عليك فلا يزول الّا بقاسٍ مثله * ليتك تعلمين
ما عندى من الأسَى والوجد لاجلك * وانى عتيد لان احرم نفسى من
جميع المسرّات بحيث اراك تفترّين عن ذلك الشنب الاشهى *
وتبدين فى خديك عند الضحك تلك النقرة التى طالما نقرت قلوب
العشاق * اىّ قلب لا يذوب لهذا الانكسار * واية عين لا تذرف الدمع
على هذا الازار * قَدْنى حزنا لحزنك وحسبى ان اجلو عنك صدا هذا الهم *
وكذلك المراة المحدّ فانها تعلم وهى ماشية ما يخطر ببال ذلك المشفق
عليها فتقول له او فى نفسها * نعم والله انى محتاجة اليك لتخفف
عنى ما اجده اليوم من الوحشة والسدم * وقد بت البارحة وانا غريقة
فى بحر الافكار والاكدار * واراك جديرا بان تعاقرنى وتسامرنى وتعاشرنى
وتبادرنى وتناكرنى وتجاورنى وتحاضرنى وتحاصرنى وتذاكرنى وتسارّنى
وتسايرنى وتداورنى وتشاعرنى * فالحمد لله الذى هدانى اليوم اليك
وهداك الىّ وقيّضك لى * لانى امراة منكسرة الخاطر ولا بدّ لى ممن ينفس

ءني ويونسني * حتى اذا نسيت ما اكابده والمّ بك كرب كان عليّ ان
افرّج عنك فان عندي مصدر اشتقاق الفَرَج * ومتى تنال انتَ الحبور
واعمّ السرور * فهلمّ اذًا الى المخالطة والمراوحة * والمساجلة والمكافحة *
بهذا ما ينشا عن لبس الحِداد * ولذلك كان كثير من النسآ يوثرن
اثياب السود ثقة بانها تقوم في تشويق من يلافينهُ من الرجال
مقام الحِداد * ولذلك كانت الافرنج ايضا يحبّون اللون
الاسود في الملابس ولا يتجاوزونه *
ولذلك كان لباس القسيسين
والائمة
اسود
*





في جور الانكليز

لما فرغ الفارياق من عمله في كمبريج سافر الى لندرة على عزم ان
يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حمّى نافضا * غير ان احد الاطباء
الجبّريين في هذه المدينة نفضها عن ظهره ولم يتقاضه شيئا * ثم اصيبت
الفارياقية بخفقاني القلب واللسان * فانها كانت وقتئذ مهرت في
لغة القوم * ثم اصيب هو بخفقاني العقل والراى * وذلك انه لما
تصرمت مدة غيابه عن الجزيرة وازف وقت رجوعه راى ان العود اليها
غير احمد * لان احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبحبحة
في المساكن * وتلك عادة للفارياق انه لا يدخل بلدا خصيبا الا
ويفارقه محلا كما تقدمت الاشارة اليه * ولانه فاته فيها بعض فوائد
فحرم منها لطول غيابه * فمن ثم قصد مدينة اكسفورد ومعه كتاب
توصية الى احد اعيانها وعلمائها وهو من اهل الكنيسة * فراى الوصول
اليه متعذّرا فان العلماء في هذه المدينة ليسوا كعلماء مصر في رقة
الجانب وبشاشة اللقاء * بل هم اشد فظاظة من العامة * وعندهم ان
الغريب لا ياتي الى بلادهم الا والشلّاق على عاتقه * ولذلك لما ذهب
الفارياق ذات ليلة ليرى بعض هؤلاء العلماء صادفه احدهم بباب المدرسة

فقال له من تقصد * قال فلانا * قال اين نسكن * قال في محل كذا * قال اعندك دراهم لتفي اجرة المسكن * قال ما انا بمطران ولا راهب حتى تزعمني اني قدمت البكم متسولا * ثم لما تعذر عليه الوصول الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا للخير سوى رجل من الطلبة يسمى وليم سكولتك (Williams Scoltock) وآخر من التجار كان الفارياق اشترى منه قطعة حبل ليربط بها صندوقه فابى التاجر ان ياخذ منه ثمنها فكانه ظن ان الفارياق لم يشترها الا بعد ان استخار الله في ان يخنق بها نفسه * رجع الى لندرة وفاوض زوجته في ذلك * فقالت له ان الجزيرة اقل خيرا من اكسفورد واني مللت منها كل الملل * فقد اضعنا فيها زهرة عمرنا ولم نحصل منها على ثمرة * فما الراى ان نعود اليها * فقرّ رايه ح على ان يستعفي من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب سر الحاكم يوذن بذلك * ثم اشتد بالفارياقية الخفقان فرأى ان مقامهما بباريس خير لهما * وذلك لما شاع عند الناس ان هوآ باريس اصح من هوآ لندرة * وان المعيشة فيها ارخص والحظ اوفر * وان الفرنسيس ابش بالغريب من الانكليز وابر * وان لغة العرب عندهم اكثر نفعا واشهر * وغير ذلك من الاوهام التي تدخل احيانا في رؤس الناس ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح * ولكن ينبغي قبل سفر الفارياق من هذه المدينة ان نعيد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من المحاسن والجور على اهلها اي على اهل الجمال * لتعلم هل رحيل الفارياق منها حلال او حرام * وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز * فان الكتاب قارب ان يتم ولم يبق من مجال للاسهاب * لاني اخشى من ان ياتي هذا الكتاب الاخير اكبر من الاول فيكون ذلك موجبا

للقدح فى من وجهين * احدهما ان مطالعيه يقولون ان المولف كان يولف الفصول فى اوله قصيرة والان ينشئها طويلة * فكانّه كان اوّلا غير ذى دربة بالتاليف او انه يريد ان ينسب اليه مضمون قولهم جرى المذكّيات غِلاً * والثانى انه كاد ان يلحق نفسه بالطرّادين وهو لم يشعر ولم يدر * فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيل وقال وكان وصار * فهو قد تبوّا صهوة الجَدَل منه واليه * ولم يغادرنا نراجعه ونعترض عليه * فما جزآ الثرثار من المولفين * الّا القآء كتابه فى القمين * قال الفارياق تصوّر فى عقلك انك ساكن فى حارة من حارات لندرة ذات صفين متوازيين * متصاقبين متناوحين * فى كل صف عشرون دارا * ولكل دار باب * ولكل باب عتبة * وامام كل عتبة درج او وصيد مبلّط * ثمّ مثّل لعينك هداك الله اربعين بنتا من الرُمُم النواهد * والجُشُم الخرائد * والعُبُن المواغد * والرُجُح الثوامد * ذوات النبهكن والمرافد * والمراصب والمسانب * والصلوتة والسجاحة * والاسولة والصباحة * واللبافة والملاحة * والكلثمة والترارة * والوثامة والنضارة * والوضآة والبسارة * والقسامة والشارة * والطلاوة والوثارة * والوسامة والبضاضة * والطراوة والغضاضة * والغِرَص والمَسالة * والمَلَد والعبالة * ومن الزُهْر والغُرّ والفُرّ والصهب والصُبح والصُحْر والعُفر والفُصح والمُغْر والأُدم والخُلس والبُره والوده والعِين والنُجل والشُهل والبُرّج * والشُكل والدُعج والجُود والبُج والفُرق والزُجّ والجُبه والبُلج والبُلد والذُلف والخُنس والشُمّ واللُعس والحُوّ واللُمى * ومن كلّ

رُعْبوبه   شطبة تارّه او بيضآ حسنة رطبة حلوة او ناعمة * وكان

حق هذا الحرف ان يوضع فى جدول الكتاب الثانى

لكن رايت الحكّاكات اولى به لتحقق معناه فيهن *

ولَبّة لطيفة *

وذات وجه مُصفَح المصفح من الوجوه السهل الحسن *

وبُهْصُلة شديدة البياض *

ورَبِلة عظيمة الرَبَلات والرَبْلة ويُحرّك كل لحمة غليظة والربالة كثرة اللحم *

ورِبَحْلة ضخمة جيدة الخلق طويلة *

ورَيْبل ناعمة لحيمة *

وذات شعر رَجِل بين السبوطة والجعودة *

ورَفِلة اى تجرّ ذيلها جرّا حسنا *

وزَوْلة خفيفة ظريفة فطنة *

وذات عين سَبْلآ طويلة الهدب *

وذات صوت خريد ليّن عليه اثر الحيآ *

وسِبَحْل ضخمة كالسبحلل *

واسْحلانيّة المراة الرائعة الطويلة الجميلة *

وطَفْلة رخصة ناعمة *

وعَبْلة عَبْلة ضخمة فخمة *

وعَيْطل طويلة العنق فى حسن جسم *

وعُطْبول فتيّة جميلة ممتلئة طويلة العنق *

وعَيْطَبول طويلة القدّ *

وعُمَيْثلة البطيئة لعظمها وترفّلها ومن تسبل ثيابها دلالا *

ومكتّلة مدورة مجتمعة *

وهَيْضَلة الضخمة الطويلة *

وهيكلة عظيمة *

وهُوْلة المراة تهوّل بحسنها *

وعَيْهل طويلة ومثلها العَيْطَبول والغِلْفاق والعنشطة والعَنَطْنطة والعَلْهبة والسَلْهبة *

وعَنْدَله ضخمة الثديين وهى ايضا الطويلة *

وعُرْطويلة حسنة الشباب والقدّ *

وعرنْدلة طويلة صُلبة شديدة *

ومَجدولة لطيفة القصب محكمة الفتل *

وخَثْلة ضخمة البطن *

وهِرْكِيْل حسنة الجسم والخلق والمشية كالهِرْكَولة *

ومأرومة حسنة الخلق مجدولته *

وجَريمة عظيمة الجسد ونحوها الجسيمة *

وجَمّاء العظام كثيرة اللحم *

وحُمامة جميلة *

ودَرْماء لا تستبين كعوبها ومرافقها (من تغطية اللحم لها)

ورُعْموم ناعمة *

وسَلِمة ناعمة الاطراف *

وشُغموم طويلة مليحة كالشعمومة *

وضِخَمّة عريضة اريضة ناعمة *

ومطهّمة السمينة والبارعة الجمال والمدوّرة الوجه المجمعة *

وقُعْمة استوى حاقها وعاظ سافها *

وقسيمة جميلة وكذا الوسيمة *

وكَثِمة ريّا من شراب وغيره *

ومكلثمة مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة *

وكمكامة قصيرة مجتمعة الخلق *

ووثيمة مكتنزة لحما *

ومُوشِم اوشمت المراة بدا ثديها *

وهضيم الهَضَم خمص البطن ولطف الكشح *

ونَثْنَة حسناء بضّة *

وبَخْدن ناعمة

وبادن معروف كبادنة *

وبَهْنانة الطيبة النفس والريح او اللينة فى عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح *

وبَهْكَنة شابة غضة وبقال للعجزاء تبهكنت فى مشيها *

وجُهانة شابة *

وحَبْناء ضخمة البطن

وذات شعر جَثِل متسلسل مسترسل *

وخَلِيف المراة التى اسبلت شعرها خلفها *

وراقنة حسنة اللون *

ومسنونة الوجه حسنته سهلته او فى وجهها وانفها طول *

ومَشْدونة العاتق من الجوارى *

وذات غَسَن الطول مع حسن الشعر *

وعَكْناء تعكّن بطنها *

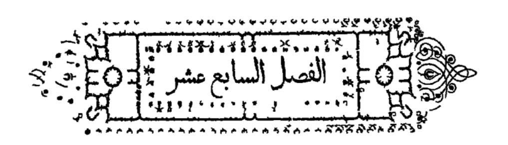
وعيّسانة ناعمة *

وفُينانة كثيرة الشعر *
وقتين جميلة *
وملسّنة القدمين الملسّنة من الاقدام والنعال ما فيها طول ولطافة
كهيئة اللسان *
ووهنانة بها فتور عند القيام *
وبرهرهة البيضاء الشابة والناعمة او التي تُرعَد رطوبة ونعومة والبرة الترارة
وذات زهرهة الزهرهة حسن بصيص لون البشرة ونحوه وترهره جسمه
(والاحرى جسمها) ابيض من النَعمة وجسم زَهْراه وزهروه
وزَهْره ناعم ابيض *
وفارهة الجارية المليحة والفتيّة *
ووُدهآ المراة الحسنة اللون في بياض *
ومُوهُوهة التي ترعد من الامتلا *
وسَجْوآ الطرف ساجيته اى ساكنته *
وعابية حسناً من عبا يعبو اى اضآ وجهه *
وحسنة العرّية اى المجرد والمعارى حيث يُرَى كالوجه واليدين والرجلين *
تاخذ بيديها اللطيفتين مكنسطا وصابونة ودلوا فيه مآء حميم * ثم تجثو
على ركبتيها المدماجتين وتطفق تحك عتبة الدار ووصيدها وهى تتذبذب
وتضطرب وتنحنحت وتتعثعث وتتمثمث وتتبعج وتتحلج وتتخلج وتترجرج
وتتمخج وتتمعج وتتنجنج وترتجج وتتضحضح وتتاوّد وتتخضد وترعد وتميد
وتتأطر وتتدهكر وتتزرزر وتسجهرّ وتتمرمر وتتململ وتمور وتتحيّز وترجّز
وتتلزلز وتتمزمز وتتهزز وتتحسحس وترقّس وتتمخس وترخش وتتنغش
وترنعص وترفّص وتتلصاص وتتنصنص وتوخص وتتخصخص وتلصاص

وتتمخص وتتنغص وتنرتيع وتترتيه وتتسيع وتتنوّع وتتغصف وتترقرق وتريق وتتركرك وتروه وتريه وتتلوّه وتتلوّى وتُصْرى * وربما اتفق مع رؤية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها فى الشوارع فياحسن ذلك منظرا ومسمعا * ولكن ياأغنيآ لندن واعيانها الم يكن لكم من وسيلة لمشاهدة هذه الشواخص والجواهص الا باذالة عزة الحسن المصون * ايحل لكم إنتهاك حرمة الجمال وامجال ايدى هولآ الحسان وركبهن لتملأسّ اعتابكم * ما بال جيرانكم الفرنساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون خدمتهم تنظيف درج الديار من داخل فقط * فيضع الخادم شيا كالتبتاب او النعل فى رجله ويكشط به ما قدر عليه وما لم يقدر عليه يتركه الى المرة الثانية او الثالثة * ونحن كذلك لا نكلف نسآنا هذا التنطّس الذى لا معنى له * وانما نَكِل اليهنّ ما آل الى القفش والرفش اى الطعام والفراش * ومع ذلك فتزعمون انكم تحترمون النسآ وتعرفون قدرهن اكثر منا * لقد كَبُر ذلك قولا * فاما تسريحهن فى الليالى الحالكة ليطفن فى كل زقاق وشارع وتسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يعدّ عندنا من الاكرام لهن فى شى * بل هو احرى ان يكون دُيْبوبيّه وقُرْطَبانية وقلطبانية وكلتبانية وذُؤثية وديّوثية وقُمْعوثية وقوّادية ونُوْريّة وسُقّرية وصُقّرية وعُزّوربة ولياسيّة وطَزِية وطَسِية وقُنْدعية وقنذعية ودُسّفانية وإدْسافية وإمذانبة ومُمانويّة وشُعْبنيّة وشقحطبيّة وادفائية وارفحيّة * ليت شعرى كيف يكون قلب الخادمة حين تامرها مخدومتها فى كل يوم قائلة حكّى العتبة * او حين تسالها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك * نعم لو كانت العتبة وردت عندكم بمعنى المرأة كما هى فى لغتنا هذه الشريفة لكان لا يبعد ان يسبق وهمها عند السوال الى ذلك * الا ان لغتكم بابسد

قاسحة لا تحتمل التاويل ولا التخريج * ولست ارى لهذه العادة المشطة من سبب سوى ان احد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله اعلم منذ ثلثمائة وخمسين سنة * وكانت امرأته دميمة فغارت السيدة منها فكلّفتها حك العتبة والوصيد فى كل يوم اذلالاً لها فى عين سيدها * كانّ القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفُنُق * او كأنّ الشى المجمج يحتاج الى مرفد * او الشى المتدملك الى وشيعة من القطن * او الغَيْل الى غلالة من الخز * او المُكّرة الى جوارب من حرير * فسرت هذه العادة الذميمة فى جميع كبرائكم الى عصرنا هذا عصر التمدّن والرفق بالنسآ * وانتم اسارى العادات والتقلبد * فمتى الفتم فَعِلة لم يمكنكم ان تنتقلوا عنها * وذلك كتكليف الفتيان من خدمتكم ذرّ رماد ابيض على رؤسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق * وككشف عجائزكم فى الولائم من ترائبهن واذرعهن * مع انه لا مناسبة بين اوقات القصوف والحظ ورؤية ترائب منجردة تمنى القوم بالقَمَه * فاما مواطاة الناس على ما اخترعه الامرآء والاعيان على اجرآء العادات السيّئة فهو غير خاصّ بكم * بل هو عام ايضا عند سائر الامم الافرنجية *





في وصف باريس

كان وصول الفارياق الى هذه المدينة الشهيرة في ليلة ذات ضب
فكانت غشاوة مغلسة عن رؤية ما فيها من الخصائص * فلما اصبح اخذ يطوف
في شوارعها كالمعترّ المستطلّ فاذا بها ملآنة من المرائي والمرائق
والروائع والروائق (١) والجَرائي والاطلاء والزوانى والدُمى والحَدادات
والرَحْب والزُوَب والفُحوب والجراج والأُنُج والسّاحات والمصاحات
والمصائد والفخاخ والسواصر والسواسر والقحّارات والتخاجس
والمعافس والنصوص والمساوات والقُنّاعات والمخارق والخواطف
والعواطف والكُفُف والزِنق والطِبَق والعوائق والمسق والعلائق
والاوهاق والشباك والأشراك والشُوذكانات والاحابل والكوابل
والسهوم والمصالي * فظهر له ان قوام كل شيء وعماده وملاكه ونطه في
هذه العاصمة موقوف على وجود امرأة * فجميع الصيت والكلف
والحوانيت والكُتُب والمراسح والكراسح والكنائس والمتاحف
والمجالس والمسارح والاسواق والمخازن والمحارف والمصانع والعداسو
والفنادق والدكاكين والقرائن والملاذات والمدارس والجادات
والاندية والمطاعم والمشارب. دونها سآ واي سآ * وبا من كعب او أربع

(١) الروائع ملواح تصطاد به الجوارح وكذا الزوانى *

او أُوارجة او أنجيدج او بُرْجان اوجُذآء(ا) او بُرْنامج او عهدة او محضر او جُذْر او وِصْر او قِطّ او فُنْداق او صَكّ او فذلكة او سُيّال او ترقيم او ترقين او جُداء لا وتتعاطاه المراة هنا * واللبيب من الرجال مَن اتّخذ فى حانوته او محترفه رامجا مايحا يلوّح به للشارين والمجتازين فى السبيل * ولا فرق بين ان يكون ذلك الرامج من اهل بيته او غريبا وانما العبرة بانعقاس الفخ على اعناقهم * هذا وقد اختصت نسآ باريس بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نسآء الافرنج * فمن ذلك انهن يتكلمن بالغنّة والخنّة والنشيج والهَزَج والهُزامج والترنجم والتطريب والسُكْت والحَبْرة والنبرة والاجَشّ والتعثيث والترجيع والاصحاع والقُطْعة والتغريد والتهويد والمدّ والترسيل والترتيل والفصل والوصل والزَجَل والهلهلة والادغام والترخيم والتدنيم والترنيم والرَوْم والاشباع والتفخيم والامالة والتنعيم والتنغيم والتحزين والحنين والجُذن والتلحين والطَنْ والشجو والترنية * حتى ينتشى السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يفككن أزراره او فقاره * ومن ذلك تغيير الزى فى كل برهة وبهن تقتدى سائر النسآ * فلو لبست احداهن مثلا عَبعبا او حزّقت ثوبها لعبّ الناس حتّ ذلك العبعب وصار التحزيق سنة فيهم * وعنهن يوخذ ايضا تقصيب الشعر وسَبْته وتسريجه وتسريحه وتسميده وتجميره وضفره وتطريره وتنفيشه وعقصه وتصفيفه وزرقلته وتشكيله وفرقه وكَدْحه وكدهه وادّرآؤه وجدله وتفتيله وتعبيته ومشطه الكُعَكُبّة والمُقدِمة واتخاذ قُصّة منه او قُزّعة او قُنْزعة وجعله مكرهفا او مسبلا * ومن ذلك انه لطول ترددهن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا * فترى المراة منهن تمشى فى الاسواق والشوارع وهى تميد وتمل وتتخلع وتتفكك * وبالبت مولانا صاحب

(ا) عبارة القاموس فى ب رج وحساب البُرجان قولك ما جُذآ كذا فى كذا وما جذر كذا فى كذا فجذاؤه مبلغه وجذره اصله الذى يضرب بعضه فى بعض وجملته البرجان انتهى غير انه لم يحك فى باب اليآ غير الجدا بالدال المهملة وعبارته الجدآ كغراب مبلغ حساب الضرب ثلاثة فى ثلاثة جداؤه تسعة * واضرب عن ذكر الضرب بهذا المعنى فى موضعه *

القاموس كان يعرف البلكى والمازركى والسوتيشكى والكدريل والريدوفى والقلس وغيرها من ضروب الرقص حتى كنت اروبها عند هنا فى حق المانسات فى باريس * ومن ذلك تحكمهن على الرجال وتعززهن عليهم فى كل حال وبال * فترى الرجل يماشى المراة وقلبه بين رجليها * واذا خلا معها فى البيت فهى الآمرة الناهية المستعلية القاصية * وهو المصحب المصحاب المُذربج المُدلبج المدمّج المكبوج المكفوج المعنوج المصوّب المدنّج المتزيّج المختضد المُسجد المعتسر المشروس المتضّع * ولا يزال طول الدهر وجاما ولا خبل * ويرمن ان يكون لهن كل شى مبهابيا موّربا مرفّلا موفرا موقّلا مسبغا صافيا مرتبزا وافيا تامّا كاملا * حتى ان اللغة الفرنساوية مبنيّة على هذا الوحم * وذلك انهم يحذفون فى اللفظ اواخر جميع الالفاظ المذكرة وينطقون بها فى المونثة * وعلى ذلك قول الفارياق

عند الفرنسيس المونث واجب   تبليغ آخره الى الاسماع
وهو الدليل على تزوق نسائهم   طبعا على التبليغ والاشباع
او انه صفة الكمال لهن ان   يك ممكنا يوما لذات قناع

وكانّ احد التيتائيين من نحاتهم غاظه ذلك فجعل من بعض قواعد لغتهم تغليب المذكر على المونث * ولكن هيهات فان امراة واحدة هنا تقوى على عشرين ذكرا * ومن ذلك ان عنوان جمالهن مكتوب على جباههن نظما ونثرا * فمن النظم

مَلِكُ الجمال اعزّ من ملك له   جند واعوان وعرش ارفع
ذو المُلك تتبعه الجنود تكلفا   وابذى الجمال الناس طوعا تتبع

ومنه

من حارب العين خانته مضاربه   وليس يجديه شحذ السيف عن جَلَده
فمضرب السيف مشحوذ على حجر   ومضرب الطرف مشحوذ على كبده

ومن النثر * الكلام بالغُنّة * شفآء من العُنّة * فرط التنهيد * ابلغ في التهنيد * الخَدَل * جلآ المقل * صخم الحماة * يفتح اللهاة * صغر الاقدام * يقزح الإدام * كم صريع في السوق * من كشف السوق * ان ابراز الترائب * كاشف غمّ النوائب * ان العُبْعُب * املا للعين واحبّ * ان الاعجان * داعي الافتتان * ان النّوق * اصل الشَنَق * لا تفكّن * الا ويزيله التبهكن * التهيّم * ادعى للتهييم والتتيّم * المغاصنة * دليل المحاصنة * غلائل الصيف * امضى من السيف * لا فرار * بعد الافترار * لا عاصم * بعد كشف المعاصم * توهج الطيب * اشوق للحبيب * ربّ ابتسامه * جلبت غرامة * العين غزّالة * والقامة فتّالة * الحسن معبود * والدينار منقود * الدينار * فكّاك الازرار * من اكثر من الصله * نال ما امله * البضع لذى الدنيا * والدنيا لذى البضع * من ذاق عرف * ومن غازل هرف * الى الملهى الى الملهى * فبادر ثمّ لا تلهى * وعللها بكاس ثم عما شئت فاسالها * والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال الفرانساويات وجمال الانكليزيات هو ان الاول من قبيل التداوى من الشى بضده * والثاني من قبيل التداوى منه بجنسه * وذلك ان العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفتور والترهّل والترنّح والاسترسال والاسترخآ والاسترخاخ والاسترخاف والرشرشة والنشنشة والانخرار والتملطة والتلمطة والخَنَث والهنبتة واللُونة والهُلاث والابثجاج والطرسحة والامرحداد والنرنره والنحتر والعسوسه والتعّد والحراعة والالحع

والطِرّيقة والرهوكة والثرطلة والعَدَن والانشطآ المستدعية لنقائصها من الاشتداد والتصلّب والانمرار والتاتّب والتقسّح والتقسّب والتوتر والتعلّب والتعرّد والتعلّد والانزاز والتاذّد والعصّ والاستعراز والتأيّد والكأن والانكاع والتكلّد* وجمال اولئك عنوان على هذه الصفات المستدعية لنظائرها وكلاهما في المراة حسن * ومن ذلك انهن يرين التقليد في الحبّ والزيّ معرّة * فكل واحدة منهن تجتهد في فنّها حتى تصير قدوة لغيرها * اما في الزي فمنهن من تقبّب صدرها بقدر ما تقبّب نسآ الانكليز بذائلهن * ومنهن من تتّخذ لها قبّتين من قبل ومن دبر * حتى تكون اذا مست عائقة لساتهها ومواجهها * وكشف الساق لابراز الحماة ونطاقد الجوارب مطّرد لهنّ * فاما في الحبّ فمنهن من تريد على صفات المدفم الصتد التي ذكرها ابو نواس في الهمزية * ومنهن من تونر التجشّم الكمري او الامتلاج القنبي * واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون * فإمصاصهم وتبظيرهم ليس من السب في شي * ومنهن من تجمع بين اللذتين الخرنوفية والفنقورية ولها سعران * ومنهن من تزيد على ذلك ما اراده الشيخ جمال الدين بن نباتة من شوص الفرخ وله ثلثة اسعار * ومنهن من تزيد عليه الشوص بالاخصين وله اربعة * ومنهن من تمكن من قفط النَوْدلين وثغر ما بينهما مجردا * ومنهن من تضيفه الى اللذتين المذكورتين مع شوص الفرخ باناملٍ واخامص وهو اغلى ما يكون * ومنهن من تتفاحل وتتقمّد على اخرى مثلها * وهذا النوع عزيز لا يراه الا الموسرون * ومنهن من تتعاطى الحرفة التترسية وهو قرع الترس بالترس * ومن اغرب ما يكون ان بعض شيوخ الفرنساوية الذين بذب فكرهم وتخيلهم لهرم اجسامهم ووهن حركتهم يزرون على جميع

الانواع المذكورة التلمّظ بالعُذرة * وذلك بان يضطجع احدهم وهو عريان ويامر من تستوى فوقه وتملأ فمه * ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغوب من مشخبه زُغلةً زُغلةً اوْ بمص القنب * وقد يجتمع رجال بواحدة فيقيمونها بين ايديهم عريانة ويقعد لدى قبلها ودبرها اثنان * وياخذ آخر فى صبّ الشراب من فوق صدرها وظهرها * فيبادر اليه الرجلان وهما فاغران افواههما ويشربانه عند مروره على السَّمِّين * والنسآ المثريات المغتلمات يستعملن رجالا يقودون اليهن كل من راوه ابتع من الرجال ولا سيما من اهل الريف * فيدخلون عليهن فى بعض الديار وهن متبرقعات كيلا يُعرَفن ثم ياجرنهم على ذلك * وفى الجملة فان كل ما يخطر ببال النحرير من امور الفسق يراه الانسان فى باريس بعينه بالعَين * واعلم ان اهل باريس قد اصطلحوا على امور فى المعاش والنسآ تميزوا بها عمن سواهم * اما فى امر المعاش فان من ياكل منهم فى المطاعم الشائعة فانه يشارط صاحب المحل او بالحرى صاحبته على ان يعطيها فى الشهر قدرا معلوما وياكل عندها شيا معلوما * فتعطيه تذاكر توذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يعيدها عليها فيودّى اليها عن كل غدآ او عشآ تذكرة * فيتوفر عليه فى ذلك ربع المصروف * وقس عليه الحمامات والملاهى وما اشبهها * فاما فى امر النسآ فان اصحاب البيع والشرآ لمّا كانوا قد اتخذوا لادارة اشغالهم نسآ حسانا كما سبقت الاشارة اليه * فاذا خرجن فى الليل بعد انقضآ اشغالهن ترصدتهن الرجال ودعوهن الى مواضع الاكل والقهوة والرقص واللعب * فتذهب كل واحدة مع من تحب * فمتى رافقته الى احد هذه المواضع علم ان حقه عليها صار ضربة لازب * فاما ان يستوفيه منها تلك الليلة فقط او

يوافقها على اعادة الوصل فى كل اسبوع مثلا مرتين او ثلاثا وان يعطيها
فى آخر الشهر اجرة معلومة * وما بقى لها من الساعات فانها تؤجره
لآخرين باجرة معيّنة * فترى للواحدة منهن عدّة عشاق تواصلهم فى
اوقات مختلفة من الليل والنهار * ومع ذلك فلا تزال تلقب بدُموازل
وهى كلمة تطلق على الابكار على وجه التعظيم * ومعناها سيّدة غير ذات
بعل * ومنهم من يتصدى لمعرفة هولآ البنات من المراقص * فيعمد
الرجل الى بنت ويدعوها للرقص * فاذا اعجبته واعجبها دعاها للشراب
فى موضع مخصوص فى المرقص وعقد عليها عقد الوبارة المشهورة * ومن
عامل واحدة منهن مشاهرة لم ينفق عليها نصف ماينفقه لو قصدها
على كل مرة على حدتها * وللنسآ رخصة فى باريس ان يدخلن جميع
المراقص العمومية من دون ان يدفعن شيا اجتذابا للرجال بكنوزهن *
ولكن عليهن ان يرقصن معهم اذا استرقصوهنّ * الا اذا اعتذرن اليهم بعذر
يقبلونه كأنْ تقول المدعوة مثلا قد دعانى آخر من قبلك فلا بد لى
من ان ارقص معه او نحو ذلك * ثم انه لا حرج ايضا على من اكترى
فى منزل بيتا مفروشا كان او غير مفروش ان تزوره صاحبته فى مسكنه *
سوآ كانت من النوع الذى ذكرناه اعنى من النسآ اللآتى بمنزلة بين
الحرائر والزوانى او من غيره * وان تبيت عنده على علم من الجيران
والسكان * فان منزله هذا عند اهل باريس كمنزل المتزوج * ولا فرق
عند اهل باريس بين امراة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تربيهم
فى تقوى الله وطاعة الملك وبين قحبة تبيع عرضها لكل ابن سبيل
وتتفشخ لكل مجتاز فى الطريق كما تقول التوراة * وهناك اسباب
اخر كثيرة للفساد فى الديار * وذلك انه لما كانت جميع الاشغال فى

باريس تديرها النسآ وكان منهن غسّالات وخدامات لهنّ ياخذن ثياب السكان وخياطات وفرّاشات وبياعات للماكول والمشروب والملبوس * امكن للرجل ان يصاحب واحدة منهن فتاتيه مياومة اذا شآء بحجة انها تقضيه شيا او تبيع له حاجة * او ملايلة او مشاهرة او مساوعة او مسانهة وذلك ممنوع في لندرة * بل ربما صاحب الرجل امراة من نفس الدار التي يسكنها * لان ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان اصغرها يحوى في الاقل عشرين نفسا ما بين رجال ونسآ * امكن للرجل ان يعاشر احدى جاراته * بل المتزوجون المقيمون في هذه الديار لا يامنون على نسائهم وبناتهم * لان الرجل اذا خرج من بيته وخالفه فيه جاره الى زوجته مئة مرة في اليوم لم يمكنه ان يعلم ذلك لقرب ما بين المسكنين * ولهذا كان اهل باريس اقلّ غيرة على نسائهم من جميع الناس * لانهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه * ولا يمكنهم ان يربوا اطفالهم عندهم خوفا من تضجر الجيران منهم * وانما يبعثونهم الى الريف من اول اسبوع ميلادهم فيربون في احجار المراضع * وهي عادة حميدة من جهة ان الاطفال يتقوّون هناك بطيب الهوآ * وهناك سبب آخر وهو ان الطُّفل بترشيحها ولدها وتربيته تخسر من نفع حرفتها اكثر مما تعطيه للظئر * لان نسآ باريس يباشرن جميع الحرف ولا يرين في التكسب عارا بايّ وجه كان * وهنّ في البيع والشرآء اشطّ من الرجال * ومن تكن جميلة تتقاضَ على النظر الى جمالها نبا زائدا على الثمن * ثم ان حالة الرجال مع النسآ على المنوال الذي ذكرناه تعدّ عند هولآ الناس من المصالح المهمّة المرتّبة المطردة * بمعنى انه ليس من دار الّا ويحصل فيها وصال بين الرجال والنسآ مع

مراعاة حرمة كلّ من الزائر والمزور * ومع عدم الاخلال بالوقت الموقوت لكيلا يحصل تعطيل للمزور فى شغله * ومع مجانبة ما يسوء الجيران من لغط وعربدة * ولا تكاد ترى فى باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف فى الليل وهى سكرى كما ترى فى لندرة * وندر وجود احداهنّ فى متاخر الليل * وقلّ من آذت زائرها او قاصدها * وهناك فرق آخر بين نسآ الفرنسيس والانكليز من جهة الخُلق لا الخَلق * فالظاهر من نسآ الانكليز فى الغالب الكِبر والأنَفَة والصَلَف * والظاهر من نسآ الفرنسيس اللين والبشاشة * الا ان نسآ الانكليز لا يتدللن على الرجال ولا يجشمنهم الترَف والتحف والولائم والملاهى والمنازه والفرج * فاكلة من الكباب وكرعة من المزر تكفيان فى استجلاب رضاهن * وليس عندهن من الرّوم والمِحال * والخَلب والاختتال * والدها والنكر والاحتيال ما عند نسآ باريس * فامّا ان تحب احداهن مثلا شخصا وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه * فاما نسآ باريس فمعما يظهر منهن من الملاينة والمباغمة * والملاطفة والملآمة * فاذا عاشرت واحدة منهن وشعرَتْ بانك ارتبقت فى هواها ورُقبت تبغنجت عليك وتدللت * وتصلّفت وتمحّلت * واوهمتك ان مجرد كلامها معك منّة * وان ارضآها والخضوع لها سنّة * وان كثيرا هى عشقها متيمون ناحلون * هائمون ناسمون * حتى تستقلّ عليها كل كثير من الصِلات والهدايا فتقبل منك ما تقبل وانت لها من الشاكرين * واذا دعوتها لوليمة فلا بدّ من اروائها من الرحيق المختوم * وتوحيمها بافخر المطعوم * فتلتهم ما تلتهم وتشتق ما تشتق وهى متشبعة متعففة * متمنعة منظوفة * فاذا ضَحِكَتْ حَسِبْتَ ان ليس لضحكها من نظير * واذا مشت ودت

لو كان خطوها على الديباج والحرير * حتى ان هذا التصلّف ايضا صفة ملازمة للمتزوجات * فان المراة المتزوّجة فى باريس تغرّم زوجها على كسوتها فقط ما ينفقه المتزوج من الانكليز على جميع اهله * فداب الرجل فى باريس وهمّه وشغله ارضآء زوجته وهيهات ان ترضى وما احسن ما قيل فى هذا المعنى

لا يعجب الزوج الاان تكون بمن | تحبّ محفوفةً اَوْ لا فاعنات
وكيف يرضى امرء يحمى حقيقته | بالقِرن والقَرن افتوا ايها الناتُ

وقال

وداخلة الانسان تفسد كلها | اذا اصبحت زوج له امّ خارجَه
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة | له هى فى البيت الفلانى والِجَه

ولهذا يقال فى المثل السائر عند الفرنساوية ان باريس نعيم النسآ ومطهر الرجال وجحيم الخيل * ولما كانت حالة الرجال مع النسآ هكذا كان ثلثة ارباع سكان باريس مسافحين * ونصف الربع الاخر متزوجين زواجا شرعيا والباقى منقطعون عن النكاح * كذا اخبرنى من يوثق بكلامه * ثم ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرّة وتعرف ايضا ان الناس يعرفونها كذلك * فلا تكلفهم احترامها * ولا تسومهم اعظامها * فاما البغىّ من الفرنسيس فعندها ان مجرّد استبضاعها للبضع يؤهّلها لان يكرمها الناس ويداروها * ويجلّوها ويسانوها * وذلك لعدم استغنائهم عنها * وجرّهم النفع منها * وقد تقدّم ان الفرنساوية لا يفرقون بين الحرة والبغىّ وبقى هنا ان نقول انهم اشد الناس سبقا الى البعال * وافرمهم الى السفاح * وناهيك انهم فى الفتنة الكبرة التى حدثت فى

سنة ١٧٩٣ اقاموا امراة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها * فصوّر لخاطرك ايها القارى كيف تكون الرجال والنسآ فى هذه المدينة فى ليالى الشتآء الباردة الطويلة * وكم من ملهى يغصّ بهم وبهن وكم من مآب * وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب * وكم من سرر تهتزّ * ومضاجع تأزّ * واجناب تلزّ * واوطاب تمزّ * واوتار تنزّ * انشدنى الفارياق لنفسه فى وصف باريس واجازنى روايته

وفى باريس لذات كما فى   جنان الخُلد جَيْرٍ وحور عِيْن
ولكن شانهن دوام طمث   لكل اربعون من القَرين

وقال فى الراقصات

لله در الراقصات لنا على   نغم المثانى حيث تُجلَى الكوبُ
لو كان يوما وطؤهن علىّ لم   تثقل لدىّ من الزمان خطوب

وقال فى رامج

ذى البار يزية طلعتها   كالصبح بها قلبى مغرم
فى الليل اريد تحيتها   فاقول لها بُن جُوّر مادم

قال وكما ان الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلى بصره بمشاهدة تلكم الحكاكات للاعتاب فى لندرة على الصفة التى تقدم ذكرها * كذلك تقرّ عينه برؤية امثالهن فى باريس طائفات فى الشوارع والاسواق من دون غطآ على روسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها * بخلاف عادة النسآ فى لندرة فانهن لا يخرجن الا ملتحفات * قال وعندى ان هاتين الخلتين وهما حك الاعتاب والخروج من دون التحاف

هما السبب فى قلة وجود العميان فى هاتين المدينتين السعيدتين * وقلما ترى فى رجالها احول او ازور او احوص او اخوص او ارمص او اكمس او اعشى او اخفش او اعفش او اعمش او اغبش او اغمش او ارمش او امتش او ذا دَوَش او مدش او طَخَش او غطش او غفش او طَفَنْشاً او طَمّشا او مغطرشا او مطغمشا او مطرفشا او مطفرشا او مطنفشا او مدنفشا او مدنقشا * فعلى كل من كان فى بلادنا اعمش ذا عين ان يقصد هذه البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة * وليستصحب معه ايضا لهذا الجلآ جلآ اى لقبا ينبى عن شرف وسيادة * فان القوم يعظمون هذه الزَنَمة ولا يرون للانسان فضلا بغيرها * وعلى فرض تحرّجه من الانتحال والتزوير فان غناه يكسبه اياها من عندهم * لانه متى كان غنيا وجعل دابه ان يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث ان يتعرف بزمرة من الكبرآ السعدآ وان يرورهم فى مغانيهم * وح يسمونه بسمة شرف تشريفا له وتشرفا به اذ لا يرورهم الا الشريف مثلهم * فاما حرص النسآ على هذه الزنمة وخصوصا نسآء الانكليز فهو اوسع من ان يحصر فى هذا الكتاب *





الفصل الثامن عشر

في شكاة وشكوى

ثم رام الفارياق ان يستاجر شقة دار ليسكنها هو واهله فراوا عدة اماكن لم تخل من عيوب * وكانت الفارياقية في خلال ذلك تتمعّص من ارتقاآ الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فاكثر * حتى اذا تبواوا محلاً وجدوا موقده رديئا * فلم يمض على ذلك ايام حتى طفقت تشكو وتقول * ياللعجب كيف تنخدع الناس احيانا بشي وتنوّه به دون تحقق معرفة حاله * ومتى يستقر ببالهم وجوده على حال من الاحوال يَعُد تغيير وهمهم عنه محالا * حتى ان تغيير الوهم من الخاطر يكون اصعب من تغيير اليقين * لان من تيقّن شيا فانما يتيقنه عن علم * ومن طبع العالم ان ينظر دائما في الحقائق واضدادها ولا يزال باحثا عن الصحيح والاصحّ * فاما الوهم فلا يدخل الا راس الجاهل * ومتى دخل فلا يكاد يخرج منه * مثال ذلك وَهْم الناس ان مدينة باريس هي اجمل مدينة في الدنيا * مع اني رايت فيها من العيوب ما لم ارَه في غيرها * انظر الى طرقها والى ما يجري فيها من الدم والنجاسة ومن المياه المتنوعة الالوان * فمن بين اخضر كماء الطحلب واصفر كماآ الكركم واسود كماآ الفحم * ويتلاحق بها جميع اقذار

المطابخ والمرافق * وروائحها ولا سيما فى الصيف اشدّ اذى من رويتها * فهلّا جُعل لها مثاعب تحت الارض او ابياب تنفذ منها الى نهر او غيره كما فى لندن * وانظر الى مبلّط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات * فانك ترى حجارته قد اختلت وتباعد بعضها عن بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع عقبة او درج فهى لا تزال تهتز وتضطرب * وسبب ذلك ان البلاط هنا يفرش فرشا غير مرصوص ولا منضم بعضه الى بعض فاذا اتت عليه سنون زاد تباعدًا وتخلخلا * فاما فى لندن فانه يرص بعضه الى بعض قائما فتسير عليه العجلات سيرا سريعا سهلا بلا قرقعة ولا اضطراب * وانظر ايضا الى برازيق الطرق هنا اى حيث تمشى الناس * فما اضيقها واقذرها واقل جدواها * ففى كثير من الحارات لا يمكن لاثنين ان يمشيا معا على حافّة واحدة منها * بل هى لا توجد راسا فى كثير من الطرق او توجد غير كاملة من الاول الى الاخر فتراها قد تعطلت فى موضع واختلّت فى آخر * وانظر الى هذه الانوار القليلة فى الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها * فقد يمشى الانسان فى اكثر الطرق من فانوس الى آخر اكثر من مئة وعشرين خطوة * وانظر الى صغر هذه الحوانيت وقلة انوارها وبؤس اهلها وشحّهم * فقلما تجد عند احدهم نارا * مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور * وتامل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحيضها * فقد تجد فى الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدّة مصاب للمآ وللاقذار * وناهيك ما يخرج منها صباحا من الروائح الخبيثة * ومع كون هذه المراحيض قذرة نجسة خالية عن لوالب المآء

فليس لها مزاليج من داخل لياس الانسان فى حال حلوله من انبعاق احد عليه * فكثيرا ما يدمق عليه دامق ولمّا يكن اتى على اخر ما عنده فيلحقه بالبذغ والأمدر او الماصع او الجازم او الراطم او المزرم (١) وقد سالت عن سبب ذلك فقيل لى ان صاحب الدار اذا كان معورّعا يتحرج من وضع المزاليج خيفة ان يدخل بعض الساكنين والساكنات معا ويتحصنوا بها * ومن اقذر ما يرى فى حيطانها آثار اصابع مختلفة فكانّ الفرنساوية يستطيبون الاستطابة باصابعهم * وحين ينظفونها ليلاً تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر فى الحارة كلها * فلا يمكن للانسان ان يبيت الا مسدود المنخرين * ثم ان هذه الديار ما عدا كونها تشتمل على ست طبقات فاكثر * وعن ذلك وعن فساد التبليط يسمع لمرور العجلات قرقعة زائدة كما لا يخفى * وما عدا كونها تحوى سكّانا كثيرين ما بين فاجر وفاجرة ومستهتر ومستهترة * فان كثيرا من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهوآ * ولا يكاد الانسان يستريح فى محل منها * فانه اما ان يجده قريبا من المرحاض * او يجد موقده رديّا * او يجد فيه فارا او جرذانا * او يجد جاره ذا صخب ووقاحة يغنّى النهار والليل او يعزف بآلة طرب * او يخلو بالمومسات على هَرج ومرج وقرقرة وكركرة * وان من داخلها ما يضحك ويبكى * فالمضحك ما يرى من الخلل فى هندمة الابواب والشبابيك وفرش المبلّط بالآجرّ واتصال بعض المساكن ببعض * والمبكى رؤية هذه المواقد فانها مبنية على شبه القبور وذلك اول ما يخطر ببال الداخل الى مسكنه * فهى جديرة والحالة هذه بان تكون صوامع للرهبان المتبتلين لا مضاجع للناس المتروجين * واغرب من ذلك ان ابواب الديار لا تزال مفتوحة *

(١) البذغ الجارى فى ثيابه ونحوه الامدر وضع بسلحه على عقبيه اذا سبته من فوق او تحلّ وجزم بسلحه اخرج بعضه وبقى بعضه وزطم السلح حبسه وازرمه قطع عليه بوله

وان البوابين يتعاطون الحرف والصنائع فى كنّ لهم يلزمونه ليلا ونهارا * فمنهم من يشتغل بالخياطة ومنهم بحذو النعال ونقلها وغير ذلك * بحيث ان كل انسان يمكنه ارتقآ الدرج بلا مانع * وقلّ ان يبصر البواب من كنّه احدًا لان عينيه ابدا ملازمتان للابرة او الإشفى * ولذلك كانت دواعى الفساد فى باريس اكثر منها فى لندن * وما يرى هنا من الديار البهية والطرق الواسعة الحسنة فانما هو حديث عهد * فكيف كان لباريس شهرة فى الزمن القديم وديارها العتيقة وطرقها العهيدة مما ينبو عنه الطرف وتتقذره النفس * فاين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكاكينها الواسعة الظريفة المزججة باحسن الزجاج وانفسه * ومن ديارها النظيفة المهندمة * قال فقلت ومن حكّاكات اعتابها * فقالت ومن إعتاب حكّاكاتها * ثم استمرت تقول ومن مساكنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التى لا تزال مكسوة بالزرابى الفاخرة * أيْم الله ان صعود خمسين درجة منها لاهون علىّ من صعود عشر درجات هنا * واين تلك المواقد البهية المصفّحة بالحديد اللمّاع المجلو فى صباح كل يوم * وتلك الشبابيك والطيقان المحكمة التزجيج * واين تلك المطابخ التى لا يزال فيها نور الغاز متوقدا والمآء السخن عتيدًا للسكّان * وكم فيها من وصائف خُرّد يتمنّى اعظم المخدومين عندنا ان يكون لاحداهن خادما او طبّاخا * قلت بل لامحًا * قالت او لاحسًا * ألَا واين حسن نهر تامس وما فيه من سفن النار التى تسير الى ضواحى لندن فى الصيف وفيها آلآت الطرب * فتراها ملآنة من الرجال والنسآ والاولاد فكانما هى رياض مزيّنة بالازهار * واين تلك الحدائق الكبر وجودها فى كل جهة فى المدينة وهى التى يسمونها ترابيع * ومن

يسكن فى غرفة مطلة عليها يخيل له انه فريف * فاذا مشى بعض خطوات وراءها راى الناس وازدحامهم اقبالا وادبارا * ثم اين تلك الانوار المتوقدة فى كل من الطرق والدكاكين * بحيث انك اذا كنت فى اول الشارع وسرحت نظرك الى اخره ادهشك حسنها وازدهارها * وظننت انها نسق كواكب قد نظمت فى سلك واحد * وانما يمدح باريس من لم يكن قد راى لندن او من راها بعض ايام ولم يعرف لسان اهلها * ثم اين ملاطفة مكريات المساكن ورفقهن بالنازل عندهن غريبا كان أو لا * فان الغريب اذا تبوّا منزلا عندهن يصبح وقد صار واحدا من اهل البيت * لان كلًّا من صاحبة المنزل ومن الخادمة * وما ادراك ما الخادمة * تلاطفه وتوانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشترى له ما شآء من السوق * وتطلع اليه كل يوم بالمآء السخن وتضرم له النار وتمسح نعاله * لعمرى ان النازل عندهن يمكنه ان يتعلم اللغة الانكليزية بمحاورته معهن فى اقصر مدة * فاما فى باريس فان النازل فى احد هذه المساكن قد يموت فى ليلته ولا يعلم به احد * فان بينه وبين البواب بُعْدا باعدا * وفى اكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرسا ليطنّه فيتحرك له البواب * ثم اين استقامة تجار لندن وصدقهم فى البيع والشرآ وتودّدهم الى الشارى واناتهم معه من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشترى ولا سيما اذا كان غريبا لما تاخروا * وانهم قد حاكوا تجار لندن فى وضعهم بطاقة الثمن على البياعات * ولكن هيهات * فان مَن سعّر حاجة بمئة افرنك مثلا يبيعها بثمانين * وقد يضعون فى وجوه الحوانيت اصنافا من البضاعة مسعّرة فاذا اردت ان تشترى شيا من ذلك الصنف جآءك بصنف دونه فى

الجودة * وحلف لك انه من عين ذلك الراموز * ولا يزال بك مبربرا ومثرثرا وحالفا وحانثا حتى تشتريه حيآء او خصما للنزاع * وغير مرة يعطون الشاري فلوسا او دراهم زائفة * فاما باعة الماكولات والمشروبات فانهم اكثر غشا وشططا في هذه المدينة من سائر الناس * ولهم في الوزن لباقة لم ارها عند غيرهم * وذلك ان من باعك شيا موزونا يطرحه في كفه الميزان بعجلة وهوج كالغضبان من روية سحنتك او على الميزان * واول ما تميل به الكفة يرفعه بلباقة ويسلمه لك * ولو ارسلت اليه خادمك او ابنك لباعه نفاية ما عنده وكان على السَحنة اشدّ غضبا * هذا ما عدا غشهم الماكول والمشروب وتغييرهم الاسعار بتغيير الاوقات والاحوال * وهذه اللباقة معروفة ايضا عند باعة الاصناف كَيْلًا وذَرْعًا * فاما ما يقال في مواضع التنزه والحظ في باريس وذلك كحديقة قصر الملك وما يليها فلعمري ان من راى حدائق كريمون وفكس هال وروجفيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosherville) التي في ضواحي لندن ما عدا حدائق كثيرة في حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها على ذكر غيرها * نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صغرها لكونها في قلب البلد وتلك منحازة عن الوسط * ولكن آه من قلب هذا البلد * كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة في كل يوم فهي عبارة عن حابور * لان النسآ ينتبنها ليتصيّدن منها الرجال * اذ تجلس المراة على كرسيّ بجنب رجل ممّن اعجبها وهي لا تعرفه * ويكون بيده كتاب يطالعه وبيدها منديل تخيطه او نحو ذلك * فيطفق هو يقرا في الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهي كذلك تمل ملّة وتهجل هجلة فلا يقومان الّا وهما متعاشقان * حتى اذا كان اليوم القابل تبدّل

كل منهما مقامه وعشقه * اما الجمال فليس من مناسبة بين جمال نسآء باريس ونسآء لندن فالذأبة او الخَفُوت هناك تعدّ هنا عَبْهرا (١) ولعزة الجمال هنا صار عزيزا فان الشي متى عزّعزّ فكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم فيه اشد * ومن اعجب العجب عندي ان الجميلة الرائعة في لندن تطوف باخلاق من الثياب * والدميمة الشوهآ في باريس ترفل بالحرير والكشميري * فاما مواضع الرقص فانها في لندن تفتح كل ليلة وفي باريس ثلث مرات في الجمعة لا غير * وفي اكثر شوارع لندن تسمع الغنآ من جواري حسان وآلات الطرب ليلا ونهارا من دون غرامة ولا كلفة * وليس كذلك في باريس الا ما ندر * وغاية ما يقال في التنويه بباريس وفي تفضيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة طريفة يجلس داخلها وخارجها الرجال والنسآ متقابلين ومتدابرين * فهل لمجرد القعود على كرسي يحكم لها بالفضل وتشهر عند الخاصة والعامة من اعصر متعددة بانها اجمل مدينة في العالم * ثم اين حشمة فتيان الانكليز وتادبهم مع النسآ سوآ كانوا في البيوت والشوارع من فتيان الفرنساوية هولآ الهصاهيص الذين يهصهصون ويهصّصون (١) في وجوه النسآ حرائركن او بغايا * ومتى ينظروا امراة مكبّة لربط شراك نعلها يطيفوا بها فيصيروا لحلقتها حلقة ولحتارها حتارا * ولا سيما حين ياتون الى هذه المناصع ويبدون فيها منادفهم — قال فقلت استمري في الحديث وقولي ما شئت بحيث لا تقفين على المنادف * قالت اتغار عليّ ايضا من الوقوف بالكلام * وانما وقفت بُهْرا من هذه الدنيا المبنية على النادفية والمندوفية * لا جرم لو انى كنت في مقام ملك او امير لما اكلت ممّا مسّته ايدى الرجال شيا * وبينما هما في الكلام اذا برجل يطرق الباب *

(١) الخَفُوت المرا تستحسن وحدها ا بين النسآ *

(١) الهصهاص البرّاق العينين وهصهصه غمزه *

ففتح له الفارياق وهو مستعيذ من دخوله على ذكر المنادف * واذا به يقول * قد سمعت بقدومك فاتيتك رغبة فى ان اقرا عليك فى العربية شيا واعطيك فى مقابلة ذلك خمسة عشر افرنكا فى الشهر * فلما سمعت الفارياقية اغربت فى الضحك على عادتها وقالت لزوجها * دونك اوّل دليل على كرم اصحابنا هولآء الذين طبّل بذكرهم العالَم وزمّر * فقال له الفارياق ما اريد منك مالاً وانما تبادلنى الدرس فى لغتك من لغتى * فرضى بذلك * ثم زاره احد علماء باريس بعد ايام وقال له قد بلغنى قدومك وانك مُولَع بالنظم * فلو نظمت ابياتا على باريس وذكرت ما فيها من المحاسن لقام ذلك عند اهلها مقام توصية بك * لان الناس هنا يحبّون الاطرآء والتمليق اى يحبون ان الدخيل فيهم يطرّيهم بالاطرآء * واذا كانوا هم دخلاً فى غير بلادهم اطرأوا على حكام تلك البلاد ونالوا عندهم الوجاهة والمكانة * فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة طويلة فى مدح باريس واهلها سمّاها الهرفية لانه مدحهم مجازفة من قبل ان يعرفهم * وستاتى مع نقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمه بباريس فى الفصل العشرين * فلما وقف العالم الموماً اليه على معانيها استحسنها جدا وترجمها الى لغته * وتوصل فى ان طبع الترجمة فى احدى الصحف الاخبارية وجآ بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول * قد طبعت ترجمة قصيدتك فى هذه الصحيفة وقد وعدتنى جمعيّة العلم الآسياوية (نسبة لاسيا) بان تطبع الاصل العربى فى صحفهم العلمية * لكونك اول شاعر مدح باريس باللغة العربية * فشكره الفارياق على ذلك وقال له انى اريد نسخة من هذه الترجمة * قال انها تباع فى مكان كذا بنحو ثلثى افرنك فسار واشترى نسخة * ثم قدم عليه بعد ايام بعض من قرا تلك

الصحيفة وهو يقول * قد قرات ترجمة قصيدتك واعجبتنى * فهل لك
فى ان تبادلنى الدرس * قال هو كما اريد * فاستمرّ يتردد عليه اياما
فى خلالها عرّفه بالعالم المشهور مسيو كترمير (QUATREMÈRE) وهذا العالم
عرّفه بمدرّس اللغة العربية مسيو كُسّان دُ پرسُڤال (CAUSSIN DE PERCEVAL)
ثم تعرف ايضا بالمدرّس الثانى مسيو رينو (REINEAUD) ولكن كانت
معرفته بهم كاداة التعريف فى قولك اذهب الى السوق واشترِ اللحم * ثم
زاره ايضا احد الاعيان الذين يتقدم اسمآهم اداة دُ وهى علامه النبالة
والشرف * وهو مسيو دُ بوفورت (DE BEAUFORT) وكان له اخت فى دارها
مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبرآ * فلما حان وقت امتحانهن فى
العلم صنعت مادبة فى بعض الليالى وادبت اليها الفارياقية وزوجها *
فقال الفارياق لزوجته * هآك مثالا على كرم القوم فقد مضى عليك
مدة وانت تشكين من الوحدة ومن بخل من تعرّفتُ بهم وتقولين
انهم لم يادبوك قط * وقد كان يادبك فى بلاد الانكليز من كان يعرفك
ومن لم يعرفك * حتى انك كثيرا ما كنت تتضجر من ذلك * لما انه
كان يلزمك له تغيير زيّك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان *
فابشرى الان ان اصحابنا بالخير قمينون حريّون * قالت نعم كل
منهم قَمِين حرِىّ * ثم سهرا تلك الليلة عند اخت الدّ الموما اليه على
احسن حال واصفى بال * فرجعت الفارياقية الى منزلها بقلب آخر وهى
تقول * نعم لقد تفضل بوفورت واحسن كل الاحسان * وقد رايت من
نسآ الفرنساوية من البشاشة والطلافة ما لم اكن اصدّقه * نعم ويعجبنى
منهن هذه الغنّة والخنّة التى تكثر فى كلامهن وهذا هو الذى جعل اللغة
الفرنساوية فيما اظن مستحبة * وهى من الاولاد اشجى واطرب * قال

فقلت الظاهر ان العرب ايضا تحبّ هذه الخنخنة * فقد قال سيدى صاحب القاموس نَخِم وتَنَخّم دفع بشي من صدره او انفه * ونَخَمَ لعب وغنّى اجود الغنآ * فضحكت وقالت اظن صاحبك كان يهوى مخنخنة وانى اشفق من انك لا تلبث ان تسرى اليك عَدْواه * سلّمتُ بان الغنّة بل اللُثغة بل اللدغة تستحبّ من الغلمان والجوارى * ولكن هل يطيق فتى ان يسمع عجوزا خفخافة تخنخن عليه فى انفه * وهل تطيق شابة خُنّةً شيخ هرم فى خياشيمها * نعم ويعجبنى من العامّة فى باريس انهم لا يسخرون من الغريب اذا راوه مخالفا لهم فى زيه واطواره * بخلاف سفلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام * بل ربما تكلف الواحد منهم ان يناديه من مكان بعيد حتى يبحّ * وما ذلك الّا ليقول له انك ياغريب دموىّ ملعون * ولعلى فى ذلك مخطئة * قال فقلت بل مصيبة فان جميع الناس يثنون على ادب الفعلة وسائر العامة فى باريس وعلى حسن كلامهم * ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن * فمما كرهت الفارياقية فى باريس غاية الكراهة هو ان النسآ يرخّص لهن فى دخول الديار مهما يكن من تخالف انواعهما * وزعمت ان ترتيب الديار فى لندن بهذا الاعتبار احسن * فقال لها الفارياق لا ينكر ان ديار لندن احسن ترتيبا باعتبار ان درجها قليل وان سكانها قليلون ملازمون للسكون * وان اعتابها تحك فى كل يوم * وان فى مطابخها ربلات قَدِية * وان داخلها مهندم مفروش بالبسط الجيّدة الا انها بُلَوْ النار * فاما ديار باريس فانها ابقى على الاحوال ومنظرها فى الخارج ازهى * فاما منع الموسات عن دخول تلك وترخيصهن فى دخول هذه فهو فى ظنّى دليل على اتصاف الموسات

فى باريس بالادب * بخلاف مومسات لندرة فانهن يتهتكن فى الشرب والومس * ولذلك منعن من الدخول الى السكان * وهناك سبب آخر وهو ان بغايا باريس معروفات فى ديوان البوليس واسماوهن مقيدة فيه * فلا يتجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش * فاما بغايا لندرة فقد خُلّين وطباعهن * ثم مضت مدة على الفارياقية وهى تقاسى من الخفقان ألمًا مبرّحا * فكان يلازمها اياما متوالية ثم يخف عنها * وفى خلال ذلك أُدبت مرة اخرى عند اخت الدّ * فسارت مع زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذى لم يجدا له فى باريس نظيرا * ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضرلها طبيبين من النمساوية فعالجاها مدة حتى افاقت قليلا * وكانت اخت الدّ قد تزوجت برجل اسمه (Ledos) فلما جآ اخوها ذات يوم الى الفارياق على عادته وجد الفارياقية تئنّ وتشكو من بلوغ الالم منها * فقال لزوجها لو استوصفت صهرى دوآء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات وقد ابرا كثيرين من هذا الدآء * فسار اليه الفارياق وساله ان ياتى معه ليرى زوجته * فقال له انى غير مرخّص لى من الديوان فى مداواة المرضى ولكنى لا آبى ان آتى معك رجآء ان يحصل شفا امرائك على يدى * ثم اتى ووصف للفارياقية ان تشرب مآ بعض اعشاب تغلى وبعث لها من ذلك بستة قراطيس * فلما فرغت وطلب الفارياق غيرها جآت اخت الدّاعنى زوجة المتطبّب تقول * ان زوجى يتقاضاكم خمسين افرنكا ثمن القراطيس * فلما سمعت الفارياقية ذلك تراجع اليها نشاطها وبادرتها اجمع وقالت لها * اما تستحيين ان تطلبى هذا المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك لبس بطبيب * فقال لها

زوجها ولكن اذكرى ان المراة اَدَبَتنا الى شرب القهوة والشاى مرتين وقد تخللناهما باشيآ من الحلوآ والكعك فلا ينبغى مقابحتها * ثم بعد جدال طويل ونزاع وبيل رضيت اخت الدّ بان تاخذ نصف المبلغ المذكور فاقبضها اياه الفارياق فولّت وهى مدمدمة وانقطع اخوها عن الزيارة * ومن هولآ المتطببين من اذا راى غريبا بشّ فى وجهه واحتفى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو من سعال او غبرة فيصف له دوآ * ثم يتقاضاه غرامة رابية على كل زيارة جرت بينهما من اول تعارفهما * وياتى بجيرة المحل شهودا على الرجل فى انه كان كثير التردّد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمنا * وحامل لوآ هذه الزمرة الثيمنه هو دَلِكْس (D'Alex) المتطبب المقيم فى لندرة فى Berner's street, n° 61. Oxford street ثم رجع الطبيب النمساوى الى مداواة الفارياقية * فلما نقهت اشار عليها بالسفر من باريس فاستقر الراى على تسفرها الى مرسلية * فقالت لزوجها قد طاب الان لى السير * من ارض ما فيها خير * هولآ معارفك الذين اتيتهم بكتب توصية من لندن والذين تعرفت بهم بعد ذلك هنا بوسيلة علمك لم يدعك احد منهم الى الجلوس على كرسى فى بيته * وهذا لامرتبس الذى اباعثه كتاب توصية من الشيخ مرشى الدحداح فى مرسلية كنت انه نساله عن امر فلم يجبك * مع انكَ لو كنت الى الصدر الاعظم فى دولة الانكليز لاجابك لا محالة سوآء بالسلب او الايجاب * وهذا المتطبّب صهر الدّ غرّمنا على ستة قراطيس خمسة وعشرين افرنكا * مع ان هذا الطبيب النمساوى وصاحبه قد عالجانى مدّة وعُنيا بى ولم يتقاضياك شيا * وكذلك تفعل اطبآء لندن جزاهم الله خيرا * افكل الناس يكرمون العرب ويرفقون به

لا اهل باريس * لقد كنت اسمع انه يوجد فى الدنيا جيل ملاذون
ملاّثون ملاّقون ولاّذون ولشيّون مّحاحون مُرامقون ذُمْلُقيّون مماذقون
غُمْلُجيّون مبذلخون مطرطرون مطرمذون خَيْتَعوريون مُبهلقون مُرامئون
مذّاعون طَرِفون خَيْدعيّون قَسِعون مِقْطاعيّون اُعْفكيّون مجّذاميّون
جُذابريّون كُموصيّون هُمَلْعيون مُنبجيّون تِلِمّاطِيّون بَذْلاخيّون وما كنت
ادرى اىّ جيل هم * فالان اغنى الخُبْرعن الخَبَر * وتحققت ان هذه
الصفات التى كنت استكثرها ان هى الاّ بعض ما يقال فى اهل هذه
المدينة * فان مودتهم يقطينية اى تنبت سريعا كاليقطين ولا تلبث
ان تذوى * ومواعيدهم عرقوبية طالما وعدوا فاخلفوا * ومنّوا فازهقوا *
وحالفوا فحنثوا * وعاهدوا فنكثوا * يبشّون بالمغترّ بهم ويهشون *
ثم هو ان لازمهم ملّوه * وان غاب عنهم نسوه * وما ينجزه غيرهم نعم ولا
فهم يرتبكون فيه اياما وليالى * يبداونه باساطير طويلة * ويختمونه بتهاتر
وبيلة * فاما بخلهم على غير المراقص فيضرب به المثل * وناهيك ان
نارهم فى الشتاء كنار الحباحب * ولو انهم اوقدوا نارا كنار الانكليز لرايت
جوّهم اكثر دُجّنة ودُكْنة من جوّ اولئك * وانهم فى الصيف لا يستسرجون *
وما عندهم غير هذين الفصلين من فصول السنة * فاما برد عارم * واما غتم
ملازم * اَلا وان احدهم لينزّل الافرنك اجرة من يعمل له منزلة الدينار
عند الانكليز * على ان بلدهم اغلى اسعارا من لندن فى لوازم المعيشة
او مثلها * ارايت انكليزيا يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس
حسابهم بالصنتيم * بل ان كثيرا من الانكليز لا يعلمون كم فى صلديهم
من فلس * نعم وان احدهم (اى اهل باريس) ليكتب اليك مكتوبا فى
شان مصلحة تقضيها له ولا يدفع جُعْله * ولقد يضحكنى من فحرهم

انهم ياكلون ابشع الماكول ولا تزال امعآوهم ملأى من شحم الخنزير * ثم هم اذا خرجوا الى المحافل والمثابات بالغوا فى التفخل والرّفلان غاية ما يمكن * وان كثيرا منهم يغلقون فى الصيف كواهم وشبابيكهم ولا يفتحونها ابدا * يوهمون الناس انهم قد ساروا الى بعض منازه الريف ليصيفوا فيه كما تفعل كبرآوهم * وان كثيرا منهم ليتقوتون بالخبز والجبن نهارا ليبدوا فى الملاهى والملاعب ليلاً * وان اشرافهم وذوى الدّ منهم ياكلون مرتين فى اليوم ويفطرون على محار البحر * والناس كلهم ياكلون ثلث مرات والانكليز اربع مرات * ولكن معاذ الله ان تكون الفرنساوية كلهم كاهل باريس * والّا فياخُسْرُ ما ضاع الثنآء عليهم كما ضاع مآء الورد فى غسل مرحاض * فاما نسآ باريس المضروب بادبهن وظرافتهن المثل فلعمرى انهن بُخْرٌ مجخرات (١) واكثرهن لا يستوغلن ولا يتلجّمن ولا يعتركن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا يتخذن الفِرام ولا المعابى ولا الفِراص ولا الثُمَل ولا الجدائل ولا الماحى ولا الربُذ * وليس لهن من نظافة الا على ما ظهر منهن من نحو قميص ومنديل وجورب * ولذلك تراهنّ ابدا يكشفن عن سيقانهنّ وهن ماشيات فى الاسواق صيفا وشتآء * بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس النجاسة فى الارض * فمن تكن منهن سوفآ افتخرت بساقها وبجوربها معا * ومن تكن نُفُوآء افتخرت بالثانى * وليس فى نسآ الارض كلها اكثر منهن تيها وعُجبا وزهوا وارْبا وتعنفصا وخداعا ومجابّة وغطرفة وتبغنجا * سوآ كن قباحا او ملاحا * طوالا او قصارا وهو الغالب فيهن * عجائز او صبايا * حرائر او بغايا * ذوات لحىً وشوارب او نقيات الخدّ * مذكّرات الطلعة والسحنة اَوْ لا * على انى لم ارَ فى جميع النسآ تذكيرًا كما فى نسآ باريس وارلندة

(١) البَخَرُ محركة رائحة مكروهة في قُبل المراة وهى بخرآ واجخر غسل دبره ولم ينقِ فبقى نتنه واستوغل غسل مغابنه واللجام ما تشده الحائض وقد تلجمت واعتركت احتشت بخرقة وشمذت المراة فرجها حشته بخرقة خشية خروج رحمها والفِرام دوآ تتضيق به والمعباة خرقة الحائض والفِراص جمع فِرْصَة وهى خرقة او قطنة تتمسح بها المراة من الحيض ونحوها الثمل جمع ثملة والربذ والجدائل جمع جديلة وهى شبه اتب من ادم تاتزر به الحيض والمماحى جمع ممحاة وهى خرقة يزال بها المنىّ ونحوه *

غير ان هولآء لسن مزهوات مغانيج كالباريسيّات * وانما الذى صيّرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن * وقرمهم اليهن * فترى الفرهد الغسانى مخاصرا لسعلاة منهن ومتذللا ومطيعًا لها * فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم فى بلادنا الجوارى السود تخلّصا من اسرهنّ وسرفهن * وقد رايت عامتهن لطّاعات اى يمصصن اصابعهن بعد الاكل ويلحسن ما عليها * فاما ذوات الشرف فانهن يغسلن ايديهن فى فنجانة على المائدة بحضرة المدعوّين ويتمضمضن بالمآ ثم يقذفنه فيها * فهل ذلك يعد من الظرافة والادب * اليس فعلهن هذا افظع من التجشّئ عندنا * وانما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من الفت عينه النظر اليهن بعد مدة * وهب ان نسآ باريس ظريفات كيّسات ولكن ما شان هولآ النسآ اللاى يقدمن من السواد والبراغيل والراذانات والرساتيق والمَذارع والدساكر والفلاليج * فمنهن من تغطى راسها بمنديل فلا يبين منه الّا شُعَيرات من عند فَوديها * ومنهن من تلبس طرطورا من القماش على راسها * حتى ان اهل باريس لا يتمالكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هولآ الباديات * واقبح من ذلك لهجتهن * وفى باريس كثير من النسآ يكنسن الطرق ويتعاطين اعمال الرجال * وفى بولون وكالى ودياب وهافر وغيرها من الفرض تجد النسا يحملن اثقال المسافرين على ظهورهن وروٴسهن * وليس فى بلاد الانكليز كلها من حمّالات الّا لاصحاب الاثقال * وزيّهن كلهن سواء * فكيف يزعم الفرنساويون انهم جميعا متمدنون * ولعمرى لو كانت النسآ فى بلادنا يخرجن فى الاسواق سوافر ويبدين فوامهن وخصورهن وسوقهن كنسآء باريس * لما تركن لهن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا *

الى مصر الى مصر بلاد الحظّ والأَرَب * الى الشام الى الشام معان الفضل والادب * الى تونس نعم الدار فيها اكرم العرب * كفانى من الافرنج ما قد لقيته وعندى ان اليوم فى قربهم عام * أَلَا دعنى اسافر من بلاد اسقمت بدنى * بماكلها ومشربها وبرد هوائها العَفِن * فقال لها الفارياق ان كنت تطيقين السفر فشانك * فقالت لَمَوْتى فى الطريق الىّ اشهى من التخليد فى دار اللئام * فمن ثم تاهّبت له * غير انه حصل لها فى غد ذلك اليوم من الضعف والالم ما منعها عن الحركة * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى

*



الفصل التاسع عشر

في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة

لمّا نُكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جرى * اجتمعت روسآؤهم في الدّين وارتأوا ان يبعثوا من طرفهم وكلآء الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنائسها ومن اهلها الخيّرين مددًا يقوم باودهم * فاختارت الكنيسة الرومية الارثودكسية الخواجا فتح الله مرّاش * واختارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اثناسيوس التتونجي مولف كتاب الحكاكه في الركاكه * ورجلا آخر معه يقال له الخواجا شكري عبود * فاقبلوا يجولون في البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا * وكان معهم منشور من مطراني الكنيستين المذكورتين في حلب يوذن بوكالتهم من الطائفتين في هذه المصلحة * فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخواجا فتح الله المزبور ورفيقه الخواجا شكري عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور* وبقي المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما في بلاد الانكليز* وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكيّة وهي على مذهب الكنيسة الفرنساوية * لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اساءة الادب

وتعدّى طور امثاله ما اوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا * فخشي والحالة هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحيق به سوء عمله * فلما ابرز رفيقاه منشور الوصاة لمطران باريس والتمسا منه المعونة عجب من رؤيته اسم المطران التتونجي مذكورا فيه دون رؤية سحنته * فقال لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما * فاعتذرا عن غيابه باعذار لم يقبلها منهما المشار اليه * وتذكر ما كان فعله التتونجي من قبل فردّهما خائبين * وكان الخواجا فتح الله مراش ورفيقه يترددان على الفارياق مدة مكثهما في باريس * لكن تردد الاول اكثر * وانما انس به الفارياق مع علمه بانه رفيق التتونجي لكونه رآه من ذوي المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال * وقلّ من كان على مثل ذي الحال وانطوى على غش ودَخَل * لان العلم يلطف العقل والعيال ترقق القلب * ثم ارتبك المطران في رُطْمة في بلد من بلاد اوستريا وهو فيما اظن بولونيا * ففصل منه على نكظ وخزيٍ وسار الى بلاد الانكليز مجتديا * ويومئذ ارسل الى رفيقيه المذكورين ان يلحقا به * فما مضت بعد سفرهما ايّام قليلة حتى ورد الى الفارياق كتاب من كاتب اللجنة (اي جمعية اخويّة) وفي ضمنه كراسة من كتاب كان قد عربه الفارياق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة * فايقن حينئذ بان احد رفيقي المطران عند ترددهما عليه سرقها من مجلده باشارة المطران * وانه لما اجتمع به في لندن سلمها له فاهداها المطران الى اللجنة طمعا في ايصال الضرر من جانبهم الى الفارياق * غير ان اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريمة ردّت الكراسة على الفارياق * اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة * وكان ورود

الكراسة يوم عزمت الفارياقية على السفر * فبلغ منها الغيظ والحزن كلّ مبلغ حتى لزمت الفراش * فاما المطران فانه تصدّى له فى لندرة بعض روسآء الكنيسة البابا وية ومنعوه من تعاطى الحرفة الساسانية * حتى ان شنعته وشهرته هناك عطّلت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصلحة من مصالح الكنيسة * فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا * امّا ألفارياقية فانها نقهت بعد ايام وصممت على السفر * فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المفخم فى مدينة القسطنطينية * ثم شيّعها وسفّر معها اصغر اولاده تسلية لها * ولما حان الفراق توادعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تُعْدِ العين تجيبهما بالدمع وهى العَسْقفة والعَسْقبة والتغبيض رجع الى منزله مستوحشا مكتئبا * وسافرت هى الى مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت اتمّ الشفآء * لكنها لم تغيّر نيّتها عن السفر الى اسلامبول * ثقة بان هذا الفراق يكون سببا فى وشك اللقآء * فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادّت كتاب التوصية لولده النجيب الحسيب صبحى بيك اذ كان والده حينئذ غائبا * اكرم مثواها واحسن اليها غاية الاحسان * وهذا مثال آخر على الكرم الشرقىّ ينبغى ان يبلّغ مسامع الامرآء الغربيّين من الافرنج * وفى غضون ذلك نظم الفارياق للمومى اليه قصيدة يمدحه بها على كرمه ومعروفه * ولزوجته ابياتا اودعها ذكر ما لقى من وحشة النوى وساتى كلها فى الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب * ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها * ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد القادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه * ثم عيل صبره

من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوّقة فصار من زمرة المقامرين * لكن جهله بها كان غير مرّة يبعث شريكه على العربدة عليه * فكان يرضى بان يكون حُرْضة فقط * (الحرضة امين المقامرين) ثم تعرّف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج فاما غيره من التراجمين وشيوخ العلم ومدرّسى اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة * لانهم نَفِسوا عليه بمآتهم وبِضَنّهم وبودّهم وكلامهم ولقآئهم حتى انهم ابوا ان يطبعوا له قصيدته التى مدح بها باريس بعد ان وعدوا بذلك *

وما كان خُلْفهم

الّا حسدًا

ولوْما

*





الفصل العشرون

في نبذة مما نظمه الفارياق من القصائد والابيات في باريس على ما سبقت الاشارة اليه

أى فارياق * قد حان الفراق * فان ذا آخر فصل من كتابى الذى اودعته من اخبارك ما املّني والفارئين معى * ولو كنتُ علمت من قبل الاخذ فيه بانك تكلفنى ان ابلّغ عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت راسى فى هذه الربقة * وتجشمت هذه المشقة * فقد كنت اظن ان صغر جثتك لا يكون موجبا لانشآء تاليفٍ كبير الحجم مثل هذا * واقسم انك لو تابّطته ومشيت به خُطًى على قدر صفحاته لنبذته ورآك وشكوت منه ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه * وما تمنعنى صداقتى لك اذا وقفت على احوالك بعد الان ان اولّف عليك كتابا آخر * ولكن اياك وكثرة الاسفار * والتحرش بالقسيسين والنسآ فى الليل والنهار * فقد مللت من ذكر ذلك جدّا * ولقيت منه عنآ وجهدا * والان قد بقى علىّ ان اروى عنك بعض قصائدك وابياتك * ولكن قبل الشروع فيه ينبغى ان اذكر حكاية حالى * وهى انى لما كنت فى هذه السنة بمدينة لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت قصيدة فى مدح مولانا المعظم * وسلطاننا المفخم * السلطان عبد المجيد ادام الله نصره * وخلد مجده وفخره * وقدّمتها لجناب سفيره المكرم

الامير موسورس * فبعث بها الى جناب فخر الوزرآء سيدى رشيد باشا بلغه الله ما شا * فلم تمض ايام حتى بعث المشار اليه الى الامير السفير يخبره بانه قدّم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول ووقعت لديها موقعا حسنا * وانه صدر الامر العالى بتوظيفى فى ديوان الترجمة السلطانى * فكان هذا الخبر عندى اسرّ ما طرق مسمعى * فينبغى لى الان ان اتاهّب للسفر لاتشرف بهذه الوظيفة * ولكن اعلم ايها القارى العزيز انه لما كان همى وقصارى مرامى كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفرى الى القسطنطينية وكان مكثى فى لندرة موجبا لتاخيره * لان اجزاءه المطبوعة كانت ترسل الىّ فيها لاصححها آخر مرة قبل الطبع * اشار الىّ الخواجا رافائيل كحلا الذى وَلِى طبع الكتاب بنفقته ان اسافر الى باريس تعجيلا لطبعه فاجبت الى ذلك * وكان وقتئذ فى مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة * فالتمست من صاحبى الخواجا نينه الذى قدم مع الخواجا ميخائيل مخلع فى مصلحة متجرية بان يراقب وقت سفر السفينة ويخبرنى بذلك لئلا تفوتنى فرصة السفر معها * وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات ومآرب فى باريس جُلّها يختص بامراته فوكّل بشرآئها بعض معارفه هناك * حتى اذا اشتراها له اوعز اليه فى ان يسلّمها لى وكتب الىّ كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى سرعة رجوعك الى لندرة * فصدقت قوله واقبلت اسعى الى لندرة وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دونى * وتركت التصليح على عهدة الخواجا رافائيل المومأ اليه * فلما وصلت الى لندرة تبيّن لى ان نصح صاحبى لم يكن مقصودا به حاجة حضورى ولكن احضار حاجته معى ليتوفر عليه بذلك جُعلها ومكسها ولتتزيّن بها زوجته قبل

انقضآ اوانها * فان السفينة بقيت في المرسى مدة طويلة لتصليح آلاتها على علم من ناصحى * فكان قدومي الى لندرة هذه المرة الثانية سببا في تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الىّ لانظرها قبل الطبع كما سبقت الاشارة اليه * ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا * غير انى احمد الله تعالى على انه لم يعرض له من الامور النسائية الا ما اوجب تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية * فقد طالما اشفقت عليه من ذلك كما كان الفارياق يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه العوارض * وهذه القضية مصداق على ما قالته الفارياقية في الفصل التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان في زواج او شركة او غير ذلك ويكون قد تقرر في بال احدهما ان له منّة على صاحبه * فمتى وردت على سمعك ياصاحبى نصيحة من احد فانشر طيّها واسبر غورها لتعلم هل الغرض منها نفعك خاصة او نفع ناصحك وحده او نفعكما معا * ولكن لا تبتدئ بنصيحتى هذه فانى لم اقصد بها الّا مجرّد نفعك فقط * واعلم يافارياق انه قبل تشرّف قصائدك وابياتك بادماجها في هذا الكتاب يجب علىّ ان اشرّفه والقارئين ايضا بالقصيدة المشار اليها وهى

الحق يعلو والصلاح يعمّرُ ... والزور يمحق والفساد يدمّرُ
والبغى مصرعه ذميم لم يزل ... آتيه عرضة كل سوء يثبر
والوعد تبطره من النعم التى ... يعيى بها الحرّ الكريم وينكر
طغت الطغاة الرّوس لما غرّهم ... في الارض كثر سوادهم وتجبّروا
كادوا ويرجع كيدهم في نحرهم ... ظُلّامهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نُهَى تنهاهم ... الظالمون الفاسطون التجّر

نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم　　لؤما وللعدوان بغيا اضمروا
حتى راى بعض المآثر راسهم　　بخس الحقوق وساء من يستاثر
ايظنّ ان الدولة العُليا السويد وانّه هو بطرس المتاخّر
كلّا لَيرتدعنّ ثمّ لَيعلمنْ　　اَن ربّها من يبتغيها يثأر
يامسلمون تثبّتوا ان جاءكم　　نبأ عن الروس العدى وتبصّروا
لا يغررنّكم كثير جموعهم　　فالحق ليس يضيره المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا　　متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمى عرضكم　　فاسخوا عليه بكلّ علق يُدخر
فى لَنْ تَنالُوا ٱلبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا　　مِمَّا تُحِبُّونَ الدليل الاظهر
وتمسّكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذمّروا
يغنيكم التكبير والتهليل عن　　ان تعملوا فيهم سلاحا يبتر
فالقوهمُ بهما كفاحا تظفروا　　وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
واغزوهمُ بحرا وبرّا واحشدوا　　ركبا وفرسانا ونسّرهم آنسروا
لولم يكن منكم سوى نفر لما　　غلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
من كل فتّاك اذا اعترضت له　　يوما شعوبٌ بل شعوبٌ يدسّر
انتم عباد الله حقا فاعتدوا　　للدّين فهو بكم يعزّ ويجبر
واحموا حقيقتكم فحفظ دماركم　　فرض عليكم ليس عنه تاخّر
غاروا على الاسلام حتى ترفعوا　　اعلامه فلكم بذا ان تفخروا
لا تُسمَع الاجراس فى اوطانكم　　بدل النداء ولا ينجّس منبر
وليُسمعنّ اليوم فى ارجائكم　　قرع القوانس بالظُبى او تخذروا
فلذاك اشجى من غناء مطرّب　　بمسامع القوم الذين بذ عروا
لكن يد الله القوية معكم　　ثبّتكم ابدا فان تنتهروا

ما ان يقاويكم بهم من عسكر　　لو ان ملّ الارض طرّا عسكر
قد قال فى الذكر المفصّل ربكم　　حقّا علينا نصرهم فتذكروا
ما الله مخلف وعده لعباده　　ان هم بعصمته اتّقوا واستنصروا
قد كان مولاكم وها هو لم يزل　　وَزَرًا لكم ايّانَ كنتم يخفر
ولربما شرعوا الرماح عليكم　　لكن على انفاذها لن يقدروا
لن يعمل البتّار الا ان يشا　　الله ما شئٌ سواه مؤثر
والنار منهم ان يُرد اطفآها　　برد فلا تلظى ولا تتسعّر
واذا يشآ يثلّ عرشهم فلن　　يستقدموا عنه ولن يستاخروا
غاروا على حُرَم مخدّرة لكم　　قد طالما أُحصِنّ عمن يعهر
ايقودهن البوم علجٍ فاجر　　وسيوفكم بدمائهم لا تقطر
ولئن يكن نجسا ورجسا مَسّها　　فبخوضها قد حلّ ان تتطهروا
الصبر محمود ولكن حين تُنتَهك المحارم لا أَرى ان تصبروا
لا خير فى عيش يقارف ذلّة　　حاشاكم ان تفشلوا او تدبروا
شهد الاله بانه مولاكم　　ونصيركم فبحمده فاستظهروا
والله قد وعد المجاهد منكم　　فتحًا مبينا فى الكتاب فأَبشروا
ويبوّء الشهدآء خير مبوّأ　　جنات عدن ملكها لا يغبر
الحرب بينكم سجال فانتوا　　والنصر عقبى امركم فاستبشروا
فى اهل بدر عبرة لكم الَا　　يا قوم فليتذكّر المتذكّر
أَبْلوا ليرضى ربكم عنكم فمن　　أَبْلى فعند اللائميه بعذَر
كم بين من ياتى القتال تطوّعا　　ومسخّر كرْهًا عليه يجبَر
يفتاده ويسوقه سولى له　　فطّ رنيم غاشم متغشمر

ويبيعه لو شآء للنخّاس مع   ولدٍ له وبزوجه يتسرّر

لا عرض يمنعهم ولا كرم لهم   يثنيهم في الناس عن ان يفجروا

يتترعون الى الفواحش حيث مع   اهل المحامد فاتهم ان يُذكَروا

وكذا الطَغام اذا عَدَتْهم مِدحةٌ   ودّوا بآيّة شهرة ان يُشهَروا

سعدوا ولكن ربّ سعد ذابح   للفائزين به اذا لم يشكروا

ولعل نسرهم المدوّم واقع   فمن الهلال علاه ضوء يبهر

لن يفلح العاثون ما عاشوا ولا العاتون ما رغدوا ولن يتيسّروا

أوَ لم يَعُوا ما جآءهم عمن طغى   من قبلهم بطرًا وانّى دُمّروا

ام يعجزون الله اذ يُملِي لهم   عن ان يغار لقومه أن يُنصَروا

او أن يُمدّهمُ بجند لا تُرَى   وبمنشئات مُحترٍ لا تُبحِر

او ان تخترمهم وهم مرحون في   أمن رخيّو البال ريح صَرصَر

او يرسل الطير الابابيل التي   قد اهلكت امثالهم لا كُثِّروا

ما كان عبّاد البعيم ليغلبوا   قوما على اياك نعبد يحسر

من كان يُرضي اللهَ خالص سعيه   في الناس فهو بكل خير يجدر

من لم يصخ اذنا لنصح وليّه   ركب الضلال ولم تُفذه المنذر

من ابطرته نعمة المولى عتا   عَسْفا وغشمرة يميس ويعذر

من لم تكن تغنيه قسمة رزقه   فادا اشرأبّ الى الزيادة يخسر

من يتكل سفها على جند له   دون الاله يَحِق به ما يحذر

من طن ان يقوى نفوه باسه   وسلاحه وذويه فهو معتر

من غالبَ القهّار عاد محيّسا   مستصعفا وَكَلًّا يُذلّ ويقهر

من سره مي يومه كثرانه   واداه في غده العذاب الاكبر

من كان يوما راغبًا في عاجل عن آجل أُوْدَى به ما يوثر
من كان من بين الورى سلطانه عَبْدُ المَجِيْدِ فانه لمظفّر
سلطاننا الاسمى الذى سعدت به ايامنا وزهت فدته الاعصر
نشر العدالة فى البلاد فكلنا مستأمن فى ظله مستبشر
ولكلّ جيل فى ممالكه يدُ منه وآلاء تعمّ وتغمر
ما ان عداهم عدله وامانه سيان ان هم اعسروا او ايسروا
انّا اذا اتّخذ العدى طاغوتهم ربّما لنأتمر الذى هو يامر
لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زلفى ولا نتخير
كلّا ولا فى غير خدمتنا له عِرْض واخلاص لنا ونبرّر
كفر المبايعُ غيرَه والمعتدى بغيا وطغيانا عليه اكفر
من ذا يحاكيه عُلًى ومناقبا ومن الذى فُضْلَى جلاه ينكر
لو انه اقترح الوجود تحكّما ما راد فيها غير ما نتنظر
من جوهر الاخلاص صوّر ذاته رب قدير كيف شآ يصوّر
ولّاه امر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتامّر
وهو الذى بين الملوك مقامه الاعلى يكرّم هيبةً ويوفر
وهو الذى بين العباد محبّب ومعظم ومبجّل ومعزّر
يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر حمده المتكرّر
ان قال لم يستثنِ مما قاله احد وان يفعله فهو محيَّر
ليس الفرنج مشايعى اعدائه ما هم لهم حرب ولا هم معشر
افمن يكون على هدى من ربّه كغويٍّ استهواه جِبْتُ منكر
ام من له الخلق الكريم نفاس بالنكد اللئيم جِبلّةً وينطّر

ام يستوى فى العرف والامكان من　　يهب الجزيل ومن يشح ويصمر

ايهٍ امير المومنـيـن ومن دعا　　ايه امير المومنين فقـد سرُّوا

سُدْ بالمعالى فائقا كل الورى　　مجدا وشانـئـك البغيض الابتر

وَسِعَت عوارفك العميمة سولنا الاقصى وما بـالـبـال مـنـا يخطر

حتى لقد كلّت خواطرنا بمـا اقتـرحت وانت منقّل لا تضجر

نطق العيّ بفرض مدحك مفصحا　　حتى الجماد يكاد عنه يعبّر

ولـقـد اضآ الكون مجدك كلّه　　حتى استوى فى ذا العَمِي والمبصر

نظر الطغاة اليك نظرة حاسد　　فتجرّعوا غُصَصًا بها وتحسّروا

ان يُجلبوا فالله ماحق جيشهم　　او يمكروا فـلَمكـرُ ربك اكبر

ان المِحال من المُحال اذا جرى　　بخلاف طِيّته وحقّ مقـدّر

ما كان جمعهم سوى كِسَف هَبَت　　والشمس ليست بالـهـبآ تستتر

لثب قسطنطنيّة

ليست فُرُوق لغير عرشك وهي ما　　بقيت عن الفرفان ليست تنتفو

انت الذى بمديح وصفك تنجلى عنا الهـمـوم وافـقـنـا يـنـعـطـر

وتصحّ احلام الامانى فى عـد اللّاهى بهـا والدهـر انكـد اعسر

ما ان يفى نظـم اللآلىٔ مدحهً　　لك باللاهى من سحب كفك تنثر

لم يبقَ ما بين الورى من ناطق　　الّا وعن آلآء فضلك يخبر

حرس الاله جنابك الاعلى ولا　　زالت عبادك فى حماه تحبر

وادام دولتك العلية ما سرى　　نجم وما زهرت كجودك انجر

انشدت ناريخين مجرتين فى　　حنمى مديحك وحطى الاوفر

عَبْدُ المَجِيْدِ الله اَزْكَى عده　　سلطاننا حر بحدّ ينتصر

سنة ١٢٧٠　　　　٦٠٠٠

القصيدة الهرفية فى مدح باريس

اذى جنّة فى الارض ام هى باريس
ملائكة سكّانها ام فرنسيس
وهل حُور عِين فى منازهها تُرَى
والّا فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذى نجوم ترجم الهمّ فى الدُجى
عن البال ان يخطر به ام نباريس
وهل زَهرة الدنيا ترى فى هوادج
تمرّ كبرق خاطف ام طواويسُ
نعم انها خُلْد النعيم وشاهدى
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعلّيون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واعاريس
وفاكهة مع لحم طير ونضرة
وراح ورَيحان ورَوح وترغيس
واعمدة تحبو السحائب دونها
كأن لها فوق السماكين تاسيس
هنيّئا لمن منها تبوّأ منزلا
وطوبى لمن فيها له تاج تعربس
اذا شدّة او كربة بك برّحت
فحجّ اليها فهى للكرب تنفيس

القصيدة الحرفية فى ذمها

اذى عَبْقَرٌ فى الارض ام هى باريس
زَبانيةٌ سكّانها ام فرنسيس
وهل ذى نسآء فى مواحلها ترى
والّا فكلّ حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهمّ فى الدجى
الى البال ان نبصر به ام نباريس
وهل زفرة الدنيا ترى فى هوادج
تمرّ كعير ظالع ام مطافيس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدى
شفيّون فى ساحاتها ومناحيس
وفسق وعلّيون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقّوم يخبث طعمه
وشرب من الغِسْلين يسقيه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كأن لها فوق الخبائث تاسيس
شقآء لمن منها تبوّا منزلا
ونعسا لمن فيها له تاج نعرس
اذا شدة او كربة بك برّحت
بها فانأ عنها فهو للكرب تنفيس

فتوس منها وهى تونس غبطة
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تك يوما قانطا من لُبانة
فروُيتها اطلاب ما منه ميئوس
بها ما يقرّ العين من كل اربة
وما تشتهى نفس وما تالف النفوس
وفى ذكر ما فيها تلَذّ لذاذةً
تطيب بها عن غيرها وهو محسوس
هى المنهل المورود من كل ظامئٍ
وللزائريها الخير اجمع مجبوس
هى الامن من جور الخطوب فما على
عزيز بها ضيم يُحاذَر او بوس
نعم هى من عين الزمان تميمة
فما امّها ذو عسرة وغدا فى سو
فما نعمة فيها تشان بحاسد
ولا صفو لذات يقانيه تنجيس
ولا بخس ذى حقٍ من الناس حقه
فيا حسن دار حيث لا حقّ مبخوس
فلا ذأم فيها يستبين لعائب
سوى هادم اللذات ما دونه طُوس
عليها بهآء المُلك والعز والعُلَى
ومنها سنآ المجد والفخر مقبوس
الى مثلها أقصى الرشد يطّـد

وبرّز عليها ان يفتك مبترر
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تك يوما طامعا فى لُبانة
فروُيتها ياس لما هو محدوس
بها ما يسوء العين من كل اربة
وما تجتوى نفس وما تكره النّوس
وفى ذكر ما فيها يسوء اسآءة
تفوق على ما خفته وهو محسوس
هى المنهل المسموم حتى الظامئ
وللزائريها الشرّ اجمع محبوس
هى الخوف من كل الخطوب فما على
عزيز بها الا المخاطر والبوس
نعم هى فى عين الزمان قذى فما
اتاها امرؤ الا ومنها غدا فى سو
فما نعمة فيها خلت عن [illegible]
ولا وطر الّا وفيه [illegible] تنجيس
وتبخس ذا حق من الناس [illegible]
فياقبحها دارا بها الحق [illegible]
فلا رَوْح منها يستبين [illegible]
سوى هادم اللذات [illegible]
عليها ظلام الكفر والظلم والخنى
ومنها [illegible]
[illegible]

اذا كان يُلفَى مثلها وتحي العيس
هو العيش فاغنم طيبه في ربوعها
فانك فيها ما اقمت لمرغوس
وانك منها لست يوما بواجد
بديلا ولو امسى وراك برجيس
وانك فيها ضارب كُرَة الأسى
بمحجن بشر ليس يتلوه تعبيس
وانك منها مجتن ثمر المنى
فان بها اصل الفوائد مغروس
ادا رثّ ثوب العمر منك فانّ من
قشيب حِظاها ريّق العيش ملبوس
فبتّ آمنا فيها وقم باكرا الى
مراتع لَهْوٍ لم تشبه وساويس
ولا ترغبنّ عنها الى غيرها تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس
فدهرك فيها ما اقمت مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس
فآثر بها ليلاً على عام عبرها
على عرص ان الليل اد ذاك ادموس
ولا غرو ان ترداد مى العمر حقبة
ففي الصغر للفرد العقيم تحامس
لقد كنت احسبني الحَسَن مى عبر مسأى
فقدّى بها بشرى ادا انا مرموس

. اذا كان يُلفَى مثلها وتجى العيس
هو العيش فاغنم طيبه في سوآئها
فانك فيها ما اقمت لمنحوس
وانك لا تلتقى لها من مُشابه
برِجْسٍ ولو امسى وراك برجيس
وانك فيها ضارب كرة المنى
بمحجن ياس تلوه الدهر تعبيس
وانك منها مجتن ثمر الاسى
فان بها اصل المحارم مغروس
اذا كان ثوب العزّ عندك معلَما
فمن نغص في عيشها هو مطلوس
فبت صابرا فيها وقم باكرا الى
نعيم سواها لم تشبه وساويس
ولا ترغبن فيها واو ليلة تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس
فدهرك في دار سواها مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس
وآثر بها ليلا على عمر بذى
على عرص ان الليل اد ذاك ادموس
ولاغرو ان ترداد في العمر حقبة
ففي الصفر للفرد العقيم تحامس
لقد كنت احسبني الحَين في عمر منشأى
ويا شقوتي فيها اذا انا مرموس

وقد طالما عللت نفسي برغدها
فبتّ ولي احلام خير وتغليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثمّ اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغرّ الكرام اعزّة
جحاجحُ ضرّابون يوم الوغى شوس
لقد فُطروا طبعا على الودّ والوفا
جميعا فما يعروهما عوضُ تلبيس
لئن سُبقوا سَبْق الوجود فانه
لَيسبقُ جسمًا ظلّه وهو مدعوس
لهم في سمآء العلم شمس براعة
وفي الادب الطامي العباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
اذا اغطشت آفاق امر فانما
يجلّيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذي استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
وتمسكه ان لا يجور كانما
تعدّل في كلتا يديه مساطيس
وربّ خطيب لفظه فوق منبر
يُبس ولو تُبلّغه وهو معكوس
يسقّ حتىّ العيب عما نقوله

وقد طالما حذّرت نفسي فسادها
فبت ولي احلام سوء وكابوس
فالفيتها يربو على الوصف قبحها
فما ثمّ اشباه له ومقاييس
وفيها من القوم اللئام ثعالب
ولكنهم ان يؤذبوا اسد شوس
لقد فطروا طبعا على الغدر والجفا
جميعا فلا يغررك في ذاك تلبيس
لئن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظلّه وهو مدعوس
لهم في بحور الشك خوض وطالما
تغشّتهم منه ضلالا نواميس
فكم فيهم من مدّع صُلبني له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل من فضوله [illegible]
تدال قوام الدهر اذ هو [illegible]كوس
يحاول لوما ان تميل [illegible]
تعدّل في كلتا يديه مساطيس
وربّ عييّ لفظه فوق منبر
بسوء ولو بلّعنه وهو معكوس
يسب حتىّ العيب [illegible]

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس
وكم فيهم من خيّرٍ صالحٍ له
اناآ الليل تسبيحٍ طويل وتقديس
وكم فاتح منهم وما بارح الحمى
كتائبه اقلامه والقراطيس
وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا
حريّ له فيها إحتناك وتضريس
جِام اذا هيجوا حياة اذا اتّقوا
اسود اذا صالوا جبابرة هيس
اذا سمحوا لانوا وان جُسوا قَسوا
ويَرْبُون فضلاً ان بغيرهم قيسوا
اولو همّة دانت لها همم الورى
وفخرهم في ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف خير من القِرى
وما لقراهم لو تأخّر تبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
فيغدو وقد اقناه اهل وتانيس
مديحهم يشدو به كلّ رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد اكرموا هذا اللسان واهله
فما زال يحظى عندهم وهو مدروس
وقد الّفوا فيه تآليف جمّة
وجلّت لهم فيه شيوخ وتدريس
بعزّ الفتى بالمال عند سواهم

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس
وكم فيهم من فاسق عاهر له
انا الليل تجديف طويل وتنجيس
وكم طامع في الملك منهم سفاهة
كتائبه افلامه والقراطيس
وكم من طفيليّ لكل وليمة
جريّ له فيها احتناك وتضريس
حمام اذا زُبروا حياة اذا اجتدُوا
اسود اذا لاسوا جبابرة هيس
اذا سألوا لانوا وان سُئلوا قَسوا
ويربون شحًا ان بغيرهم قيسوا
اولو جَشَع من دونه جشع الورى
وصيتهم في ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف في زعمهم قِرى
وفي وعدهم مَيْنٌ ومطل وتبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
اذا كان ذا زوج وبالزوج تانيس
هجاؤهم يشدو به كل رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد جهلوا هذا اللسان واهله
فما زال يخفى عنهم وهو مدروس
وقد لفّقوا فيه اساطير جمّة
وشطّت لهم فيه شيوخ وتدريس
بعزّ الفتى بالعلم عند سواهم .

وعندهم تغنيك عنه الكراريس
فقل للمباربهم تحدّوا لغيرهم
فان مجاراة المجلّين تهويس
سِعارهم حرّية واُخوّة
وتسوية كلٍّ بذلك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون فى القضا
وإرّيسهم فى اليُسر والرَّفه ارّيس
ترى كلّ فرد منهم كيّسا له
مشاركة فى العلم والفضل ما كيسوا
وان لهم من سيميا وجوههم
دلائل ان الخير منهم مانوس
وان لهم رزقا كريما رضوا به
فما هم مستّى ما ربِ فيه تدنيس
فحسب كُلّا حلّ صرّحا ممرّدا
تحيّته فيه سلام وتقليس
فما نظرت عيناى فيهم صاعرا
ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس
اراني سعيدا مُحّبَرا فى جوارهم
ومن لم يزره هذا الحمى فهو منحوس
عدوت عن الايام سالف ذنبها
فقد نفعت فيها وفى الناس باريس

وعندهم ليست تفيد الكراريس
فقل لذوى الدعوى المبارين منهم
لعمرى مجاراة المجلّين تهويس
شعارهم حرّيـة واخوّة
وتسوية لكن عدا ذاك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون فى القضا
وارّيسهم فى الامر والنهى ارّيس
ترى كل فرد عاتيا طاغيا له
مشاركة فى الحكم مع انهم خيسوا
وان لهم من سميا وجوههم
دلائل ان الشرّ منهم مانوس
وان لهم رزقا حراما رضوا به
فما بهم استغنى [illegible] تدنيس
فحسب كلّا حلّ [illegible]
تحيّته فيها سلام وتلبيس
فما نظرت عيناى فيهم [illegible]
ولا من عن الآثام والرجس مرجوس
اراني كئيبا [illegible] فى جوارهم
ومن زار بيدا ارضهم فهو منحوس
وجدت على الايام [illegible]
[illegible] والرشد [illegible]
وقد كنت فى [illegible]
[illegible] مركوس

القصيدة التي امتدح بها الجناب المكرم الامير عبد القادر بن محيي الدين المشهور بالعلم والجهاد

ما دام شخصك غائبا عن ناظري ... ليس السرور بخاطر في خاطري

يامن على قرب المزار وبُعده ... حبّي له والشوق ملء سرائري

ان كنتَ لي يوما فديتك وافيا ... ما ضرّني ان كان غيرك غادري

فاذا رضيت فكلّ سُخط هيّنٌ ... واذا وصلت فلم ابال بهاجر

واذا بقربك كنت يوما نافعي ... لم احشَ شيا بعد ذلك ضائري

يافاتني بدَلاله وشِماله ... وكماله وجماله ذا الزاهر

عقلي سلبتَ ومهجتي فارددْهما ... لاجيد مدح شمائل لك باهري

وليعلمَ العذّال اني صادق ... في وصف حسن حلاك وصفة شاعر

يامحرقي شوقا بفاتر جفنه ... ارايت قبلي مُحرَقا بالفاتر

يابدر تمّ لاح قلبي حبّه ... ياشمس حسن قد تملّك سائري

ياظبي انس شاق عيني شكله ... لكن له طبع الغزال النافر

هلّا رثيت لحالتي ورفقت بي ... ووعدتني عدةً ولو في الظاهر

كَلَمَ الحشا مني وعيدك قسوةً ... قبل الفراق بان تكون معاسري

وفطرت قلبي بالجفا عَمْدًا فلا ... عجب اذا ما قلت انك فاطري

افهكذا فعل الحبيب بحبّه ... ام صرت بعدي عاذلي لا عاذري

لوكنت تدري ما لقيتُ من النوى ... لرحمتني ووددت انك زائري

مذ غبتُ عنك ارتدّ عن طرفي الكرى ... من بعد ما هُدي آرتدادَ الكافر

وازداد سقمي واستبرت لوعتي ... وبدا بحبّك ما تكنّ ضمائري

انى وحقِّ هواك غاية مطلبى وسنا محيّاك الصبيح الناضر

من يوم لُحتَ لناظرى ما لاقنى شىٌ ولم يملأ جمال ناظرى

ما كان حسن سواك يوما شائقى كلا ولا لحظ لغيرك ساحرى

اَهْوَى لاجالك مَن حكاك بشكله لا شكله اذ ذاك دون النادر

كيف اصطبارى اليوم والاجل انقضى وابيت ارضاى بطيف زائر

وبهجتى انى اراه ساعـــــة قبل الممات معانقى ومسامرى

هَبْه اتى فلقد يرانى ساهرا والطيف ليس براقد مع ساهر

انسيتَ عهدى حيث ملت مع الهوى ولقد عهدتك ما ذكرتك ذاكرى

اما انا فكما علمت على النوى والقرب صبٌّ فيك غير معاير

شيآن لست اطيق صبرا عنهما ذكرى هواك ومدح عبد القادر

هو ذلك الشهم الذى شهدت له كل الورى بالفعال القاهر

ومناقب محمودة وشمائل مرضية ومحامد ومآثـــــر

هو ذلك المولى الممدّح سعيُد عند الاله وعنده كل مفاخر

هو ذلك الفرد الذى افعاله اُمْدوحة البادى وسمر الحاضر

وهو المهيب لدى الملوك نراهُ والبارع [illegible] الكريم الطاهر

من معشر العرب العريق نجارهم اهل المكارم كابرا عن كابـــر

العاملين بمحكم التنزيل فى التحريم والتحليل [illegible]

الناحرين اذا دَعَوا واذا دعوا يا للسرار [illegible]

المؤثرين على خصاصتهم وقد نظروا الى [illegible]

ولَرُبَّ قوم يحسدون خلافهم [illegible]

ولديهم ردّ [illegible]

يُحْيِى الليالى بالدعا متهجدا [illegible]

ويروع افئدة الرجال لقآؤه حتى يخوروا عن ندآء الناصر
فى قلب كلّ محنّك من رُعْبه ما عنه يحجم كلّ ليث زائر
وبكل حرف من بليغ كلامه حرف يفلّهم كحرف الباتر
الفضل شيمته وسيمته التقى للّه واستربـاح اجر الصابر
يولى الندى قبل السوال وبِشْره للزائريه موذنٌ ببشائر
يغنيهم عن ان يمتّوا عنده بضرورة وَخُتَّهم وأواصر
جهَد الزمانَ غِلآؤه فكبا ولم يبرح لديه وفيه سَوْرة آفر
ولقد يكون النسر يومًا واقعا ويعود بعدُ الى مطير الطائر
فالله بنصر مَنْ يغارُ لدينه والله يخذل كل عات فاجر
والله عزّ يداول الايام ما بين العباد لسابق ولقاصر
سكن الامير وطار فى الدنيا اسمه ورَوَى المعالىَ عنه كل معاصر
والعجم بين موقّر ومبجّل والعرب بين مُفاخر ومنافر
ياناصر الدين العزيز وحزبه ياخير صبّار واعظم شاكر
ياخير ناهٍ عن تعاطى مُنكَر وبخطّة المعروف افضل آمر
لا تخشَ من بأس فربّك قاهر بدعائك الميمون جيش الجائر
كن كيف شئت فانّ اجرك ثابت فى اللوح وهواجل ذخر الذاخر
لك حيث شئت عناية صمديّة ترعى حماك ونصر ربّ قادر
فاذا مدنت فانت اعظم حادر واذا ظعنت فانت اكرم سافر

القصيدة التى امتدح بها الجناب المكرم النجيب الحسيب صبحى بيك فى اسلامبول

اری الدهر صافانی ومال الی الصُّلحِ ومن بعد حِرمانی اتانی بالنُّجحِ
واصغی الیّ الجَدّ حین دعوته ولاحت تباشیر المُنی لی من صُبحی
اتانی علی الابحار والبَرّ بِرّه باسرع من شکوی احتیاجی الی سَمحِ
فلم تکُ الّا دعوة فاجابنی اجابة صِنوٍ وهو لی سیّدٌ [illegible]
ولو لم یُجِرْنی من زمانی بفضله لاصبحت فی بؤس وامسیت فی بَرْحِ
وجِئتُ باشجآء التمنّی فان لی لجَرْحا مُمِضّا دونه الم [illegible]
فلی فی نهاری جهد سَبْحٍ وحرقةٍ وفی لیلتی حبس وحُزن عن السُّبْحِ
اذا کنت لا اشکو الیه فمن عسی یکون الیه مشتکی الضرّ والبرحِ
ومن ذا الذی تلقاه فی الناس مُنْجِحا سواه اذا اضطرّ المقیم الی السمحِ
خلائق لا یوفی الثنآء بوصفها ولو کنت حسّان البلاغة والفُصحِ
اغار علی اوصافه الغرّ انها تشارکها اوصاف آخر فی المدحِ
هدانی له جَدّی وقد کنت غاویا مع الشعرآء [illegible] دون [illegible]
وکان زمانی مازحا فمزحته فلمّا تعاطی الجِدّ [illegible] عن المزحِ
فصار لشعری رونق وطلاوة وحقّ له [illegible]
وقد کان فی سوق الاعاجم کاسدا [illegible]
فکم بتّ أُنضی خاطری امدحهم [illegible]
ولم یُغنِ عنی ما مدحتهم به [illegible] العدل والسمحِ
ولم ینقدوا کفّارة الکذب الذی علی [illegible] بالمدحِ
ولو اننی راسین عصری فیهم [illegible]

اعظم شعرآء الفرنساوية

اعظم شعرآء الا[illegible]

فها انا ذو ربح ولست بمفتر ثناء واطراء وكنت بذا الحى
فحل يازمانى بين فوزى ومطلبى ان استطعت واستعد الخطوب على قدحى
فلى باسمه استفتاح كل قضية ويمناه اقليد السعادة والفتح
الا فليزرنى اليوم من كان مزريا بشانى يجد كوخى اعز من الصرح
علا بمعاليه مقامى ورتبتى . وصرت الى اقصى الامانى ذا طمح
اذا ابصرت عيناى من هو مخفق كدابى من قبل انتحلت له نصحى
وقلت له ابشر بما انت طالب فمن يدع يوما باسمه فاز بالسنح
هو الماجد النائى مدى الدهر صيته قريب من الداعى على القرب والنزح
فليس على بعد يوخر رفده وليس على قرب يمل من المنح
هو الحازم النحرير طلاع انجد كريم نزيه النفس ذو خلق سجح
سليل اجل الخلق سامى الذرى الذى مناقبه الغراء تغنى عن الشرح
اميرى ومولاى الكريم وسيدى ومن هو بعد الله لى سند الركح
تظنيت فيك الخير والفضل كله فحققت ظنى فهو دونى فى صح
اتانى وعد عنك انك منزلى لديك كما انزلت اهلى فى نذح
ولا ريب عندى ان وعدك منجز وانى لا احتاج معه الى فسح
فهاك منى المدح خدمة مخلص فجد بالرضى عنه فديتك والصفح
ودم كهف عز للذليل وملجا لقاصده ما انجاب ليل من الصبح

شبه الجواز يقال فسح له الامير فى السفر كتب له الفسح

وكتب الى الفاضل اللبيب الخوري غبرائيل جبارة ارسلها اليه من باريس الى مرسيلية وهو اول شعر مدح به قسيسا

قف بالطلول ان استطعت قليلا   واسال عن الركب المغذ رحيلا

ساروا وابقوا وحشة لك دونها   غصص المنون وحسرة ونحولا

طللٌ عهدت به الخلاعة والصبى   وشربت فيه سلسلا مشمولا

وجررت اذيالي وتهت على المنى   واقتدت منها ما استعز ذليلا

وخلعت من نعم ولذات على   اهل الهوى [illegible]

واحسرتاه متى يعود العيش في   عرصاته [illegible]

لم يبق الا ذكر افراحي به   وحشى كاس [illegible]

ان غيرت آثاره الايام او   ان عطلت [illegible]

فبخاطري تذكاره متجدد   ولقد يطيل [illegible]

من بعض حسادي عليه الريح قد   [illegible]

تبدي الحنين به وانّة ثاكل   [illegible]

تسفي تراب فنائه وكانما   [illegible]

عجبا وقد بلّته مني عبرة   [illegible]

ام قد درت نكب الرياح بانه   [illegible]

ام مثل عيني اعين الحوراء قد   [illegible]

ما كدت ادري رسمه لولا شذا   [illegible]

نوتي الصبا ذنب للمحب اعز من   [illegible]

[illegible]   [illegible]

قلبي السَمَنْدل يصطلى نار الهوى · وسلوه العنقآ عزّ وصولا
لله كم منه يعذّب عاشق ولكم به يمسى البرىّ قتيلا
لو رقّ من عشقٍ كلامٌ رتّل القرّآءُ قولى فى الدجى ترتيلا
او لو تداوَى الناس منه بالبكا لشفيتُ كلّ شجٍ يبيت عليلا
حاولتُ قلب القلب عن علل الهوى فاجاب انك قد ضللت سبيلا
منى ابتدآ الشوق كان وختمه · بى لست عن دابى احول حوّولا
قد قاننى المولى عليه كما على حبّ المكارم قان غبرا ثيلا
هو ذلك الحبر المهذّب خُلقه وعليه يبدو خَلقه دِلّيلا
الطيّب الاصل الكريم الفعل لن نلقاه الّا مرشدا ومنيلا
يهب الجزيل وعنده كالجزل ما يجوه جزلا غيره منفولا
المرتدى نوب العفاف مطرّزا بتقًى يقى التحريم والتحليلا
طلق المحيا واللسان طلاقة تَدَع الاسى من قيده محلولا
يستدرك الاشكال فصل خطابه وبعلمه يستخرج المجهولا
فلكل ريب قضية ما زال مسئولا وللراجى ندًى مامولا
صافى السريرة حسث آیُ وفائه لن تقبل التحريف والتبديلا
ما ان يزال اذا دنا واذا نأى بَرّا نصوحا واصلا مسئولا
كانت مشورته هدى وسعادة للمستشير ونصحه منخولا
ودعاؤه فى الضرّ اعظم عاصم لك فاطمئنّ به وكن مكفولا
ليس المنيخ ببابه قنِطا ولا من يستعين بجاهه مخذولا
مولى تحرّى الزهد فى الدنيا وقد دانت له لو شاها تبتيلا
فنجاره ما زال ملجأً لاجئ يلقى الامانى عنده والسولا
جبر الخواطر من جبارة يرتجى وبفرعه كل الفخار انيلا

سمح الزمان بعربه لى سُنَّةً ما كان احلاها وعاد بخيلا

حتى ارى قِصَر الايادى بعده ومن آستطال بفضله مفضولا

ولقد علمتُ اوانَ كان الطرف مه صورا عليه ذلك الساولا

مارست دهرى واحسرت صروفه واذا به لا يستفيق عقولا

هلّا اتانى سائلا من قبل ان يمضى العراق وكان قد عجولا

هل من مفار ان سحصا واحدا يحوى ... كمالا

ام منكر ان ليس يُذكر ... مع ذكره الا وكان ...

ولئن أقصّر فى ذكر الآء ...

ادب واحسان وبشر دائم ...

ما كنت فى دجى ...

ولو استطعت ... اسطر ...

من حاول الاسهاب ...

سرى ليس ...

وليس له ...

حمعـ... الشيخ ...

فى مسلم حسرا ... لا ...

... واحد ...

لم اقم قطّ غالبا غير ليل   بات فيه للاصّ ظفرى كشِصّ
ظل سعدى يقوى على النحس حتى   خلتنى فى القمار شيخ ابن بعص
وشريكى له نشاط الى قنص   ملوك يدينها اىّ قنص
فانثنى ساحر المزوق حيرا   ن عليه تاليفه متعصّى
وبه من سماته ما يحاكى   بعضه خاتما وبعض كفصّ
بلغ اللعب منه ما يبلغ الجِدّ   والهاه عن مداراة خِلِّص
فغدا بالكلام يقرص والاصبع   مَن جاد رميه كل قرص
لم يبت ليله واصبح يشكو   من دُوار امضّه مع مغص
جاره ذو الزلّات وهو انا لم   يبدُ منه فى الرمى خطة نقص
بعد ستّ واربعين ولم يبلغه   عن بندة احتجاج بنصّ
ما عليه ان كان يَعلب او يُغلَب   او لرّه الشريك بشِرص
فكره فى اختلاق اكذوبة عن   دى علاّء ما ان يجود بحِص
يسهر الليل مطرئا فاذا ما   اصبح الصبح خار من فرط خَمْص
لو اطاق المسير من هذه الار   ض لما حلّ غير بلدة حمص
ربما ينفع التغفل يوما   ويضرّ الانسان رائد حرص
ليس يدرى ما اللعب الا بشِعر   عنه ما عاش ليس بالمتفصّى
وبشعر من شاربيه اذا حا   ول شعرا ينحى عليها بنمص
واذا سامه امرؤ سهَرَ الليل   اتاها من غيظه بالمقصّ
لم يدعها تطول حتى تحاكى   نصّة الخود ذات ضفر وعقص
عن قريب بخضب البيض منها   بمدادٍ او زعفران وحُصّ
ليس ينفكّ ذا ملال وشكوى   وعلى كل نعمة ذا غمص
وشريك له تربّع فى الدَست   كشيخ مسائل العلم يُحصى

او كمن ينقد الدراهم للسلطان من شانه تمام التقصّي

ان يجدْ هفوة يصحْ ويولول ويُقم للجدال قيّم فحص

يبذل الاصّ بذله المال لكن ثمّ فرق فى بذل هذين أصّى اصلى

حيث فى الاول اضطرارًا وفى الثا نى اختيارا لغير كسب وربْص

اخذ العلم عن شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومَحْض ولحص

لا كبعض الغواة خرّيج بصّا قين كلّ اعتمالهم عن خرْص

ليس يدرى سوى الخديعة والمكر وما يجمل الخداع بشخص

يفرز الغالبات فى اللعب لكن يتعاطى جدّ الامور بخبص

ليس فى حارة اليهود سواه من يُجيز الحرام والحق يعصى

قد حكاهم فى اكله ذات ظِلْف فوق ساق وفى الدجاج الاخص

ان يكن غالبا تجده طروبًا ضاحكا ذا غمر يفرص ورص

واذا فاز خصمه ودّ لو كلّ خبير سواه باللعب ينقصى

ولذات الثلث يعطو بكلتا راحتيه وللثمانى بشص

فاغرا فاه كالذى لاح ما ثم لم يروَ منه غلاّ بمص

ما لعمرى دهاؤك اليوم مُنج لك ان كدت شيخنا او مقصى

قد حباك المزوّقات ولكن ليس يعفيك من نكال ونقص

انّ بعض العطاء حلو شهىّ ثم من دونه مرارة منص

يالها زمرةً قماريّةً ما عابها جهد يلا حبر فص

غير كون اجتماعها خارجا عن عرفتى والحرام فيها بتغص

شكلها شكل بيضة ولهذا فالمعاصى من جوفها ذات فقص

مَن بناها اوصى بهذا وشانى كل حين اقضاء عهد الموصى

الـغـرفـيّـات

انا الـولىّ على كل المفـاليـس — وغـرفـتـى ذى مزار للمـنـاحيس
ياتى بهم زُحَل القوّاد سدّتـهـــا — وثمّ تصرعهم ريح الكراريس

ومنها لا يدخلنّ مقامى ذو حجى ابدا — فـانـمـا هو منـتـاب المـآفيك
يلفون فيه اكاذيب المديح على — زمّارة او على نذل من النُوْك

ومنها ياطالعا درجات فـدرها مئةً — الىّ ماذا ترجّى بعد ذا الدرج
ان كنت من حركات طالبا فَرَجا — فاننى بسكون طالب الفـرج

ومنها ما زارنى الّا خليع ماجن — فدع الحياء اذا حضرت حصيرى
ان الحياء اخو النفاق وما صفت — دون المجون سريرة لعشير

ومنها بـازائـرى راسَك آحفظ — من ضرب زيـد وعمرو
فـمـا بكِـسـرى هـــدا — يصاب جابـر كـســر

ومنها ايـهـا الـزائـرى لـفـائـدة لا — ترم المستحيل ما ذاك عندى
راح علمى فى طلب الجدّ والجدّ شرود فضاع علمى وجدّى

ومنها للـنـاس نـــار بلا دخان — ولى دخـان بـغـيــر نـار
فـهـا انـا الـيـوم منه قـار — ضيفى وفيه ابيت قارى

ومنها ان للـــصالحين معجـزةً ان — يجعلوا ان شآوا الضرير بصيرا
عكسُ ذا اليومَ معجزاتُ دخانى — انـه يجعل البـصيـر ضـريــرا

ومنها تجود علىّ زوارى ولكـــن — اكافئهم بـوآء وهـو شـــانى
تُنقِلّ نعـالهم لى تـربَ كُحْل — فاكحلهـــم بنىءٍ من دخانى

ومنها نَعَمْ لى عـرفة عُلْيا ولكن باسفل سافلين هبوط نجمى

فكيف اطيق اصعد مرتقاها واحمل حمل اشجانى وهمى

ومنها من يكن مثلى رفيع الدرجات فهو اولى بمفاعيل السَّراة

من معاطاة فضول الشعر فى فاعلات فاعلات فاعلات

ومنها كل زوّارى ذكـــور ليس فيهم من اناث

افما فى الكون من انثى ولا جنس الخناث

ومنها قُصِرت عن الورى وامنت منهم سَبّة غُذْرا

فلا عجب اذا ما قلت صارت غرفتى قصرا

ومنها اذا زارنى مُلْوٍ نظيرى امنته وان يك ذو جُدّ حذرتُ [illegible]

فانى أُدْرَى بالمناحيس كلهم وما فيهم مَن اجهل اليوم حاله

ومنها مَن أَوَى الى بيت مثل بيتى الحرج

ضاق صدره سدمـا وانزوى مع الهمج

ومنها ولى داخل البيت جُثة قطّ وخارجه صيت دال عظيم

وقد كنت احسب أن بالعظام تكون العظام واهل العلوم

ومنها تعالوا وافقهوا عنى ثلثا تعلّمكم [illegible]

خَلافى ثم جسمى ثم بيتى صغير فى صغر فى صغر

ومنها امسى بيتى قبرا حرجًا لكن زوارى احياء

مع انى لست ارى فيهم حيًّا لى [illegible]

ومنها اذا عصفت ريح وثارت زوابع وجدّت رعود والغيوم [illegible]

ومادت زوايا غرفتى وتزلزلت علمت بان عندى [illegible]

ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا اليو م رئيس [illegible]

ان يكن مفلسون فليسعدوا [illegible]

ومنها يقولون انى لصنك وجارٍ قد رقّ شعرى وصار ركيّا
واجدرْ بشى اذا ما تبعّث من ضيّق ان يكون قويّا

ومنها مُقامى بذى الغرفه لحرمان ذى الحِرفه
فمن زارنى فيها فلا يرجُونْ تُرْفه

ومنها اصبحت فى غرفتى رهن الهموم فما يعتادنى غير اشجانى واوطارى
ارى لكل امرء انشى تؤانسه وليس عندى من انثى سوى النار

ومنها الا لا يطمعن احد لكونى صاحب الغرفه
بانّ لدىّ مادبةً له من فيضها غرفه

ومنها حقّ المَزُور على الزوّار انهم يُؤمّنون له فى الصدق والكذب
وما عليه لهم حقّ ولو جلبوا اليه من سبأ وسقا من الذهب

ومنها ولى حرفتان فلا احذر البطالة عندى ان ترسخا
اصوغ القوافى فى ليلتى وفى الصبح استقبل المطبخا

ومنها طبخ المحاشى رائج فى عصرنا لكنما طبخ القوافى كاسد
من اجل ذلك صرت طباخا فما انا شاعر فالشعر شى فاسد

ومنها حوت غرفتى كتبى ورزقى كله فبرنطتى فيها عزاء وسلوان
اذا غبت عنها خلتنى افقر الورى وان جئتها اُوهمت انى سلطان

ومنها يفوح من حجرتى عَرْف الشوآء على عرف القريض ومعه عرف مَيّان
فمن يكن جائعا ينعشه اولها ومن يكن كادبا ينعش من الثانى

ومنها ارى فى الحلم انى ساقط من مهدّم طاقتى فى مثل غار
فاصبح فى الفراش ولا قوًى لى فلست الى المعبّر ذا اضطرار

ومنها بينى وبين دخانى اُلفة نبتت ان نمت نام والا فهو لم ينم
وان يزرنى امرؤ غطّى على بصرى اد عنده رؤية الزوّار كالسقم

ومنها لي غرفة ملأى من الكذب الذي — انفقته في مدح كل بخيل

لم يبق فيها من محلّ فارغ — للزائريّ ولا مثيل خليل

ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا — فاجبتهم لا ريب [illegible]

قد محّص العرفان عن اخلاقكم — وخَلاقكم فلكم ذا التعزير

ومنها اقول لزائريّ قفوا قليلا — الى ان البس الثوب [illegible]

فاني في الخليع ارى خليعا — وفي لبس التسيب أرى ادبا

ومنها لبابي صريفٌ حين يفتح هائل — يقول لزوّاري دعوني [illegible]

فهذه دعوى كفكم فيّ قد سرت — ولم يُغنكم ذاك [illegible]

ومنها كانت مقاما للكواعب غرفتي — والآن صارت معدن [illegible]

ما زال فيها من عبير العشق ما — هاج المحب الى [illegible]

ومنها يراني الناس في كوخ حقير — فيحتقرون [illegible]

فهل ياقوم عندكم المعالي — عليّ [illegible]

ومنها من زارني ورأى مكاني ضيقا — فليرَه [illegible]

اهلا به للنار والاصلاء مع — كسفي [illegible]

ومنها طوّقت بابي بابيات منمّقة — لما ذا [illegible]

فصار كنز علوم غير ذي رصد — [illegible]

ومنها الا ياداخلين اليّ مهلا — لاسألكم سؤالا عن مزاري

اعجبكم له شكل فجئتم — لتستنيروا [illegible]

ومنها نعمَ المهندس مَن بنى — كوخي [illegible]

هو كالمثلث والمربّع والمخمس والمسدس

ومنها من جاءني تعبا وابصر سدّتي — نسي التي [illegible]

والناس تعرف من تزور اذا هم — نظروا [illegible]

ومنها لا يطلعنّ الىّ اليوم مشئوم ... فطالعى بضروب الشؤم موسوم
ومن يكن واحدا مثلى فليس له ... لطالعين احتياج قاله البوم

ومنها يحسدنى الناس على غرفتى ... لشبهها اعينهم ضيقا
مع انها تحوى جهازا له ... طول وعرض بلغا الشيقا

ومنها قرّوتُ المصر بيتا ثم بيتا ... فلم ارَ مثل مجلسى الشريف
يردّ الشمس انْ تدخلْه كبرا ... لرؤيته لها فوق الكنيف

ومنها ولى فى غرفتى ادوات طبخ ... على مقدار اسنانى جميعا
وان يُكسَرْ من الادوات شى ... اصاب الكسر اسنانى سريعا

ومنها ليس بالرفس فتح بابى ولا بالقرع فاعلم لكن بنقر خفيف
فهو من جوهر الزجاج لطيف ... لا يسنّى الا لكل لطيف

ومنها مقامى اوّل فى القدر لكن ... انى فى الصقّ عن خطأ اخيرا
فلا تلووا على شى سواه ... اذا جئتم اليه ولو كبيرا

ومنها اذا صعدت فى درجات كوخى ... وجاورت الاحجرة وهى اعسر
يخيّل لى بانى طالع كى ... اوذّن صارخا الله اكبر

ومنها لا يرانى الناس فى غرفتى ... لا ارى من عرفنى الناسا
ربّنا يعلم مَن لذّ من ... بيننا البَيّنَ ومَن فاسيا

ومنها سمّوا على منزلى قبل الدخول ولا ... تستعجلوا بعد فتح الباب واحتشموا
فانه حَرَم ذو حُرمة ولئن ... لم يُلفَ لى حرمة فيه ولا حُرَم

ومنها ان قلت سمّوا على مقامى ... فلست اعنى سمّا يميته
وانما القصد ان تقولوا ... تبارك الله عزّ صيته

ومنها لا تنظرنّ ملاوصا ياراثرى ... من نقْب معناحى الى اعراضى
كالعِرض لى عَرضى ومن بنظر الى الاعراض لم يامن من الاعراض

ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح في بابي دليل انى موجود باثوابي

او لا فانى في فرشي اغطط او انى خرجت وامن الله اشعى بى

ومنها انا ساكن في غرفتي متحرّك لزلازل العجلات تجرى تحتها

لكن بحمد الله ليس بواطئ من فوق راسي مَن يحاول تحتها

ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتي امورا غدا تكليفها فوق طاقتي

ارى كل يوم الف ماش مخاصرا لانثى على انى مخاصر فاقتى

ومنها لى غرفة ما شانها شي سوى ان ليس تجرى تحتها الانهار

وغنيت عن هذا بما يجرى من العجلات تحت مَن بها الاشرار

ومنها عجبت لكم ياقوم مع ضعف دينكم وشدة [illegible] لم تعبدوا [illegible]

كانى بكم تلهون عنها بجرّ من تذ[illegible]كم في [illegible] الـ[illegible] والعارا

ومنها شرط الزيارة من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع [illegible]

ومن يزرنى صباحا فهو فى خطر ان لا [illegible] له [illegible] ولا [illegible]

ومنها راوا دخان قمينى صاعدا فجرى بالسماء [illegible] سورة [illegible]

فقال بعض اُفَنٍّ انت قلت نعم [illegible]

[illegible]

خليلىّ لا تستنكرا عاذل الوجد اذا [illegible]

ولا تعذلانى فى الغرام دانسى على [illegible]

ومن دا الذى يرضى الالآء [illegible] [illegible] والسهد

وهل ينعمَنْ عيشًا مكابدُ وحشةٍ ... مشتّت شمل ضائع السعى والقصد
ناى سُكْنى عنى وعوّضت عنهم ... بجيرة مقت ليس قربهم يجدى
كأنّ زمانى شآء فى كل حالة ... يرانى فردا يالشانى من فرد
فماضى نعيمى لم يكن من مضارع ... له حيث هم فى الحسن جلّوا عن الندّ
فماذا دهانى بعد حظ غنمته ... وقد كنت فى عيش بقربهم رغد
وماذا على الايام لو كان طُولها ... له لا سواد من مطالعها يُعدى
افى الناس مثلى فى مقام فؤادُهُ ... وفى غيره جُثمانه واجدُ الفقد
وغيرى اراه فاقدُ الوجد وهو فى ... نعيمٍ له جَدّ مُعين بلا جِدّ
وهل فى سبيل الله راحم لوعة ... تعاودنى لا بل غرتنى كالجِلد
وهل مبلغ عنى النسيم تحية ... اليهم وما بى من غرام لهم يبدى
اهيم بما كانت تراه احبتى ... وان يكُ من بعض الجماد او الضد
والهج بالقول الذى لهجوا به ... فتذكاره ذكرى وايراده وِرْدى
يحقّ لى التشبيب ما دمت شاعرا ... بهم لا بهند او بميّة او دعد
ولو لم يكن لى مطمع فى لقآئهم ... لآثرت توسيدى مذ اليوم فى لحدى
ولكننى ارجو زمانا يسرّنى ... بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
يقولون لى صبرًا وكيف تصبّرى ... ولست الى نور التبصّر استهدى
لعمرك سلطان الهوى قاهرٌ فما ... نجا من مغاويه الرشيد ولا المهدى
الا ليت دمعى حيث هم واقفون قد ... جرى ولدى اقدامهم قام كالسد
فيمنعهم عن ان يسيروا ويبعدوا ... فحسبى من سير وحسبى من بُعد
احبابنا هل ودّكم بعدُ سالمٌ ... وهل انتم باقون مثلى على العهد
ارى بكم الدنيا ولست اراكمُ ... بها انّ شانى اليومَ حَيْرة ذى الرشد
اتى العبد بالافراح للناس كلهم ... وما اعنادنى فيه سوى الهمّ والنكد

وما لي لا اشكو وقد طال بُعْدُكم   وما بيننا ما ليس يُبلغ بالوخد

وماذا الذي ارجوه بعد فراقكم   وعندي استوى شأنا الترفه والجهد

فياحبذا عبد انبعاثي اليكم   كما يُبعَث الطيرُ الغلل الى الورْد

ولو زارني قبل اللقآء خيالكم   وعانقته ليلًا فذلك من جدّتي

اذا نظرت عيني البريد فانّ لي   لَقلبًا من الابتهاج يخفق كالرعد

فان كان لي منكم كتابٌ لثمته   وافرزته من بعد ذاك على كبدي

فما كان من آثاركم فهو مؤثَر   على العين والعرنين والعنق والخد

فليس سواه اليوم عندي تعلّة   وما غيره الشي لحوني من بعد

وان لم يكن نجر الدموع اما جرى   وارتدّ عند كالعدم عن الوجد

وقال

اوَما كفاني اليوم طول نوى   عن [illegible]

ياراحلين وفي الفواد مقامهم   كم [illegible]

ولكم اعانب سوء حظي فكم   [illegible]

سافرتم للسرّ مما نالكم   [illegible]

ومتى يتبح لي الزمان لقاكم   [illegible]

شرّفتم فانا بغصّة عودتي   في العز [illegible]

يامن برقّ لذي جراح مدنف   [illegible]

فصِفنّ لي ما ادت واصفه امس   [illegible]

لا يغررنّك ما ترى من بزتي   [illegible]

الطَهْمَل الذي لا يوجد له حجم اذا مُسّ

انا والذى يحيى ويفنى لست فى الهُلّكى أُعَدّ ولا مع الاحياء

انا ان سلت عنى الاحبّة لم اكن اسلوهم فى البؤس والضرّآ
انى على ما بى ارقّ لعاشق مثلى وان هو كان من اعدآى
ما البعد يخمد نار شوقى انما بُعْد الغزالة علّة الاحْمآء
ما ان يحلّ حشاشتى من بعدهم حبّ وليس يحلّ نسخ وفآى
حال الورى طُرًّا تحول وحالتى هى ما تَرَى فى غدوتى ومسآى
الدمع موقوف على جَرَيانه والعين مُعفاةٌ من الاغفآء
وارى الذى مثلى بكى من فرقة مع من مناه بُعده ببكاء
عجبا لدهرى لم يزل بى مُنْصرا وضناى وارانى عن الرقبآء
عجبا لدمعى مدنفى استحمامُهُ والناس يشفيهم حميم المآء
عجبا لعمرى كيف طال من النوى والارض ضافت عن مدار رجآى
عجبا لليل الناس يسرع صبحه وصباح ليلى دائم الابطآ
تنسى الرجآء خواطرى فيه على اسّ المحال فبئس اسّ بنآء
وبخيّل الشوق المقيم باضلعى لى اننى مُغْنف وهم ضجعآى
حتى اذا اصبحتُ بانتْ انها لى لم تكن الاحبالَ هبآء
يااهل ودّى ليس من دآى لكم عَدْوَى فعودوا وأْمنوا من دآى

سقمى من الطرف السقيم ومنحلى الخصر النحيل عَداكم اِعداى

ما ان اكلّفكم سوى ذكر اسم مَن اهوى فحسبى ذاك عن اِسمآء
لوكان بجدى الفال كنتُ اليوم من احظى الانام واسعد السعدآ
اذ كل غاد باسمهم متفوّهٌ ام ذاك وسواس الهوى الغوآ
ام بعض ماذا الوجدُ يوجد اَحد يُلْهى بمعدوم من الاشيآ
يالبت قلب الناس لى او حَدّهم ان عزّ طعنٌ فالتزام عزآء

اوليت احبابى بما بى قد دروا   فيسارعوا شفقا الى انجاى
حاشاهم ان يهجروا كلفا بهم   يكفيه ما يلقى من الاقصاء
ومع النوى يرى النوى سهلا كما   ان الدنو مع الجفو تنساء
لهفى على زمن تولى وانقضى   معه السرور لديهم وهناى
فلاى بث بعدها ورزية   ابقتنى الايام شر بقاء
كيف التصبر للفراق وما ترى   عينى شبيههم من الارناء
ان اشك لم اجد آمرا لى مشكيا   وشماتة المشكين شر بلاء
واذا سكت توهم السلوان بى الراى وذلك دون فعل الراى
ياليت شعرى ما امال احبتى   عنى من التحذير والاغراء
بخلوا على بنفحة من فيهم   تاتى الصبا نحوى بها لشفاى
انى استمر حديد قلبهم على   نار الهوى بى لم يلن لدعاى
العلهم وجدوا على ملامة   فارتهم الحسنى من الاسواء
هبنى اسات فها انا مستغفر   والعفو مامول من الكرماء
برئى عليهم هين وهو الرضى   سيان فيه من دنا والناى
ان لم يصرح فيه قول فلينب   اضمار ذكر عنه فهو كفاى
انى بحسن القصد منكم قانع   ولئن يكن قد فاتنى ارتضاى

وقال فى المعنى

اتانى كتاب من خليل منمق   على كل حرف منه حسن ورونق
تنشيت وجدا اذ تنشيت عرفه   ولم لا ومنه عاطر الورد يعبق

فيا حبّذا ذاك العبير وحبذا — نسيم به نحوى التباشير يسبق
الى الله اشكو ما لقيت من النوى — وحرّ جوى كادت به النفس تزهق
اقمت واحبابى ابرّوا وابحروا — على غير ما اهوى وشملى مفرّق
فما زلت مذ بانوا حليف صبابة — اذا حان سُبْح كدت بالدمع اغرق
ففى قلبى الماسور ادّخر الهوى — ومن طرفى المسجور دمعى انفق
كئيب نحيل واجدٌ متشوّق — غريب عليل فاقد متشوّق
ولست بذى صبر فيؤمَل اجرُه — ولست بذى سلوى اليه موفق
وليس بمأمون زمانى على اللقا — وهل يؤخذنْ يوما على الدهر موثق
احنّ الى لقياهم متلهّفا — اذا ما سميرى النجم لاح واقلق
وان ذرّ قرن الشمس اُوهِمْتُ انها — تبلّغنى عنهم سلاما وتنطق
فانى ارى فيها علامات حسنهم — وفى كل حسن ذكرُ ما القلب يعشق
اعلّل قلبا بالامانى هائما — ولم يبقَ فيه للتمنّى مصدّق
يطير اشتياقًا بى اليهم واننى — اسير هوى فيهم ببينى موثق
ويحفق من ذكر اسمهم فكانما — يخيّل لى ان مضجعى منه يخفق
واسكب دمعا كان يجرى بقربهم — فكيف وباب الوصل دونى مغلق
متى يجمع الله المحبّين ساعة — وجب النوى بعد الوصال تمزق
وربّ بعاد كان منه دوام ما — يومّل من قرب لاحبّة شيّق
فلله اسرار يعزّ ببانها — وللدهر اطوار تسوء وتونق

هذا المعنى مسروق من الفارياقية وقد تقدمت الاشارة اليه

وقال

اموّدعى والدمع كاد يحولُ — ما بيننا ولظى الغرام تهولُ
كيف الصبر بعد بُعْدك موحشا — وبقيتُ لا اربُ ولا مأمول

قد كان يشجيني غيابك ساعةً　　واخال ان قد عزّ منك قفول

والآن غبتَ على حساب صبابتي　　دهرًا فليل المبتلَيْنَ طويل

إن تنسَني اذكرْك او ان تشجني　　اشكرك لست الدهرَ عنك احول

يا ليت طيفك في الكرى يعتادني　　او كان يغفى الطرف حين أُليل

فلَزورةٌ منه احبّ اليّ من　　لذّات وصلٍ من سواك يطول

أُذهِلتُ في حُبّيك عن الَم النوى　　ولقد يريح العاشقين ذهول

انسانَ عيني انت جَبْرٌ ومهجةٌ　　للقلب ما لهما لديّ بديل

لو في رضاك بذلتُ كل جوارحي　　كنتُ الضنينَ وما بذلتُ قليل

القاك في كل الجمال مصوّرًا　　فيطول فيه مني التأميل

واذا سمعتُ بمفرد في حسنه　　ايقنتُ في هذا لك التاويل

وأبيتُ اسال عنك سيّار الدُجى　　لو كان ينفع سائلا مسئول

يا فاتني بدلاله لم يبقَ لي　　في العيش بعدك بَتّةً تعليل

ما كان غيرك مالئًا طرفي ولا　　اعتقدُ الضمير بأنّ سواك جميل

واذا الورى شغلتهم دنياهُمُ　　فانا الذي بك دائما مشغول

فلك الدليل على توحّد مبدعٍ　　ان عزّ عند الفلسفيّ دليل

ارسلتُ دمعي مع كتابي عالمًا　　ان لا ينوب عن الحبيب رسول

يا عاذلين على الهوى لا تعذلوا　　فلايَّ هذا اصلد التعجيل

سبق الفوادُ الطرفَ مني في الهوى　　فهويت فيه فعاذلي معذول

اسفًا على وقت الوصال فيا ترى　　للبين يغدو مسله تاحل

لولا ادّكار نعيمه لقضبتُ من　　وجدٍ فكم بالوجد طلّ [illegible]

ساعُ التعانق ليس ينسى ذكرها　　وحطورها بالبال حط حويل

ولرب يوم مسرّةٍ بعنيك عن　　عمر باكدار العداة طويل

فَلاَفطمنّ النفس عن لذّاتها   وليشجنى بعد الغناء عويل
يامنكرًا لحقيقة الغول اعتقدْ   انّ النوى هى فى الحقيقة غول
من لم يَذُقْ اَلَمَ الفراق فما له   يومًا الى عتب الزمان سبيل
فلكل رزء غيره سلوى لذى   رشد وطبٌّ بالعزاء كفيل
يالوعةَ الشوق اسكنى فى مهجتى   ما فاتنى ممّن احبّ وصول
خفقانُ قلبى من سكونكِ دائم   ولعلّ عن كَثَبٍ بلاىَ يزول

هذا ما انتهى الينا من اخبار الفارياق * مما اقتضى الان ايداعه بطون الاوراق * فمن شاء ان يدعو له او عليه فجزاؤه يوم تلتف الساق بالساق * ويقال الى ربك يومئذ المساق * فامّا من دعا له بعود زواجه هذه المّرة وفى الحياة ارماق * فانى اضمن له ان يدعوه الى مادبة حولها وفيها كل ما شاق وراق * مما ذكر فى
هذا الكتاب بالانتساق
على سرر
واطباق
*



الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق في ما هو
الفارياق ويتلوه الجزء الثاني بعد رجم
المولف او صلبه بمن الله
وكرمه امين

*



بسم الله الرحمن الرحيم

ياسيدى الشيخ محمد ياسيدنا المطران بطرس ياابونا حنا ياابونا منقريوس
ياصير ابراهام يامستر نكتن ياهر شميط ياسنيور جوزبى هادينى انا عملت
الكتاب دى يعنى الّفته لا طبعته ولا جلّدته وحطّيته بين اياديكم
انا اعرف طيّب ان سيدى الشيخ محمد يضحك منه اذا كان يقراه لانه
يعرف من روحه انه يقدر يعمل احسن منه ولانه يعتقد انه شى فارغ
وان كنت مليته بالحروف لكن سيدنا وابونا وصيربا ما يقدروش بل ما
يقدروش يفهموه وعلى شان دى اطلب منهم انهم قبل ما يولّعوا النار
حتى يحرقوه يسالوا عن الطيّب فيه وعن غير الطيّب فان كان الطيّب
اثقل يحلّوه لى والا يحرقوه بجلده واذا كانوا يجدوا فيه بعض هفوات
فما يكونش من العدل انهم يحرقوه لان كل واحد منا فيه هفوات كثيرة
والله تعالى لا يحرقنا بنار جهنم بسببها ياابونا حنّا انا احلف لك انى ما
ابغضكش ولكن ابغض تكترك وجهلك لانى لما اسلّم عليك تلقمنى ايدك
حتى ابوسها فكيف ابوسها وانت جاهل وعمرك كله ما عملت كتاب ولا
موّال روحى ياسيدى الشيخ محمد انا اعرف ان كتب الفقه والنحو اجلّ
من كتابى دى لان الواحد لما يقرا كتاب من دول يقطّب وجهه ويعبّس
حتى يقدر يفهم معناه ومعلومك ان الهيبة والجلالة ما تكونش الا فى

التعبيس ولكن كتب الفقه ما تقولش ان الضحك حرام او مكروه وانت ما شا الله كيّس لبيب قريت من كتب الادب اكثر مما اكل سيدنا المطران بطرس من الفراخ المقمّرة وفي كل كتاب ادب ترى باب مخصوص للمجون فلو كان المجون ضدّ الادب ما كانوا دخّلوه فيها واهون ما يكون عليّ ان اقول في آخر كتابي دي زيّ ما قال غيري ومن الله استغفر عما طغى به القلم وزلّت به القدم فنحن دي الوقت والحمد لله صلح فاما مسبو ومبتر وهر وسنيور فما همّاش ملزومين ان

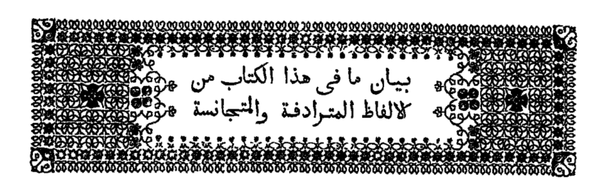
بطبعوا كتابي لان كلامي ما هوش على النقر والحمير والاسود

والنمور بل هو على الناس بني ادم ولكن

هذا هو والله اعلم —

عطكم مني




بيان ما فى هذا الكتاب من
الالفاظ المترادفة والمتجانسة

صفحة

صحيفه

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧



ذنب الكتاب

سننظم به لآلى اغلاط الروس العظام الاساتيذ الكرام مدرّسى اللغات العربية
فى مدارس باريس

فال الكسندر شُدْزْكُو (Alexandre Chodzko) فى فاتحة كتاب الفقه فى
نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته « حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل
» على كل ما يلزم لعلم اللغات الشرقية اذ فيها خزائن كتب ومدارس
» وعلماآ جديرون بادارتها حتى انه باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق
» بها من الفلسفة والتاريخ اصبح استاذ الفرس ومعلّم العرب وبراهميّ الهند
» وبهم افتقار الى ان يتعلموا من اساتيذنا كثيرا » (انتهى) وانا اقول ان هذه
الدعوى كذب ومين وافك وافتراآء ونزّهة وتزوير وبهتان وابعاط وشحط
وشطط وفُرُط وهتر وعضيهة واختلاق وزغف وتزهّق وتصلّف وتربّب *
وان قائلها ينبغى ان يدمج مع من جهلوا انفسهم فى فصل حدبدى لانه
جهل نفسه بل جل غيره ايضا على الجهل بنفسه * اما اوّلا فلانه اى قائل
هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقية ولا يعرف مقدار ما نتنف منها هولآء
الاساتيذ حتى سنهد لهم بالفضل والبراعة * وانه فى نقله للرسائل الفارسية

[illegible] ارتكب اغلاطا كثيرة [illegible] سواء في النقل

والترجمة * فمن ذلك قوله في صفحة ١٩٨ فاع صفصف وهي في الاصل

قاع صفصف اقتباسا من قوله تعالى ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي

نسفا فيذرها قاعا صفصفا * فلما جهل المعنى بدل قاع بقابع وترجمه

باللغة الفرنساوية بقوله ونقبع بنفسه برمل النزيه * فكيف استحل هذا

العالم ان يملأ الكلام بالرمل واستكبر ان يسال احدا من اهل العلم عن المعنى *

لكنها عادة له ولاسلافه ولاساتذة في ابهم حين يشتبه عليهم المعنى

يعمدون الى الترقيع والترميق والتلفيق * والثاني ان هؤلاء الاساتذ لم

ياخذوا العلم عن شيوخه اي عن الشيخ محمد والملا حسن والاستاذ سعدي

وانما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا توثبا * ومن يتخرج فيه بشيء فانما يتخرج

على النفس خبطا والراهب يوما والخوري متى * ثم ادخل راسه في اضغاث

احلام او ادخل اضغاث احلام في راسه وتوهم انه يعرف شيأ وهو يجهله * وكل

منهم اذا درس في احدى لغات الشرق او ترجم شيأ منها تراه يخبط فيها

خبط عشواء * فما اشبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء * وما كان بين

السهو والنقص خدش فيه وخفي فرجح منه المرجوح وفضل المفضول * وذلك

لانه لم يوجد عندهم من يتصدى لتخطئتهم وتسويئهم * وقد قال ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الحرب وحده والنزالا

ولانهم انما اعتمدوا على انصافهم بعض مدرسين فاجتراوا بالاسم عن

الفعل وعن حقيقة ما يراد من التدريس * وان المتصدي لهذه الرتبة

الجليلة ينبغي ان يكون صادق النقل متثبتا في الرواية * متجردا عن

التهافت على ترجيح ما استحسنه هو دون مراد المؤلف * * مترويا في

سياق الحديث وسباقه وقرائنه وعلائقه * مصطلعا باللغة والنحو والصرف والادب * فاين هذه الصفات كلها من هولا الاساتيذ الذين يفسدون عبارة المولف ويحمّلونها معانى بعيدة ياباها الطبع والذوق * ويوردون ما يوردون من شرحها مزابنة ومجازفة * ولعمرى لو انهم كانوا من ذوى التورّع لما تصدّروا فى هذه المراتب ولما اقدموا على ترجمة شى مرقع مزوّر * فان كان كلامك ايها الشيخ الرمليّ فى حق هولا الاساتيذ كلام ذى جدّ فقد وجب عليك بعد قراءة جدول اغلاطهم الفاضحة ان ترجع عمّا تبهلقت فيه وتزببت من دون علم * وان تكذب نفسك فى طالعة كتاب آخر تولّفه فى نحو اللغة العربية ان شا الله * والّا فان اثم افجاسك هذا فى عنقك * فاما ان كان مزاحا واردت به السخرية من هولآء الاساتيذ المشاهير والاساطين المذاكير فهم اولى بان يجيبوك * غير انى اراهم قد سكتوا عنك * فكانّ دغدغة هرفك هذا لهم قد اعجبتهم * فما مَثَلك ومثلهم الا مَثَل ذلك الابله الذى عشق امراة ولم يقدر على وصالها حتى ادنفه عشقها وهيّمه فلم يستطع بعده حراكا * فعاده رجل داهٍ مثلك واخذ يهنّئه على فضآ وطره منها * فقال له الابله كيف وانا مغرم بها وكلما زدت شوقا اليها ووجدا زادت اعراضا عنّى وصدّا * قال قد رايتك بعينى تعانقها بالامس ثم خرجت من دارها وانت مبتهج متهلل * وراك غيرى ايضا وهم كثيرون * فان انكرت فها هم كلهم يشهدون لى * وما زال به حتى اقنعه وحمله على ان يسلوها فافاق من مرضه * الا ان بينك وبين هذا الداهى فرقا عظيما * وذلك انه انما استعمل دهآه للاصلاح * وانت انما استعملته للافساد * لان كتابك هذا ربما يقع فى يد بعض ارباب السياسة الذين يجهلون

[illegible]

لان فى اخذ العلم [illegible] اسباطك * ومتى تهور [illegible] سافل

تهورت معه الرعية باسرها * فاما قولك ان فى البلاد الافرنجية خزائن

كتب كثيرة * كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد فى

بلادنا * لان نواب الدول لا يزالون يشترون من بلادنا انفس الكتب *

فهو ليس بدليل على وجود العلم عند وجود الكتب * فاين حمل الاسفار

هداك الله من العلم * لان العلم فى الصدور لا فى السطور * ولكن افدنى

ما بال هولآء الاساتيذ لم يولفوا فى اللغات الشرقية شيا قط * فغاية ما

صنعوا انما هو ان احدهم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فخبّص فيها

وحدس ما شآ * واخر ترجم محاورة يهودى سمسار واحمق من التجار *

وآخر مسخ امثال لقمن الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف فى الجزائر *

وآخر تعنّى لطبع اقوال سخيفة من رعاع العامة فى مصر والشام * وترك ما

فيها من اللحن والفساد كما هو استذراعا بقوله كذا رايتها فى الاصل *

فيظن بذلك انه تنصل من تبعة اللوم والتفنيد * فما سبب هذا التهافت

على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة

الفرنساوية سوى توهّم ملفقيها على الانخراط فى سلك المولفين * ولمَ

لم يتعنّ احد منهم لترجمة شى من الكتب الفرنساوية الى العربية ليظهر

براعته فى هذه حالة كونه شيخ طلبتها وامام آئمتها * على ان فى اللغة

الفرنساوية كتبا جليلة القدر فى كل فن * واعجب من ذلك انه لم يخطر

ببال احد منهم قط ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا * فهل من سبب اخر

غير التحذّر من ان يعرّضوا انفسهم للتحقيق والتعقب والتحبير * فان

عبارة النحاة والمعرّبين لا بدّ من ان تكون محرّرة محققة والا عدّ

لهم معها ان يقولوا كذا وجدناه في الاصل * ويا ليت شعري ما الفائدة في كون احد هولآء الاساتيذ يولّف كلاما معسلطا فاسدا في لغة اهل حلب ويسمّيه نحوا * ثم يذكر فيه انجق بيكفي وايشلون كيفك خيّو وهلكتاب وقوي طيب * وفي كون آخر يكتب بلسان اهل الجزائر كان في واحد الدار طوبات بالزاف الطوبات كشافوا وكيناكل وراهي وانتينا وانتيّا ونقجم وخمّم باش وواسيت شغل المهابل ويوالم اى يلائم وجاجى اى جآء وكلّى اى كانّه وحرامى اى بستاني والسّتاش اى السادس والدجاجة ترجع تولّد زوج عظمات وما اشبه ذلك من المشوّ * فما بالكم يااساتيذ لا تولفون كتبا بكلامكم الفاسد الذى تسمونه پتوَى * وهل تشيرون على عربيّ اقام بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها او كلام اهل باريس * ولو كان فعلكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيدوا جميع الاختلافات والفروق الموجودة عند المتكلمين بالعربية * فان اهل الشام يستعملون الفاظا لا يستعملها اهل مصر * وقس على ذلك سائر البلاد الاسلامية * بل ان لاهل صقع واحد اصطلاحات شتى * فكلام اهل بيروت مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان *. وكلام هولآء مخالف لكلام اهل دمشق * وذلك يفضى بكم الى الهوس والى افساد هذه اللغة الشريفة التي من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارّة الاساليب على انقراض جميع ما عداها من اللغات القديمة * وان المولفين فيها يومنا هذا لايقصّرون عن اسلافهم الذين انقرضوا مذ الف ومايتى سنة * فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها وتلحقوها بلغتكم التي لا تفهمون ما الّف فيها مذ ثلثمائة سنة * ويا ليت شعري هل تاذن ارباب السياسة عندكم لرجل اراد ان يفتح مكتبا يعلّم فيه الصبيان في ان

يتعاطى ذلك من دون ان يُمتحن اوّلا * فمن الذى امتحنكم انتم ووجدكم
اهلا لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب * ومن ذا الذى عارض
ما ترجمتم ولفقتم ورمّقتم بالمترجم منه * وكيف رُخّص لكم فى ان
تطبعوا ذلك من دون الوقوف على صحته * ولعمرى ان مدرسا لا يحسن ان
يكتب سطرا واحدا صحيحا باللغة التى يعلّمها لجدير بان يرجع الى
المكتب من ذى أُنُف * على ان من هولآء الاساتيذ من لا يفهم اذا خوطب
فضلا عن جهل التاليف * ولا يفهم اذا قرا * ولا يقوّم الالفاظ فى القرآة *
وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرا على شيخه فى مقامات الحريرى
ولا يكاد ينطق بحرف واحد نطقا بيّنا من هذه الحروف التى خلت
منها لغتهم * وهى الثآ والحآ والخآ والذال والصاد والضاد والطا والظا
والعين والغين والقاف والهآ * وشيخه ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لا
يكون الّا فاسدا * فكيف يمكن لمن لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن
النطق بها * كيف لا وان من الّف منهم فى نحو لغتنا هذا فانما بنى
نحوه كله على فساد * فانهم يترجمون عن الجيم باسنادها بحرفى الدال
والجيم بلسانهم * وقد جهلوا انه ليس عندنا فى العربية حروف مركبة
كما فى الهندية * فان الابتدآء بالساكن مرفوض عند العرب اذا لم نقل
انه ممتنع * ويترجمون عن الثآء بالتآ والسين وعن الذال بالدآ والزاى
وكذا عن الظآء * فاما سائر الحروف فالعين والهآ والحآ فعندهم همزة
والخا كاف والصاد سين والضاد دال والطآ تآ والظاء زاى * وينطقون
بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاى وعلى ذلك يتلو ذلك المتطفلين
الخطب اقطعوا الارباب كما مر * واما الهمزة فانها ان وقعت عندهم فى
اوائل الالفاظ ولا تقع وسطها ولا تطرفها ولا يحسنون النطق بها الا

مليّنة * بل اعظم مولفيهم لا يدرى ان الالف فى اول الكلام لا تكون الا
همزة * وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همّازون * وانما الغرض ان
ابيّن لهذا الرمليّ الهارف المتملّق مناضلة عن شيوخى الذين اخذت
عنهم من العلم ما اخذت ان شيوخه لا يُحسَبون فى عداد العلمآء * وانه ليس
من علمآء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد مَن هو محتاج لاخذ
حرف واحد عنهم * نعم انّ لهم باعًا طويلا فى التاريخ فيعرفون مثلا ان ابا تمام
والبحترى كانا متعاصرين * وان الثانى اخذ عن الاول * وان المتنبى كان
متاخّرا عنهما * وان الحريرى الّف خمسين مقامة حذا بها حذو البديع وما
اشبه ذلك * الا انهم لا يفهمون كتبهم * ولا يدرون جزل الكلام من
ركيكه * ونبته من مصنوعه * ولا المحسنات اللفظية والمعنوية * ولا الدقائق
اللغوية * ولا النكات الادبية ولا النحوية * ولا الاصطلاحات الشعرية *
فغاية ما يقال انهم نتفوا نتفة من علوم العرب بواسطة كتب الّفت
بالفرنساوية * فهل يسلّمون لعربىّ تعلّم لغتهم من كتب لغته بانه
كعلمائهم وانهم محتاجون الى التخرّج عنه * ثم لا ينكر ايضا ان مسيو دساسى
(De Sacy) حصّل بقوة اجتهاده ما اقدره على فهم كثير من كتبنا بل على الانشآء
فى لغتنا ايضا * ولكن ما كلّ بيضآء شحمة * على انه رحمه الله لا يُنظَم فى
سلك العلمآء المحرّرين * فقد فاته اشيآء كثيرة فى الادب واللغة والعروض *
وانى طالما والله اثنيت على براعته واعظمت علمه وفضله * الا انه لما
صارت مهارته وبراعته هذه سببا للفساد فانها هى التى جرّات غيره
على التصدّر للتدريس بلغتنا وسوّلت لهذا المفترى ان يتطاول على
اهل العلم * كان من الواجب علىّ رعايةً لحقّ العلم واهله ان اُسطر اسمه
من بين اسمآء الشيوخ فى البلاد الاسلامية كافّة * فدعا لمن تترس باسمه

[illegible] التعدى والاختيال * ولولا [illegible] هذا التقالع
والتحذلق وكذب دعواه لما تعرّضت لتخطئة احد منهم فانى اعلم انهم
لن يرعووا عن غيّهم وما يزيدهم كلامى هذا الا غرورا * بل الشيوخ الذين
قضوا عمرهم فى طلب العلم يتورّعون من ان يقولوا مقالته * لان الانسان
كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله * ولعل كتابى هذا يقع فى يد استاذ
فارسىّ او هندى فيكون باعثا لهما على الانتداب لتخطئتهم ايضا فى
هاتين اللغتين * لانى اعلم عين اليقين انهم فيهما اشد جهلا * لان الذين
سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من الذين سافروا الى غيرها * ومع ذلك
فلم يتعلّموا منها سوى الركاكة والخطل * واعلَم ايها القارى العربى انى لم
اجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا جديرا بالانتقاد سوى مقامات
الحريرى * وانى لضيق وقتى حالة كونى على جناح السفر لم يمكن لى
النظر الا فى ابيات الشرح فقط * وقد وكلت غيرى فى نقد الباقى
كما وكلنى العلمآء فى نقد الابيات * ثم عثرت بعد ذلك برحلة العالم
الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسى مطبوعة على الحجر عن خط
مسيو پيرون وقد شحنها كلها بالتحريف والغلط مما لا تصح نسبته الى
ادنى تلامذة الشيخ المذكور * ايمكن لاحد من الطلبة فضلا عن
العالم ان يقول جوده ناسخ لكل الوجود اى لكل الجود - وان يكتب العصا
باليآء غير مرة - واعلى افعل التفضيل بالالف نحو عشرين مرة - ويحيا باليا -
وانعمى المعالمون عن الضيآ اى ايعمى العالمون - وادنين منصوبين حالة
كونهما مرفوعين - وفلاحين مصر - ومحمودين السيرة - واستوزر المستبد بالملك -
ولا يعصا - ولا ارى سوء رايك اى لا ارى سوى رايك - وبعدا رابع - واثنى
عشر ملك - ومن حيث ان اباديما والتكناوى متعادلين لم اى متعادلان فلم -
*

وتجد الرجال والنسآ حسان ـ ودَعَى لنا ـ وعجوبة ـ وصواحبتها وصواحباتها ـ ولغة فيها جاس ـ وانهما متقاربتى المعنى ـ وحتى تاتى ارباب الماشية فيقبضون ـ فهل احدى منكم ـ ويرفعون اصواتهم بذلك حتى يدخلون ـ وماشيئن ـ والمسمّيين ـ وحتى يشقون ـ ومنحنيون ـ وانهم يكونوا ـ ولا اعتاض ـ اى لاّعتاض * او انه يجهل بحور الشعر فيجعل الكامل هزجا والطويل مديدا وما اشبه ذلك * ومن العجب ان الشيخ المومى اليه اورد هذين البيتين وهما

ادرك الايام يوم قيل لى هذه طيبة هذى الكُثُبُ
هذه روضة طَهَ المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

قال والياء فى هذى بدل عن الهآء * فلما قراهما بعض التلامذة على مسيو كُسَّان ذ برسفال (Caussin De Perceval) احد المدرّسين العظام اصلح قوله طَهَ بوَطْا وفسرها بوَطْ الرحْل * وابدل الهآء من قوله هذه الزرقا بآء وذلك لقول الشيخ والياء فى هذى بدل عن الهآء فانكسر الوزن * وترك لفظة الزرقا غير مصححة فان مسيو بيرون وضع بعد الالف همزة فانكسر بها الوزن ايضا * وحق وطا ان تكتب بغير الف * فانظر الى الناقل والمصحح والى هذا التخليط وتعجب *

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ العربية فى نقل الرسائل الفارسية فى كتاب الشيخ الكسندر خدزكو الرملى (Alexandre Chodozko)

صفحه	سطر		
١٩٢	١	فى ما	صوابه فيما كما هو باصله *
—	٣	التيام	صوابه التئام كما فى الاصل *

صفحه سطر

١٩٢ ٩ سنخامت صوابه سنهامت كما في الاصل *

— ٢٢ به مملكت صوابه بمملكت كما في الاصل *

١٩٣ ٠٦ عظّام صوابه عظام كما في الاصل *

— ١٧ استخضار صوابه استحضار كما في الاصل *

١٩٦ ٢٣ جناب اقدسي الهي صوابه جناب اقدس الهي كما في الاصل

— ٢٦ خلافا الاخفش صوابه خلافا للاخفش كما في الاصل *

١٩٧ ٤ براءُ الساعة صوابه برءُ الساعة كما في الاصل *

١٩٨ — قانع صفصوف صوابه قاع صفصف وقد تقدم ذكر ذلك *

٢٠٠ — (اول الرسالة) ومبارك سلطانه صوابه [illegible]
اولا تعالى [illegible] *

٢٠١ ١٨ مولات صوابه موالات *

على انى لم انقصّ معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ [illegible]
كذب هذا المدّعي وفيما اوردته كفاية *

جدول اغلاط [illegible] الحريري [illegible]
بعد وفاة دساسي (De Sacy) [illegible] (Reinaud et Derenbourg) [illegible]
[illegible]

صفحه سطر

٥ [illegible] [illegible] الصواب [illegible]

— [illegible] المجلس [illegible]

— [illegible] [illegible]

صفحه	سطر		
ح	٤	قالوا العواذل	الوجه قال العواذل فان العواذل جمع عاذلة *
—	٩	خَذَرَت	والوجه خَذِرَت *
—	١٣	في النشر ذميما	والصواب دميما *
	١٠	في صفحة العنوان تكتب	والاعرف نكتب *
٦	..	وان اصدق بيت	الاظهر احسن بيت *
١١	١٧	الكرا	والوجه الكَرَى لانه يآئي *
١٨	..	نُنَّى	الاعرف نُنَى *
٤١	..	فيُظلمونى	حقه فيَظلمونى *
٤٩	١٧	ياطلحَ اكرمُ من	والوجه اكرمَ من
٥١	١٥	فانه بَنتٍ	والوجه يُنثُّ *
٥٢	..	اقترحتُ العشآء عليه يوما	وصوابه اقترحت العشآء يوما عليه *
—	..	قال لِيَ آلعنا	والوجه لى اَلعشا لانه اخرج مخرج الامثال فلا تتغير كقوله الصيفَ ضيّعتِ اللبن *
٦٩	..	مُبرّاء	وصوابه مُبرّءًا *
٧٠	..	نراه	وحقه تراه *
٧١	..	احسنُ من	وصوابه احسنَ لانه خبر ليس *
٧٥	١٣	نيل المنا	وصوابه المُنَى لانه جمع مُنية *
٧٦	١٠	الأَفلاس	وصوابه الإفلاس *
—	١٢	في عُسْر وفي يُسَر	وصوابه ويُسْر *
٧٨	٢١	سَلَمًا	صوابه سَلَّما بغير تنوين لوقوعه قافية *
٨٠	٨	في ما	الوجه فيما *
—	—	سبيلٌ	صوابه سبيلُ ومثله دليل في البيت الثاني *

صفحة	سطر		
٨٢	..	رَكِذَ	صوابه رَكَدَ *
٨٤		وكونٌ	حقه بغير تنوين *
٨٦	١٠	خُمّه	صوابه خَمّه *
—	—	امر	الوجه امرا *
—	١٧	فادنا	صوابه فادنا دلا دونن *
٨٩		ومن يلوما لاوت لا بد نازق	[illegible]

والصواب تقديم المصراع الثاني وتأخير الاول [illegible]

السعسه اعمصت عس كل [illegible]

الحللس فهل سمعم دامعاسر العرب [illegible]

المصارع نفع عروضا [illegible]

واسالها نحو نعسد وجسد رحسد [illegible]

ومن يلوي مقرنا على المصراع الاول [illegible] *

٩٢	١٩	الدلافع	صوابه الدلافعا [illegible] *
٩٣	١٣	ددرا	صوابه [illegible]
			[illegible]
٩٦	٢	[illegible]	[illegible]
١١٠	١٩	تعدوا	صوا [illegible]
			[illegible] *
١١١	١	[illegible]	[illegible] *
—	٦	[illegible]	[illegible] *
—	١١	[illegible]	[illegible] *
١٢	١	[illegible]	[illegible] *

صفحه	سطر		
١١٥	..	متيّمٌ اثرها	صوابه اثرها اذ كيف يصح نسبة التتيّم للاثر واعجب من ذلك تنوين متبول ومكبول فكيف تفعلون ياساتيذ بالغول ارايتم كيف يُوقع التحذلق فى المخارى مع ان قصيدة كعب اشهر من نار على علم *
١٢٣	١١	شيًا	والصواب شيّا ليوافق قوله يديّا وحيّا *
١٢٤	..	الآدبُ	والصواب كالادبُ لانه مفعول لقوله لا ترى *
١٢٥	..		جميع قوافى القصيدة المسمّطة ينبغى ان تكون مقيدة
١٣٢	.	دُنى	الوجه دنا لكونه واويّا *
١٣٤	٥	كتمانى	صوابه كتمان *
١٣٧	..	ناصبِ	صوابه ناصبُ *
١٤٦	١٦	نُشنى	صوابه نُشنى *
١٤٧	..	أسْفار	صوابه أُسْفار فما للأسفار هنا وللعين يا ايها المبصرون *
١٥٢	..	حسرانًا	صوابه حسرانا بغير تنوين *
١٥٨	١٦	صُناعه	صوابه بالكسر *
—	٢٥	مطهرًا	صوابه بغير تنوين *
١٥٩	٢٦	سَنّا	صوابه سُنّى *
١٦٩	١٢	وزَبّث	حقه وربّتَ *
١٧٤	١٣	خُمُس كفك	صوابه خَمْس *
١٧٧	..	بُكور	صوابه بالضم وفيه ايضا سميا وصوابه بغير تنوين
١٧٩	..	فى الدعوةِ — الى الجفوةِ	والصواب الوقوف على الهاء *
١٨٣	١٧	خيارهم	صوابه بالكسر *
—	١١	تَسْتَلَّ فَسَلّ	الوجه تسالَ وسَلْ *

صفحه	سطر		
١٨٣	٢١	وصُحبه	صوابه بالفتح *
١٨٥	١٣	المنطَق	صوابه بالكسر *
—	١٦	عنه	الوجه منه *
١٨٩	..	البَصْر	الوجه البَصَر *
—	..	نجيءٌ مكررة مرتين	صوابه نجيء *
—	..	فطورا	صوابه وطورا *
—	—	بحميّة	صوابه بحماة *
١٩٥	١٣	دنى	صوابه دنا *
١٩٩	..	المِشناة	صوابه الفتح *
—	..	ينتفِرْ	صوابه ينتقرْ *
٢٠٤	٧	جُمّة	صوابه جُمّة *
—	..	عمامِ ــ رنامِ	صوابه بغير تنوين *
٢١	١٢	لافِي الاحنّدِ	الوجه لافِي الاحمّد *
—	١٥	أبغِض	صوابه أبْغض *
—	١٨	اليهمّ	هي من التبلتع بمكان *
٢١٥	.	إن	الوجه ان *
٢١٨	٢٤	صروفه	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى ...
٢٢١		قنبُره	الاولى قبّرة * البيت في احمر ... *
٢٢٢	١٨	يمعَ ــ فترتعَ	صوابه يمنع فترتع *
٢٣٢	١	يصنع	حقه يصنع *
—	١٨	بدوه	صوابه بدوه *
٢٣٦	.	أربه ــ اذبه	صوابه اربه ادبه *

صفحه سطر

٢٣٧ .. وانّ منّى لوّا الوجه وان لوّا عناه وكانه ظن ان عناه هنا جار ومجرور وان تاخيرها عن لوّا يكسر وزن البيت فابدلها بمنّى وجعل الضمير مفردا *

٢٣٩ ١٣ ياعابثَ الفقر حقه ياعاثبَ الفقر مع ان لفظة العيب المذكورة فى المصراع الثانى تهدى الاعمى الى فهم البيت ولكن اساتيذنا يحبّون العبث *

٢٤٥ ٢٣ إنّما حقه أنّما *

٢٤٧ ١٤ قوسًا حقه قوسًا *

٢٤٨ ١٢ منَ آبن حقه منِ آبن *

— — مامةَ كعب حقه مامةِ للاضافة *

٢٥٢ .. ولِهَا صوابه ولَها اى ولها عليه رنبن *

٢٥٥ .. المقانعَ صوابه المقانعا *

٢٥٨ ١٩ تَسلَمْ مِنَ أنْ صوابه تَسْلَمْ مِنَ آن بحذف الهمزة للوزن

— ٢٣ تَجرَبْ سبيل القصد حقه تَجَرَّ فتصحفت الكلمة على الجميع والذى اوقعهم فى ذلك قول الشاعر فى البيت الثانى لم تجرّبِ *وقوله ولا تُنسىَ الظنا حقه تنسيَ فيكسر الوزن وقوله لدى الخَبر حقه الخُبْر اى الاختبار

٢٦٠ .. ضَلّتْ صوابه ضَلَّتِ *

— . برغونا صوابه برغوثا — لولتْ صوابه أولّت فليراجعها الاساتيذ فى محلّها واما جمع البرغوث فهو عجيب من امثالهم اذ ليس فى الكلام فعاول الّا صعفوق *

٢٦١ تهامة صوابه تِهامة بالكسر *

صفحه سطر
٢٦٣ ٧ الكاسِ صوابه الكاسِي *

— ٨ فانك انت الآكل اللابسُ صوابه اللّابِسي من لسا اى اكل اكلا
شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون العظام ان تكون
اللابسُ قافية مع الكاسي مع انهما بمعنى واحد
فان الكاسي هنا من كسِيَ لازما ولو كان من كسا
المتعدى لكان مدحا وهو غير مراد ادلا تسعرون *

— ٢٤ يحفِط صوابه يحفَظ *

٢٦٤ ١٨ ممكّنا صوابه ممكّنا *

٢٦٨ ١٩ وهن صوابه بالفتح *

٢٦٦ ٢٣ فلب حده فلبا *

٢٧١ ١٥ شتّانِ حده شتان *

٢٧٦ ٢٠ الاله صوابه الاله *

٢٧٦ ٢١ فلما صوابه فلمّا *

٢٨٠ ٢٣ لا يستقيم البيت بقوله وقد [illegible] *

٢١٧ ١٦ وعمرى الاولى والصم [illegible] *

٢٦٣ ٢٢ [illegible] صوابه [illegible] *

— ٢٤ لجهم صوابه فى جهم [illegible] *

٢٩٥ ١٤ المعرل صوابه المعزل *

— ١٤ [illegible] الاولى [illegible] *

٣٠١ — فانك الطاعم صوابه [illegible] *

٣٠٣ ١٦ والدر صوابه والدر *

٣١١ . صادم صوابه [illegible] *

٢٢

صفحه	سطر		
٣١٦	..	قبلهُ ـ بَعْدُهُ	صوابه قبلَهُ ـ بَعْدَهُ البيت بآخر الصفحة *
٣١٩	..	دُرْنا دُرْنَى	الاولى الاقتصار على احداهما *
٣٢٣	٢٧	جلاجلَ	صوابه جلاجلٍ فان ذا الرمة لم يكن من المتبلتعين
٣٢٤	١٢	جلاجلَ	عين ما تقدم من اللهوقة وفى البيت الاول نظر
٣٢٦	١٦	ويُسهِرُ	صوابه ويَسْهَرُ وحَرّاها الظاهر انه جُرّاها *
٣٢٩	١٧	صئيلة	صوابه ضئيلة *
٣٣٢	١٩	مُنْجا	صوابه مَنْجَى *
٣٣٨	١٢	حُنانَيْك	صوابه بالفتح *
٣٣٩	..	الى خيبرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة سوق او نحو ذلك *
٣٤٢	١٨	مرتهِن	صوابه مرتهَن بالفتح *
٣٤٣	١٨	غَرْب	صوابه غُرْب *
٣٤٤	٢٠	فآخَر	صوابه فآخِر بالكسر *
٣٤٦	٨	ظَفرت	صوابه ظَفِرت بالكسر *
—	٩	القرونُ	الوجه بالفتح وقوله مَنَآبِيًا ملفوت *
٣٤٧	..	فى ابيات المتنبى لهوقة كثيرة *	
٣٤٨	..	وقبلُك	صوابه وقبلَك قد تكرر ذلك غير مرة ولا ادرى كيف يصح رفع الظرف عند الاساتيذ *
٣٤٩	..	ايّما	صوابه ايَّما وقوله الرزّ لعله بالفتح وهو صوت السماء
٣٥٠	٥	أَوْ أُشْرَحَ	حقه اوَ اشْرحْ *
٣٥٣	..	عُنّيت فى الخدر عُشرا	الظاهر غُيّبت فى الخدر عَشْرا *
٣٥٣	..	والأُنس	صوابه والانس بالكسر *
—	..	عند	حقه عند *

صفحه	سطر		
٤٣٨	١٥	نُسيجى	صوابه بالضمّ او بالكسر *
٤٥٢	١٣	وحُبّ بها مقتولةٍ	صوابه مقتولةً *
—	٢٥	فأظهرَ في الالوان مِنّ الدّمِ الدّمُ	وهى عبارة مختلة لا يستقيم بها وزن البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة دا بعد قوله مِن او نحو ذلك وكلا فكيف يسوغ تسكين نون من وبعدها اداة التعريف *
—	٢٧	آدمْ	صوابه آدمٍ للوزنْ وفى المصراع الثانى نظر *
٤٥٥	٥	أمْلى السّبأ	صوابه بالكسر *
—	—	خُتامها	صوابه خِتامها *
٤٥٩	١٦	كَلّا	حقه كلّا *
٤٦٣	١٨	زُبرقان	والصواب بالكسر *
—	..	قُلُك	والصواب بالفتح وهذه خامس مرّة فهل تتورّكون على الطبّاع كما هو شانكم اليوم وفى قوله عَوّلُ نظر *
٤٧٧	١١	تعاقُبْ	صوابه تعاقِبّ *
—	١٦	الأُنثى	حقه التليين للوزن *
٤٨٠	٢٥	ضوء	الوجه بالفتح *
٤٨٤	٢٤	النَسبط	صوابه البسِطْة واما المصعرة فلا يدخلها ال *
—	٢٥	رجاج	الوجه بالضم وكذا قوله سابقا العمرّ *
—	٢٨	قلُه	صوابه بالفتح لكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا فهل تتورّكون على الطبّاع *
٤٩١	١٦	[illegible]	حقه [illegible] *

صفحة سطر

٤٩٣ ١١ مناجِلُ صوابه مناجلُ لكونه وقع موقعها فليراجع •

— .. وفى البيتين الاخرين تلهوق وخروج من الفصح •

٤٩٤ .. فى بيت المتنبى تنطّع • وباللثِ من حد اسل فى البيت الاخر صوابه و واللذ •

٥٠١ .. اشتوا صوابه شَتوا وقوله مثل حمد بالرفع •

٥٠٣ ١٣ جَنائِى وخَيارة صوابه جناى وخيارة •

٥٠٨ ٢٢ لِذَوى الالباب ودى صوابه لذوى الالباب او دى •

٥٠٩ ١٢ والقبح صوابه بالضم •

— ١٣ نُقاذى صوابه بالفتح [illegible] الاولى [illegible] •

— ١٦ وكلّ يوم صوابه وكلّ [illegible] •

٥١٥ .. [illegible] صوابه [illegible] •

٥١٦ ٦ نعبى صوابه [illegible] •

— ١١ [illegible] صوابه [illegible] •

— ٢٢ كره صوابه [illegible] •

٥١٧ ١٥ [illegible] [illegible] •

٥٢٠ ٢٢ [illegible] [illegible] •

— ٢٦ [illegible] [illegible] •

٥٢٦ ٥ [illegible] [illegible] •

١٠ [illegible] [illegible] •

٥٣٥ [illegible] [illegible] •

— ١٠ [illegible] [illegible] •

٥٣٥ ١١ [illegible] [illegible] •

صفحة	سطر		
٥٣٦	..	عَزى	صوابه عُزّي *
—	..	الشّرك تعلِمه	صوابه البِشرك تعلَمُه *
—	..	عِماها	صوابه عَماها العَمى بالفتح بالاسانيذ *
٥٣٩	..	تُجهَل	صوابه تُجهِل *
٥٤١	١٩	كانوا الاكارمُ	صوابه الاكارمَ * وفى البيت الثانى لهوقة *
٥٤٢	..	المغيظ المحنَق	حقه المحنِق بمعنى الحاقد فاما المحنَق فانه بمعنى المغضَب فيكون بمعنى المُغيظ *
٥٤٨	..	فمى	صوابه فَمى البيت بآخر الصفحة *
٥٤٩	٩	تَنّكَر	صوابه تُنكِر *
—	—	ابتَلَيّت	صوابه ابلَيّت *
—	١٩	غدتْ بنتُ	الوجه بنتَ *
—	٢٤	قَبلُ	صوابه قبلَ لكونه طرفا لكونه طرفا لكونه طرفا وهذه سابع مرة فهل تنتوركون على الطبّاع *
—	٢٥	الرَبْد	صوابه الزُبْد وقوله باعفارُ فيه نظر *
٥٥٥	..	أُنس	صوابه إنْس *
—	..	بحمَدْ	صوابه يحمَدْ وقوله جمسا قبله فليراجعْ *
٥٦١	..	فوق روسِهمْ	حقه رُوّسِهِم ومثله كثير فى هذا الكتاب *
—	.	حلّال	حقه احلال *
٥٦٦	.	لم تَأَذ	صوابه بِلِذ لان المضارعى اذا جاء لازما تكون عينه مكسورة الا فى احرف نادره *
٥٦٨	..	لاشْبِيهمْ	صوابه لأشفيهم البيت بآخر الصفحة *
٥٦٩	..	فعرِض	حقه فعرِض *
٥٧٠	٢٦	بِكلام	صوابه كلام *

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٩٣	١١	مناطٍ	صوابه مناطٌ لكونه وقع مرفوعا فليراجع •
—	..	وفي البيتين الاخرين تلفيق وخروج من الفصيح •	
٤٩٤	..	في بيت المتنبي تقطيع • وبالثلث من عدا اسلمي الست الاخر صوابه وبالثلث •	
٥٠١	..	اشنوا	صوابه سَنُوا وهو مثل حمد بالرفع •
٥٠٣	١٣	جنائي وخارة	صوابه [illegible] •
٥٠٨	٢٢	لِذوي الالباب ودي	صوابه لذوي الالباب او دي •
٥٠٩	١٢	والتجهم	صوابه بالضم •
—	١٣	نُفادي	صوابه بالفتح [illegible] •
—	١٦	وكلّ يوم	صوابه وكل [illegible] •
٥١٥		[illegible]	[illegible]
٥١٦	٦	[illegible]	[illegible]
—	١١	[illegible]	[illegible]
—	٢٢	[illegible]	[illegible]
٥١٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٢٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]
—	١٦	[illegible]	[illegible]
٥٢٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	١٠	[illegible]	[illegible]
٥٢٣		[illegible]	[illegible]
—		[illegible]	[illegible]
٥٢٤		[illegible]	[illegible]

صفحه	سطر		
٥٣٨	..	غرى	صوابه غرى *
—	..	الشرك تعلمه	صوابه الشرك تعلمه *
—	..	عِماها	صوابه عُماها العمى بالضم ياساديد *
٥٣٩	..	تُجهَل	صوابه تُجهِل *
٥٤١	١٩	كانوا الاكارمَ	صوابه الاكارمُ * وفى البيت الثانى لهوفة *
٥٤٢	..	المغيظ المحنَق	حقه المحنِق بمعنى الحاقد فاما المحنَق فانه بمعنى المغضَب فيكون بمعنى المغيظ *
٥٤٨	..	فِمى	صوابه فُمى البيت بآخر الصفحة *
٥٤٩	٩	تَنْكَر	صوابه تُنكِر *
—	—	ابتَلَيْت	صوابه ابتُلِيْت *
—	١٦	غدتْ بنتُ	الوجه بنتَ *
—	٢٤	قَبلُ	صوابه قبلَ لكونه طرفا لكونه طرفا وهذه سابع مرة فهل تتوركون على الطبّاع *
—	٢٥	الزِّبْد	صوابه الزُّبْد وقوله ياعقارُ فيه نظر *
٥٥٥	..	أُنْس	صوابه إِنْس *
—	..	يحمُدُ	صوابه يحمَدُ وقوله خمسا قبله فليراجعْ *
٥٦١	..	فوق روسِهِمْ	حقه رؤسِهم ومثله كثير فى هذا الكتاب *
—	..	جلال	حقه اجلال *
٥٦٦	.	لم يَلَذْ	صوابه يلِذْ لان المتاعى اذا جاء لازما تكون عينه مكسورة الا فى احرف نادرة *
٥٦٨	..	لأَسْقيهم	صوابه لأُسقيهم البيت بآخر الصفحة *
٥٦٩	..	فيعرض	حقه فيعرض *
٥٧٠	٢٣	كَلام	صوابه كِلام *

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٥	١٤	وزنه	صوابه وزنه
—	..	ساوى	صوابه تساوى
—	..	بحومترد	حقه المترد
—	..	هاكها	صوابه هاكها
—	.	نطق	الوجه نطق
٥٩٠		بهموا	صوابه يفهموا
—	.	ذوو	صوابه ذوو وكان الاسناد دواسوا الجمع على [illegible]
—	..	بال	حقه بال فان القوافي كلها مقيدة
٥٩١	١٣	بعلم	صوابه نعلم
٥٩٦		بالمسرفي	صوابه بالمشرفي
٦٠١	٢٣	ازحم	صوابه ازحم
٦١٠	٢٢	وتحسس دلها	صوابه وتحسس دله
٦١١	.	اكارعه	حقه اكارعه
٦١٤	١١	قبل لاجل	صوابه من قبل لاجل [illegible]
—	١٣	الا	الوجه الى
٦٢٦		جعلنا عوارض	صوابه عوارض [illegible]
٦٢٧		[illegible]	[illegible]
—		واصر	صوابه واصر [illegible]
٦٢٨		سحى	صوابه [illegible]
٦٣٣	١٠	حسم مكررة	[illegible]
—		في الادب [illegible]	[illegible]
٦٣٣	١٠	[illegible]	[illegible]
٦٣٥	١٥	الاسس	حقه الاسس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
[illegible]	[illegible]	مطبخة	صوابه مُطَّبِخَةً وساباطُ حقه بالكسر او بالالف *
٦٣٩	٠	نائلك	حقه نائلكم لانه واقع عروضا *
٦٤١	..	سعادُ	صوابه سعادَ واثرها صوابه بالفتح وهذه ثاني مرّة
٦٤٥	١٠	ضرعام	صوابه بالكسر *
[illegible]	١٣	ومصابح	صوابه مصروفا لوقوعه عروضا *
[illegible]	١٩	وداز وعاز	حقهما السكون للقافية *
٦٤٦	..	السعلات	حقه السعلاةِ وعمرُو بنُ مسعود شرارُ الوجه فيها كلها النصب *
٦٤٩	١٥	اربعة	ص اربعةٌ وفي جبرئيل بلهوى وبصّل حقه فصّل *
[illegible]	٢٠	تزوّج ابن	الصواب تزوّج ابنَ *
٦٥٣	..	مَعاذُ الله	صوابه مُعاد *
٦٥٩	..	سددذ	الوجه سكون الاخر *
٦٦٠	.	نرئس	صوابه نُرَئِّس واعام صوابه واعأم *
—	.	من الحروف	الوجه من الحروفْ *
٦٦٢		وطا	حقه وطِئْنا *
—	.	فعصرْكما	صوابه فعصّرْكما اي عانكما ومصركما
—		وبلذ	صوابه بلذا *
٦٦٢	.	في هواخ	الرواية كان احيا *
٦٦٤		اعلّ الله	صوابه الله [illegible] بآخر الصحيح *
٦٦٩	..	سحرين	صوابه سحرين *
٦٦٩	.	مردد	صوابه مردد لوقوعه عروضا *
٦٧٢		احد	صوابه أحد *
١		مياس	صوابه ميامس وسوامس [illegible] ينبغي ان يكون

وما زال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر الحكايات وقد تنكبت كل ما وقع من الغلط والتحريف في المتن والشرح فكان مقدارا شيا [illegible] اليهما وكذب دعوى صاحبهما واما ما اقتبسه الاستاذ الاعظم مسيو كُسّان ذ پرسڤال من قصة معروف اللغة في كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة الركيكة فغير جدير بان يضاع في نقده الوقت اذ كله فاسد ٭

تم الذنب

تنبيه من عادة الاساتيذ المزبورين ومن اشبههم ممن الّف في العربية شيا ان يعتذروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورّك على الطبّاع او على صفّاف الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط انما ينشأ من جهلهما باللغة كما ذكر لي ذلك الكنت الكس دكرانج (Alix Desgrange) نقلا عن الاستاذ كسان ذ پرسڤال وهو عذر اقبح من ذنب فان الصفّاف كيفما وجهه اتجه ومهما يرسم له يمتثله ألا ترى ان مسيو پيرو (M. Perrault, rue de Castellane, 15, Paris) مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيا فقد امتثل كل ما رسمناه له في كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التأنّي وبذل مجهوده في صف الحروف وجودة الطبع حتى جآ بحمد الله احسن ما طبع بلغتنا في البلاد الافرنجية فلهذا ننوّه باسمه عند كل من شآء ان يطبع شيا بالعربية ولا شك انهم يحمدون سعيه ويرضون عن عمله وان لم يكن في المطبعة السلطانية وكفى بحسن العمل ثناء ٭

بيان ما وقع في هذا الكتاب من الغلط والتحريف

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٣	٣	السبل	السبيل *
حاشية ١١		الفيرزابادى	الفيروزابادى *
١٣	١٤	غدير	قدير *
١٥	٣	طُفنت	طَفنت *
—	٣	بحيت	بحيث *
٢٣	٨	الدينا	الدنيا*
٢٥	١٢	بوه	ثوه *
٣٤	١١	فد	قد *
٣٨	١٤	الياك	اليتاك *
٥٩	١٠	حى	حتى *
٦٤	١٤	عَتول	عتول *
٧٩	١٠	هنشا	هنبشا *
٩٤	١٥	بحيث	بحيث *
٩٥	٨	فبيحة	فبجحة *
١٠٤	٤	رأمه	رأمة *
—	—	نشره	نشرة *
١٠٦	١٨	الوتّم	الرّتم *
١١٨	٢١	الباهر	الفّار *
١٤٣	٩	وأعنيب	واعقبت *
١٥٣	٢٠	الجَلاهق	الجُلاهق *
١٦٧	٣	فَثّيخاها	فَثّيخاها *
—	٤	جُيصاها	جيصاها *
—	١٢	ورَشّمها	ورَسّمها *
—	١٣	عتكانها	عيكانها *
١٦٨	٧	معرزنما	معرنزما *
١٧٦	٥	الوجوع	الرجوع *
١٧٧	٤	وانما	فانما *
١٨٤	٢١	النجشيين	النجشيين *
١٩١	٤	هُزمة	هَزمة *
١٩٦	١٤	افصى	اقتصى *
٢٠١	١٣	والجنس	والجحش *
٢١٠	١٧	كانّ	كأنّ *
٢١١	٧	الي	إلى *
٢٢٣	٢٠	المتصود	المعصود *
٢٣٠	٦	امّ دبار	امّ ذفار *
٢٤٣	٢٠	وتبتبخه	وتَبتَخة *
٢٥١	١	السنطه	السَنطبة *
٢٥٣	٤	دعصا	دغصا *

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٢٥٣	١٠	ابو بُرائل كذا هى فى نسخة القاموس التى عندى بالفتح الان قوله البُرائل كعُلابط ما استدار من ريش الطائر حول عنقه يقتضى انه مضموم *	
٢٦٥	٨	الباقر	البَقّار *
—	٢٠	العرز	والعرز *
٢٦٩	١٦	والطِبْن	والطُبْن *
٢٧٢	٤	فيطبي	فطبي *
٢٧٥	١٥	والقيصائة	والقيصانه *
٢٨٢	١٥	السكركة	السُكركة *
٢٨٤	٢٠	صفيطة	صفطه *
٢٩٥	٥	والنُطْفه	والنُطَفة *
٣٠٠	٤	والنَذل	والمَذل *
٣٠١	١٠	والنَدا	الى الآ[illegible] *
—	١٤	الصراحيّات	السراحـ[illegible] *
٣٠١	١٦	كالاباريق	كالابريق *
٣٠٦	١٤	البَلَنّط	البَلَنّط كسِمّور *
٣١١	١١	الثوب المخطط	ثوب مسطط يمان
٣٢٧	١٥	مآمما	مآمما *
٣٣٣	٨	بملعدانها	بملتهاله *
٣٦٤		والطو	والطو *
٣٧٥		[illegible]	[illegible] *
[illegible]	١٣	[illegible]	[illegible] *
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] *
٤٥٥	[illegible]	كل [illegible]	[illegible] *
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] *
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] *
[illegible]		[illegible]	[illegible] *
[illegible]		[illegible]	الى *
[illegible]		[illegible]	[illegible] *
[illegible]		[illegible]	[illegible] *